





ISSN 2347-2456

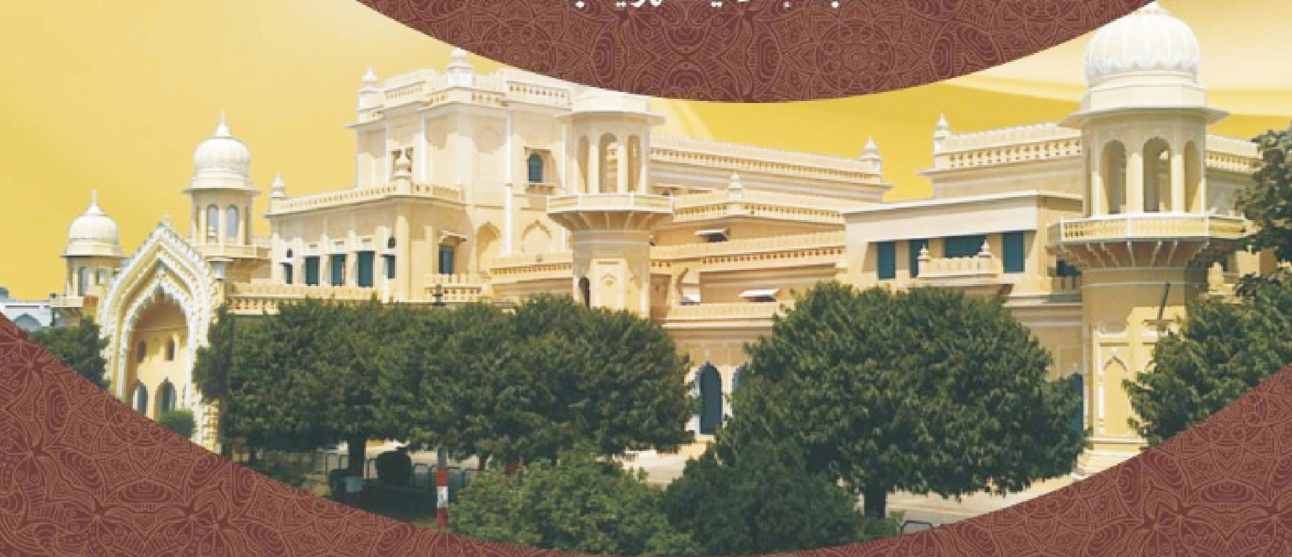
شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

صفر – ربيع الأول – ربيع الثاني ١٤٤٥هـ
سبتمبر – أكتوبر – نوفمبر ٢٠٢٣م

الأعداد: ٨-٩-١٠ المجلد: ٦٩

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة



- ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فرداً (افتتاحية العدد)
- حياة حافلة بالإنجازات
- شعر الرثاء على وفاته
- شخصية مثالية فقدناها
- إبداعاته في الأدب الإسلامي
- جوانب مشرقة من حياته
- رسائل التعازي
- حوارات ولقاءات
- آثاره العلمية والأدبية
- حفلات التأبين على وفاته

تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب. ٩٣، لكناؤ، الهند

If undelivered please return to:
Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com







شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد



الأعداد: ٨-٩-١٠ مجلة إسلامية شهرية جامعة Issue: 8-9-10

صفر - ربيع الأول - ربيع الثاني ١٤٤٥هـ سبتمبر - أكتوبر - نوفمبر ٢٠٢٣م

عدد ممتاز عن الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

المراسلات



مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي القارئ الكريم !

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

يسرنا أن نتقدم إليك بهذا العدد الممتاز عن حياة ومآثر العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، فإنه عاش عمراً طويلاً نحو ٩٤/ عاماً ، كله جد واجتهاد ، وقلق واضطراب ، وصبر ومصابرة ، وهموم وأحزان في سبيل العودة بالأمة الإسلامية إلى مكانتها الأصيلة .

صدرت مجلة البعث الإسلامي في شهر أكتوبر ١٩٥٥م ، وكان الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي آنذاك على منصب الأديب الأول في دار العلوم لندوة العلماء ، وكان يُعتبر من كبار أساتذة الأدب العربي فيها ، فنالت المجلة منه لفتة كريمة ، ولا يزال يزود المجلة بمقالاته ودراساته الأدبية ، فأول مقال له صدر في المجلة في عددها الأول هو " الأدب قوة " ، وآخر مقال له هو : " قصة أصحاب الكهف وما لها من نتائج وعبر " في العدد الخامس ، المجلد التاسع والستين ، ذو القعدة ١٤٤٤هـ ، الموافق يونيو ٢٠٢٣م ، كما أشرف خلال هذه المدة على المجلة ، وكانت المجلة تستفيد من آرائه السديدة ومشوراته الصائبة ، وكان اسمه مكتوباً بمنصب : المشرف العام ، رحمه الله رحمة واسعة .

هذا العدد الممتاز يضم ثلاثة أعداد : ٨ – ٩ – ١٠ ، للمجلد التاسع والستين ، وسينتهي على هذا ، المجلد التاسع والستون للمجلة ، كما يصدر العدد الأول من المجلد السبعين في شهر دسمبر ٢٠٢٣م بإذن الله تعالى .

يشتمل هذا العدد الممتاز على تسعة عناوين بارزة :

(١) حياة حافلة بالإنجازات
(٢) جوانب مشرقة من حياته
(٣) إبداعاته في الأدب الإسلامي
(٤) آثاره العلمية والأدبية
(٥) حوارات ولقاءات
(٦) شخصية مثالية فقدناها
(٧) شعر الرثاء على وفاته
(٨) رسائل التعازي
(٩) حفلات التأبين على وفاته

ندعو الله أن يجعل هذا العدد نافعاً ومقبولاً لابتغاء وجهه الكريم ، ويغفر الراحل الكريم مغفرة تامة لا تغادر ذنباً ، ويسكنه الفردوس الأعلى . ربنا تقبل منا ، إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم .

كتبها بيمينه
سعيد الأعظمي الندوي
رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي
ندوة العلماء ، لكناؤ – الهند

٢/صفر/١٤٤٥هـ
٢٠/أغسطس/٢٠٢٣م



بسم الله الرحمن الرحيم

ذهب الذين أحبهم ، وبقيت مثل السيف فرداً

سوف لا أتناسى ذلك اليوم الأغر الذي تمت فيه زيارتي الأولى لسعادة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله ، وذلك في أحد أيام العام الحادي والخمسين من القرن الميلادي المنصرم ، يوم كنت قد حضرت دار العلوم لندوة العلماء ، بأمر من والدي الجليل رئيس ومحدث الجامعة الإسلامية مفتاح العلوم في بلدة مئو بمديرية أعظم جراه ، وكان سماحة العلامة الكبير الشيخ السيد أبي الحسن على الحسني الندوي عائداً من رحلته العلمية والدينية والأدبية من مصر والسودان ، وعدد من الدول العربية بعد إنجاز رحلاته العلمية والدعوية والتربوية ، وعلم سماحته بوجودي في دار العلوم لندوة العلماء ، فأشار علي أن أحضر عنده في اليوم الأول من العام الدراسي ، وأتقدم إليه بطلبي للدراسة في دار العلوم لندوة العلماء .

وهكذا حضرتُ في الأسبوع الأول من افتتاح دار العلوم التعليمي ، وأديت امتحان السنة الأولى للتخصص في الأدب العربي ، وأكرمني الله بالنجاح بالدرجة الأولى ، فكان اسمي مسجلاً في دفتر الحضور في الصف في السطر الأول ، وكنا نحن أربعة زملاء في السنة الأولى ، وانتهت السنتان بسرعة ، وقدَّر الله لي الالتحاق بمرحلة التكميل (الأدب العربي) ، ولم تكن هذه المرحلة لدراسة علوم الأدب العربي وتاريخه فحسب ، بل كانت ذات مسئولية لتدريس كتب بدائية للأدب العربي للطلاب الوافدين الجدد في المراحل الابتدائية التي مروا بها في مدارسهم وكتاتيبهم ، وفي أماكنهم التي كانوا يعيشون فيها .

من هنا كانت صلتي بسعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي وطيدةً ، اتصلت به أولاً كطالب علم في السنة الأولى للتخصص في الأدب العربي ، ثم مستشيراً في كثير من الشئون العلمية والدينية ، ثم مساعداً له في الأمور الإدارية والصحفية والعلمية ، ولما تم اقتراح إصدار صحيفة الرائد لتدريب الطلاب على الكتابة العربية ، فكان ذلك الأمر

سراً ، لا يعرفه سوى أنا والشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، وجرت الأعمال الإدارية للصحافة بكل سرية ، ولما طبعت النسخة الأولى للصحيفة ، كان ذلك مفاجأة سارة للجميع ، وسرَّ بذلك سماحة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسني الندوي رحمه الله ، وجميع من كان معه في ندوة العلماء ، فشجَّعنا على استمرارية هذا العمل ، وإيصاله إلى المستوى العالي الرفيع ، والحمد لله على أني التحقت بهذا العمل من أول عدد ، وبدأت أكتب كلمة الرائد في الصحيفة ، كما كانت طباعة هذه الصحيفة تحت إشرافي في مطبعة ندوة العلماء ، حيث تُطبع الكتب العلمية والدينية والأدبية للإمام الندوي رحمه الله تعالى وغيره من العلماء .

وفي نفس السنة التي صدرت فيها صحيفة الرائد أنشي المجمع الإسلامي العلمي ، وهو عام ١٩٥٩م ، وكانت فكرة إنشاء هذه الأكاديمية للإمام السيد أبي الحسن على الحسني الندوي ، وكان أساس ذلك مقال الإمام الندوي : ردة ولا أبا بكر لها ، فإن الإمام الندوي قد أثار في هذا المقال فكرة مقاومة الردة الفكرية التي تنشأ رويداً رويداً في الشباب المسلم ، حتى إنهم فقدوا ثقتهم بالإسلام ، ويعتبرون الإسلام كالديانات الماضية التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، قدم الإمام الندوي هذه الفكرة أمام المثقفين والعلماء ، فلبوا هذه الفكرة ، واعتبروها حاجة الساعة ، وتم تخطيط هذا المجمع الإسلامي العلمي ونشر كتيبات دينية وعلمية تشرح أصول الإسلام ، وتعيد ثقة الشباب المسلم بالإسلام من جديد ، في أربع لغات : العربية والأردية والهندية والإنجليزية ، وكان الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي أكبر مساعد من أول يوم لهذا الغرس ، بل انتخب الإمام الندوي رئيساً لهذا المجمع ، وعُيِّن الشيخ محمد الرابع أميناً عاماً له ، وقد ازدهر المجمع زمن أمانته العامة ازدهاراً كبيراً ، وانتخب له أعضاء ورجال ، وكنت كذلك من أعضائه ، فأسندت إلى جميع الأعضاء المسئوليات ، وإنهم أنجزوا هذه المسئوليات بكل أمانة ، حتى صدرت جميع مؤلفات الإمام الندوي من المجمع الإسلامي العلمي ، ومؤلفات كتاب آخرين ، وبعد وفاة الإمام الندوي انتخب الشيخ محمد الرابع الحسني رئيساً للمجمع ، فصدرت كتب ومؤلفات علمية ، وعين بعض الباحثين الجدد للدراسات الإسلامية ، فحققوا وألفوا كتباً قيمة ، حتى بلغ عدد مؤلفاته الآن إلى أربع مائة مؤلَّف ، والحمد لله على ذلك .

فكرة هيئة التعليم الديني للناشئة المسلمة في الهند كانت من الموضوعات الأساسية ، التي شغلت بال كثير من الناس ، ذلك لأن بيئة الهند بعد تحريرها أصبحت مسمومة بسبب البذور التي بُذرت من الطائفة الهندوسية ، وجرى تعديل وتغيير في المقررات الدراسية الحكومية في المدارس الرسمية ، فكان هذا مبعث قلق كبير ، فقام القاضي عديل أحمد العباسي من مديرية بستي ، وشاور كبار العلماء والمثقفين في هذا الشأن ، حتى اتفقوا على إنشاء هيئة التعليم الديني على مستوى ولاية أترابراديش ، فجرت هذه النشاطات الدينية تحت رئاسة الإمام الندوي ، وانتخب الشيخ محمد الرابع الحسني عضواً لها ، وما زال يحضر مجالسها ودوراتها ، حتى جعله الله تعالى رئيساً للهيئة ، فجعل يرشد هذه المسيرة التعليمية بكل أمانة ودقة ، وقد رأس كثيراً من المؤتمرات ، وقدم فيها خطبه الرئاسية ، وقد جمعت هذه الخطب في مجموعة كتاب ، قام بترتيبها البروفيسور مسعود الحسن العثماني (سكرتير هيئة التعليم الديني حالياً) ، ومن فضل الله تعالى على أني كنت عضواً منذ بداية الهيئة ، وبعد وفاة الإمام الندوي أصبحت نائب رئيس للهيئة ، وهذه الهيئة تعمل أعمالها ، وتستمر في فعالياتها ، وقد أصدرت سلسلةً من الكتب للمدارس البدائية من روضة الأطفال إلى الصف الخامس ، وهي تدرس في كتاتيب الهيئة المنبثة في مدن وقرى أترابراديش ، واختار المثقفون هذا المنهج نظراً إلى فوائده الكثيرة ، فما من كتاب يوجد الآن في مناطق الهند ، إلا وله علاقة مباشرة أو بواسطة بهذه الهيئة ، قدَّر الله تعالى لها الاستمرارية والقبول .

أقامت ندوة العلماء المهرجان التعليمي على مرور ٨٥/ عاماً منذ إنشائها في الفترة ما بين ٢٥ – ٢٨ شوال ١٣٩٥هـ الموافق ٣١ أكتوبر ١ – ٣ نوفمبر ١٩٧٥م في رحاب ندوة العلماء ، ونال هذا المهرجان إقبالاً عظيماً من المهتمين بالفكر الإسلامي والمشتغلين بالتربية الإسلامية ، إن هذا المهرجان كان يهدف إلى مغزى عميق في مجال التعليم والتربية للفكر الإسلامي ، ويرمي إلى وضع نظام جديد للتعليم في سائر الأقطار والدول الإسلامية ، ذلك النظام التعليمي الذي يتولى الجمع بين الثقافتين الإسلامية والعصرية ، ويوفق بينهما بغاية من الدقة والانسجام والحكمة ، الأمر الذي تبنته ندوة العلماء من أول يومها .

بدأ المهرجان في موعده المحدد بحضور وفود العالم الإسلامي والعربي التي بلغ عدد أعضائها ٦٥/ عضواً من ١٥/ دولة ، وقد كان هؤلاء الأعضاء ذوي خبرة واختصاص في موضوع التعليم والتربية ، واستمر المهرجان أربعة أيام ببرامجه الحافلة الهادفة ، وانتهى بنجاح – والحمد لله – وأمل مشرق لمستقبل تعليمي لامع ، وكان في إنجاح هذا المهرجان التعليمي نصيب الأسد للشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، فإن جميع أعمال هذا المهرجان كانت تحت إشراف شيخنا رحمه الله ، فإنه هو الذي اقترح لطباعة بعض الرسائل العلمية والمؤلفات الفكرية بهذه المناسبة ، وقد أصدر عدداً خاصاً لصحيفة الرائد بندوة العلماء وأقسامها وشعبها ، ورجالها وأبرز خريجيها ، وقام بإدارة جميع الجلسات بالعربية ، وقد شرف المهرجان شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم وكثير من مشايخ العالم العربي ، وأبدوا انطباعاتهم الجيدة عن هذا المؤتمر .

إن أكثر أعمال ونشاطات الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي خلال هذه المدة المديدة كانت باللغة العربية ، وقد عُيّن أستاذاً للعربية في بداية الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي ، ومنذ ذلك الحين جعل يدرّس اللغة العربية والأدب العربي نثراً وشعراً ، وكانت جهوده في صحافة أدب الأطفال بإصدار صحيفة الرائد ، وقد لعبت هذه الصحيفة دوراً بارزاً في نشر اللغة العربية في الجاليات الناشئة ، وقد صدرت له كتب ومؤلفات بالعربية أمثال : منثورات من أدب العرب ، ومعلم الإنشاء (الجزء الثالث) والأدب العربي بين عرض ونقد ، ومختار الشعر العربي في جزئين ، وقاد حركة رابطة الأدب الإسلامي إلى مدة طويلة ، وظل متصلاً بها منذ أول يومها ، فتقديراً لهذه الجهود الأدبية أُكرم بجائزة رئيس جمهورية الهند عام ١٩٨٢م ، ونال صيتاً حسناً على المستوى القومي والعالمي في الأدب والبلاغة والنقد .

أُسندت إلى الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي مسئولية إدارة ندوة العلماء عام ١٩٩٣م ، وقد كنت مساعد المدير (مشرفاً إدارياً) لدار العلوم نحو سنتين وثلاثة شهور ، زمن إدارة الشيخ محب الله اللاري الندوي ، وذلك لأنه قد انهارت صحته ، فتم انتخابي كمشرف إداري لدار العلوم ، وحينما أصبح الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي مديراً لدار العلوم لندوة العلماء ، وكان منصب عميد كلية اللغة العربية شاغراً ،

فانتخبتُ له بأمر من الإمام الندوي رحمه الله تعالى ، وكنت أثناء ذلك أساعد الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي في الأعمال الإدارية والشئون التعليمية ، وظل الشيخ على هذا مواظباً على العمل إلى وفاة الإمام الندوي ، والجدير بالذكر أن مؤتمر العلماء المسلمين للنظر في قضايا الدعوة الإسلامية عُقدت زمن إدارته لدار العلوم لندوة العلماء في الفترة ما بين ١٢ – ١٣ رجب ١٤١٨هـ ، الموافق ١٢ – ١٣ نوفمبر ١٩٩٧م ، وكان مؤتمراً كبيراً ، شرَّفه إمام الحرم الشيخ محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله تعالى ، وإمام وخطيب المسجد الأقصى الشيخ محمود الصيام ، وكانت محاور المؤتمر على ما يأتي :

١. النظر في المذاهب الدينية المنحرفة وجهودها المتزايدة اليوم
٢. النظر في جهود النحلة القاديانية المستورة منها والظاهرة ، ومدى تأثيرها على الغافلين من المسلمين والبحث في طرق صدها
٣. النظر في التخلف الشائن للمسلمين في المجالين العلمي والديني ، والبحث في الحل المناسب لتدارك هذا التخلف
٤. النظر في قضايا المسلمين الدينية والثقافية في البلدان غير الإسلامية والبحث في طرق معالجتها النافعة
٥. البحث في المنهج الأفضل للأعمال الدعوية والتربوية في الأوضاع الراهنة

نالت الدعوة استجابةً مخلصةً قويةً من جميع الجهات العلمية والدعوية والفكرية ، وعقد المؤتمر، وحضر المندوبون من العالم الإسلامي ، وقدم كلمة ترحيب وتحية مدير دار العلوم لندوة العلماء آنذاك الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، ومن أبرز عناصر هذه الكلمة : ندوة العلماء في مواجهة الحركات الهدامة ، خطورة فتنة القاديانية ، استعراض الأوضاع من واجباتنا ، لا شك أن هذا المؤتمر من الأعمال الدينية الذهبية زمن إدارة الشيخ محمد الرابع لدار العلوم لندوة العلماء ، فالفضل يرجع إليه بعد الله تعالى وجهود الإمام الندوي رحمه الله .

انتقل إلى رحمة الله تعالى إمامنا وشيخنا السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي في ٣١/ دسمبر ١٩٩٩م ، فألمت مصيبة كبرى بالعالم الإسلامي ، وصار الجو حزيناً ، تبكي جدران ندوة العلماء حزناً وكمداً ،

وفور ما سمعنا النبأ ذهبنا إلى زاوية الشيخ علم الله الحسني وصلينا صلاة الجنازة عليه بدموع ساخنة ، وألقينا على قبره التراب بعواطف مكلومة ، ولم يمض يوم أو يومان ، إذ عقد المجلس التنفيذي لندوة العلماء جلسةً طارئةً لتعيين رئيس لندوة العلماء تحت رئاسة الدكتور السيد عبد الله عباس الندوي رحمه الله ، فوافق جميع أعضاء الأمانة العامة لندوة العلماء على اسم الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيساً لها ، وكان هذا الانتخاب مباركاً ، ومتفائلاً ، استبشر به جميع الناس على شتى المستويات ، وظل الشيخ على هذا المنصب حوالي ٢٣ عاماً ، كما انتخبت كمدير لدار العلوم لندوة العلماء في نفس الجلسة ، وشكرت على هذه النعمة ، ودعوت الله أن لا يكون هناك إخلال بالمسئولية وتقصير في أداء الواجب .

استمرت نشاطات ندوة العلماء تحت رئاسة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي بكل هدوء ، وقد أصدرت مجلة البعث الإسلامي عدداً ممتازاً حول سماحة العلامة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وكان عنوان مقال الشيخ محمد الرابع الحسني : رحم الله شيخنا أبا الحسن ، كما كتب للعدد الخاص لصحيفة الرائد مقالاً بعنوان : وفي الليلة الظلماء يُفتقد البدر ، وكان كلا العددين حافلين بالمقالات العلمية والانطباعية ورسائل التعازي القلبية .

وقد وفقني الله تعالى خلال هذه المدة الطويلة للاجتماع معه مرةً أو مرتين كل يوم وليلة في مكتبه أو في دار الضيافة لندوة العلماء ، فكنا نتشاور في كل دقيق وجليل حول ندوة العلماء وتنشيط برامجها التعليمية والإدارية والدعوية ، ولم نفارقه إلا إذا كان سفري إلى مكان ، أو هو سافر إلى أي جهة ، وحق لنا أن ننشد بهذه المناسبة قول الشاعر متمم بن نويرة اليربوعي :

وكنا كندماني جذيمة حقبةً　　من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا　　لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وكان دأب الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي أنه إذا وُجهت إليه دعوة للمؤتمر ، وكان هو مشغولاً في أعمال ندوة العلماء أرسلني إليه كنائب عنه ، هذا ما وقع كثيراً ، فامتثلت أمره ، وذهبت إلى المؤتمر وشاركت فيه وألقيت فيه كلمةً نيابةً عنه بحمد الله وتوفيقه ، أما ندوات رابطة الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية فلا نعرف أني تغيبت

عن أي ندوة من ندواتها السنوية ، حينما عُقدت أول ندوة أدبية لرابطة الأدب الإسلامي عام ١٩٨١م في رحاب ندوة العلماء ، وكانت هي بذرة أولى لإنشاء الرابطة شاركت فيها ، وساهمت في تنشيط فعالياتها ، حتى انتخبت عضواً لمجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وقد سافرت مع الشيخ السيد محمد الرابع الحسني إلى القاهرة وتركيا والبلدان العربية للحضور في الندوات الأدبية وهيئتها العامة .

وفي عام ٢٠٠٥م تلقيت أنا والشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي دعوةً للحضور في حفل منح جائزة نائف بن عبد العزيز آل سعود العالمية ، للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة ، فاستجابةً للدعوة سافرنا إلى المدينة المنورة ، حيث تشرفنا بالحضور في حفل منح الجوائز في دورتها الأولى ، في قاعة فندق مريديان بالمدينة المنورة ، وبدئ البرنامج بتلاوة من القرآن الكريم ، وتلته كلمة سمو الأمير الملكي نائف بن عبد العزيز راعي الجائزة ، وتم منح الجوائز للفائزين الخمسة : اثنين من الذكور وثلاث من الإناث ، وكل جائزة تمثلت في شهادة وميدالية ومبلغ وجيه من النقود ، وكانت موضوعات الجائزة من السنة النبوية : عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان (دراسة حديثية فقهية) ، وكان هذا السفر مبعث خير كثير ، حيث سلمنا على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في الروضة المطهرة ، ثم سعدنا بالعمرة وزيارة بيت الله الحرام .

هذا غيض من فيض تلك العلاقات التي تمتد على خمسة وسبعين عاماً ، وإذا ذكرت كل ما كان من أحوال وأمور دارت بيني وبينه خلال هذه المدة المديدة لاستغرق ذلك وقتاً ، وغطى حجم كتاب مستقل ، فأكتفي بهذه الكلمات ، وندعو الله أن يغفر له زلاته ، ويرفع درجاته ، ويسكنه فسيح جناته ويلهم الجميع الصبر والسلوان ، (وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ . ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ . أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ) .

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

سعيد الأعظمي الندوي
١/صفر/١٤٤٥هـ
١٩/أغسطس/٢٠٢٣م

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي : شخصية صنعت التاريخ

فضيلة الأستاذ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي*

إن وفاة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي تركت أثراً عميقاً لا على الشعب الهندي المسلم فحسب ، بل على العالم الإسلامي كله ، وقد كان رحمه الله شخصية عالمية ، قيضها الله تعالى لنشر دينه وإبلاغ دعوته ، فكان لنا ظلاً ظليلاً نستظل منه ، فلا شك أنه كان بركة العصر ، يتبرك الناس به في هذه الأحوال المكفهرة ، وكان وجوده رحمة ، وكان خليفة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي ، فقد أدى حق هذه الخلافة والنيابة ، وقد ذكر الإمام أشرف علي التهانوي عن الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي أنه مجمع الكمالات أي جامع للفضائل والمكارم ، فقد ناب عنه الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي في جميع المجالات التي عمل فيها الإمام الندوي رحمه الله ، فأنشأ هذه الصفات في نفسه ، حتى أصبح صورة صادقة له ، فحينما يراه بعض الناس فيخيلون إليه أنه الإمام الندوي رحمه الله رحمة واسعة .

صحب الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي منذ أول يومه الإمام الندوي ملازمة الظل لصاحبه ، بل أفنى نفسه أمامه ، فكان نتيجة ذلك أن الإمام الندوي يحبه حباً كثيراً ، ويعتمد عليه ويثق به ، وليس أحد أكثر ثقة عنده من الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، فرافق في حله وترحاله وسفره وحضره في الهند وخارجها ، وكان مساعداً خاصاً له في جميع شئونه العلمية والإدارية ، لكنه لا يتظاهر بعلمه ونفسه ، ولم يُصب بإعجاب بنفسه ، وظل على هذه الحالة إلى آخر حياته ، فطره الله على صفة الاعتدال والوسطية ، فكان في رأيه سديداً ، وكانت مشوراته صائبة ، وكان والدي الأستاذ محمد الحسني رحمه الله يقول : ما رأيت أحداً أكثر صواباً في الرأي من الشيخ محمد الرابع الحسني ، وكان ينظر بنظرته الثاقبة إلى المستقبل البعيد ، ويعرف الأخطار المحدقة بالأمة ،

* رئيس ندوة العلماء ، لكناؤ .

ويتفرس لها ، فيختار أسباباً للوقاية منها ، فتزول المشكلات ، ويسود جو الأمن والسلامة ، ويتنفس الناس الصعداء ، والحمد لله على ذلك .

كان الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي مثالاً حياً للأسوة الحسنة على صاحبها ألف ألف تحية وسلام ، وقد جذب في نفسه شمائل السيرة النبوية ، فكانت حياته نوراً وضياءً للناس ، إنه ألف في الموضوع كتاباً قيماً باسم : سراجاً منيراً ، وقدم السيرة النبوية كنموذج للإنسانية ، يستطيع الإنسان أن يقتدي بها بكل سهولة ، فجاء هذا الكتاب في أوانه ، ووضع النقاط على الحروف ، وهو خير ما يُهدى إلى غير المسلمين للتعريف بالإسلام ، وإيصال رسالته إليهم ، وقد صدرت له طبعات بالأردية والعربية والإنجليزية والهندية ، وصدر من قلمه أيضاً كتاب حول القرآن الكريم باسم : " الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية " ، ونال هذا الكتاب أيضاً قبولاً واسعاً ، وكان للشيخ ذوق لفهم القرآن وتدبره ، تنكشف عليه المعاني العالية والنكت الرائعة ، وقد استفدت منه خلال ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية ، وكانت له سلسلة لإلقاء الدروس في شهر رمضان ، فتأتي خلالها أسرار ودقائق لكتاب الله تعالى ، وصدرت لهذه الدروس عدة مجاميع منها : المجتمع الإسلامي : حدوده وآدابه ، وتأملات في سورة يوسف وغيرهما ، وقد ألف كتباً أخرى مثل منثورات من أدب العرب وهو من مقررات المدارس والجامعات ، وكان له شغف زائد بالجغرافية ، فدرس هذا الموضوع بإيعاز من خاله الكبير الشيخ السيد عبد العلي الحسني ، فألف كتاب جغرافية جزيرة العرب ، وكان عمره ما بين ٢٥ – ٣٠/ عاماً ، وقد أبدى انطباعاً جيداً عنه الكاتب الناقد الأستاذ ماهر القادري في صحيفته " فاران " ، وعلق عليه تعليقاً لائقاً بالكتاب .

وفق الله الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي لأن يزور كثيراً من مشايخ عصره ، ويستفيد منهم ، فكان في مقدمتهم الإمام أشرف علي التهانوي الذي زاره الشيخ عن قرب في لكناؤ ، كما سافر مع الشيخ الداعية محمد إلياس الكاندهلوي أمير جماعة الدعوة والتبليغ سابقاً ، ورافق العالم الرباني الشيخ عبد القادر الرائفوري في رحلته إلى الحجاز ، وسعد معه بفريضة الحج والعمرة وزيارة المشاعر المقدسة ، وكانت هذه الرحلة بطريق البحر ، استغرقت أسبوعاً كاملاً ، فبايع على يديه واستفاد منه كثيراً ، كما استفاد من الشيخ المحدث السيد حسين أحمد المدني زمن دراسته في دار العلوم بديوبند .

ظل الشيخ محمد الرابع الحسني مدرساً طول حياته ، بدأ حياته

بتدريس الكتب اللغوية ، ثم درَّس الكتب الحديثية والأدبية والنقدية ، وقد درَّس إلى مدة تفسير القرآن الكريم ، فكان من الذين استفادوا منه في هذا الفن الباحث المدقق البروفيسور يسين مظهر الصديقي الندوي رحمه الله ، وكان يقول : إن موضوع أستاذنا الأصيل تفسير القرآن الكريم ، وكان في آخر حياته يدرِّس جزءاً من صحيح البخاري ، كما كانت في مجالسه بعد العشاء التي يحضرها الأساتذة والطلبة تقرأ كتب حديثية مثل كتاب الشمائل للترمذي ، ورياض الصالحين وتهذيب الأخلاق وغيرها من الكتب ، وكان الشيخ مدرساً ناجحاً ، يدرِّس ، فيقنع الطلبة بأسلوب تدريسه ومنهج تفهيمه ، ويحيط الموضوع بجميع جوانبه ، حتى لا تنشأ في ذهن الطلبة تساؤلات ، وهم يطمئنون بهذا الدرس ، وكان يقول : ما زلت مدرساً في دار العلوم لندوة العلماء ، وأحب وأفتخر بهذه السعادة ، فإنه ظل يدرس إلى آخر أيام حياته ، وإذا قدرنا حياته كلها ثلاثاً وتسعين سنة من السنة الميلادية ، فقد قام بتدريس الكتب في دار العلوم مدة ثلاث وسبعين سنة ، ويقدر من السنة الهجرية خمساً وسبعين سنة ، لم يوفق في تاريخ دار العلوم لندوة العلماء أحد للتدريس والإفادة إلى هذه المدة المديدة ، فتلامذته منتشرون في أرجاء العالم ، وهم صدقة جارية له ، ويجري هذا الخير بإذن الله إلى يوم القيامة .

استفاد الشيخ من كبار أساتذة دار العلوم لندوة العلماء ، ولم يكن تعليمه منتظماً ، وفقاً لمقررات دار العلوم صفاً صفاً ، بل درس الكتب على أساتذة الفنون المختلفة .

كان الشيخ محمد الرابع الحسني ذا علم غزير ، إنه درس وطالع طرفاً من جميع الفنون ، حتى إنه ترجم كتاباً حول السيرة النبوية باللغة الإنجليزية إلى العربية ، فأحسن وأجاد ، وكان يقرأ الإنجليزية بكل سهولة ، وكان يقول : حينما انتخبت لمنصب الأديب الأول في دار العلوم لندوة العلماء بعد ذهاب الشيخ عبد الله عباس الندوي إلى الحجاز ، فأكثرت من مطالعة الكتب والمؤلفات ، وخصصت لنفسي أني أطالع كل يوم خمسين صفحة ، ما عدا الكتب المنهجية التي كلفت لتدريسها في دار العلوم ، فسيتغرق ذلك وقتاً لا بأس به ، وكثيراً ما تأتي الكتب والمؤلفات الجديدة إلى الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي من الدول العربية ، فأطالعها قبل أن أفوضها إلى المكتبة العامة ، حتى إن هذه المطالعة قد أثرت في صحتي فأصبت بمرض ، وانهارت به صحتي ، لكن هذه المطالعة ظلت نافعة لي إلى آخر حياتي ، فالحمد لله على أني لا أكون في أي مجلس من مجالس العلم والأدب متغافلاً عن أسسها ومبادئها .

وكان الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي موثوقاً به لدى مسئولي ندوة العلماء ، فكان مدير دار العلوم آنذاك الشيخ محمد عمران خان الندوي يكلفه للمراسلات العربية ، ويسند إليه أعمالاً علمية أخرى ، فينجزها على أتم شكل وأحسن صورة ، فيدعو له بالبركة في العلم والعمر ، وهو الذي اقترحه للتدريس في دار العلوم لندوة العلماء كمدرِّس ، وحينما عُقد المهرجان التعليمي لندوة العلماء عام ١٩٧٥م ، فكان للشيخ محمد الرابع الحسني فيه مساهمة كبرى ، بحيث إنه أدار جميع الجلسات لهذا المهرجان باللغة العربية ، وعرَّف بالضيوف الكرام والمندوبين العظام الذين شرفوا ندوة العلماء من العالم الإسلامي ، وكان هذا المهرجان مبعث تعريف كبير بندوة العلماء على الصعيد العالمي ، إن تاريخ ندوة العلماء في عهد رئاسة الإمام الندوي يتجمل من حيث التعليم والتربية بجهود وأعمال الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، كما كانت مساهمة كبيرة من حيث بناء المباني والأروقة للشيخ القاضي محمد معين الندوي رحمه الله ، وكان الشيخ محمد الرابع مساعداً أيضاً للشيخ محب الله الندوي مدير دار العلوم سابقاً في أعماله الإدارية ، فانتخب بعد وفاته مديراً لدار العلوم ، فقام بإدارة شئون دار العلوم على وجه أتم ، وقد عينه الإمام الندوي نائب رئيس لندوة العلماء ، ثم أصبح بعد وفاته رئيس ندوة العلماء ، ورأس ندوة العلماء بحكمة بالغة ، وبصيرة تامة ، بحيث لم تنحرف ندوة العلماء عن أصولها وأسسها ، بل ازدهرت ندوة العلماء من جميع جوانبها في عهد رئاسته ، واشتهر صيتها ، وبلغ صوتها إلى جميع القارات ، ووفد الطلبة الوافدون إليها للدراسة في ندوة العلماء ، وقد بلغت فروع ندوة العلماء إلى أكثر من أربع مأة ، هذه الفروع تنهج منهجها ، وتسير على خُطاها .

وقد أُسندت إلى الشيخ محمد الرابع مسئوليات هيئة التعليم الديني وحركة رسالة الإنسانية ، واقترح لرئاسة رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، لكنه اعتذر عن هذا المنصب ، فانتخب الشيخ الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيساً لها ، ثم بعد وفاة الشيخ الدكتور أبي صالح أصبح رئيساً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وكذلك انتخب رئيساً لهيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، وأشرف مع هذه المناصب الجليلة على كثير من الهيئات والمنظمات والجمعيات والمدراس الدينية والعصرية ، ولا شك أنه كان حامل راية الإسلام ، وناشر دينه ومحتفظاً بتراثه .

مما يمتاز الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي به عن الآخرين هو

جانبه الخلقي ، فإنه بلغ في هذه الصفة إلى منتهاها ، وكان يعامل مع محبي الإمام الندوي معاملة حسنة ، ويحترم علاقاتهم ، وقد أبدى عن هذه الصفة كبار العلماء والمشايخ ، وزعماء البلاد وعامة الناس ، فوضع الله له القبول في الأرض ، فإن مشاهد جنازته في ندوة العلماء وفي رائي بريلي لخير شاهد على ذلك ، وكان الشيخ كثير العناية بأداء الحقوق ، وكان والده الشيخ السيد رشيد أحمد الحسني معذوراً ، لا يسمع ولا يتكلم ، فذهب به إلى أداء فريضة الحج ، وخدمه أثناء ذلك خدمة كثيرة ، حتى قال له مرة الشيخ السيد عبد الله عباس الندوي الذي كان شيخنا مقيماً في منزله بمكة المكرمة : إن الشيخ محمد الرابع قد أوجب بخدمة والده الجنة ، كما كان يخدم والدته ، ويسافر كل يوم الخميس من لكناؤ إلى زاوية الشيخ علم الله الحسني ، حيث تقيم والدته ، ثم يرجع إلى ندوة العلماء يوم السبت ، ولم تكن في ذلك الزمان تسهيلات للسفر ، لكنه يتحمل المشاق في ذلك لخدمة والدته رحمها الله تعالى ، وكثيراً ما يذهب من زاوية الشيخ علم الله إلى محطة القطار برائ بريلي راجلا بدون مركب ، وكان هذا دأبه كل أسبوع ، كان الشيخ رحمه الله صابراً محتسباً على كل ما يلاقيه من متاعب في هذا السبيل ، فقد توفي أخواه الأكبر الشيخ محمد الثاني الحسني ، والأصغر الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، لكنه رضي بما قضى الله تعالى ، ثم توفي صهره وابن أخيه الأستاذ السيد عبد الله محمد الحسني الندوي والأستاذ السيد محمد حمزة الحسني الندوي ، وأخيراً سبط أخيه وعزيزه الأعز الأستاذ السيد محمود حسن الحسني الندوي لكنه ظل جبلا للصبر والاستقامة ، أضف إلى ذلك الأحوال الطارئة في ندوة العلماء قبل سنوات ، التي تزلزت بها همم كثير من الناس ، لكن شيخنا رحمه الله لم يصب بالخور والفتور في الهمة والطموح ، واستعان فيها بالله عز وجل ، فكان يبكي في ظلام الليل ، وله أزيز كأزيز المرجل ، وأحيانا يضع رأسه على وسادته ويبكي بكاءً ، تألما من أوضاع العالم الإسلامي ، ويدعو الله تعالى لإنقاذ الأمة المسلمة من هذه المشكلات ، وكانت له عناية بالغة بالدعاء ، والإنابة إلى الله .

عاش شيخنا محمد الرابع الحسني الندوي عيشة مثالية ، فإنه ربى الأجيال ، وصنع الرجال ، بل صنع التاريخ بكامله ، وكان معلما ، ومؤلفا ، ومربيا ، وأديبا ، وإداريا ، والأولى من هذا والأهم أنه كان عالما متصفاً بالأخلاق النبوية ، استفاد منه عدد كبير لا يحصى ولا يعد ، ورزقه الله عمراً طويلاً ، وصدق عليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خيركم من طال عمره وحسن عمله " .

وفاة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي : حادثة فاجعة

فضيلة الشيخ الدكتور السيد سلمان بن العلامة السيد سليمان الندوي *

بلغنا هذا النبأ الحزين فجأةً ، وشتت بالنا وكدر عيشنا ، فيا لها من صدمة تركت آثارها في نفوسنا ، ولم تكن أذهاننا صالحةً لسماع هذا الحادث الأليم ، كما غمرنا الحزن والأسى عند وفاة الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، والواقع أن هذه الحادثة بعد وفاة الإمام الندوي تركت أثراً بالغاً في أذهان أسرته ، بل الواقع أن كثيراً من الهيئات والمؤسسات حرمت من آرائه السديدة وأقضيتهم المبرمة وقيادته الحكيمة المحكمة الجادة ، وخاصةً هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، لأنه قادها قيادةً حكيمةً موفقةً ، وأثبت أنه كان موفقاً مؤيداً من الله .

قضى الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي حياته في تربية خاله الإمام الندوي ، ولازمه في حله وترحاله ، فتشرب فكره وتغلغل حبه في قلبه ، حتى فاض من قلمه ولسانه ، ومما يثير العجب أنه كان يشبه خطابته وفصاحة لسانه وأسلوب كلامه .

التحقت بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٤١م ، ودخلت في السنة الأولى من الثانوية ، وبعد عامين لقيته أول مرة ، وكان متقدماً مني في الدراسة بثلاث سنوات ، ولكنه يعرفني بانتمائي إلى أبي العلامة السيد سليمان الندوي كرئيس للشؤون التعليمية بندوة العلماء ، ثم توثقت العلاقة فازدادت معرفتي به ، والأمر الثاني الذي قرب بعضنا بعضاً أن

* دربن – إفريقيا الجنوبية .

أخاه الصغير قد التحق بدار العلوم لندوه العلماء ، وكان متأخراً مني بثلاث سنوات ، وكنت ألقاهما أحياناً في منزل الشيخ السيد عبد العلي الحسني ، وكان والدهما يعمل في مستوصفه . وكان كلا الأخوين يسكنان على شارع محمد علي ، أمين آباد ، ويأتيان للدراسة في دار العلوم لندوة العلماء ، وكانت سنة ولادة الشيخ محمد الرابع الحسني ١٩٢٩م ، وسنة ولادتي ١٩٣٢م .

أشرف على تربيته منذ صغره خاله الإمام الرباني أبو الحسن علي الحسني الندوي ، فتربى على أفكاره الوسطية النيرة ، وتأثر بنظراته المباركة وحكمته الدافقة وحميته الإسلامية الرائعة ، وتحلى بأخلاقه الجميلة وصفاته الكريمة ، واستقى من علومه وأدبه الجم ، حتى تتجلى فيه عبقريته ، ومن المعروف به على نطاق واسع أنه خليفة الإمام الشيخ الندوي ، فقد عين في حياته مديراً لدار العلوم لندوة العلماء ، ثم تولى رئاستها العامة بعد وفاته في عام ٢٠٠٠م ، ولم يكن هناك من هو أجدر به قانوناً وواقعاً . فقاد ندوة العلماء بالعلم والحلم ، والصبر والحكمة ، والحنكة والكياسة ، ومعلوم أن فترة رئاسته لها كانت مليئةً بالأحداث الحرجة ، ولكن قادها في حذق وبراعة ، وأثبت أن له ذكاءً متوقداً وبصيرةً نافذةً وشجاعةً كاملةً على مواجهة الأخطار والتغلب عليها .

حينما نزلت ضيفاً على ندوة العلماء ، وحضرت في مجلسه ، ذهبت في عالم الخيال إلى الذكريات القديمة ، فتحدثنا طويلاً . ولا شك أن وفاة الشيخ لخسارة فادحة للأمة الإسلامية جمعاء ، كأن وفاته صاعقة علينا فجأةً ، ليست لنا كلمة أو تعبير نعبر بها عن حزننا العميق ، قلوبنا تدمع وإنا لفراقه لمحزونون ، أسأل الله العظيم أن يسكنه الفردوس الأعلى وينزل عليه شآبيب رحمته .   (تعريب: مرزا ريحان بيغ)

العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني كما عرفته

بقلم : الدكتور غريب جمعة *

تفضل الأخ الأكبر العالم الجليل والكاتب الكبير والأديب المبين ، والخطيب المصقع والصحفي المخضرم ، صاحب القلم المؤمن الحر الواعي بما يدور حوله فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي مدير جامعة ندوة العلماء .

تفضل حفظه الله وهو رئيس تحرير مجلة " البعث الإسلامي " ، وطلب من شخصي المتواضع أن أكتب مقالاً عن سماحة العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، لكي يُنشر في العدد التذكاري الممتاز الذي تصدره إدارة المجلة عن سماحته بعد انتقاله إلى جوار ربه ، وفاءاً بشيئ من حقه ، ونسأل الله تبارك وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته وأن يرفع درجته في عليين وينزل منازل الأبرار والصديقين والصالحين ، ولفضيلته مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان ، وليتني أبلغ معشار ما وصفني به جزاه الله عني خير الجزاء كما أوجه الشكر له ولأسرة تحرير البعث الإسلامي على وفائهم لذلك العالم الجليل والحديث عنه والإشادة به ليكون قدوة للشباب الذي يبحث عن القدوة الصالحة .

والحقيقة أن أخبار العلماء الربانيين والدعاة المخلصين والنبهاء الصالحين والمجاهدين الصادقين من أنجح الوسائل التي تغرس في النفوس حب الفضائل ، وتدفعها إلى تحمل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة والمقاصد الجليلة .

لذلك يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله : " الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليَّ من كثيرٍ من الفقه ، لأنها آداب القوم وأخلاقهم " . وشاهده من كتاب الله : (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ ٱقْتَدِهْ) [الأنعام : ٩٠] .

والحقيقة أن الكتابة عن هذا العلامة الجليل ليست بالأمر الهين . فالرجل قد أمد الله في عمره ، حتى تجاوز التسعين عاماً .

وهو من أكبر تلاميذ الإمام الرباني السيد أبي الحسن الندوي ومن أبرز علماء الهند ، وقد نذر حياته لخدمة الإسلام ، داعية ومرشداً

* جمهورية مصر العربية .

ومربيـاً وكـاتبـاً ومعلمـاً ومؤلفـاً ، لـه عـشرات المؤلفـات الـتي سنـشير إلى بعضها لاحقاً هذا بخلاف مقالاته في الجرائد والمجلات الهندية المتعددة .

لقـد قـام الرجـل يرحمـه اللّه بكـل ذلـك بهمـة لا تعـرف الكلـل ، وعزيمة لا تعرف الملل على الرغم من علو سنه وشيخوخته وتشعب أعمالـه وضـخامة المسئوليات الملقـاة علـى عاتقـه ، كـواحـد مـن أبـرز علمـاء الهنـد ورئـيس لنـدوة العلمـاء ومـا يتبعهـا مـن المنشآت العلميـة والتعليميـة والدعويـة ورئـيس لهيئـة الأحـوال الشخـصية لعمـوم المـسلمين بالهنـد ومواظبتـه علـى حضور الندوات والاجتماعات التي يُدعى إليها في الهند وخارج الهند لخدمة الإسلام والمسلمين .

كيف عرفت ذلك العلامة الجليل ؟

تعـود معـرفتي بـهِ إلى عـامٍ ١٩٨١ مـن المـيلاد ، حيـث وجهـت إلـيَّ جامعة ندوة العلمـاء دعـوة كـريمـةً للمـشاركـة ببحـث في أول نـدوة تعقـدها عـن الأدب الإسـلامي برئاسـة الإمـام الربـاني المـوقر سماحـة الـشيخ الـسيد أبـي الحسن علـي الحسني النـدوي – يرحمـه اللّه – رئـيس تلـك الجامعـة ، وقـد لبيـت الـدعوة شـاكراً ، وشـاركت ببحـث عنوانـه : " كلمـات وكتابات العلامة ابن الجوزي من روائع أدب المواعظ " .

وقد أجيز البحث والحمد للّه ونُشر على صفحات في مجلة البحث الإسلامي ، وكـان الشيخ محمد الرابـع يشغل وقتها منصب عميد كليةٍ اللغة العربية وآدابها ، والأمين العام للمجلس الذي تم تأسيسه ليكون نـواةً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية فيما بعد .

وقـد أرسـلت إلى سماحتـه خطـاب شـكر علـى قبـول هـذا البحـث وإجازته ونشره على حلقـات في مجلـة " البعـث الإسـلامي " ، وكـانت هـذه بداية التعارف بيننا ثم اتفقنا على تبادل الرسائل بيننـا ، وعلـى أنـه إذا جـاء لزيـارة مكـة المكرمـة بـصحبة الإمـام أبـي الحـسن النـدوي أن يتفـضل مشكوراً ، ويخبرنـي بذلك لأسعد بلقائهما ولقـاء أحبـاب وتلاميذ الإمـام الندوي حيث كنت أعمل في جدة .

وشاء اللّه أن يتحول ذلك التعرف إلى ود مصفى ومحبة في اللّه وللّه .

ويسعدني أن أقدم للقـراء الكـرام تعريفـه كمـا قدمـه هـو بنفسه حينما وجهت إليه سؤالاً ضمن حوار أجريت معه هذا السؤال هو :

لو أردنا أن نقدم للإخوة القراء بطاقة تعريف بسماحتكم ، فمـاذا تحـوي هـذه البطاقـة مـن حيـث المولـد والنـشأة والتعلـيم والمناصـب الـتي

توليتموها فأجاب رحمه الله :
أما هـذا الكاتب (يقصد نفسه ، وقد تحدث بصيغة الغائب تواضعاً وتأدباً كشأن العلماء) فهو :
محمد الرابع بن السيد رشيد أحمد الحسني نسباً والندوي دراسةً .
بدأت دراستي الأولية في البيت ، ولما بلغت سن الالتحاق بالمدرسة أسندت أمي الإشراف على تعليمي إلى سماحة الشيخ الندوي ، وكانت شقيقته الكبرى فنشأت في مجال التعليم والتربية تحت إشراف سماحته وتوجيه أخيه الأكبر سعادة الدكتور الطبيب والعالم السيد عبد العلي الحسنى أيضاً . وأسرة والدي ووالدتي واحدة يجتمعان في النسب في أجدادهما .
ولدت في قرية تكية كلان دائرة الشيخ علم الله الحسني بمديرية رائي بريلي بشمال الهند ، وكان ميلادي في ١٩٢٩/١٠/١٧م .
تعلمت اللغة العربية من سماحة الإمام الندوي بصورة خاصة ثم درست في دار العلوم ندوة العلماء العلوم الدينية والاجتماعية والآداب وانتسبت بعض الوقت للجامعات الإسلامية الأخرى أيضاً .
وأتممت دراستي في دار العلوم ندوة العلماء بإكمال مرحلة الدراسات العليا فيها ، ثم عينت معيداً ، ثم أستاذاً في قسم اللغة العربية والثقافه الإسلامية ، وكان ذلك في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي ، وزرت في سنة إحدى وخمسين بلاد الحجاز مع خالي الشيخ أبى الحسن – رحمه الله – وبعد أداء فريضة الحج تركني خالي رحمه الله فيها للاستفادة العلمية من مكتبات مكة المكرمة والمدينة المنورة ومن علمائها وللاشتغال بما يسهل لي من العمل الدعوي ، فقضيت في ذلك أكثر من سنة .
ثم رجعت إلى دار العلوم ندوة العلماء لمواصلة العمل التعليمي في قسم اللغة العربية ، وصرت بعد عدة سنوات رئيساً للقسم ثم بعد سنوات عميداً لكلية اللغة العربية والدعوة . ثم بعد سنوات مديراً لدار العلوم ندوة العلماء واختاروني بعد وفاة سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى لمنصب – ناظم – (الرئيس العام) لندوة العلماء وغيرها من أقسام ندوة العلماء الأخرى .
وبالإضافة إلى ذلك اختارني المجلس التنفيذي للمجمع الإسلامي العلمي أيضاً رئيساً له ، بعد أن كنت أميناً عاماً له في حياة رئيسه سماحة أستاذنا الشيخ الندوي ، كما اختارني المجلس التنفيذي لمجلس التعليم

الديني في أترابراديش أيضاً رئيساً له بعد رئيسه سماحة الشيخ الندوي وأتمتع بالعضوية في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد ببريطانيا ، وأتمتع بالعضوية في رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئاسة مكتب الرابطة في البلدان الشرقية (الهند وما جاورها) وبالعضوية في طائفة من الجمعيات والمؤسسات ودور العلم ، ولله الحمد والمنة .

وأضيف هنا (أي كاتب المقال) أنه اختير رئيساً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بعد وفاة رئيسها الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح رحمه الله .

لقاء في إستانبول :

مما أذكره له – يرحمه الله – أننا كنا في مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية في إستانبول سنة ١٩٩٦م ، وطلبت منه في بداية المؤتمر أن يدبر لي لقاءً شخصياً بسماحة الإمام الندوي فقال : انتظر خيراً إن شاء الله .

وفي يوم من الأيام بينما كنا في استراحة من بعض الاجتماعات في ذلك اليوم ، وإذا بطارق يطرق باب الغرفة التي أقيم فيها بالفندق ، وإذا بذلك الطارق سماحة الشيخ محمد الرابع ، وقال بكل أدب : تفضل مولانا في انتظارك .

قلت له : ما كان ينبغي لسماحتك أن تتعب نفسك بالحضور إلى غرفتي ، وكان يكفيك الاتصال لهاتفي أو إرسال أحد المرافقين فقال وهو يبتسم ابتسامة تفيض أدباً وتواضعاً : والله كأن صوته يرنُّ في أذني الآن : " أنا جئت بنفسي لأن سماحة مولانا يحبك ، وأنا أشاركه هذا الحب ، وكذلك بقية أعضاء الوفد الهندي ، ولا بد أن تعرف قدرك عندنا " . ثم وصلت معه إلى حيث يقيم مولانا الندوي ، وكان لقاءً لا أنساه ما حييت رحمهما الله تعالى .

لقاء في مكة المكرمة :

كان ذلك اللقاء عام ٢٠٠١م عند حضوره إلى مكة المكرمة بعد انتقال سماحة الإمام أبي الحسن الندوي إلى جوار ربه ، وكان في منزل أحد تلاميذه وهو الدكتور عبد الله عباس الندوي – يرحمه الله – حيث كان الإمام الندوي يؤثر نزوله عند تلاميذه على الإقامة في الفنادق الضخمة التي يُدعى إليها من جهات رسمية ، ومضى على هذه الطريقة سماحة الشيخ محمد الرابع أيضاً من بعده .

ولقيني الرجل بتواضع العلماء وأدب الكبراء وبشاشة الكرماء في غير ما تكلف ولا تصنع ، ورحب بي ترحيباً حاراً على كثرة محبيه وتلاميذه الذين يرون في شخصه سماحة إمامهم الندوي يرحمه الله .

وطرحت عليه فكرة الحوار معه ليكون أول حوار مع خليفة الإمام الندوي حتى يعرف الناس من هو ذلك الخليفة وما هو رأيه في قضايا تهُمُّ العالم العربي والإسلامي .

وأجاب الرجل عن جميع الأسئلة التي وجهتها إليه ، وقد نشر هذا الحوار على حلقتين في الملحق الإسلامي التي تصدره جريدة أخبار الخليج " بمملكة البحرين " وكانت الحلقة الأولى بتاريخ ٢٠٠١/١٢/٢١م ، والثانية بتاريخ ٢٠٠٢/١/٤م ونشرته جرائد ومجلات أخرى ، من بينها مجلة " البعث الإسلامي " وقد ألقى الرجل الضوء على قضايا هامة يجب أن يعرفها المسلمون في الهند وخارج الهند .

(أقول : إذا رأت أسرة تحرير البعث الإسلامي إعادة نشر فقرات من ذلك الحوار – الطويل – إتماماً للفائدة ، فهي وما تراه) [١] .

طرفة غذائية :

كان – رحمه الله – يصر أن أجلس على يمينه إذا جمعنا لقاءً مهما كان عدد وشخصيات الحاضرين وجنسياتهم . وفي أحد لقاءات مكة المكرمة جاء وقت العشاء وكنا في بيت أحد الهنود ونظراً لأنني أجلس عن يمينه كان يضع أمامي أصنافاً متعددة من الطعام مبالغة في إكرامي ، ولم أكن أعرف أن الإخوة الهنود يعشقون الأطعمة الحارة جداً عشقاً لا حدود له ، وكلما ذقت صنفاً من الطعام ظناً مني أنه سيخفف من حرارة سابقه إذا به يشعلها فيبدو عدم الرغبة فيه على وجهي وهو ينظر إليَّ مبتسماً ومتعجباً ، حتى إذا قدم له طبق خاص به قال : هذا طعام نسميه الطيبة نأكله بالخبز ويصنع خصيصاً لي ، وآمل أن تشاركني فيه فتناولت لقمة منه فكنت كالمستجير من الرمضاء بالنار !! ولاحظ ذلك على وجهي ، فضحك حتى علا صوته . فقلت له : إذا كانت هذه هي الطيبة فما هي الشريرة ؟ فاستغرق في الضحك وهو يرى تعبيرات وجهي التي تظهر عدم استساغتي لهذا الطعام الشرير .

لقاء في جدة :

ليسمح لي القارئ أن أنقل هذا اللقاء كما سجلته في حينه بتاريخ : ٢

---

[١] نُشر هذا الحوار كاملاً في هذا العدد الممتاز (التحرير) .

من ذي القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٦م التقيت اليوم بسماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء ورئيس هيئة الأحوال الشخصية لعموم الهند .

وكان اللقاء في منزل الأخ ضياء عبد الله الندوي (رقم ٢ شارع مسجد الأخوين – حي الرحاب – مدينة جدة) الساعة الحادية عشرة صباحاً ، وكان الرجل على سفر في المساء إلى الهند .

هو شيخ جليل جم التواضع ، يقابلك ببشاشة لا تكلف فيها . . يشعرك بأنك قريب منه ، وأنه يكن لك المحبة والود والإخلاص ، وهو بعيد النظر سديد الرأي فيما يتعلق بما يواجهه المسلمون في الهند من مشكلات .

وقد تشعب الحديث إلى أكثر من شعبة ، فقد تحدثنا عن مجلة البعث الإسلامي فقال : إنها تتميز بالصبغة العلمية حيث تنشر البحوث والدراسات والمقالات الرصينة التي تهم الدارسين والباحثين في مجالات متعددة .

أما جريدة " الرائد " التي تأسست سنة ١٩٥٩م (وقال في تواضع وكان لي دور لا بأس به في تأسيسها) فيغلب عليها الطابع الإخباري الصحافي بحيث تعطي للقارئ فكرة عما يدور في الهند وفي العالم الإسلامي حتى يكون هناك نوع من المشاركة والتواصل والتعاون على حل المشكلات التي تهم المسلمين في أوطانهم .

ثم تحدثنا عن قضية المسجد البابري ، فقال : " هي الآن في يد المحكمة ، والمسئولون لن يسمحوا للمسلمين بعمل شيئ حرصاً على عدم إغضاب الهندوس ، ولن يسمحوا أيضاً للهندوس بعمل شيئ حرصاً على عدم إغضاب المسلمين (يقول كاتب المقال : هذا كان عام ٢٠٠٦م : (ولا ندري ما هو الحال في ظل الحكومة القائمة الآن) . وهكذا تظل القضية معلقة ولو لعقود من السنين [١] .

ثم تحدث عن حرية العمل الدعوي والصحفي فقال : إن الدستور الهندي يكفل ذلك لكل طائفة ، ولكن المسلمين بكل أسف غير عقلاء وليس لديهم خطة واضحة أو ما يسمونه استراتيجية واضحة في هذا المجال لذلك يسيئ بعضهم إلى بعض مما يؤدي إلى وجود ثغرات ينفذ منها الأعداء

---

[١] وقد جرت محاكمة القضية في المحكمتين : العالية والعليا إلى مدة طويلة ، وأخيراً أصدرت المحكمة العليا قراراً لمنح أرض المسجد البابري لفريق الهندوس عام ٢٠١٩م، بغض النظر عن الوثائق والشهادات التاريخية . (التحرير) .

وقال على سبيل المثال :

عندما تحدث الانتخابات تجد أكثر من مرشح مسلم في الدائرة الواحدة فتتفتت أصوات المسلمين ، ولا ينجح أي واحد منهم بينما لو تجمعوا خلف مرشح واحد لكان ذلك أنفع لهم وأدعى إلى احترامهم ، والمسئولون والأحزاب بصفة خاصة يحسبون حساباً كبيراً لأصوات المسلمين ، وكل يحاول أن يستتيلهم إلى جانبهم ليفوزوا في الانتخابات وكان يجب على المسلمين أن يستغلوا هذه الفرصة لصالحهم ، ولكنهم يضيعون الكثير من الفرص .

ثم قال : وبالنسبة للأحوال الشخصية ، عندما يحدث خلاف اجتماعي نحن نطالب بالاحتكام إلى الشريعة الإسلامية ، والمصيبة أن بعض المسلمين يطلب الاحتكام إلى المحاكم الرسمية .

وعلى الرغم من أن الطوائف غير الإسلامية تعامل المرأة كالخادمة إلا أنهم يستغلون بعض الأخطاء التي يقع فيها المسلمون ويضخمونها ليظهروا المسلمين بصورة سيئة أمام الجميع .

ثم تحدثنا عن رئيس الهند المسلم في ذلك الوقت ، وهو الدكتور أبو بكر زين العابدين عبد الكلام المشهور باسم عبد الكلام فقال : هو لا يملك شيئاً من السلطة إلا عن طريق رئيس الوزراء ، كما ينص على ذلك الدستور الهندي ، وهو رجل ذو عقلية علمية ، وأبعد ما يكون عن السياسة ولكنهم أتوا به لأنه كان له فضل في وضع خطة لحماية الهند من العدوان .

وعلى كل حال فإن وجوده في هذا المكان يعتبر دعاية طيبة للمسلمين بأن منهم علماء كباراً يستطيعون أن يقدموا أجل الخدمات لمجتمعهم ، وهو في نفس الوقت يعرف ما يدور في مجلس الوزراء ولن يقبل بأي حال من الأحوال بمؤامرة ضد المسلمين .

والهندوس وغيرهم من أشد الناس مكراً وخداعاً ، ولديهم من الإمكانيات الصحفية ما يفوق ما لدى المسلمين .

إن الصحافة الإنجليزية بقضها وقضيضها تقف معهم وكذلك صحافتهم الهندوسية وغيرهم .

ونحن حينما نريد تصحيح ما ينشر في صحفهم من أكاذيب ضد الإسلام والمسلمين ، فإنهم يبترون ما نكتبه وينشرون ما يوافق أهواءهم .

ثم تحدثنا عن تعداد المسلمين في الهند فقال : إن الجهات الرسمية تعلن أنهم ١٤٠ مليون نسمة ، وأنا أشك في ذلك إنهم يصلون إلى مائتي

مليـون نـسمةٍ وإلا لمـا حـسبوا حـساباً لأصـواتهم ، ولكـنهم يحـاولون أن يظهرونا دائماً بمظهر الأقلية .

ثم تحدثنا عن مؤلفاتـه ، وقلـت لـه : إن سماحـة الإمـام أبـي الحـسن النـدوي قـال في بعـض كتبـه : إن لكـم بعـض المؤلفـات الـتي كانـت بإشـارة منه ، فقال : أما عن مؤلفاتي فإليك نماذج منها :

١. الأدب العربي بين عرض ونقد بالعربية .
٢. منثورات من أدب العرب بالعربية .
٣. معلم الإنشاء .
٤. تاريخ الأدب العربي (القسم الإسلامي) .
٥. مختار الشعر العربي (في مجلدين) بالعربية .
٦. الأدب الإسلامي : فكرته ومنهاجه .
٧. التربية والمجتمع .
٨. واقع الثقافة الإسلامية .
٩. الأمة الإسلامية ومنجزاتها .
١٠. حج ومقامات حج (في الأوردية والعربية) .
١١. الدين والأدب (في الأوردية) .
١٢. مقامات مقدسة .
١٣. إسلامي شريعت : إيك محكم قانون .
١٤. شهران في أمريكا .
١٥. أمت إسلامية إيك رهبر أور مثالي أمت .
١٦. مسلمان أور تعليم .
١٧. سمرقند وبخارى كى بازيافت .
١٨. سماج كى تعليم وتربيت .

إلى جانب مؤلفات أخرى تنتظـر الطبـع والنـشر إن شـاء الله تعـالى . وكان قد سبق له أن أرسل لي بعض مؤلفاته عن طريق البريد . وكنت قد حملت له هدية متواضعة ، فأخجلني بتواضعه وشكره على ذلك .

وسلمته رسالةً إلى فضيلة الدكتور الشيخ سعيد الأعظمـي (بـارك الله في عمره) وأخرى إلى فضيلة الأستاذ واضح الندوي رحمه الله تعالى .

ثم اضطررت للاستئذان لضيق وقته وكثرة الزوار والمحبين وبعد . .

فهذا هو سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الربع الحسني الندوي كما عرفته ، وأرجو أن أكون قد نجحت في تقديمه إليك أخي القارئ

العزيز .

وهـذه رسـالة مـن سماحـة الـشيـخ محمـد الرابـع إلى صـاحب المقـال كنموذج للمراسـلات التي كانت بينهما .



PHONES : 2?836 - 72338

Darul Uloom Nadwatul Ulama
P. O. Box 93 LUCKNOW
(INDIA)
(Faculty of Arabic Literature)

دار العلوم ندوة العلماء
لكهنؤ الهند
كلية اللغة العربية وآدابها

Ref:
Date:

الرقم :
التاريخ : ٥/١١/١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الكريم الأستاذ الدكتور [illegible] حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أرجو أن تكونوا في أحسن حال وأسعد بال
وبعد فقد تلقيت خطابكم الكريم وقرأت فيه حبكم والمودة الأخوية المخلصة التي قد
سبق لي أن عرفتها منكم مرارا ، منذ أن ساهمتم في الندوة العالمية [illegible] الأولى
للأدب الإسلامي منذ عشر سنوات مضت ، وذلك بمحاضرتكم القيمة في [illegible]
وقد رأيت فيكم منذ ذلك عضوا لأسرتنا الأدبية الإسلامية إلى أن تحقق ذلك
رسميا في الآونة الأخيرة .

زرنا الحجاز ومررنا بجدة وأقمنا فيها في فترات قصيرة وقد [illegible]
[illegible] أردتم مع الاتفاق على موعد للزيارة واللقاء ، ولكن فاتتنا
الفرصة المناسبة ، وخفي علينا عنوانكم في جدة فلم يحصل لنا سرور لقائكم خلال
مرورنا من جدة ، أرجو أن نستدرك ما فاتنا من ذلك في فرصة سوانحة في المستقبل
وسررت بحصول لقاء الأخوين [illegible] وسعيد بكم خلال زيارتهما الأخيرة للحرمين الشريفين
فقد تحدثا بذلك إلي وأوصلا خطابكم إلي وتأخرت في الرد عليه إلى أن
تيسر لي ذلك في هذا الوقت .

أرجو أنكم لا تنسونا في الدعوات الصالحات وأنتم بجوار بيت الله الحرام وجوار
حضرة النبي المجتبى صلوات الله وسلامه عليه .
وسوف أرسل إليكم [illegible] من مطبوعات سماحة أستاذنا ومطبوعات الندوة
[illegible] لم تصل إليكم
وتحياتي في الأخير [illegible] وتحياتي والسلام عليكم ورحمة الله
المخلص

محمد الرابع الحسني الندوي

وداعاً يا علامة الهند

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

بقلم : أ . د . محمد بلاسي *

يشجِّع ديننا الحنيف على العلم ، ويكرم العلماء ، ويرفع درجاتهم ، فقد بيّن الإسلام مكانة العلماء وفضلهم ، وثمّن وجودهم ، فهم في الأمة حفظ لدينها ، وصون لعزتها وكرامتها ، حيث إنهم ورثة الأنبياء في أممهم .

فقد ورد في الحديث الشريف : " وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر " . (رواه أبو داود) .

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، وفي رواية : من العباد – ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبق عالماً : اتخذ الناس رؤوساً جهالاً ، فسئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا " . (متفق عليه) .

فأي فاجعة أكبر من موت عالم ؟

فرحيل العلماء ثلمة لا تُسد ، ومصيبة لا تحد ، وفجيعة لا تُنسى ، فالعلماء ليسوا كغيرهم من الناس ، فغيبتهم أشد من غيبة سواهم .

فالعلماء لهم منزلة خاصة ، حيث رفعهم الله على سائر الناس : (يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ منكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَات) [المجادلة : ١١] .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في البحر ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر " . (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه) .

* أكاديمي – خبير دولي – عضو اتحاد كتاب مصر ، عضو المجلس العالمي للغة العربية ، prof.plasy@gmail.com .

أقول : ولا شك أن وفاة سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ليس خسارة للمسلمين في الهند فحسب ، وإنما هو خسارة للعالم الإسلامي، فقد فقد العالم بوفاته عالماً نحريراً ، وأديباً بارعاً ، وصحفياً محنكاً ، ومعلماً قديراً ، ومربياً كبيراً ، وداعية إسلامياً ، ومفكراً دينياً .

فقدنا عالماً وهب حياته للعلم وللدعوة الإسلامية ، وعمل بإخلاص لنشر اللغة العربية ، وجاهد من أجل الدعوة للأدب الإسلامي ، فضلاً عن جهوده الحثيثة في حل قضايا المسلمين في العالم الإسلامي .

ففي يوم الخميس ٢١ من رمضان المبارك ١٤٤٤هـ الموافق ١٣ من أبريل ٢٠٢٣م رحل عن عالمنا الأديب الكبير والعالم الجليل الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي إلى رحاب الله ، بعد حياة طويلة حافلة بالعمل الدعوي ، دفاعاً عن الإسلام واللغة العربية في شبه القارة الهندية .

وكان الراحل بسمته الهادئ الوديع يتفجر حماسة بالنشاط والقراءة والدرس والبحث ، من أجل تقديم أجيال جديدة من المسلمين الهنود ترتبط بتراثها الإسلامي واللغة العربية [1] .

التقيت الفقيد في القاهرة – منذ أكثر من ربع قرن – في أحد مؤتمرات " رابطة الأدب الإسلامي العالمية " ، فوجدته : شعلة من النشاط لا تهدأ ، وعاملاً من أجل إثراء الحوارات والنقاشات التي تخدم الأفكار المطروحة من جانب المتحدثين والمشاركين .

حياته ومسيرته :

وُلد سماحة الشيخ محمد الرابع الندوي ، عام ١٩٢٩م في بلدة راي بريلي في ولاية أترابراديش بشمال الهند .

وهو من أسرة علمية عريقة في العلم والنسب ، إذ أن خاله هو العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي ، والذي أشرف على تعليمه وتربيته .

دراسته :

درس الشيخ محمد الرابع في دار العلوم ندوة العلماء ، ونُسب إليها ،

---

[1] د . حلمي محمد القاعود : محمد الرابع الحسني الندوي . " حارس الإسلام والعربية في شبه القارة الهندية" . موقع إسلام أون لائن ، ٢٠٢٣م .

ثم درس على بعض علماء الحديث في الهند من أمثال : خاله العلامة أبي الحسن الندوي ، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، والشيخ حسين أحمد المدني ، والدكتور عبد الفتاح أبو غدة وغيرهم .

نشاطه في التدريس والإدارة :

عين الفقيد مدرساً في ندوة العلماء في عام ١٣٦٧هـ ، ودرّس فيها ما يقارب أربعين سنةً ، وقد تخرج على يديه عدد كبير من العلماء والمشاهير في الهند .

وقد تولى إلى جانب مهمة التدريس إدارة ندوة العلماء في عام ١٤١٣هـ ثم رئاستها بعد وفاة خاله العلامة أبي الحسن الندوي في عام ١٤٢٠هـ .

عضويته في المؤسسات العلمية والأكاديمية العالمية :

١. اختير أميناً عاماً لـ " ندوة العلماء " ورئيساً لجامعة دار العلوم عام ١٤٢٠هـ الموافق لسنة ٢٠٠٠م ،بعد وفاة خاله الشيخ أبي الحسن الندوي.
٢. من مؤسسي " رابطة الأدب الإسلامي العالمية " ، وكان نائباً لرئيس الرابطة ورئيساً لمكتب شبه القارة الهندية وعضواً في مجلس الأمناء .
٣. عضو في " رابطة العالم الإسلامي " في مكة المكرمة .
٤. نائب الرئيس لـ " رابطة الأدب الإسلامي العالمية " .
٥. رئيس مجلس الأحوال الشخصية الهندية لمسلمي الهند .
٦. عضو " مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية " في بريطانيا .

الجوائز :

حصل على جائزة رئيس الجمهورية الهندية في خدمة اللغة العربية عام ١٩٨١م .

عطاؤه العلمي :

لقد أثرى الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي المكتبة الإسلامية والعربية بمؤلفاته وكتبه التي تربو على الستين مؤلفاً ، بالإضافة إلى مقالاته في التربية والمجتمع والأدب الإسلامي . ومن أبرز مؤلفاته :

١. أضواء على الفقه الإسلامي ومكانة الاجتهاد فيه .
٢. أضواء على الأدب الإسلامي .
٣. الأدب الإسلامي وصلته بالحياة (مع نماذج لصدر الإسلام) .

٤. في ظلال السيرة ، على صاحبها الصلاة والسلام .
٥. العالم الإسلامي اليوم .... قضايا وحلول .
٦. رسائل الأعلام بين الشيخ الندوي ودعاة الإسلام .
٧. رسالة المناسبات الإسلامية .
٨. ندوة العلماء : فكرتها ومنهاجها .
٩. مقالات في التربية والمجتمع .
١٠. قيمة الأمة الإسلامية ..... منجزاتها وواقعها المعاصر .
١١. في وطن الإمام البخاري .
١٢. سراجاً منيراً (سيرة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم) .
١٣. تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي .
١٤. منثورات من أدب العرب .
١٥. الهداية القرآنية – سفينة نجاة للإنسانية .
١٦. حركة الإصلاح والدعوة وآثارها في شبه القارة الهندية ، والجزيرة العربية في القرنين الماضيين .
١٧. جهود إصلاح العقيدة .
١٨. جغرافية جزيرة العرب .

مجمل القول :

عاش عالمنا حياةً حافلةً بالعطاء ، سواءً في ميدان التدريس وتربية الأجيال ، والدعوة إلى الله على هدى وبصيرة .

هو من العلماء الذين أحسنوا فهم الإسلام الوسطي ، وتمسك بمنهج الاعتدال ، ورفض الإفراط والتفريط ، يدعو إلى الحق ، ويشيع الخير ، ويذود عن الحمى ، ويقاوم كل من يريدون تحريف الدين ، وتزييف الوعي ، والبعد عن حقيقة القرآن والسنة .

هو أيضاً من (الخلف العدول) الذي جاء فيهم الحديث : " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين " . (رواه الترمذي) .

رحم الله الشيخ الجليل ، العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمةً واسعةً ، بقدر ما قدّم للإنسانية وأفادها من فيض علمه ومنبع معرفته ، وأسكنه فسيح جناته مع الخالدين .

العالم الرباني المربي الشيخ محمد الرابع الندوي

بقلم : الدكتور عبد العزيز بن عبد الله العمار *

الحمد لله القائل في كتابه الكريم : (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ . الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) [البقرة : ١٥٥] . بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره نتقدم بخالص المواساة وأحسن التعازي لفقيد العلم والدعوة سماحة الشيخ المربي محمد الرابع الحسني الندوي ، الرئيس العام لندوة العلماء بلكناؤ ، ورئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند الذي وافاه الأجل مساء يوم الخميس ٢١ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ١٣ أبريل ٢٠٢٣م .

لقد كان لقائي الأول للشيخ – رحمه الله – في لكنؤ برعاية الشيخ أبي الحسن الندوي – رحمه الله – ، وكان لقاءً علمياً طيباً شارك فيه الجميع في مختلف المسائل العلمية ، وقد تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع والتمسك بالعقيدة والمبادئ ، وعُنيت بصفة خاصة بالقرآن الكريم كما تميزت في القارة الهندية باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه وأمينة خزائنه ، وخرجت علماء ومؤلفين كانوا ملتقى للثقافتين ، ومنهم : الشيخ سليمان الندوي ، والشيخ مسعود الندوي ، والشيخ محمد أويس النجرامي ، والشيخ محمد ناظم الندوي ، والأستاذ محمد الحسني ، والشيخ مختار أحمد الندوي – رحمهم الله جميعاً .

وشيخنا الجليل نشأ في أسرة علمية عريقة في العلم والنسب ، حيث كان خاله العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي ، الذي أشرف على تعليمه وتربيته . فلقد كان شيخنا الكبير واحداً قل نظيره من أعلام الصادقين ممن قال الله فيهم : (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) [الأحزاب : ٢٣] ، وعزاؤنا فيه أنه كان منارة شامخة للعلم الشرعي ، وموئلاً لتلاميذه وطالبيه ، وأنه ترك وراءه جيلاً من طلبة العلم مؤمناً برسالته العلمية والدعوية ، وملتزماً بإسلامه وعقيدته ، وفكر ومنهج الإسلام العظيم .

إن الشيخ – رحمه الله – بهمته العالية ، وروحه المتحركة بنور الله

* وكيل وزارة الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية .

تعالى ظل يخدم الدين الإسلامي ، وكان بمثابة مرجع ديني ودنيوي للجميع ، وكانت شخصيته تتميز بصفاتٍ التسامح والتواضع والحلم ، مما جعله محبوباً لدى المجتمع الإسلامي كافة ، والمجتمع الإسلامي في الهند خاصة .

وعُرف عن الشيخ الندوي ثقافته الواسعة ، وقراءاته المتعددة ، ترك معها تراثاً مهماً تمثل في مجموعة كبيرة من المؤلفات باللغتين العربية والأردية في العقيدة والشريعة والأدب والقضايا العامة منها " تاريخ الجزيرة العربية " ، و " شهران في أمريكا " ، و " تاريخ الأدب العربي " ، و " منثورات من أدب العرب و " الثقافة الإسلامية المعاصرة " ، و " الأمة الإسلامية ومنجزاتها " ، و " التربية والمجتمع " ، و " الأدب العربي بين عرض ونقد " ، و " الأدب الإسلامي وصلته بالحياة " ، و " واقع الثقافة الإسلامية " .

لا شك أن الناس اليوم في أشدّ الحاجة إلى العالم الداعية القدوة الصالحة للمدعوين في سيرته وأخلاقه وأعماله ومدخله ومخرجه وكل شئونه ، وأن يكون صادقاً في حمل أعباء الدين ، صادقاً في الأقوال وصادقاً في التعبير عن شخصية صادقة مخلصة واضحة ، ولقد كان الشيخ الندوي واحداً من هؤلاء العلماء الدعاة القدوة الذين حيَّاهم الله الصدق والإخلاص في كل شيئ .

لقد امتلك الشيخ حب الإسلام في قلبه ونفسه وفكره، واتصف بالتقوى والورع، والإخلاص والتواضع وسعة الصدر، والثقافة الواسعة، والتواضع الجم، يشهد بذلك تلاميذه وأصحابه (نحسبه كذلك والله حسيبه)

وكان الشيخ – رحمه الله – زاهداً في الدنيا ، فقد انصرف عنها بالكلية ؛ لأنه علم أنها دار الفناء ، متأسياً بزهد السلف الصالح الذين كانوا من أبعد الناس عن الدنيا ومباهجها وزينتها الفانية ، مع قربها منهم ، فالشيخ كان مثالاً يحتذى به ، وقدوة يؤتسى في الزهد والورع .

لقد كان للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي بصمة واضحة في مجلة البعث الإسلامي وجريدة الرائد ، وأرجو أن يوفق الله تعالى القائمين على ندوة العلماء وعلى رأسهم رئيسها الشيخ بلال بن محمد الحسني الندوي ، والشيخ سعيد الأعظمي وغيرهما من علماء الندوة الكرام .

وفي الختام نسأل الله أن يتغمد شيخنا وعالمنا بواسع الرحمة والمغفرة ، وأن يلهم أهله وطلابه وأصحابه ومحبيه الصبر والسلوان ، وأن يجزيه عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وأن يجعله مع السفرة الكرام البررة من النبيين والصديقين والشهداء في الفردوس الأعلى من الجنة ، إنه ولي ذلك ، والقادر عليه . إنا لله وإنا إليه راجعون .

الشيخ محمد الرابع الندوي . . . مآثر لا تُنسى

سعادة الدكتور خالد حسن هنداوي *

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد :

فإن العالم الإسلامي فقد في أيامنا الفضيلة هذه بتاريخ ٢١/ رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ١٣/ أبريل ٢٠٢٣م أحد أهم أعلامه الكبار الأفذاذ شيخنا الإمام المجاهد الداعية الكبير السيد محمد الرابع الحسني العربي الهندي الندوي من أسرة الأشراف ، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً .

وقد اشرأبّتْ روحي للحديث عنه – بعد تلبيته نداء ربه – لما عرفتُ من خصاله الحميدة ومآثره المجيدة ، بيد أنني كلما هممتُ أقعدني المرض نرجو من الله تعالى الشفاء ، والدعاء من إخواننا الصادقين .

وأراني اليوم مستعداً لشيئ من الكتابة والرثاء له ، وكأن حبَّه وسرّه – رحمه الله – ألهم روحي ودفعني إلى ذلك ، فأسأل الله تعالى القبول ، إنه سميع مجيب .

ولعل أهم ما يميز فقيدنا الغالي العظيم بعض جوانب فريدة في حياته المفعمة بالعمل المثمر الجاد لخدمة الدين والعلم والفكر والأدب والتربية والأخلاق ، حتى ظهر وبرز فيها كوحيدٍ من الأعلام مع وجود الكثيرين منهم من أقرانه الفضلاء .

وإنني لأعرف منه عن نشأته الشخصية والعلمية والأدبية ما نفحني به من عطرهِ الفواحِ : أنه أفاد منذ صغره من والدته وجدته الكريمتين أدباً وعلماً وتربيةً وخُلقاً ، فقد كانتا القدوة الحسنة له ، وكيف ننسى أنه ترعرع في حضن وظِل هذه الأسرة ذات المنبت المبارك ، فلابد للأصل الأثيل التليد أن يفعل فعله فيما وصفناه به .

جل المصابُ بنا فتلك خسارةٌ	عصفت كأقسى الكربِ في الأرزاء
الرابعُ الندويُّ غاب وإننا	في فاقةٍ لأكابر العلماء

* رئيس رابطة الأدب الإسلامي ، الدوحة ، قطر .

هـو ميّت لـكنه في ساحنا　　حـيٌّ بـنـا مـن أعـظم الأحياء
بأرومةٍ فُـضـلى لـمجدٍ زانها　　نـسـبٌ إلى حَـسَنٍ مـع الـقـرباء

ثم إنه لما غادر قريته بعد المرحلة الابتدائية إلى مدينة لكناؤ تابع المسيرة بتعلقه ، ونهله عن خاليه العالِميْن الفاضلين : الدكتور عبد العلي الحسني والشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، ولعل من أبرز مشايخه الكبار : الشيخ العلامة حسين أحمد المدني الهندي ، والعلامة شيخ الإسلام محمد زكريا الكاندهلوي الهندي ، والمحدث الفقيه الأديب العلامة العربي الحلبي الشيخ عبد الفتاح أبو غدة – رحمهم الله وأجزل مثوبتهم – . أما تلاميذه فهم كثيرون منتشرون في العالم .

والجدير بالذكر أن خاله أبا الحسن تعاهده – إلى جانب العلوم الشرعية – بالفنون الأدبية الإسلامية حتى برع فيها ؛ وأصبح – منذ تخرجه في الندوة – مدرساً بعد عقدين ونيّف ، لطلاب الندوة مادة الأدب الإسلامي ستة أعوام حتى رأس قسم الأدب العربي بعدها ، ثم تبحّر في هذا الميدان ، وألّف كتباً نفيسةً في ذلك ؛ مثل " الأدب الإسلامي وصلته بالحياة " و " أضواء على الأدب الإسلامي " و " الأدب الإسلامي : فكرته ومنهاجه " ، مما لذّت لنا – نحن العرب – مطالعتها والإفادة منها فهماً ووعياً . ولا عجب ؛ فقد كان فارس اللغة العربية وآدابها في بلاد الهند ، حتى إنه حظي بالجائزة التقديرية من رئيس الجمهورية نظراً لخدمته للعربية وما يتعلق بها . كما أنه شارك في مختلف مؤتمراته في الهند والبلدان العربية كالحجاز ومصر والمغرب والأردن وكذلك تركيا وغيرها . فكان نِعم المحدّث والباحث والمحاور والموصي ، ولا ننسى أنه كان عضواً مؤسساً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ثم رأسها مدة من الزمن حتى وفاته .

يا فارس العـربية العليا أفِقْ　　وامحض فنونك دُرّةً كالرائي
لغةُ الكتاب من الإله عزيزةٌ　　قدسيةُ الأفـكـار للفصحاء

ومن جانب آخر ؛ فقد مَهَر في علم الفقه والفكر الإسلامِييْن فكان عالِماً ثبتاً ومفكراً بصيراً ؛ فألف كتابه المعروف " أضواء على الفقه الإسلامي " فهو المتمكّن فقهياً وخصوصاً في الأحوال الشخصية ؛

من الزواج والطلاق والحضانة – التي يطلب الشرع الاحتياط فيها – حتى أصبح رئيساً لهيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند . كما صنف كتاباً نافعاً بعنوان : " الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية " بفكر واعٍ ونصحٍ مأمون ، وكذلك كتاب " سراجاً منيراً (سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم) " فأيقظ بجذوته الإيمانية العقول والقلوب والنفوس . وكما صنّف كتباً أخرى تتجاوزخمسين مؤلفاً دينياً وأدبياً وفكرياً بالعربية وغيرها ، تحثّ على الذّود عن حياض الإسلام وإصلاح المفاهيم المغلوطة في المجتمع الإسلامي علمياً وأدبياً وفكرياً ونفسياً ودعوياً .

فما هجر المرحوم ثغرةً في ذلك إلا عمل على سدها ، فكان سابقاً مُبهِراً بأسلوبه الفائق الرائق الشائق الذي يستهوي القراء وبالفهم العميق الدقيق الذي يبين ويسبر غور الأفكار ، ولا غروَ في ذلك ؛ ففقيدنا باحثٌ غوّاصٌ ؛ وقد قالوا : كل باحث عالم ، وليس كل عالم باحثاً . فكيف وهو عالمٌ مكين وباحثٌ مدقق .

هذا بالإضافة إلى أنه كان متحرّقاً متحركاً بدأبٍ في جولاته وصولاته الكثيرة في بلاده . فإنه كان يزور المسلمين ويوجّه ويرشد ، بل ويستزيد من العلم طبقاً للآية الكريمة (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) طه : ١١٤ . حتى أيامه الأخيرة التي كان يعاني فيها من المرَض الشديد . فيا ربِ ضاعفْ أجره يوم المعاد .

وقد زرته بمكتبه في الندوة منذ أعوام ، فأخبرني أنه سيسافر من لكناؤ إلى مدينة أخرى بجولة مع الإخوة الدعاة فرحمته وأشفقت عليه وقلتُ له : رفقاً بنفسك فإنك متعب . والإخوة ينوبون عنك ، لكنه أجابني بلطفٍ وقال : لابد أن أذهب معهم . ومن جانبي كنتُ أشعر أن معيّته للجماعة هي من أحسن القدوة في العلم والتربية والسلوك والتجربة والمسؤولية ، فوافقته على ذلك . فهو ذو إرادة وهمة عالية .

ولستُ أنسى رحلة الشيخ أبي الحسن الندوي ويصحبه الشيخ محمد الرابع ووفد من العلماء والأدباء الهنود إلى باكستان ، وقد تشرفتُ بمرافقتهم ، وكنتُ العضو العربي معهم بدعوة من الجامعة الأشرفية في

مدينة لاهور ، وكان في استقبالنا صديقنا العزيز البروفيسور د . ظهور أحمد أظهر عميد الكليات الشرقية واللغة العربية في جامعة البنجاب ، ومسؤول رابطة الأدب الإسلامي العالمية بباكستان فيما بعد ، جزاه الله خيراً . وقد فضّل الشيخ أبو الحسن المبيت في ضيافة الجامعة عن الفنادق – وهذا شأنه دوماً – وبتنا فيها ، وخلال اليوم كانت لنا الأنشطة بجامعات ومراكز المدينة الكبيرة المهتمة بالتراث والفكر والأدب بل والسياسة المنشودة . حتى إنني أذكر أن ثمة محاضرة أعدتْ للشيخ أبي الحسن في إحدى القاعات الثقافية الكبرى ، وحضرها رئيس باكستان الأسبق " فاروق ليغاري " وقد رأيت وقتها منظراً عجَباً ؛ وهو أن الشيخ لما نودي لإلقاء المحاضرة نهض بعكازه يريد الصعود على الدّرج فكان الرئيس هو الذي يساعده حتى أجلسه على كرسي المنصة ، وعاد وأخذ مكانه ، فكبّر الجمهور وصفّقوا ! وإن كان الرئيس فعل ذلك بدافع توقير الشيخ . وهكذا يجب أن يكون احترام العلماء الربانيين الحكماء ، وكما جاء في المأثور ما معناه : " نعم الأمراء في أعتاب العلماء ، وبئس العلماء في أعتاب الأمراء " .

كما أنه حدث بعد المحاضرة أن وُضع العَشاء للمدعوين الكثيرين ، وكان على الطاولة الشيخ أبو الحسن والشيخ محمد الرابع وحضرة الرئيس والعبد الضعيف كاتب هذه الأسطر . وكان الرئيس يتحدث مع مولانا الشيخ ، فيجيبه باختصار كعادته ، ويبقى الشيخ محمد الرابع صامتاً يحسن الاستماع ، وهذا دأبه دوماً تبجيلاً لشيخه الجليل .

ومثل ذلك حدث في دعوة الإفطار عند حاكم البنجاب يومها " شهباز شريف " ، فحدّثْ ما شئتَ عن أدب هؤلاء العلماء الأعزة وخصوصاً الشيخين الأفضلين رحمهما الله تعالى .

يا مُلْهَماً كرُمتْ سحائبُ فضلِهِ ... في الهند والبلدان والأرجاء
ومجاهداً مستبصراً ومجرِّباً ... ترعى الأمور كأحسن الحكماء
قد كنتَ صِمّيتاً بقلبٍ ناطق ... وكمثل عثمانٍ نميرَ حياء
يا قطبَ فقهٍ بل وفكر نيّر ... قد شعّ في الدنيا كشمس ضياء

وإذا شئنا أن نتكلم عن الفقيد رحمه الله ، فإن هذا يطول . . .
ولكننا قبل المغادرة نحب أن نشير إلى أنه كان مهتماً بالجانب الصحافي ،

فقد أنشأ صحيفة " الرائد " التي لا يزال صدورها حتى اليوم ، كما أثرى مجلة البعث الإسلامي بمقالاته السديدة وأشرف على مجلات الندوة بالأردية ، ومجلة الرائد الصادق بالإنكليزية .

هذا ، ولا نود أن نعدّد مناصبه الكثيرة أثناء هذا العمر الطويل ، فقد ذكرنا بعضها في المقال ، وأشار إليها الكتّاب الآخرون الأفاضل .

وأخيراً ؛ فلا بد أن نزكي الفكرة التي قام بها هو وإخوانه العلماء مع مشاركة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في " قطر " بهذا القرار الواجب ، وهو : توحيد كلمة علماء المسلمين في الهند ؛ حيث عمل العلماء الهنود بعد زيارة علماء الاتحاد لهم على التجمع والانضمام حول فكرة دين التوحيد لا غير ، ونبذ الخلافات الفرعية التي لا قيمة لها في التأثير بل تعمل على تشتيت جهود الجماعات الإسلامية ، هذا وقد شرّفنا هؤلاء العلماء الأفاضل في " الدوحة " في مؤتمر عامر ، فتعاهدوا على ذلك . وكنتُ – العبد الضعيف – شاهداً على الاجتماع ، وألقيتُ قصيدة في هذا الموضوع .

وقد نتج من ذلك تعزيز الثوابت الإسلامية التي تزينها القيم والأخلاق الإيمانية ، وهذا هو المنهاج الذي سار عليه فقيدنا دون الميل يمنة أو يسرة ، فهو الرجل المبدئي المتوكل على الله المعتز به وحده ، ذو الفطرة الصافية والقلب الصادق ، ويشهد العلماء الربانيون أن الشيخ محمد الرابع كان حسنةً من أزكى حسنات هذا الزمان تقىً وورعاً وزهداً وعلماً وعملاً مخلصاً ، وقد فارقنا بجسده وروحه وأثره لا زال فينا . قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : " ما قبض الله عالماً إلا كان ثغرة في الإسلام لا تُسد " ، فهذا ما عنّ الخاطر به في ذكر شيئ من مآثره الجميلة التي لا تُنسى . . . . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . . . روّح الله روحه ونوّر ضريحه .

رفقاً بنا يا أيها الجرح الذي قد غار في الأعماق و الأحشاء
ها إنني أرثي أثيراً رائعاً فلعلني أوفيه بعض عزائي
وبِجَعْفَرٍ نرجو خلافة شيخنا كأبيه يرقى قمّةَ الجوزاء
واليومَ نَدْوَتُنا بلالُ رئيسُها نِعم المُدبِّرُ ساعياً بمضاء

والحمد لله رب العالمين .

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي :
ذكريات وعبر

بقلم : أ . د . حسن الأمراني الحسني *

رجل كان يمشي على الأرض هوناً .

هادئ في حديثه ، لا صخّاب ولا هيّاب ، يبلغ فكرته في حكمة بالغة .

زاهد لا يتطلع إلى الظهور ، ولكنه يصدع بالحق في لين . يظنّ من لا يعرفه أن ليس وراء هذا الزهد همة عالية ، فإذا خبره علم أن له همة تناطح النجوم .

عرفته منذ أربعة عقود . بقي كما عهدته أول مرة ، بهمة عالية ، وعزم راسخ ، وإن كان ازداد حنكة وحكمة .

رأيته أول مرة في شهر ديسمبر من عام ١٩٨٥م . كنت قادماً من باريس ، مدينة الأنوار في الغرب " كما تسمى " ، إلى لكناؤ ، في الشرق . كنت يومها مقيماً في باريس لإعداد شهادة دكتوراه الدولة . بحثت عن الطيران المتوجه إلى الهند ، فوافق بحثي رحلة أسبوعية ، ذهاباً وإياباً ، عبر الخطوط السورية ، من باريس إلى دلهي ، عبر دمشق ، والشارقة ، تستغرق أسبوعين . ولم أتردد في الحجز .

أرسلت ندوة العلماء لاستقبالي في مطار دلهي شاباً من ماليزيا ، اسمه فهمي زمزم الندوي (رحمه اللّه) ، لكن لم يقدر لنا في تلك اللحظة أن نلتقي ، لأنني بقيت داخل المطار ، ولم أخرج كسائر المسافرين ، وذلك بحثاً عن حقيبتي التي ضاعت بين حقائب المسافرين . ولما خرجت كان فهمي قد يئس من وصولي فغادر . سُقِط في يدي . لم يبق غير أن أسافر إلى لكناؤ بمفردي . ركبت القطار ، وأنا لا أعلم أنه سيستغرق كل ذلك الوقت الطويل . كان لا يمر بمحطة ، ولو صغيرة ، إلا وقف ما شاء اللّه له أن يقف . رأيت مشاهد تذكرني ببعض الأفلام السينمائية المصورة لأوضاع قطاع فقير من أبناء الهند ، مما شاهدت في

---

* رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

زمن الشباب الأول ، صليت الظهر والعصر جمعاً في القطار ، ثم المغرب والعشاء ، لأصل صباح اليوم التالي . نزلت في المحطة ، واتصلت بندوة العلماء ، فأرسلوا إلي شيخاً وقوراً ، ولكنه في همة الشباب ، اسمه (شمس الحق الندوي) . قال لي : انتظرني . قلت له : ولكن كيف يعرف بعضنا بعضاً ؟ قال في ثقة : أنا أعرفك . لا أعرف كم مضى علي من الوقت ، ولكن أظن أن صاحبي لم يطل انتظاري حتى تقدم مني مسلماً .

نزلنا ضيوفاً على ندوة العلماء ، وهناك التقى جمع الأدباء القادمين من آسيا ، وأوروبا ، وإفريقيا . أذكر من بينهم شاعراً من الحبشة ، اسمه محمد كامل الأنّي . كان يؤثر أن يقال عنه : إنه من دار الهجرة الأولى ، بدلاً من الحبشة . وكان قادماً من المغرب الشاعر السوري الكبير عمر بهاء الدين الأميري ، وكان قد استقر بالمغرب ، أستاذاً للفقه الحضاري ، بدار الحديث الحسنية . وأذكر أيضاً شاعراً من اليمن .

منذ ذلك التاريخ عرفت الشيخ العلامة محمد الرابع ، وتتابعت لقاءاتنا ، حيث كنت عضواً بمجلس الأمناء ، وتوليت أمانة السر فترة ، وكان هو ملازماً لسماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، ومعه محمد اجتباء الندوي ، ومحمد واضح رشيد الندوي ، رحمهم الله جميعاً .

كانت لقاءاتنا في عدد من المدن ، منها إستانبول ، والقاهرة ، وعمان ، ووجدة ، وفاس . إلا أن أكثر ما كنا نلتقي في المدينة المنورة ، في بيت الدكتور عبد الباسط بدر ، رحمه الله تعالى ، وأولها كان في ٢٩ – ٣٠ صفر ١٤٠٨هـ ، الموافق لـ ٢٢ – ٢٣ أكتوبر ١٩٨٧م ، ثم في ١٥ – ١٦ /١٤٠٩/٤هـ الموافق لـ ٢٣ – ١٩٨٨/١١/٢٤م .

كل تلك اللقاءات بالشيخ محمد الرابع رحمه الله ، كانت تزيدني به معرفة ، وتؤكد ما آنسته منه منذ اللقاء الأول في لكناؤ . وكان من خلقه التواضع ، والزهد ، وعدم الحرص على الشهرة والظهور . لقد تربى في مدرسة العلامة الشيخ أبي الحسن الندوي وعلى يده ، فقبس من علمه ، ومن خلقه ما صار له طبعاً . كان زهده من زهد شيخنا أبي الحسن ، فإذا نزلنا فندقاً ، نزل معنا ليحضر اجتماعات الرابطة ، إلا أنه بعد ذلك ، يأخذ طريقه إلى بيت بعض البسطاء من الهند . وفي المدينة المنورة ، كان – خارج الاجتماعات – يختلف إلى فندق " نور ولي " حيث يلتقي بالبسطاء مرة أخرى .

وقد أخذ الشيخ محمد الرابع شيئاً من أخلاق خاله أبي الحسن .

وأذكر حادثة واحدة تكشف زهده .

فبعد وفاة رئيس الرابطة ومؤسسها الشيخ أبي الحسن علي الحسني ، اجتمع مجلس الأمناء لاختيار خلف له ، وذلك في الدورة الحادية عشرة لمجلس أمناء الرابطة في المدينة المنورة في المدة ١٧ – ٢٢ /٥/١٤٢١هـ ، الموافق ١٧ – ٢٢ /٨/ ٢٠٠٠م ، وهي أول دورة بعد وفاة الشيخ أبي الحسن الندوي – رحمه الله ، رئيس الرابطة ومؤسسها .

وكان النظر ينقلب ما بين الدكتور عبد القدوس أبي صالح ، والشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، ليكون أحدهما خلفاً للشيخ أبي الحسن رحمه الله . وكنتُ ممن أقترح الشيخ محمد الرابع لمنصب الرئيس ، لتبقى الرئاسة في الهند ، والنيابة في البلاد العربية . ولما رأى أن هنالك من يرشحه لهذا المنصب ، طلب في أدب جم مهلة لصلاة الاستخارة . وانفض المجلس . وبعد معاودة الاجتماع اعتذر ، معلناً أن الله لم يشرح صدره لقبول منصب الرئيس ، وعندها اختير الدكتور عبد القدوس أبو صالح رحمه الله تعالى ، رئيساً للرابطة بالإجماع .

وبعد وفاة الدكتور عبد القدوس ، بدأ التشاور في من يخلفه ، ولم يكن هناك من هو أجدر من الشيخ محمد الرابع ، قانوناً وواقعاً . ومع ذلك لم يترك المشورة . وقد اتصل بي مراراً للتشاور ، قبل انتخابه ، وبعد انتخابه ، وسألني عن بعض أعضاء مجلس الأمناء . وعندما وقع اختياره علي لأكون نائبه الأول ، رحبتُ باختياره . وكان في تلك الفترة القصيرة التي قضاها رئيساً للرابطة ، يستشيرني إما كتابة ، وإما عبر الاتصال الهاتفي . وكنت في مراسلاتي أوقع باسم (رئيس مكتب المغرب) ، فنبهني مرة بلطفه المعهود ، وابتسامته الغضة ، قائلاً : لماذا توقع باسم رئيس مكتب المغرب ؟ أنت الآن النائب الأول لرئيس الرابطة . والتزمت بما طلب .

هذا الرجل الزاهد ، الذي كان يمشي على الأرض هوناً ، خلف ذخيرة فكرية وأدبية وعلمية ، لو كان لمثله بعض منها لمشى زهواً بين الناس . فقد ترك وراءه للناس ستين مؤلفاً في الفكر ، والتربية ، والدعوة ، والأدب ، والسيرة . وكان للغة العربية ، والأدب العربي ، من تلك الكتب نصيب وافر ، وحظ جزيل ، ومنها : (مختارات في الأدب العربي) ، و (الأدب العربي بين عرض ونقد) ، و (منثورات من أدب العرب) . وقد

كان أول ما أهداني رحمه الله كتاب (الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، مع نماذج من صدر الإسلام) ، وآخِر ما أهداني كتاب جليل في السيرة النبوية ، هو كتاب : (سراجاً منيراً) ، بعث به إلي من لندن ، عن طريق الأستاذ الفاضل الدكتور محمد أكرم الندوي ، وهو كتاب كاشف عن شخصيته المتميزة ، قارئاً للسيرة النبوية ومتذوقاً لها ، ومستخلصاً من العبر منها ما هو جدير بالتأمل .

وقد اخترت أن أقف وقفةً قصيرةً ، بما يسمح به المقام ، عند الكتاب الأول ، أجلي من خلاله بعض خصائص شخصيته ، دارساً للأدب العربي ، ومؤرخاً له ، وناقداً .

استهل الكتاب بتوطئة ، يقول فيها : " هذا بحث كنت أعددته مساهماً في الندوة العالمية الأولى للأدب الإسلامي المنعقدة في دار العلوم ، ندوة العلماء ، عام ١٤٠١هـ ، شرحت فيه صلة الإسلام بالأدب ، وصلة الأدب الإسلامي بالحياة ، وهما جانبان يسترعيان منا الانتباه " .

وفي هذه الإطلالة حقائق منها أن ندوة العلماء ، كانت سبَّاقة إلى تخصيص ندوة عالمية للأدب الإسلامي ، أي قبل ندوة : " الحوار حول الأدب الإسلامي " التي عقدت في المدينة المنورة ، عام ١٩٨٢هـ ، وندوة الأدب الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في رجب ١٤٠٥هـ ، الموافق نيسان/ أبريل ١٩٨٥م . وهذه الندوات هي التي مهدت لنشوء " رابطة الأدب الإسلامي العالمية " في ندوة العلماء ، في عام ١٤٠٦هـ الموافق لعام ١٩٨٦م .

والحقيقة الثانية هي : (شرح صلة الإسلام بالأدب ، وصلة الأدب الإسلامي بالحياة ، وهما جانبان يسترعيان منا الانتباه) . وهذا أمر حق ، فلطالما أثير الجدل حول صلة الإسلام بالأدب ، وأن الدين منافٍ للأدب بصفة عامة ، وللشعر بصفة خاصة ، وإن كان من صلة – عندهم – فهي صلة سلبية ، فالأدب الذي نشأ في ظل الإسلام أدب ضعيف ، وهو زعم باطل لا ريب في ذلك .

وهذا مما يبين أن الشيخ محمد الرابع رحمه الله كان على وعي مبكر بالقضايا الجوهرية المتصلة بالأدب الإسلامي .

وفي ما يلي عرض موجز للأفكار الرئيسية للكتاب :

في التوطئة ، أبرز الكاتب أن الفسق ليس من مقومات الأدب ،

ولا يجعل من الأدب أدباً عريقاً ، كما أن حضور الدين في الأدب ، لا يفقد الأدب قوته وجماله .

والأدب قد يكون مصبوغاً بالصبغة الدينية كالابتهالات ، والدعاء ، والوعظ .

لكن الأدب الإسلامي أوسع من ذلك بكثير . إنه متسع باتساع الحياة كلها ، ومتنوع بتنوع الحاجات الإنسانية . ويضرب المثل لذلك بأدب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متسم بالقوة والجمال .

والإسلام ليس ديناً مقصوراً أو محدوداً في العبادات كسائر الأديان ، بل هو متسع اتساع الحياة ، ولذلك فإن الأدب الإسلامي متسع باتساع الحياة . (ولم يتعارض إلا مع ما يتعارض مع مصلحة الحياة الإنسانية ذاتها ، ومع ذوقها الجميل ، وأنه إذا تعارض فيتعارض مع عمليات الهدم والإخلال بصالح الإنسان وإنسانيته) .

وقد أبرزت المقارنة بين الأدب الجاهلي والأدب الإسلامي ، من خلال الأدب المخضرم ، أن الأدب الإسلامي لم يضعف عما كان عليه في الجاهلية ، بل ازداد قوة مع بعض الشعراء .

ويقول عن اللغة العربية : (ومن أغزر اللغات ، وأطولها مدة ، هي اللغة العربية وآدابها ، فإن امتدادها لا يقصر من خمسة عشر قرناً بالتواصل والتوالي ، لم تنقطع هذه اللغة ولا آدابها في هذا الامتداد فترة ، ولم تنسحب عن المجال الأدبي . . . فقد كان رسول هذا الدين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم – وهو الداعي الأعظم للإسلام – من أكثر أهل هذه اللغة وآدابها قوة وإجادة ، لم يكن قائلاً للشعر ، ولكنه كان مجيداً لفهمه ، ومتذوقاً لمحاسنه ، أما النثر الأدبي ، فقد كان صلى الله عليه وسلم أروع الناس جميعاً كلاماً فيه وفهماً له) .

ويقارن بين الأدب الإسلامي والأدب غير الإسلامي ، فيرى أن (الأدب الإسلامي أدب ملتزم بالمفيد الصالح لا بالجمود والتقليد) . (ص : ٢٠) .

وهو هنا يحسم قضية الالتزام في الأدب التي شغلت الناس في القرن العشرين الميلادي ، فليس الالتزام في الأدب الإسلامي موافقاً للأدب الوجودي الغربي ، ولا هو مساير للالتزام الماركسي ، الذي هو على الحقيقة ليس غير إلزام للأديب ، بأن يكون شعره خادماً لإيديولوجية الحزب الحاكم ، بل هو التزام حرّ ، إن صحّ القول ، ليس عليه رقيب إلا

الله عز وجل . فلا الدولة ، ولا الحزب ، ولا السلطة كيفما كانت ، لها سلطان على الأدباء . وإنما هي تتدخل إن وقع الأديب في " الخيانة العظمى " ، وأصبح خطراً مباشراً على الأمة . وإلا فكم وجدنا من أديب يسير في اتجاه معاكس للسلطة ، ولا يتعرض له أحد .

كما يلفت الكاتب النظر إلى أمر مهم ، وهو ما يمكن تسميته بـ : " التوجيه النبوي للأدب " ، أي إن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجه بعض النصوص ، والأمثال ، والأقوال الجاهلية ، توجيهاً إسلامياً ، دون أن يطرحها جانباً ، أو يعترض عليها ، فاكتسبت بذلك معنى جديداً . فالقول الواحد يمكن أن ننظر إليه من زاوية فنراه جاهلياً ، وإذا جددنا فيه النظر ووجهناه صار إسلامياً . ومن هنا يبرز الفارق بين المفهوم الإسلامي للأدب وبين غيره . فقد كانت العرب تقول : " أُنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " ، فأقر عليه السلام هذا القول ، واستشهد به ، ولما قيل : " ننصره مظلوماً ، فكيف ننصره ظالماً ؟ " ، قال عليه السلام : " أن تمنعه عن ظلمه " . هنا يدخل التوجيه النبوي للعبارة فيكسبه جِدة ، دون استبدال غيرها بها ، لأن وراء ذلك مقاصد؛ منها التعليم ، والتأثير ، وتركيز المفهوم الجديد ، بحسب ما بين المؤلف .

وكذلك نظر محمد الرابع إلى الشعر ، فوجَّهه الوجهة الإسلامية المناسبة . ومن ذلك أنه قدَّم لنا تفسيراً جميلاً لبيت النابغة الجعدي :

" بلغنا السماء مجدنا وجدودنا   وإنا لنبغي فوق ذلك مظهراً "

فالبيت الواحد يمكن أن يكون له تفسير يؤدي إلى الكفر ، وتفسير آخر يرسخ الإيمان .

قال الكاتب : (فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم تغير وجهه الكريم ، وسأل : " إلى أين يا أبا ليلى ؟ " فقال الشاعر : إلى الجنة يا رسول الله . فطابت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه عرف من شرح الشاعر لشعره أن المفهوم ليس كما يبدو من ظاهر النص بأن يكون جراءة مع الذات الإلهية ، بل إنه مفهوم التقرب إليه ، وطلب مثوبته وجنته ، فبيت واحد من الشعر كان يدخل في حيّز الإلحاد والكفر إذا وجدنا تفسيره تفسيراً مغايراً للحق والإسلام ، ولكنه يصير بيتاً من الشعر الإسلامي عندما يتفق مفهومه مع النظر الإسلامي " . (ص : ٢٤) .

وهناك فكرة أخرى أساسية ، وهي أنّ الأجناس الأدبية لم تتغير ، ولكن تغيرت مضامينها . وهذا يعني أن الإسلام يتسع لكل الأجناس الأدبية ، القائمة حالياً ، والمستحدثة في المستقبل ، شرط أن تكون مضامينها إسلامية .

وهكذا فإن النظرة الإسلامية إلى الأدب الجاهلي منسجمة مع هذا التصور ، ذلك (بأن الإسلام لم يشطب الأدب الجاهلي كله ، بل إنما شطب الأدب الكاذب والمنافق والفاسد منه) . (ص : ٢٦) ، ولذلك استنشد الرسول عليه السلام عمرو بن الشريد من شعر أمية بن أبي الصلت ، فأنشده مائة بيت ، فقال عليه السلام : " آمن لسانه ، وكفر قلبه " .

والأدب الإسلامي قسمان :

قسم يؤدي دور نشر الوعي الديني ، وهو (أدب الدعوة والدين) . وقسم واسع بلا حدود ، يشمل كل مناحي الحياة ، وليس شرطاً فيه حمل شعار الإسلام ، إلا أنه يلتزم بحدود الإسلام ، وهو (الأدب العام) .

فهل لنا نص أدبي إسلامي يقتدى به ؟ نعم ، إنه أدب الرسول صلى الله عليه وسلم . فالبلاغة النبوية هي قمة البلاغة في كل عصر ، وفي كل مصر . وقد سبق صلى الله عليه وسلم إلى عبارات صارت من بعد ذلك أمثالاً ، واختار لنا الكاتب نماذج ، منها :

" رفقاً بالقوارير " . و " يا خيل الله اركبي " . و " لا ينتطح فيه عنزان " .

ثم ساق نماذج من أدب الرسول صلى الله عليه وسلم . ونماذج أخرى نثرية من أدب الصحابة .

وساق لنا أيضاً قول عائشة رضي الله عنها ، حين دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندها أبواها يبكيان ، من حديث الإفك . وإنها لقطعة أدبية تقطّع الأكباد . وهي تكشف عن حسن الاختيار ، كما قال الشاعر قديماً :

قد عرفناك باختيارك إذ كان دليلاً على اللبيب اختياره

وبعد ذلك قدم الكاتب قانوناً أدبياً به يفصل ما بين الأدب الإسلامي وغيره ، وهو قوله : " الالتزام بالطبيعة الإسلامية هو المبدأ الوحيد للأدب الإسلامي " . (ص : ٥٤) .

وقد سبق الشيخ محمد الرابع رحمه الله إلى قضية التمييز بين

" الأدب الديني " الذي هو موجود في كل الأديان الأخرى ، وبين " الأدب الإسلامي " الذي له خصوصيته . ففي الأديان الأخرى هناك الحديث عن الأدب الديني لا غير . أما الأدب الإسلامي فواسع مع الالتزام ، ومقيد مع الشمول ، لأن الأدب الإسلامي هو أدب الفطرة ، (والطبيعة الإسلامية هي الفطرة التي فطر خالق النّاس النَّاسَ عليها) .

أما الاختيارات الشعرية والنثرية التي قدمها المؤلف ، فهي تكشف عن حس نقدي متقدم ، وذوق أدبي رفيع . ومما اختاره نماذج كثيرة لحسان بن ثابت الأنصاري ، وهذا أمر طبيعي ، لأن حسان بن ثابت ، أكبر شاعر إسلامي عبر التاريخ .

وحسّان لم يكن شاعراً عادياً ، بل كان فحلاً في الجاهلية والإسلام . وقد وضع في الإسلام ميزاناً جديداً لنقد الشعر ، فقال مما اختاره الكاتب :

وإنما الشعر لب المرء يعرضه   على المجالس إن كيسا وإن حمقا
وإن أشعر بيت أنت قـــائله   بيت يقـــــال إذا أنشدته صدَقا

فسقطت بذلك مقولة : (أعذب الشعر أكذبه) .

ثم إن الكاتب نفسه ، وضع لنا ميزاناً جديداً وحصيفاً ، ينبغي مراعاته عند الموازنة بين الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي ، بل بين شاعر وشاعر . فقال : " إن المقارنة بين شاعرين ، ينبغي أن تكون بمعيار شعري واحد " . (ص : ٨٢) .

هذا هو المعيار الذي وضعه الكاتب ، وهو يعتمد فيه على الحجة والمنطق ، لا على الهوى الذي لا يغني من الحق شيئاً .

يقول مثلاً : (هل نقارن بين النابغة وامرئ القيس في أغراض واحدة ؟ .

أليست لكل واحد منهما مجالات مختلفة عن مجالات الآخر في القوة والبراعة ؟ فلماذا لا نقول : إن امرأ القيس ضعيف في الشعر ، لأنه لم يحسن الاعتذار والاستعطاف ، وإن النابغة ضعيف في الشعر ، لأنه لم يحسن في وصف الخيل والصيد كامرئ القيس ؟ فلماذا نقيس الشعر الإسلامي بما لا نقيس به الشعر غير الإسلامي ؟

فإن لكل شاعر مجالات في القول ، ولكل عهد مجالات ، فمن الإنصاف أن نزن الشعر في مجالات قائله وعهده) .

ومن القضايا التي أصّلها الكاتب رحمه الله تعالى ، خصائص

الشعر وميزاته بين العهدين الجاهلي والإسلامي .

وفي هذا المبحث يقوم الرد على من قال بضعف الشعر في الإسلام .

ومعلوم أن السهام توجهت بخاصة إلى شاعر الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، حسان بن ثابت الأنصاري ، فكان من الطبيعي أن يكون هو المثل الذي يستشهد به ، لأنه إذا ثبت أن شعر حسان لم يضعف في الإسلام عنه في الجاهلية ، فإن ذلك يكون حجة قاطعة على من يزعم غير ذلك .

والحجة البالغة أولاً هي أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، كان يحض الشعراء ، ومنهم حسان على قول الشعر ، وما كان للرسول صلى اللّه عليه وسلم ، أن يتخذ في معركته مع قريش شاعراً ضعيفاً . ثم إن الكاتب يقرر أن " شعر حسان في الإسلام بارع " . (ص : ٧٧) .

وليس هذا مجرد ادعاء ، بل إن مستنده هو النظر في شعر حسان في الجاهلية وشعره في الإسلام .

ويقيس الشيخ محمد الرابع رحمه اللّه الشعر بمدى أثره في المتلقي ، وهل حقق هدفه أم لا ؟ فيقول : (وقد تبين من دراسة شعر سيدنا حسان ابن ثابت الأنصاري أن الأثر الذي كان يتركه بشعره على النفوس في عهده الإسلامي كان أكثر مما تركه في عهده الجاهلي ، وإن كان شعره قد اشتمل في العهد الجاهلي على روائع عديدة مما له سهم كبير في رفع مكانته بين الشعراء ، ولكن دوره الشعري في العهد الإسلامي هو الذي بلغ به إلى مكانته الشعرية الخالدة التي بلغها ، ولو لم يكن ذلك لكان واحداً من عشرات الشعراء الذين عرفوا بالإحسان الشعري في العهد الجاهلي . . . ثم إن الإسلام هو الذي حمله على اعتصار قريحته في مجالات جديدة ، واستخراج اللآلئ من الشعر الرقيق الرصين في موضوعاته ، وكان ذلك إضافة مُثرية إلى عدد من قصائده البديعة الرائعة التي قالها في عهده الجاهلي في مدائح ملوك غسان والحيرة ، وبخاصة قصيدته اللامية التي نالت الإعجاب والتقدير العظيمين ، وقررت مكانته الشعرية بين الشعراء . ولكن قصائده في العهد الإسلامي ، وهي قصائد مصطبغة بالصبغة الإسلامية المحافظة ، وخاصة قصائده في مدح الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، فهي ممتازة بالروعة والإجادة ودقة الوصف رغم تقيده بالإطار الإسلامي للشعر ، وهناك فرق كبير بين أن يقول الشاعر ما يقول بدون تقيد بإطار وبالتقيد بإطار ، فإذا لم تضمحل جودته

مع التقيد كان أبلغ وأبرع ممن يجيد وهو حرّ وغيره مقيّد ، ويدلّ على ذلك أنه هجا قريشاً ولم يصب هذا الهجاء ابن قريش العظيم محمد بن عبد اللّه الهاشمي القرشي) . (ص : ٨٣) .

وأنا أشهد أني عاشرتُ حسان بن ثابت في شعره زمناً طويلاً ، وأزعم أنني قرأت أكثر ما كتب عنه ، من كتب مستقلة ، مثلٍ ما كتب د . محمد الطاهر درويش ، و د . إحسان النص ، إضافة إلى الكتب العامة التي عرضت للشعر الإسلامي في عهد النبوة ، وكلها عرضت لموقف الإسلام من الشعر ، وقضية ضعف شعر حسان بنٍ ثابت بخاصة ، فما رأيت عند أحد من الأنصار والخصوم على السواء حجة أبلغ ، ولا منطقاً أسدّ ، مما كتبه الشيخ محمد الرابع رحمه اللّه تعالى . هذا على الرغم من أنه لم يركب التعقيد في سوق الحجج ، ولا الرهبة في إصدار الحكم ، لأنه كان مقتنعاً كل الاقتناع بما يقول ، وكان أمام قضية يعلم أن كسبها هو كسب للأدب الإسلامي ، وهو قد كسَبَها بكل تأكيد ، إن كان حكمنا يقوم على الإنصاف .

وأخيراً وقف المؤلف عند أمر جلل ، وهو فتح شعراء الإسلامٍ لأبوابٍ جديدة في الشعر : ٨٠ ، ومنها التسامي بالحب الذي كان غرضاً شائعاً في الجاهلية ، يصب في قالب " الغزل " ، ويحصر نفسه ، غالباً ، في التغني بمحاسن المرأة الجسدية ، فقد انتقل الحب من صورته الإباحية والشهوانية ، إلى حب الخير في الآخرة ، وحب اللّه ورسوله . وحتى في باب الغزل ، أبقى على مكارم الأخلاق التي كانت في الجاهلية ، لأنها أخلاق إنسانية ، تستريح إليها الفطرة الإنسانية ، وذلك تطبيقاً للحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو هريرة : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " .

ووجدنا في الإسلام من الغزل العفيف ما تخضع له الأعناق ، مما فتح الباب واسعاً أمام الغزل الرمزي ، الذي ارتقى إلى درجات سامية من الفن الرفيع . وعندنا من ذلك غزل حميد بن ثور الهلالي ، الصحابي ، القائل :

أبى اللّه إلا أن سرحة مالك   على كلٍ أفنان العضاه تروق

وقد كنى عن المرأة بالسرحة ، طلباً للعفة .

وقد تطور شعر الحب إلى أن أخذ صورة هذا الشعر الذي يتغنى بحب اللّه ورسوله ، واتخذ صوراً عديدة ، عن شعوب إسلامية كثيرة ، ومنها المديح النبوي ، والشعر الإلهي الذي بلغ ذروته مع

شعراء التزكية والإحسان .

وهنا ، لم يفت المؤلف أن يشير ، ولو باللمح العابر ، إلى الأدبين الإسلاميين ، الأوردي والفارسي ، وذلك عند الحديث عن غرض شعري مشترك بينهما ، ألا وهو المديح النبوي ، الذي هو غرض جديد ، ليس في الشعر العربي فقط ، بل في شعر الشعوب الإسلامية قاطبة .

فإلى جانب أغراض شعرية جديدة ابتكرها الشعراء الإسلاميون ، كان هناك أغراض تقليدية ، طوروها ، وأهمها المديح الذي كان غرضاً شائعاً في الجاهلية ، واستقل منه غرض شريف ، وهو المديح النبوي .

وحديثه عنه هو حديث أديب خبير ، وناقد بصير ، بحيث يبرز لنا نشأته ، وتطوره ، وخصائصه ، وكيف أنه استفاد من أغراض أخرى غير المديح ، إلا أن امتصّ منها ما يناسبه ، وصرف النظر عما يجافيه .

يقول الشيخ رحمه الله تعالى : (وبجانب ما ابتكره الشعر الإسلامي من أبواب جديدة للشعر ونوّع بعض أغراضه الرائعة تنويعاً ، منه تنويعه للمديح ، وابتكار نوع منه هو المديح النبوي ، الذي سار في الناس على مر العصور والأزمان كنوع شعري بذاته ، وسمّي بالنبويات بالغربية ، وبالنعت ، بالفارسية والأوردوية ، ونبغ فيه طائفة من الشعراء ، ونالوا تقديراً بالغاً منهم في هذا النوع ، وهذا النوع الشعري الجديد امتاز بجمعه لخصائص النسيب الرقيق بالمديح البليغ ، واجتمع فيه التعظيم مع الحب ، تعظيم لا كتقديس لأن التقديس لله وحده ، وحب لا كحب النساء لأنه مجال الغرائز الساقطة والخواطر السافلة) . (ص : ٨٨) .

ثم يذكر انتقال هذا الغرض من الشعر العربي إلى الشعوب الإسلامية الأخرى ، فيقول : (ظهر هذا النوع الشعري في شعر الشعراء المخضرمين ثم استمر بعده في التاريخ ، في الشعراء المسلمين ، وفي لغات الشعوب الإسلامية الأخرى كذلك ، ولا يزال إلى اليوم) .

هذا ومن نظرات المؤلف النقدية الحصيفة ، أنه تعرض لقضية شعر الخلفاء الراشدين ، ثم شك في نسبة كثير منه إليهم على الحقيقة ، وهو القول الصواب .

والخلاصة أن هذا الكتاب غزير المادة ، بليغ العبارة ، قوي الحجة ، يغني عن غيره في موضوعه ، ولا يغني عنه غيره .

والحمد لله رب العالمين .

ستظل ذكراك خالدةً في قلوبنا

بقلم : أ . د . تقي الدين الندوي *

إنني قد كنت كتبت رسالةً مفصلةً إلى حضرة عميد دار العلوم لندوة العلماء الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ، وإلى الأستاذين الجليلين السيد محمد جعفر مسعود الحسني الندوي ، والسيد بلال عبد الحي الحسني الندوي ، ذكرت فيها بعض خصائص حياة أستاذي ومرشدي ومزايا سيرته وخلقه .

ولا شك أن ارتحال العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي الذي كان عالماً ومفكراً ذا بصيرة علميةٍ ودينية ، ومدبراً حكيماً لشئون الأمة الإسلامية والعربية ، وإماماً وقائداً لحركة ندوة العلماء قد أوجد فراغاً هائلاً لا يملأ في مثل هذا الزمان الذي قل فيه وجود علماء ربانيين وقادة أكفاء .

إن شخصيته كانت بمثابة مركز نور وهداية يستنير به أساتذة المدارس الدينية وطلابها وعدد جم من علماء الهند والبلدان العربية والإسلامية ، وإن الجهود التي بذلها العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي في سبيل الحفاظ على حركة ندوة العلماء ومنهج وسطيتها واتزانها في الفكر والعمل والدعوة الذي دعا إليه المفكر الإسلامي الشهير العلامة أبو الحسن الحسني الندوي ونشره في العالم العربي والإسلامي لمن أعظم مآثر الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، وإن ارتحاله إلى دار الخلد في ١٣/ أبريل ٢٠٢٣م خسارة عظيمة لا تعوض للأمة الإسلامية جمعاء ولتلامذته ومسترشديه بصفة خاصة .

وإنني والحمد لله كانت بيني وبينه صلة عميقة خاصة منذ ١٩٥٣م إلى آخر أيام حياته ، قد قابلته لأول مرة حين كنت طالباً في الدراسات العليا في دار العلوم لندوة العلماء ، وكان المفكر الإسلامي الشهير العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي قد كان رجع إلى الهند

---

* رئيس الشئون التعليمية بندوة العلماء ، لكناؤ ، وبروفيسور جامعة الإمام محمد بن زايد ، بأبو ظبي .

بعد عدة شهور قضاها في جولة علمية ودينية في البلاد العربية ، وكان يبذل جل عنايته على رفع مستوى دار العلوم لندوة العلماء العلمي والديني ، ويعتني بتطورها وازدهارها ونشر دعوتها في العالم الإسلامي ، وكان يرافقه في ذلك الأستاذان الجليلان السيد محمد الرابع الحسني الندوي والشيخ القاضي معين الندوي .

وقد كنت قرأت على الشيخ الأستاذ السيد محمد الرابع الحسني الندوي عدة أبواب من كتاب ديوان الحماسة خارج الحصص الدراسية ، ثم إني لما عُيِّنت مدرساً في دار العلوم لندوة العلماء كنت أسعد بعنايته الكريمة وحبه الخالص ، ولا يزال يتزايد حبه على مر الأيام ، وخير دليل على ذلك ما دبّجه يراعه في مقدمات على ثمانية مؤلفاتي العربية وأربعة مؤلفاتي الأردية ، فإنه قد كتب هذه المقدمات على كتبي بكل اهتمام ومحبة ، وقد رفعت هذه المقدمات من شأن المؤلف ومؤلفاته .

وإن أسرة الشيخ الأستاذ السيد محمد الرابع الحسني الندوي تنتمي إلى حضرة السيد أحمد بن عرفان الشهيد رحمه اللّه ، وإن جد أستاذنا السيد خليل الدين الحسني كان رجلاً عظيماً وجيهاً في أسرته ، متمسكاً بعقيدة التوحيد الخالص ، وكان يتصل بالعالم الرباني الشهير الأستاذ الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي المتوفى ١٣٢٣هـ ، وقد بايعه بيعة دينية روحية ، وقد قال سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي عن الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي في كتابه " تذكره مولانا فضل رحمن كنج مراد آبادي " :

إنه لما رسخت قدم الإنكليز في الهند في أوائل هذا القرن وبلغ حب المعدة والمادة إلى أوجها ، وأصبح أهل القلوب الصافية والأرواح المخلصة يتغنون بكل أسف وحسرة ما قاله الشاعر الأردي :

وہ جو بیچتے تھے دوائے دل وہ دوکان اپنی بڑھا گئے

يعني " إن أهل القلوب المخلصة والأرواح الصافية قد رحلوا وغادروا ، وأقفرت حوانيت الحب والروحانية والربانية " .

ولكن كان بعض الزوايا والتكايا قد حمل مسئولية الإرشاد والتربية وأشعل في حوانيتها نور الهداية والربانية ، فكان ينشر رسالة الحب والمعرفة الإلهية ، منها زاوية الشيخ العالم الرباني فضل رحمن كنج مراد آبادي في كنج مراد آباد وزاوية الشيخ المحدث الجليل رشيد أحمد الكنكوهي في كنكوه ، وكان هذان العالمان الربانيان يرشدان الناس

في عصرهما إلى التمسك بالعقيدة الصحيحة والسنة النبوية العطرة .

وكان لجد أستاذنا الشيخ السيد خليل الدين الحسني علاقة روحانية بالعالم الرباني الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، وكانت علاقة جده من أمه السيد عبد الحي الحسني بالعالم الرباني الشيخ فضل رحمن الكنج المراد آبادي ، فاجتمعت في أسرة الحسنيين خصائصهما ، وصارت أسرة أستاذنا الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ملتقى البحرين ، ولذلك كان أستاذنا وإخوانه البررة موضع ثقة كبار العلماء في الهند من أمثال الشيخ عبد القادر الرائيفوري وشيخ الإسلام حسين أحمد المدني وشيخ الحديث الأستاذ محمد زكريا الكاندهلوي وغيرهم ، فكان الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي على صلة وطيدة روحية تربوية بهؤلاء العلماء والمشايخ الكبار ، كما كان يجمع بين خصائص خاليه العظيمين الدكتور السيد عبد العلي الحسني وسماحة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي العلمية والفكرية والروحية ، فصار بذلك قدوة حسنة للتمسك بالشريعة والسلوك الحسن والمعرفة الربانية واتباع الشريعة وحب الحديث النبوي الشريف والسنة المطهرة ، فصار جامعاً بين علوم الشريعة وعلوم الإحسان والتزكية معاً .

وقد ألف الأستاذ الندوي كتاباً حول موضوع السيرة النبوية فذكرت بعض خصائص هذا الكتاب المفيد ، فاستبشر بذلك ، وقبل عدة شهور رأيت الشيخ وعيناه تهملان الدموع ، لأنه كان يذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجهودهم وجهادهم في غزوة الأحزاب ، لا يملكون ما يملؤن به بطونهم ، فكانوا يكتفون بأكل تمرة وتمرات ، ومع هذا الجوع جاهدوا في سبيل الله في ليالي الشتاء الباردة القاسية ، فكان يذكرهم ذكراً جميلاً مؤثراً يضرب على أوتار قلوب السامعين .

وفي هذا العدد الخاص بذكر مولانا الأستاذ الجليل الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ترون بحوثاً تتعلق بحياته وسيرته وخصائصه ، أما هذا العاجز الفقير فإنه كان مرتبطاً بالشيخ الجليل ارتباطاً قوياً ، ودامت هذه الصلة إلى آخر أيام حياته ، لذلك فإن ذكرياته الجميلة وخصائصه البارزة تتطلب مني مقالاً مفصلاً أو كتاباً مستقلاً في الموضوع ، ولكن أكتفي الآن بذكر نبذة يسيرة من ذكرياته .

إني كلما زرته في بداية السنة الدراسية في دار العلوم لندوة العلماء ونهايتها لإلقاء الدروس بمناسبة افتتاح الجامع الصحيح للإمام البخاري

وانتهائه وفق توجيهات رئيس ندوة العلماء الشيخ الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله فكان يزداد حبه وكرمه وعطفه علي أكثر فأكثر ، وكان يهدي إلي وإلى من يرافقني في السفر هدايا قيمة ثمينة من العطور وغيرها بمثل هذه المناسبات ، وكان الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي يرى هذا الحب والحنان ، ويبتسم ابتسامة المحبة .

ولما انتقلت والدتي إلى رحمة الله سبحانه وتعالى في ١٩/ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩م سافرت فجأة من أبو ظبي إلى لكناؤ مع بعض أولادي ، وكانت أيام الشتاء ، فلما نزلت في مطار لكناؤ شاهدت عدداً جماً من الناس ، فيهم شيخنا الأستاذ السيد محمد الرابع الحسني الندوي والأستاذ الشيخ المفتي محمد ظهور الندوي ، وقد كانوا جاءوا للعزاء والتسلية عني .

وكنت أستشير الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي في كل شأن من شئون حياتي ، فكان من الواجب علي أن أكتب كل ذلك في كتاب مستقل ، ولكني أكتفي الآن بذكر تلك المقدمة التي كتبها الشيخ محمد الرابع الندوي على كتابي " داستان ميري " (مسيرة حياتي) ، يقول الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي في مقدمته :

" الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد بن عبد الله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين ، وبعد :

فإن شخصية الدكتور تقي الدين الندوي شخصية متميزة معروفة في الأوساط العلمية والدينية بأعماله الحديثية التحقيقية ، ولا تحتاج إلى بيان وتعريف ، إنه يمارس أعمال البحث والتحقيق ودراسة وتدريس كتب الحديث الشريف وعلومه وتحقيقها والتعليق عليها منذ ستين سنة تقريباً ، إنه قضى حياته كطالب عادي في بداية مرحلة تعليمه ، ولم تظهر خصيصاته البارزة في بداية حياته ، ولكنه لما تسنح فرصة العمل الجاد المستمر لأحد فإن ذلك يساعد في تطوره وازدهاره ، لذلك فإن الدكتور تقي الدين الندوي استمر جاهداً في سبيل المعرفة والعلم والتحقيق واستفاد بذلك استفادة كاملة فعلت درجته ، وساعده في ذلك عناية أساتذته وشيوخه وإشرافهم عليه بصفة خاصة ، فإنه كان يلازمهم ويستشيرهم في أموره دوماً .

كانت صلته بشيخ الحديث مولانا محمد زكريا الكاندهلوي

صلةً قويةً ، ولم تكن هذه الصلة تتعلق بعلمه ودراسته فحسب ، بل بخلقه وعمله وحياته كذلك ، فإنه ترك عمل التدريس ورحل إلى مصر لطباعة كتاب " بذل المجهود في حل سنن أبي داود " لشيخ شيخه المحدث الجليل مولانا خليل أحمد السهارنفوري ومراجعته ، وبذل جهداً ووقتاً كثيراً مع زملائه بكل جدية وأمانة ، واستبشر شيخه مولانا محمد زكريا الكاندهلوي بجهده وأصبح محبوباً لديه ، ودعا له الشيخ الكاندهلوي بالبركة في حياته .

هذا ، وفي جانب آخر بدأ ينمو ويتطور فيه ملكة تحقيق الكتب العلمية والمخطوطات النادرة ، فصرف عنايته إلى ذلك وأصدر كتباً قيمةً علمية بعد تحقيقها والتعليق عليها ، وحقق كتب الحديث لشيخه وأستاذه شيخ الحديث مولانا محمد زكريا الكاندهلوي خاصة ، وأصدر كتبه في ثوب قشيب بتحقيقه ، وواصل العمل في تحقيق كتب الحديث فأصدر " الجامع الصحيح للإمام البخاري " بحاشية المحدث السهارنفوري في مستوى رفيع من التحقيق والطبع .

وأتيحت له الفرصة بفضل الله وكرمه لتدريس الحديث الشريف وعلومه في جامعة العين بالإمارات العربية المتحدة ، فدرّس وأفاد ، وازدادت صلته بسعادة الشيخ سلطان بن زايد آل نهيان رحمه الله ، وقويت ، فوفّر له جميع التسهيلات لخدمة الحديث الشريف ، ويسّر له السبيل لتحقيق كتب الحديث وإصدارها في حلة قشيبة ومستوى رفيع .

وقبل ذهابه إلى الإمارات العربية المتحدة كان الدكتور تقي الدين الندوي يدرّس الحديث الشريف في دار العلوم لندوة العلماء وفي مدرسة فلاح دارين في غجرات ، واستفاد في هذه المدة التي قضاها في تدريس الحديث الشريف من أساتذته وشيوخه استفادةً كاملةً ، وصار موضع ثقتهم .

ولأجل اتصاله بدار العلوم لندوة العلماء كانت بينه وبين المفكر الإسلامي سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي صلة قوية ، كما كان يرتبط بشيخه الأستاذ محمد زكريا الكاندهلوي ، وصار تلميذاً رشيداً وخادماً لعلومه ومعارفه ، ولأجل اشتغاله بعلم الحديث أصبح يعتني بإصلاح نفسه وسلوكه واستفاد من شيخه في هذا الطريق أيضاً ، وكذلك اتصل بالشيخ الرباني في عصره مولانا محمد أحمد البرتابكرهي الذي كان ينتمي إلى سلسلة مولانا فضل رحمن الكنج

مراد آبادي ونال منه الإجازة والخلافة .

وكان له ارتباط قوي مستمر بندوة العلماء والقائمين عليها وخاصةً بشخصية سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي ، ولذلك كان يرتبط بي أيضاً ، وأنا أعرفه عن كثب منذ أن كان طالباً في دار العلوم لندوة العلماء وتجلت أمام عيني شخصيته التي كانت متميزة بعلمه ودراسته كما كانت تبرز تحقيقاته ودراساته وبحوثه العلمية بين فينة وأخرى ، وقد ألف كتاباً ذكر فيه مراحل حياته العلمية والتحقيقية ، ويتجلى فيه للقارئ أنه كيف يمكن لإنسان أن يتمكن من بناء شخصيته العلمية المتميزة ، وما هي الصعوبات التي يواجهها في سبيل العلم والنبوغ فيه ، وسمّاه " داستان ميري " (مسيرة حياتي) وسوف يكون هذا الكتاب تحفةً قيمةً للباحثين والدارسين .

وإن كل إنسان يتأثر بما حوله من أجواء علمية دينية ، وبأصدقائه وأقاربه وأولياء أموره ، ويؤثر كل ذلك على تكوين شخصيته وبناء كيانه ، ولذلك نرى أن من سعد بصحبة العلماء الربانيين تتكون شخصيته ، وتصلح حياته ، وتتجلى مواهبه العلمية بكل يسر وسهولة ، وإن أصل الفائدة تحصل بصحبة العلماء الربانيين بأنفسهم ، ولكن يمكن الاستفادة من دراسة ومطالعة سيَر الصالحين ، لذلك من المأمول أن يستفيد الباحثون والدارسون وكل من يطالع هذا الكتاب الذي بين أيديكم ، والله ولي التوفيق .

(الشيخ الأستاذ) محمد الرابع الحسني الندوي (رحمه الله)

رئيس ندوة العلماء

٢٨/ شوال ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م

وإن وفاة أستاذنا الجليل السيد محمد الرابع الحسني الندوي قد أثرت علينا وهزت قلوبنا وعواطفنا ، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يُلهم جميع أفراد أسرته والمنتسبين إلى ندوة العلماء الصبر والسلوان .

وبوفاته خسرت الدنيا ضياء العلم والمعرفة ، والإيمان والإحسان ، والزهد والتقى الذي كان يستنير به العالم إلى نصف قرن تقريباً ، وخسرنا شخصيةً كانت مركزاً علمياً يشعّ منه نور الحكمة والإحسان ، وإن حزن وفاته ليغلب على قلبي ولا أجد في نفسي همةً لذكر ذكرياته التي لا تعد ولا تحصى ، وامتثالاً لأمر أصدقائي كتبت هذه السطور .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أستاذ شفوق ، قائد حكيم

بقلم : الشيخ خليل الرحمن سجاد النعماني الندوي *

تعريب : الأخ مرزا ريحان بيغ ♣

قال الله تعالى : (مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً) [الأحزاب : ٢٣] .

إن ذكرياتي عن أستاذنا الراحل الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله تغطي حوالي ٦٢ سنة ، والآن أنا في ٦٧ – ٦٨ من عمري ، ولو سجلتُ تفاصيل هذه العلاقات التي ظلت بين أسرتنا وأسرته رحمه الله من خلال مشاهداتي ، لقلت مئات الصفحات ، فأحاول أن أذكر بإيجاز بعض الأمور المهمة التي تكون منارةً للطلاب أمثالنا ، وسبباً لتقوية العزائم والهمم وإنضاج العقل والفكر في هذه الظروف التي تثبط طموحاتهم .

والله إني لأشهد أن هذه الأسرة الحسنية من الأسر الممتازة والعجيبة (حفظها الله وأدام عزها وشرفها ، واستمر إرث سلفها الصالح في أجيالها القادمين إلى يوم القيامة الذين توارثوا المجد كابراً عن كابر) هاجرت في القرن السابع الهجري من المدينة المنورة إلى شبه القارة الهندية ، منذ ذلك الوقت إلى الآن مرت بمراحل مختلفة ، ولكن ظلت متمسكة بخصائصها إلى حد كبير ، فإن نجابتها ومثلها وثقافتها وذوقها الأدبي الرفيع وتحمسها الديني وسعيها الحثيث في تأليف كتب التاريخ والتراجم ، وتعهدها بثقافة العرب والإسلام ، ومع ذلك تقدير وحب أهل القلوب والاستفادة منهم ظل باقياً حتى اليوم ، رغم مرور زمن طويل على الإقامة في هذه الديار الهندية ، كما أنها حفظت تراثها ومزاياها الأسرية وأعراقها وذوقها الأصيل للأدب والشعر ووثوق الصلة بمنابع الإسلام الأصيلة الصافية ، ما نجد نظيرها خارج هذه الأسرة المباركة ، ثم إن كل خصائص الأسرة التي ذكرتها انعكست في طبيعة أستاذنا واعتبرت أهم مميزات شخصيته ، فجاء في العصر الأخير المثل الأعلى لها وصورة

* رئيس تحرير مجلة الفرقان الغراء ، لكناؤ ، (الهند) ورئيس دار العلوم الإمام الرباني في مهاراشتر .

♣ طالب في العالية الرابعة الشريعة بدار العلوم لندوة العلماء .

كاملة تمثل خير إنسان وعالم رباني وقائد حكيم وصحافي بارع .

ويجدر بالذكر أن قضية اللغة العربية قضية مهمة للغاية ، ولقد ذكر الإمام ولي الله الدهلوي شيئاً غريباً في إحدى وصاياه ، يقول : " أوصيكم يا معشر مسلمي الهند ! أن تلتزموا بالعربية وبالحرمين الشريفين دائماً " ، وهي وصية غالية نفيسة ، إنها تحذير من أمر وقع فيه كثير من العائلات والثقافات ، وهي من طبيعة أرض الهند أنها أذابت في بوتقتها كل من جاء إليها واستوطنها إلا الشعب المسلم ، فإنه امتاز في الهند بهذه الميزة البارزة ، فهو يعيش فيها محتفظاً بجزء كثير من شخصيته الدينية و معتزاً بحضارته و قيمه الإسلامية ، وأكبر من أسهم فيها ورفع راية الرفض والبراءة عن كل ما يخالف الدين الحنيف من عقائد وأعمال وفلسفات واتجاهات إلى يومنا هذا ، هي أسرة شيخنا وأستاذنا الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، أرجو من الله تعالى وأدعو أن تبقى هذه الأسرة إلى يوم القيامة بخصائصها ومبادئها ، كي تساهم في خدمة العلم والدين وترقية الإنسانية والبلاد اجتماعياً وأدبياً ومدنياً .

التحقت بدار العلوم لندوة العلماء في ١٩٦٤م ، وأنا في التاسعة من عمري ، وبعد بضع سنوات وصلت إلى الصفوف التي استفدنا نحن الطلبة فيها من دروس الشيخ محمد الرابع ، وقرأت عليه منثورات ومختارات من أدب العرب ، وكتابه الشهير العلمي " جزيرة العرب " ، وكان له شغف زائد بالأدب العربي وتاريخه ، كما كان يمتاز بولوعه بالجغرافية أيضاً . ولا يمكن لأحد غض النظر عن أهمية وحاجة هذا الموضوع ، وذلك لأنه ورد في القرآن الكريم والكتب الأدبية العربية عشرات من أمم العرب ومدنهم ومواضعهم ، فإن دراسة هذا الموضوع تعين الإنسان على التدبر في خلق الله ، وفهم ما ورد من نصوص شرعية ، وله أهمية كبرى في الدعوة إلى الله ، فإنه لم يقم نبي من الأنبياء بالدعوة إلى الله إلا عرف مسالك المناطق التي بُعث إليها ، فأسلوب دعوة إبراهيم عليه السلام يختلف تماماً عن أسلوب سيدنا سليمان عليه السلام ، وهذا باختلاف الزمان والمكان ، فإن معرفة الأمكنة المذكورة في القرآن الكريم والأدب العربي لازمة جداً ، وقد رزق الله أستاذنا رحمه الله ذوقاً خاصاً لهذا الموضوع ، فبحث فيه وألف كتاباً علمياً تاريخياً سمّاه : " جزيرة العرب : تاريخياً ، ثقافياً وجغرافياً " ، ومن سعادتي أنني قرأت عليه هذا الكتاب مباشرة ، ونشأ فيَّ ذوق تاريخي وجغرافي ، وكان منهجه التدريسي سهلاً سائغاً مقبولاً ، فيشرح الأبيات شرحاً يلذ الطلاب بسماعه ، ويستنبط المعاني والشواهد التي لا ينطق بها إلا من له نظر عميق في هذا الموضوع ، ففي حصة تعليمية

كـان أسـتاذنا رحمـه الله أديبـاً يحمـل ذوقـاً في التعليـم وقـدرةً تامـةً علـى التفهيم ، وفي حصة أخرى يتمثل أمامنا كخبير بالجغرافية وعارف بها .

وكل منا يعلم أن أستاذنا تربى تحت إشراف الإمام الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، فاستفاد منه كثيراً ، وتشرب روحه وفكره ، وقد جمع الله في شخصية الإمام الندوي صفات ومميزات مختلفة ، ذات مرة حينما نزل بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ضيفاً لسلسلة المحاضرات ، فأمرني نائب رئيس الجامعة الدكتور عبد الله الزائد أن أعرِّف الحضور بشخصيته البارزة قبل إلقائه المحاضرة ، وكان هنالك تجمع كبير ، وحضر حوالي سبعة آلاف طالب ، ومئات من الأساتذة والأكاديميين وأئمة الحرم المكي والمدني ، فوقفت ، ولا أعلم من أين أبدأ الحديث ، فقرأت مبدأ قصيدة مشهورة للفرزدق :

هَذا الَّذي تَعرِفُ البَطحاءُ وَطأَتَهُ وَالبَيتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ
هَذا اِبنُ خَيرِ عِبادِ اللَهِ كُلِّهِمُ هَذا التَقِيُّ النَقِيُّ الطاهِرُ العَلَمُ
هَذا اِبنُ فاطِمَةٍ إِن كُنتَ جاهِلَهُ بِجَدِّهِ أَنبِياءُ اللَهِ قَد خُتِموا
وَلَيسَ قَولُكَ مَن هَذا بِضائِرِهِ العُربُ تَعرِفُ مَن أَنكَرتَ وَالعَجَمُ

فلما قرأت هذه الأبيات وطبقتها على شخصية الإمام الندوي ، بدأت الدموع تسيل من عينيه ، وهو يحاول إخفاءها ومسحها بيده ، ولكن من فوائد هذه الكلمات التعريفية الدافقة المحيطة بمختلف جوانب شخصيته ؛ أنه ألقى خطاباً أشعل به العالم العربي والإسلامي حماسة وحمية وانقلاباً ، كأن شلالاً يتدفق بالكلمات ذات المعاني الطيبة في أسلوب قوي ملتهب من غير توقف ولا تلعثم ، لم نكن نراه في هذا الأسلوب القوي منذ سنوات لضعف صحته ونقاهته .

كان أستاذنا وشيخنا السيد محمد الرابع خير خلف لخير سلف ، وكان صنو خاله العظيم في زهده وصلاحه وورعه ، رغم مما يحمل من مناصب جليلة ، كان متواضعاً ، صغيراً في عينيه ، زاهداً في حطام الدنيا ، معرضاً عن زخارفها ، طامعاً في الآخرة ونعيمها ، مخلصاً لدينه وأمته ، كلما زاد مجده وتضاعفت مسؤولياته وانتشر صيته وعظم احترامه وتقديره على مستوى الهند والعالم ، كنت رأيت أن زهده وورعه وعزلته وإقباله بعلو همته على الله تعالى قد ازداد مع مرور الزمن ، وحينما كان في الأربعين من عمره كان يقول والدي للإمام الندوي : " أشهد على نفسي أن الشيخ محمد الرابع ولي شاب " ، قبل أيام من رمضان المنصرم ١٤٤٤هـ سُعدت بلقائه ، وكان هذا اللقاء لقاءً أخيراً ، وكان في غاية من القلق والتألم لأمور الدين والتحرق للأمة على أوضاعها الشرسة ، فقلت مسلياً له

وغاضاً عما يجيش في قلبه من الكآبة والحزن ، سيدي ! كنت أسمع في صباي من والدي ، وهذا الذي سمعت منه مرات قائلاً : " أن الأستاذ السيد محمد الرابع ولي شاب " ، فامتلأت عيناه بالدموع متأسفاً ، وقال في حزن : " أعطاني الله فرصاً كثيرة ، وكان في وسعي أن أكون عظيماً ، وأنجز أعمالاً جليلة ، ولكن ما استطعت أن أفعل شيئاً " .

إن المسلمين اليوم يواجهون في الهند حملات ممنهجةً من الاضطهاد والعنصرية والإساءة إلى دينهم ، ففي هذه الأوضاع الحرجة تؤكد على المسلمين التسامح والوحدة فيما بينهم على أساس الكلمة ، وعليهم أن يصمدوا أمام العواصف والتيارات ، ويواجهوا الأحداث والتقلبات بصبر ويقظة ووعي وحكمة وبتخطيط استراتيجي جاد محكم ، رحل عنا إمامنا الهمام في وقت كانت البلاد بأمس الحاجة إلى أمثاله ، حينما تم اختياره رئيساً رابعاً لهيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند في حيدر آباد سنه ٢٠٠٢م فلم يكن موجوداً في الاجتماع الذي اختاره فيه أعضاء الهيئة رئيساً لها ، ثم لما لقيته في مدينة لكهنؤ ، فقال وحوله ثلة من العلماء والمثقفين : " لم أرغب في ذلك على أي حال ، و " هذا " لعب دوراً هاماً في هذه المؤامرة ، (وأشار إلي بيده) ، وأشكر الله على هذا التوفيق الغالي ، لأنني أخاف أن هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند تظل متحدة أم لا ؟ في ذلك الوقت التقيت بعديد من كبار الأعضاء بشكل فردي حسب ما أمكن ، والحمد لله على أن آراء الأعضاء اتفقت على ضرورة توحيد الصفوف ، وعلى أنه ليس هناك من يحمل مؤهلات القيادة المنشودة التي تتطلبها الأوضاع الحاضرة سوى الشيخ محمد الرابع رحمه الله ، فوافق الأعضاء على انتخابه رئيساً بالإجماع ، لأنه يريد ألا يحدث اختلاف ونزاع ، فقادها قيادة حكيمة موفقة ، وأثبت أنه كان موفقاً مؤيداً من الله ؛ لأن القيادة جاءت تسعى إليها ، ولم يطلبها قط :

أَتَتهُ الخِلافَـةُ مُـنـقادَةً　　　إِلَيـهِ تُجَـرِّرُ أَذيالَها
وَلَـم تَـكُ تَـصلُـحُ إلا لَـهُ　　　وَلَـم يَـكُ يَصلُحُ إلا لها

وبعد فهذه سطور عاجلة لا تستوعب إنجازاته ولا تمثل حياته العامرة الخصبة ، وإنما هي كلمات أملاها الحب والإخلاص والوفاء للراحل الكريم والفقيد العظيم ، ويشتاق قلبي إلى أن أحبر به الورق ، والأحداث والذكريات أيضاً تتذكرني وتعود إلى ذاكرتي ، ولكن أكتفي بها . وأدعو الله أن يورثنا خلقاً حسناً وعلماً نافعاً ، لتتوارث الأجيال الأمجاد السالفة والآثار الخالدة .

سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي : صورة صادقة للأسوة المحمدية

الأستاذ جعفر مسعود الحسني الندوي*

كان سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله من أبرز رجال الأمة الإسلامية في هذا العصر علماً وحلماً ، وحكمةً وقيادةً ، وتعليماً وتوجيهاً ، وخلقاً وكرماً ، فقد أدى دوراً مثالياً وقيادياً في مختلف مجالات الحياة من التعليم والتربية ، والدعوة والإصلاح ، والتزكية ، والإدارة والقيادة ، والتوجيه والإرشاد ، والبحث والكتابة ، والتصنيف والتأليف ، وكان هذا الرجل الذي تعلمنا منه الخير الكثير ، يُعرف بإيمانه الراسخ ، وعقيدته الصحيحة ، وعمله الصالح ، كان يُعرف بحبِّه الغامر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وحبِّه لأهل بيته الأطهار ، وحبه لأصحابه البررة ، كان يُعرف بحلمه ، وصبره ، وتحمُّله ، كان يُعرف بزهده ، وورعه ، وتواضعه ، كان يُعرف بحكمته ، وبصيرته وفراسته ، كان يُعرف برأفته وحنانه وعطفه ، كان يُعرف بثقته بالله ، وتوكُّله عليه ، وإنابته إليه ، كان يُعرف برقة قلبه ، ولين طبعه ، وحلاوة حديثه ، كان يُعرف بسلامة فكره ، وسداد رأيه ، وصحة موقفه ، كان يُعرف بنصحه للآخر ، وإيثاره له ، وتعامله معه معاملةً تليق بشأنه ، كان يُعرف بعزيمته واستقامته وصلابته في اتخاذ القرار إذا كان الأمر يتعلق بالدين والشريعة ، ومرونته إذا كان الأمر يتعلق بالفروع والآلات .

كان هذا الرجل من خيرة الرجال ، كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين سئل عن خير الناس فأجاب : " خير الناس من طال عمره وحسن عمله " (رواه الترمذي) ، فقد مدَّ الله في عمر هذا الرجل ، وبارك له في صحته ، وحفظ له سمعه وبصره ، وذاكرته ، ووفقه للقيام بأعمال جليلة تجلب له رحمته ، وينال به حبه ورضاه ، ويزداد به أجره ومثوبته ، ويرتفع به شأنه ومنزلته في هذه الحياة وبعد الممات ، فعاش ؛ لا لنفسه ولا

* الأمين العام لندوة العلماء ، ورئيس تحرير صحيفة الرائد – لكناؤ .

لعائلته ولا لأسرته ؛ وإنما عاش لأمته مُهتَمّاً بشؤنها ، معالجاً لقضاياها ، مقدِّماً حلولها ، محاولاً لاستعادة مجدها وكرامتها ، وعزها وشرفها .

كان يتألم بما يراه من أحوال المسلمين السيئة ، ويحترق لما يشاهده من ابتعادهم عن الدين وانحرافهم عن الجادة ووقوعهم في المعاصي والآثام ، وانغماسهم في الشهوات والملذات ، وانقسامهم بين فئات متحاربة ، وتغافلهم عن الدسائس والمؤامرات التي تحاك ضدهم بغاية من الدقة والتخطيط ، ولذلك نجده حين ندخل عليه مهموماً لما يجري ويحدث في العالم الإسلامي ولا سيما في العالم العربي من تغيرات وتطورات تتعارض مع الدين والشريعة ، ويبدي قلقه على ما تتخذ من خطوات وإجراءات باسم التقدم والترفيه في الدول التي ينظر اليها المسلمون بغاية من الاحترام والتقدير ، بينما كان يبدو نشيطاً ومتحمساً للغاية للقيام بكل ما يعود إلى المسلمين بالنفع والخير .

وكان قد واجه هذا الراحل في حياته كثيراً من المحن ، وتعرض لكثير من البلايا ، ومرَّ بمراحل كثيرة امتحن فيها صبره وحلمه ، وكيف لا ! فقد قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : " أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل " ، فكل من تقرب الى الله وحبب إليه لابدَّ له من مواجهة هذه المحن والبلايا ، وهي سنة من السنن الإلهية في الكون .

وكان ابن اخت سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، فتربى عليه ونهل من منهله واستنار بفكره ، وسار على منهجه ، وصبغ نفسه بصبغته ، وتحلى بخلقه فخلفه من بعده ، وأدى دوره وملأ الفراغ الذي تركه بانتقاله إلى جهة ربه ، فترأس المنظمات وأشرف على الحركات ، وتولى رياسة الجمعيات بدون أي طلب ، وبدون أي رغبة في الحصول عليها .

فكان هذا الرجل الوحيد الذي كان يجمع عليه المسلمون لما كانوا يرون فيه من الصدق ، والأمانة ، والنزاهة والعفة ، والحكمة ، والحلم والأناة ، والصبر والتحمل ، واللينة والمرونة ، والزهد والاستغناء ، والتقشف ، وصفاء القلب ، ورحابة الصدر ، والتعامل مع الآخر باللطف والكرم ، وإعطاء كل ذي حق حقه وتأدية الأمانة إلى أهلها .

وأكبر ما يوصف به هذا الرجل التقي النقي الطاهر الذى كان

موضع ثقة وحب وتقدير لدى جميع طوائف الأمة في الهند ، هو التواضع والمسكنة ، وخفض الجناح ، وهذا ما دعاه نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم لنفسه قائلاً : " اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً ، واحشرني مع زمرة المساكين يوم القيامة " (ابن ماجه) .

فعاش هذا الرجل مسكيناً ، ومات مسكيناً ، ويُحشر يوم القيامة مع زمرة المساكين ، كما دعا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لنفسه .

كان حب الرسول صلى الله عليه وسلم سمته الغالبة ، فكان صورةً صادقةً للأسوة المحمدية ، وأثبت ذلك بعمله وسلوكه وخلقه ، وكتاباته ، كما تدل على ذلك بحوثه ومقالاته التي نشرت في مجلات عالمية مختلفة ، أو قدمت في المؤتمرات والندوات العلمية التي عقدت حول السيرة النبوية ، وكتبه التي ألفها حول السيرة النبوية العطرة ، ومنها كتاب " في ظلال السيرة النبوية " ، وكتاب " سراجاً منيراً سيرة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم " ، وهذا الكتاب الأخير قد نال قبولاً واسعاً في الأوساط العلمية والدينية في الهند وخارجها ، وقوبل بترحيب حار لأسلوب مؤلفه السهل العذب المقنع ، وإبرازه لجوانب إنسانية وخلقية من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعرضه الرسول الأعظم كمنقذ للإنسانية التائهة في متاهات الضلالة والغواية ، وكمعيد للإنسان الخائف المذعور المثخن بالجروح ، أمنه المفقود ، وتقديمه لنماذج رائعة من تعامله صلى الله عليه وسلم مع الأسرى ، وتوجيهاته – صلى الله عليه وسلم – لجنوده بشأن جثث القتلى ، وأوامره – صلى الله عليه وسلم – لقواته برعاية الأرامل والأيتام ، وعدم التعرُّض للشيوخ والنساء والأطفال ، وعدم إحراق الأشجار والزروع ، وعدم استهداف المدنيين الأبرياء العزل خلال اندلاع نيران الحرب ، فأحلَّه كثير من المثقفين الهندوس المحل الأرفع في قائمة الكتب التي تناولت شخصية الرسول الأعظم بالبحث والدراسة ، وأقبلوا عليه ، وأبدوا إعجابهم به ، واعترفوا بأن هذا الكتاب يزيل سوء التفاهم الذي يغشى المجتمع الهندوكي عن رسول المسلمين صلى الله عليه وسلم .

ففي هذا العصر الذي يشبه العصر الجاهلي في تدنِّي الإنسانية وتدلِّيها ، يحتاج كل منا إلى مثل هذا الكتاب الذي يقدم أعظم شخصية

علـى الإطـلاق ، وأرفـع قمـة مـن الأخـلاق ، بعـث رحمـة للعـالمين ، وسـراجاً منيراً للتائهين ، كالنموذج الوحيد الفريد للبشر في جميع جوانب الحياة ، وفي كـل مرحلـة مـن مراحـل العمـر ، وفي كـل حالـة مـن السـلم والحـرب والصلح ، يقول المؤلف رحمه الله :

" إن حيـاةِ رسـولِ الله صـلى الله عليـه وسـلم تحمـل صـورتين : صـورةً إنسـانيةً ، وصـورةً نبويـةً ، أمـا صـورته الإنسـانية فهـي صـورة فطـر الله عليهـا الإنسـان ، فيتيسـر بـذلك للإنسـان أن يجـد في حيـاة الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم أحـوالاً للفطـرة الإنسـانيةِ الـتيِ طبـع الله عليهـا الإنسـان ، وأمـا صـورته النبويـة فإنـه يجـد فيهـا هدايـةً دينيـةً وتهـذيباً وتحسـيناً للأحـوال الإنسـانية ؛ ليصبح الإنسان بتوجيهاتـه الطيبـة النبويـة متبعـاً لمـا يرضـى بـه الله تعـالى وهـو خالق الإنسان ومالكه وربُّه ، فـإن الإنسـان المؤمن يستفيد مـن سـيرة الرسـول توجيهـاً لمـا يجعـل حياتـه حيـاةً صـالحةً مهديـةً مـن ربـه تعـالى عـن طريـق رسـوله وخاتم أنبيائه صلى الله عليه وسلم " .

ويقـول : " وإن هـذه السـيرة النبويـة المباركـة تـشتمل علـى أحـوال مختلفة ، ومرَّ صاحبها بمراحل مختلفـة ، وظـروف مختلفـة ، ومنهـا مواجهـة الأعداء الذين كانوا أكبر بكثير من المسلمين في العدد ، والعـدة ، والعتـاد ، والقـوة الحربيـة ، وهـم الـذين بـدأوا الحـرب ، ولم يقـصروا في القـضاء علـى هـذه الجماعـة المؤمنـة الوليـدة القليلـة العـدد والعتـاد ، برجلـهم وخيلـهم ، وكانت الحروب من قبلهم مفروضةً على المسلمين ، وكانت الأخطـار تهـدد كيـانهم كـل وقـت ، فاضـطر المـسلمون إلى مـواجهتهم بـنفس القـوة ، واستخدموا ما وجدوه من سيوف وأسلحة أخرى لم يحصلوا عليها إلا قليلاً ، في مقاومـة الأعـداء ، ثـم اسـتغل المؤرخـون الحاقـدون المعانـدون الـذين لم يرضـوا بالإسـلام ، هـذه الحـروب والمواجهـات المسلحة الـتي قـام بهـا الـنبيُّ وأصحابُه للـدفاع عنهم ، أسـوأ اسـتغلال ، واتهمـوه بـالظلم وسـفك الـدماء ، مـع أنـه لم يكـن أيُّ إجـراء مـن إجراءاتـه الحربيـة لفـرض السـيطرة ، ونيـل الغلبـة والحكـم في الـبلاد ، بـل كانـت كلـها لنـشر الخـصال الحميـدة ، وتبليغ أحكـام رب العـالمين إلى النـاس الـضالين عـن الحـق ، فاضـطر إلى ردِّ كيد الأعداء ، أو قمـع الـشر ، أو منـع حمـلات الأعـداء علـى المسلمين ، أو

إذا أحس بخطر وقوع هجوم من جهة على المدينة أو المسلمين في مكان آخر ، وكلما انتصر في حرب أو غزوة عفا وصفح عن الأسرى من الأعداء ، وعاملهم معاملة الرحمة والشفقة حتى مع ألد أعدائه " .

وكان شيخنا محمد الرابع الحسني الندوي دائماً يفكر في المشاكل التي تعاني منها الأمة الإسلامية في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي ، وكيفية إنقاذها من هذه المشاكل والقضايا كما يتجلى مما كتبه في إحدى افتتاحياته للرائد ، فيقول :

" فعلى المسلمين أن يفهموا وضعهم في العالم فهماً صحيحاً ، ويعملوا وفقاً لروحه وأحواله ولا يتقوا بعد الله إلا بأنفسهم ، ولا يأملوا في الوصول إلى النصر بعد الله إلا بسعيهم ، فإن من أشد أسباب ضياع العز من المسلمين هو اعتمادهم على الطاقات الأجنبية التي لم تضمن لأبناء الإسلام أبداً إلا كل خداع وعداء .

إن اعتماد شعوب الإسلام على الدول الأجنبية الكافرة في حروبها وسلامها مهما كانت الشعوب الإسلامية ضعيفةً ومحتاجةً في وسائل قوتها ومعداتها ومهما كانت الشعوب الأجنبية قويةً في إمكانياتها و وسائلها ، ليس من المعقول إلا إذا كان على مستوى مبادلة متساوية بحيث تكون عند هذه الشعوب يد معطية أيضاً حتى يتعادل بينهما الأمر ، ويكون الأخذ إذن تبادلاً لا منحةً ورحمةً من القوى يسيئ إلى كرامة هذه الشعوب ، وقد يضطرها إلى أداء ضريبة هذا الإحسان في صور مخزية غير كريمة ، وإذا لم تستطع هذه الشعوب الإعطاء أو التبادل المتساوي فجدير بها أن تقتنع بما لديها من إمكانيات حتى يحتفظ بذلك بكرامتها وعزتها ، وإن في إمكانها إذن أن تنمى ثرواتها ووسائلها حتى تبلغ إلى مستوى مسئولياتها في الحياة الدولية ، أما الثروة المعنوية الإنسانية الكريمة فإنما تملك هذه الشعوب الإسلامية منها الشيئ الكثير ، وهي تستطيع أن تمنح غيرها شيئاً كثيراً من هذه الثروة العظيمة ، والعالم اليوم أفقر شيئ إلى هذه الثروة ، فليست شعوبنا الإسلامية قامت بحمل هذه الثروة الإنسانية العظيمة ومنح غيرها شيئاً منها ، وقد قام أسلافنا العظماء بهذا المنح والإعطاء أكثر من إعطاء أي شيئ آخر ، وفيه كان سر نجاحهم وعظمتهم التاريخية التي لا تزال تذكر وتشكر " .

علامة الأمة وأحد أعلام الأدب الإسلامي

بقلم : الدكتور الأمين قروي (الجزائر)

قال تعالى : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) صدق الله العظيم .

الحمد لله ربّ العالمين ، والصّلاة والسلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين ، وبعد فبانتقال سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي للرفيق الأعلى نعزي أنفسنا أولاً وأهل الشيخ وتلامذته وأهل العلم والدّعوة والعاملين في خدمة الإسلام وأمتنا الإسلاميّة جمعاء ، ونتضرع إلى الله تعالى أن يتقبّل الشيخ بقبول حسن ، وأن يرزقه الفردوس الأعلى برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصّالحين ، وأن يربط على قلوب أهله وأحبابه ، وأن يعوّض المسلمين وأهله بفقده خيراً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان من فضل الله تعالى علي أني التقيت مرتين بسماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي بدار ندوة العلماء لكنؤ الهند بفضل أخي الأستاذ الدكتور محمد فرمان الندوي ، حيث قمت بنقل رسالة وهدية شيخنا الطاهر بدوي الجزائري – شفاه الله – المتمثلة في : " هدي الباري لسماع صحيح البخاري " ، وهو تسجيل صوتي لشيخنا تلاوة كاملة لصحيح البخاري " ، وأيضاً " الشرح الداني لجوهرة الإمام اللقاني " وهو شرح مفصل لجوهرة الإمام اللقاني في ضوء الكتاب والسنة . وقد أعجب سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي بهدية شيخنا الطاهر بدوي الجزائري ، وأثنى عليه ودعا له وأجازه بأن يصبح من كتاب مجلة " البعث الإسلامي " . استأثرتْ بأستاذنا سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمةُ الله في المرة الثانية ، وكان منهمكاً في تتبع أحوال المسلمين لقد كان تعامله معي بمثابة الأب العطوف والأستاذ المعطاء والشيخ المربي ، كيف لا ، وهو وريث خاله أبي الحسن الندوي رحمه الله حلماً وعلماً ورفقاً وإحساناً ومقاماً ، وصدق فيهم كلام شيخنا الطاهر بدوي

الجزائري في كتابه " رسالة إلى لبيب " باب " القضاء والإمامة عدل " حيث قال : " . . . فإذا شاهد الناس فيك الإحسان فأنت حبيب الرحمن ، لأن الناس شهداء الله في الأرض ، ولا يتم لك ذلك إلا بصبرك على مخالفة نفسك وأذى الناس الذين إن مدحوك غروك ، وإن ذموك أفشلوك . وألزم صحبة الأخيار وحلق ذكر الله البر الرحيم ، وامح دوماً سيئاتك بالاستغفار لتكون من الذين يدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جزاء امتثالهم لأمر نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : " اتق الله حيث ما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " . وليصاحبك الرفق والحلم والفقه في الدين كلما نهيت عن منكر أو أمرت بمعروف ، ولا تكن من المتطعين المشددين على الأمة المحمدية . . . " انتهى كلام شيخنا .

أما بالنسبة للأدب فإن سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله من الأعلام المتفردين في الأدب الإسلامي حالاً ومقالاً ، ولعلي أبرز إبداعاته في مجال الأدب الإسلامي كما قال الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود : " . . . تأليفه لكتابين الأول بعنوان " الأدب الإسلامي وصلته بالحياة " ، مع نماذج من صدر الإسلام ، والثاني : " أضواء على الأدب الإسلامي " ، وفي الكتابين تتبلور رؤية سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي لفكرة الأدب الإسلامي ، انطلاقاً من استخدام السلف نصاعة التعبير في الموضوعات العلمية والتعليمية ، فضلاً عن الأدبية ، وموضحاً أنه من الظلم أن يزعم رجل أن معاني الأخلاق والدين إذا دخلت في كلام زالت عنه السمة الأدبية ، مع أن الأخلاق والدين وسيلة لتحسين الحياة الإنسانية وتهذيبها ، وتنال منهما الحياة الجمال والطهارة ، فضلاً عن كون الإسلام يجمع الدين مع الدنيا ، والدنيا مع الدين . لقد أصبح الفن أسيراً في أيدي النفعيين والمستغلين ، يسخرونه لأهوائهم وشهواتهم ، ويرفضون ما يأتي من أهل الصلاح والاستقامة ، وينفون عنه صفة الأدب حتى ظن بعض الناس أن الأدب لا صلة له بالدين والاستقامة ، فكانت الحاجة ماسةً إلى أن تقوم حركة لتحرير الأدب من هذا الأسر ، وإبراز صلته بالحياة مع موافقة السيرة الإسلامية والاهتداء بهدي القرآن ، وبيان

الرسـول عليـه الـصلاة والـسلام ، بحيـث يكـون الأدب جامعـاً بـين المتعـة والفضيلة ، وبين الجمال والخير ، وبـين التـأثير والتـزام الحـق . . . " . انتهـى كلام الشيخ .

لقد تتبـع سماحـة الـشيخ محمـد الرابـع الحـسني النـدوي رحمـه الله سيرة السلف من مؤسسي ندوة العلماء ، حيث أبعـد الـدار عـن الاختلافـات الـسياسية والمذهبيـة والعـصبيات المنطقيـة في دوائـر أعمالهـا ونـشاطاتها ، وإذا حدث شقاق في أي ناحية من نواحي البلاد – الهند – أو خارجها حـاول إزالتهـا ومحـو آثارهـا ، ولقـد نـأى بنفـسه مـن المـساهمة في سياسـة الـبلاد عمليـاً ، لأنهـا تقـوم علـى الاخـتلاف الـداخلي والطبيعـة الحزبيـة ، لكنـه بالمقابل كان رئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهنـد والمرجعية الإسلامية التي لا يختلف عليها اثنان ، لأن عمله هذا كان مبنياً على الإخلاص والنصيحة فلا ينبعث في نفس المخاطب ردة فعل ، كما أنه كان يخاطب الأمة الإسلامية كلها فلا ينظر إلى القضايا بنظرة ضيقة ، ولم يكـن منهجـه هـذا موافقـاً لأهـداف نـدوة العلمـاء فحـسب ، بـل كـان مقتبساً من السيرة النبوية الشريفة ذلك المنهج الـذي اختـاره طبعـاً مـن طـول اشتغاله بالدعوة والإصلاح والتعليم .

رحل الإمام المتفرد وعلامة الأمة وأحد أبرز أعـلام الأدب الإسـلامي في عصرنا ، بعد قرنٍ حافل بخدمة الدين الإسلامي ونـشر العلـم الـصحيح وجمع كلمة المسلمين ، ملبياً نداء الله جل في عـلاه ، وذلـك بعـد ٩٣ عامـاً أوقفهـا علـى نـشر العلـم والـدّعوة إلى الله تعـالى وتربيـة الأجيـال ، والعمـل الإسـلاميّ الـدّؤوب ، ونـصرة قـضايا الأمـة . رحمـه الله تعـالى وأسـكنه الفردوس الأعلى وغفر لنا وله . . . آمين .

المراجع :

١. https://ar.wikipedia.org/
٢. الشيخ الطاهر بدوي الجزائري www.cheikhbadaoui.org
٣. https://sunnionline.us
٤. جريدة الخبر الجزائري



جوانب مشرقة من حياته



قطرات من بحر العلم والمعرفة

بقلم : الأستاذ محمد إقبال الغجراتي الندوي *

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن حملَ لواء دعوته إلى يوم الدين وبعد .

فإن اليوم ٢١ رمضان المبارك ١٤٤٤هـ المصادف ١٣ أبريل ٢٠٢٣م كان يوم حزن وأسىً . . . يوم كارثة ونازلة . . . يوم حرمان وخسران للملة الإسلامية إذ فوجئت فيه بنبأ محزن غاية الحزن والأسى . . . فُجعت فيه بنعي قائدها العظيم ومربيها الجليل وعَلَم من أعلامها المرموقين ، ورائد من روّادها المعدودين وداعٍ عظيم من دُعاتها المخلصين . . . . ألا وهو شيخنا الفاضل ومربينا الكريم وقائدنا الفائق وأستاذنا العطوف الرحيم سماحة العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً ، وبرّد مضجعه وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . . . . آمين يا رب العالمين !

كان الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني رحمه الله من أولئك القادة العظام الذين غيّروا مجرى التاريخ . . . وطبّق صيتهم في أرجاء المعمورة . . . ولعبوا دوراً مهماً في الدعوة والإرشاد . . . وشرقوا وغربوا في دعوة الخلق إلى الله وإلى الدين المتين . . . وبذلوا كل ما لديهم من قدراتهم العلمية ومواهبهم الفنية وطاقاتهم المالية والجسدية في نصرة الإسلام والمسلمين وإصلاح المجتمع الإسلامي وتربية أبناء الملة على الفضيلة والأخلاق ، وتحليتهم بحلية العلم والمعرفة ، وإرشادهم إلى سبيل الرقي والازدهار في جميع مجالات الحياة .

قدْ فقدت الملة الإسلامية بوفاة الشيخ رحمه الله رجلاً عظيماً ، رجلاً عبقرياً عصامياً ، رجلاً نابهاً نابغاً ، رجلاً مصلحاً مربياً ، رجلاً قائداً رائداً ، رجلاً داعياً إلى الله ، مجاهداً في سبيله ، رجلاً كبير

* أستاذ دار العلوم فلاح الدارين بتركيسر ، سورت ، غجرات ، الهند .

النفس عالي الهمة ، رجلاً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، رجلاً عزيزاً في نفسه مكرّماً عند قومه ، رجلاً شهد بفضله كل من عرفه وخالطه . . . رجلاً كرّس حياته من أجل قضاء الأمة الإسلامية . . . رجلاً قدّر الله تعالى أن يقود الملة الإسلامية ، وقد قادها خير القيادة . . . رجلاً جعله الله سبحانه داعياً ربانياً فدعا الناس إلى الله . . . رجلاً رَزقه الله تعالى قدرةَ الكتابة والتعبير فألّف وأثرى المكتبة الإسلامية بكتب نافعة ومفيدة جداً ، ينتفع بها طلبة العلم والمعرفة وشُداة الأدب والثقافة . . . . . حقاً إنّ الأمة الإسلامية بصفة عامة والهندية بصفة خاصة قد فقدت عظيمها وكبيرها . . . . . فلم تهتز لوفاته أسرته الكريمة فحسب ؛ بل الكبار والصغار والطلاب والمعلمون والعلماء والدعاة والمشايخ والعامة من الناس وخاصتهم كل قد اهتز . . . . . واهتزت الملة الإسلامية الهندية على بكرة أبيها . . . . وصدق الشاعر :

وما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحدٍ ولكنه بنيانُ قومٍ تَهَدّما

رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً ، وجزاه عنا وعن جميع الملة الإسلامية خير الجزاء . . . آمين يا رب العالمين .

ولادته ونشأته :

وُلد العلامة رحمه الله تعالى في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٨هـ المصادف ٢٩ أكتوبر ١٩٢٩م في قريته " تكية راي بريلي " ، وقد وُلد في بيت عز وشرف ومجد وكرامة . . . في سلالة عريقة نجيبة . . . فأبواه من أسمى وأشرف عشيرة على وجه الأرض ، كانا ينتميان إلى آل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم . . . وتُدعى أفراد أسرته الكريمة بـ " الحسنيّين " انتماءً إلى ريحانة النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما . . . وكان كبار هذه الأسرة من أولئك القادة البارزين الذين تصدّروا المواكب . . . وسجّلوا أسماءهم في تاريخ الكفاح والنضال ضد أعداء الدين والوطن . . . وتركوا مآثرهم وأمجادهم في حقل الدعوة والإرشاد . . . ولعبوا دوراً كبيراً في توعية المجتمع الإسلامي وتربية الأجيال المسلمة .

نشأ في جوّ علمي روحي دعوي وتربوي . . . وترعرع في بيئة طيبة مباركة يترعرع فيها الأطفال والعباقرة . . . وتربّى على الفضيلة في كنف

أصحاب العزائم والهمم ، وقضى ريعان شبابه وباكورة عمره تحت رعاية ذوي العلم والمعرفة والدعوة والإرشاد . . . فنهل ما نهل منذ نعومة أظفاره . . . وورث ما ورث عن آبائه وأجداده من نبيل خصائلهم وجليل شمائلهم التي ميّز شخصيته بين أقرانه ومعاصريه . . . وبفضل التربية العائلية السامية والبيئة المنزلية الربانية ، أصبح شيخنا السيد محمد الرابع الحسني رحمه الله تعالى قائداً عظيماً ومربياً جليلاً وصاحب فكر ، وهم تجاه الملة الإسلامية وحامل لواء القيادة والريادة والهداية والإرشاد لجميع المسلمين – على اختلاف انتماءاتهم ومسالكهم ومذاهبهم – في شؤون حياتهم .

صور من حياته العلمية والدعوية :

وكان العلامة السيد رحمه الله تعالى منارةً شامخةً للعلم والمعرفة والهداية والرشاد . . . ومعهداً تربوياً يتربى فيه الكبير والصغير . . . وجامعةً علميةً شاملةً تترعرع فيها الأجيال . . . ورمزاً مرجعياً يرجع إليه العلماء والدعاة والطلاب والمعلمون ورجال الفكر والدعوة لينهلوا من علمه وفضله وإرشاده وتربيته . . . . وقد قضى أيامه ولياليه في تدريس العلوم الإسلامية والفنون الأدبية ، كما عاش حياته في مجال الدعوة إلى الله وتربية الملة الإسلامية . . . وقد ألّف مؤلفات علميةً وأدبيةً وتاريخيةً وثقافيةً وتربويةً ودعويةً كما كتب مئات من المقالات والكتابات حول عناوين شتى . . . كلما احتاجت الأمة الإسلامية إليها وأُشكل على فهمها شيئ كتب فيه العلامة السيد لتوجيهها وإرشادها وقادها بقلمه كما كان يقودها ويرشدها بلسانه . . . وأثرى المكتبة الإسلامية بكتبه القيمة الرائعة . . . وقد ترك وراءه مآثر وأمجاداً في مجال العلم والتحقيق وآثاراً طيبةً يقتدى بها في حقل الدعوة والإرشاد التعليم والتربية .

من مؤلفاته الشهيرة التي طُبعت مرات وكرات ، ونال قبولاً كبيراً لدى الأوساط العلمية والأدبية وقل مثيلها في فنها ، وترجمت بعضها إلى عدة لغات العالم ، وتم تعيينها في المقرر الدراسي في الجامعات والكليات والمدارس الإسلامية :

- الهداية القرآنية ، سفينة نجاة للإنسانية (بالعربية والأردية والهندية)
- تأملات في سورة الكهف (بالعربية والأردية)
- في ظلال السيرة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية وسلام (بالعربية

والأردية)

- سراجاً منيراً (سيرة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم) (بالعربية والأردية والإنجليزية والهندية)
- جزيرة العرب (بالعربية والأردية)
- أضواء على الأدب الإسلامي (بالعربية والأردية)
- الأدب الإسلامي وصلته بالحياة (بالعربية)
- تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) (بالعربية)
- الأدب العربي بين عرض ونقد (بالعربية)
- منثورات من أدب العرب (بالعربية)
- أدب الأطفال وأهميته وحاجته (بالعربية والأردية)
- الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله : شخصية صنعت التاريخ (بالعربية والأردية)
- ملامح بارزة في شخصية الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى
- أضواء على الفقه الإسلامي (بالعربية والأردية)
- حركة الإصلاح والدعوة وآثارها في شبه القارة الهندية والجزيرة العربية

وله سوى هذه المؤلفات كتب علمية وثقافية وفكرية وتاريخية ودعوية وتربوية بالعربية والأردية والإنجليزية والهندية ، كما أن له بحوثاً وكتابات ومقالات منشورة في المجلات العلمية والأدبية والصحف المحلية والدولية في مختلف اللغات العربية والأجنبية .

وقد قام بإصدار مجلة عربية حيّة ، علمية أدبية وتربوية عام ١٩٥٩ من الميلاد ، وسماها باسم " الرائد " لكونها رائدةً بمعنى الكلمة وصالحة للريادة والسيادة والقيادة للملة الإسلامية وأبنائها . . . فقام بخدمة علمية ودعوية عظيمة عن طريق هذه المجلة الغراء . . . وأرشد بها المسلمين من العرب والعجم . . . وربّى الأجيال . . . وأسدى المواعظ والنصائح إلى طلاب المدارس والجامعات الإسلامية في ضوء كتاباته العلمية والإصلاحية والفكرية والثقافية . . . . فكان رحمه الله تعالى لم يزل يكتب في هذه المجلة منذ تأسيسها حتى وافاه الأجل ، وانتقل إلى رحمة

الله الواسعة .

ها أنا تلقيت العدد الجديد لهذه المجلة وهو العدد الأخير في حياة مؤسسها فظننت – قبل أن أفضها وأتصفح صفحاتها – أن الشيخ لعله لم يكتب في هذا العدد ؛ فإني رأيته قبل وفاته بأيام فوجدته ضعيفاً غاية الضعف في البدن يواجه الأمراض والأسقام . . . ولكن لما فتحت المجلة فإذا غلاف المجلة يتجلى بكلماته التوجيهية والإرشادية حول الشهر المقبل رمضان المبارك . . . أرشدنا بهذه الكلمات الغالية أننا كيف نقضي هذا الشهر العظيم . . . كيف نثمن لمحاته العطرة . . . كيف نتمتع ببركات أيامه ورحمات لياليه المباركة . . . وكيف نحظى برضوان الله تعالى وغفرانه . . . ؟ يا سبحان الله . . . ! حقاً إنه كان من قلائل القواد والزعماء الذين همهم الوحيد إصلاح الأمة وتوعية المجتمع إلى أن قضوا نحبهم .

وقد كتب في كثير من المجلات والصحف والجرائد ، غير أنه ركز عناياته الكريمة وكرّس قدراته الكتابية ومواهبه الفنية لثلاث مجلات بصحة خاصة ، وهي صحيفة " الرائد" ومجلة " البعث الإسلامي " و " تعمير حيات " (بناء الشخصية بالأردية) فجعلها محطة لفكره وحياته الكتابية ، وبها أعلن كلمة الحق وصدع بما أمر الله سبحانه وتعالى وبلّغ الرسالة القرآنية والنبوية ونصح بها الأمة الإسلامية وأظهر كلمة الإسلام على كل مَن حاد عن جادة الصواب ومال إلى الباطل مِن الملوك والسلاطين والزعماء والقواد . . . ولم يبال في ذلك بأي كان ، ولم يخف لومة لائم . . . كتب وكتب وأدى حق الكتابة بإذن الله سبحانه وتوفيقه .

فكل مَن له إلمام بشخصيته يعرف أن السيد العلامة ومن معه من زملائه الغيارى كانوا قد صمدوا كالجبال الراسيات ضد الفتنة القومية التي أشعل نارَها القوميون العرب ، وسعوا واجتهدوا أن يظهروا في الأرض فساداً ويفرّقوا بين المسلمين المخلصين ويمزّقوا جمعهم ويشتتوا شملهم . . . وحاولوا تخريبَ العقائد الإسلامية في قلوب سُذّج من المسلمين وإحياءَ الحضارة الفرعونية والتقليدَ الأعمى للغرب يداً بيد وذراعاً بذراع ، وقام بترويج الثقافة الغربية الحرة والأهواء النفسية . . . . . والتاريخ يشهد أن كباراً من الكتّاب العرب الخلّص حينئذ كانوا صماً بكماً عميا ، لم يجرؤ أحد منهم على كلمة الحق أمام السلطان الجائر . . . . ولكن هؤلاء

الغيـارى لم يهـدأ لهـم بـال ، ولم يقـر لهـم القـرار . . . ولم يهِنـوا ولم يكفكفوا أقلامهم القوية ؛ بل عملوا بها عمل السيوف المهنّدة وجاهدوا وضربوا بها ضربة عنيفة على تيار فكرة القومية العربية وهاجموها في عُقر دارها بإرسال الرسائل الإيمانية ضد قوّادها والمقالات المؤثرة القوية الموجَّهة إلى كل من يحمل تلك الفكرة . . . كما قاموا بإرشاد المسلمين العرب المخلصين وتوجيههم ، ودعوهم إلى التمسك بالقرآن والسنة والتآخي بين المسلمين والمودة والرحمة فيما بينهم . . . وحذروهم من الوقوع في هذه الفتنة العمياء والجهالة الجهلاء . . . حتى تحيّر العباقرة من العرب والعجم واغتاظت الحكومات العربية ، وقامت بالحظر على هاتين المجلتين " الرائد والبعث الإسلامي " وطُلِب هؤلاء الإخوة الأوفياء الغيارى من قِبَل الحكومة الهندية وقيل لهم أن لا يكتبوا ضد الناصريين ؛ ولكن هؤلاء العظماء أصحاب العزائم والهمم لم يزالوا يكتبون حتى بلّغوا رسالتهم الدعوية والإصلاحية . . . . وقد حفظ التاريخ مدى تأثير هذه المقالات القوية الصريحة المليئة بالغيرة الإيمانية والحماسة الإسلامية والشجاعة النادرة التي قلما يوجد لها في التاريخ مثيل . . . . !

فكان رحمه الله تعالى خير قدوة لنا في مجال العلم والتربية ، والدعوة والإرشاد ؛ كان همه الوحيد نشر العلم والمعرفة ، وتربية أبناء الإسلام ، وتغذيتهم على مكارم الأخلاق والقيم الإنسانية ، وتحليتهم بالخلق العظيم النبيل ، وبناء شخصياتهم ، وإعدادهم لخدمة الإسلام ونشرِ العلم والدعوة . . . . كما كان شغله شاغل الدعوة إلى الله وإلى الدين المتين ، ونصرة الإسلام والمسلمين ، وإرشاد العامة المسلمين في كل مجال من مجالات الحياة ، وهديهم إلى الصراط المستقيم ، وتوجيههم وإصلاحهم ودعاءِ البشرية إلى الشريعة الإسلامية السمحة بحكمة بالغة وموعظة حسنة كما أمر الله تعالى في محكم تنزيله : (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) .

مَنْ تَواضَع للّهَ رفَعه اللّه :

ومن أكبر ميزاته وأنبل شمائله رحمه الله تعالى أنه كان جمّ التواضع . . . متواضع الأبعد الحدود . . . متباعداً غاية البعد عن الكبر والخيلاء . . . لا يعتريه كِبرٌ ولا بَطَرٌ . . . لا يكاد يُعْرَف له مثيلٌ بين أقرانه

في هذه الخصلة . . . يتواضع للكبير والصَّغير والعالم والعامّي والقريب والغريب . . . يستمع إلى كل صغيرٍ وكبير . . . يراعي مشاعر الصغار وتلامذته ويخفض جناحه لهم ؛ فضلاً عن الكبار والمعاصرين والأقران . . . يقبل على الجميع ببشاشة وجه ، ولين عَريكة . . . يكرم كل من يحضره . . . يُدني البعيد ويؤنس الغريب . . . لا يشعر مَن لقيه أنه من سلالة نجيبة .

كان يحظى بنسب رفيع ، وأسرة علمية ودعوية . . . ينحدر من سلالة نجيبة في العلم والمعرفة والدعوة والإصلاح . . . ورث من آبائه العظمة والسمو والمكانة المرتفعة . . . وكان من أبناء الأعلام والعظماء كما كان هو أيضاً من النبغاء والعلماء . . . وبالإضافة إلى ذلك أنه كان يحتلّ مكانة مرموقة ، ومنزلة رفيعة ، ورتبة عالية ، وتفوقاً ونجاحاً في كل مجال خاضه ، وكان قائداً ناجحاً ورائداً عظيماً للملة الإسلامية . . . ومربياً جليلاً ومعلماً مكرما لملايين من طلبة العلم والمعرفة . . . وداعياً موفقاً قد تجوّل للدعوة والإرشاد في مشارق الأرض ومغاربها . . . ورئيساً مطاعاً للمؤسسات الإسلامية المحلية والعالمية . . . والمعاهد التعليمية والدينية والمراكز الدعوية والإصلاحية .

مع ذلك كله كان الشيخ العلامة السيد رحمه الله تعالى على قمّةٍ في التواضع وخفض الجناح . . . . آية في الخُلُق الكريم والخصال النبيلة . . . وكان على علوِّ قَدره ورفعَة منزلتِه لا يرى لنفسه فضلاً ، ولا يرغب في المديح ، ولا يتعاظم على أحد . . . . حتى إنَّه كلما يلقاه أحد ، أحبّه وحرص هو على السعادة بمجالسته ، والاستماع إليه . . . فسبحان من جعله على قمّة التواضع وحلاه بأبرز الخصال التي لا نجد لها في الزمن الراهن عيناً ولا أثراً .

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة ... فإن رفيع القوم منه يتواضع
إذا شئت أن تزداد قدرًا ورفعة ... فلن وتواضع واترك الكبر والعجبا

اهتمامه بالصغار والتلاميذ وتشجيعهم :

ومن خصائصه المميزة أيضاً أنه رحمه الله تعالى كان يهتم بالصغار والتلاميذ ، يشجّع الناشئين وينشّط العاملين ، ويقدّمهم ويهيّأ لهم مجالات متنوعة علمية وأدبية ميادين مختلفة دعوية وتربوية للعمل والتقدم فيها . . . يَهديهم خطوة بخطوة . . . يشيد بجهودهم . . . يُكرمهم على

محاولاتهم المبذولة لتحقيق أهدافهم العلمية . . . ويحفّزهم بأسمى كلمات تشجيعية . . . ويظهر غاية الفرحة والسرور بتقدمهم ورقيهم ويشجع على أعمالهم العلمية والدعوية والتصنيفية والتأليفية ، ويبارك إنجازاتهم ويدعو لهم بالبركة والمزيد من التفوق والنجاح . . . وكان مع كبر سنه وضعف جسمه وقواه يقدّم لكتبهم ، ويكتب كلمة تقديم لمؤلفاتهم تشجيعاً لهم على مساعيهم ، ويثني عليهم بكلمات تقريظية غالية تزيد الكتب والمؤلفات رفعة ومنزلة .

كلما سعدتُ بلقاء الشيخ رحمه الله تعالى وقدّمت بين يديه جهودي المتواضعة شجَّعني كثيراً ودعا لي بالتوفيق والسداد . . . وكنت قبل وفاته بأيام تشرفت بلقائه وقدّمت تأليفي الجديد " مجموعة أدبية عربية ، تشتمل على أعمال ثقافية متنوعة " ففرح بذلك أشد الفرح وأظهر إعجابه به وأبدى البهجة والسرور وشجعني كثيراً كعادته الكريمة . . . وقال لي : " من سعادة حظك هيّأ الله لك جامعة إسلامية أساسية مركزية في ولاية غجرات وتقبّلك للخدمة بها . . . وهذه المجموعة إنما هي جهود طيبة ، ستكون منارة علم وأدب لمن يشغف بتعليم وتعلّم اللغة العربية وآدابها في مجال مجال التدريب على الكتابة والتعبير بها " .

والجدير بالذكر أن كاتب هذه السطور يدرّس ويشرح مقالات وكتابات للشيخ رحمه الله تعالى ولتلاميذه الكتّاب البارعين ، صادرة في جريدة " الرائد والبعث الإسلامي " ؛ حيث يختار مقالة رائعة . . . . ويوزّع كل مساء الخميس نسخاً عديدة بين الطلاب ويقوم بإقرائها وشرحها كل ليلة الجمعة تحت عنوان " درس الصحافة " ، وهذه السلسلة تجري – بعون الله وتوفيقه – منذ ربع قرن ! والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . . . فكلما ذكرت ذلك للشيخ رحمه الله تعالى شجّعني كثيراً ودعا لي بالبركة والخير وزوّدني بنصائحه الغالية وأدعيته الطيبة المستجابة . . . فكان رحمه الله تعالى أشد خلق الله تشجيعاً لصغاره وتلاميذه وتحفيزاً وتنشيطاً لهم . . . يحاول أن يرفع الجميع إلى المكانة المرموقة ويوصلهم إلى الرتبة الرفيعة وإلى درجة التفوّق وأعلى الرتب في جميع المجالات العلمية والدعوية ، والأدبية والفنية ، والتعليمية والتربوية ، والفكرية والثقافية . . . . . فكان قائداً عظيماً يعرف كيف يأخذ بيد قومه ويجعله متقدماً . . . ومربياً ناصحاً شفيقاً أميناً يستحق العيش تحت رعايته . . . وأباً عطوفاً

يتربى في كنفه الأبناء ويبلغون مبلغ الرجال . . . وكأمّ حنون تترقى في حضنها الأولاد وتزدهر . . . فيا له من الحرمان بوفاته رحمه الله . . . !
صدق من قال :

ذَهَبَ الذينَ يُعَاشُ فيْ أكْنَافِهِمْ وَبَقِيتُ فـي خَلَفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ

في الختام :

وهذه بعض قطرات من بحر العلم والمعرفة . . . . بعض جوانب الحياة للأستاذ العبقري . . . وصورٌ مشرقة من حياته العلمية والدعوية النادرة . . . وقد وصفتها – بعون من الله وتوفيقه – ولا أدري كيف أصف حياته حق الوصف . . . كيف أصف من كانت حياته عامرة بالأعمال الجليلة والخصائص الحميدة . . . . وكيف أصف من كان ممتازاً من بين أقرانه ومعاصريه بجليل خصائله ونبيل شمائله وعظيم خدماته . . . . ممتازاً بنبوغه وعبقريته ، ممتازاً بعبادته وسلوكه ، ممتازاً بقيادته وريادته ، ممتازاً بعلو همته وقوة عزمه وحزمه ، ممتازاً بعلمه الغزير وعمله العظيم ، ممتازاً بفكره الصائب ورأيه الحصيف ، ممتازاً بمواقفه الرائعة واتجاهاته النيّرة ، ممتازاً بمنهجه التعليمي وأسلوبه التربوي ، ممتازاً بصلابته في المعتقدات الدينية والتمسك بالكتاب والسنة النبوية ، ممتازاً بشخصيته المؤثرة الجذابة ومهاراته القيادية النادرة ، ممتازاً بمؤلفاته العلمية والأدبية وكتاباته الفكرية والتربوية وقدراته الفنية والكتابية . . . . وفي الحقيقة أن معلمنا العظيم ومربينا الجليل الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني رحمه الله تعالى كان شخصية عبقرية نادرة قلما يجُود الزمان بمثلها . . . ولله در القائل :

هَيهَاتَ لا يَأتي الزَّمانُ بمثلِهِ إن الزَّمَانَ بمثله لَبَخِيلُ

بارك الله تعالى في أعمال شيخنا ومولانا السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، رحمه الله تعالى ، ورضي عنه ، وجعل في أعلى الفردوس مثواه ، وعدّ ما تركه من مآثر ومحامد في قائمة الصدقة الجارية له ، وأثابه عليها ، وأدام فيوضه وبركاته إلى يوم الدين . آمين يا رب العالمين .

وصلّى الله تعالى وسلّم على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

عالم رباني فقدته الأمة

د . محمد مصطفى عبد القدوس الندوي*

هو العالم الشريف الرباني الكبير ، المربي الحكيم البارع ، الأديب الأريب الألمعي النحرير ، الأستاذ العطوف الشفوق ، المعلم المجرّب الناجح ، المحاضر العبقري العصامي ، المفكر الديني الواقعي ، المؤرخ الناقد الواعي ، التذكار الحي للسلف الصالح ، رائد من رواد البعث الإسلامي المعاصرين ، داعية إسلامي ، قائد ديني ، علم من أعلام الفكر الإسلامي البارزين ، خبير بأحوال الأمم والشعوب ، كاتب إسلامي قدير ، راسخ متقن في الأدب العربي قديماً وحديثاً ، صاحب اطلاع تام في الفنون الأدبية ، ناقد مؤرخ في الأدب العربي ، متفضل بخدماته العلمية المتنوعة الجليلة المخلصة ، ذو التصانيف الأنيقة الكثيرة ، المؤسس ورئيس تحرير صحيفة الرائد الأول ، صاحب الآثار الأدبية الغزيرة ، أحد كبار علماء الهند المرموقين الربانيين ، رئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، نائب الرئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، الرياض – المملكة السعودية العربية ، العضو الرئيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، إداري خبير ، مدير عام لدار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ – الهند ، ابن أخت سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله وخليفته ، سماحة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الندوي الحسني ، الذي وُلد في ٦ من جمادى الأولى عام ١٣٤٨هـ المصادف٢/ أكتوبر عام ١٩٢٩م في دائرة الشيخ علم الله الحسني تكية كلان ببلدة رائى بريلي في ولاية أترابراديش بشمال الهند ، وأتاه الأجل المسمّى المحتوم في تاريخ ٢١/ رمضان سنة ١٤٤٤هـ المصادف ١٣/ أبريل ٢٠٢٣م يوم الخميس ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

ومن سعادة حظي أني درست على فضيلة الشيخ أربعة كتب خلال

* عميد كلية البحث والتحقيق ، جامعة العلوم غرها – غجرات (الهند) .

دراستي في دار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ من ١٩٨٥م إلى ١٩٩٢م ، وهي : جغرافية جزيرة العرب ، والأدب العربي بين عرض ونقد ، وتهذيب سيرة ابن هشام ، والمعلقات السبع . وفي تلك الفترة قد نهلت من معينٍ علمه الفياض ، ورأيته من قريب ، واكتسبت من حياته المشرقة كثيراً ، ولا شك أنه كان يجمع في شخصيته صفات متنوعةً ومزايا مختلفةً ، وإني أريد أن أسجل منها ما يحمل دروساً ورسالات للطلاب والعلماء والقادة وعامة المسلمين أيضاً ، وهو على ما يأتي :

(١) وكان على جانب عظيم من حسن الخلق النبيل ، والعفة والعفاف ، وعف اللسان ، والورع ، والخشونة ، والأمانة ، وتصفية الأعمال ، وصدق النية ، وغير ذلك من الصفات الحميدة ، وكان على حظ وافر من الصلاح والتقوى ، وأعمال البر والخير ، والمحافظة على تلاوة القرآن الكريم والأذكار والأوراد اليومية ، وكان على نصيب كبير من التواضع والأدب الرفيع ، والفراسة الإيمانية ، والحماسة الدينية الإسلامية ، والفكر النير المشرق ، والصوت الرخيم العذب ، وكان بعيداً من الاغتياب والكذب والحسد والحقد والتعييب والبحث عن الخلل في شخص .

وهذه الصفات الحميدة والخصال الطيبة العالية التي إذا تحلّى الإنسان بها فارتفعت منزلته في نظر الله ورسوله والمؤمنين والمؤمنات ، منهاٍ الوصف العظيم الخاص : " التواضع " الذي دخل في طبيعته وأصبح عادة له ، الذي يرفع منزلة الإنسان ، وينوّه شأنه ويفوّقه على أقران زمانه ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما تواضع أحد إلا رفعه الله " (أخرجه مسلم في البر والصلة ، باب استحباب العفو والتواضع ، برقم : ٢٥٨٨) . هذا هو السر والوجه كما رأت أعين الناس في صلاة الجنازة عدداً مدهشاً من الناس الذين جاؤا من مختلف البلدان من داخل الهند . هذا دليل واضح على تلقيه القبول والإعجاب المدهش على وجه الأرض ، ويقال : إن فضيلة الأستاذ كان يعدّ في خمس مأة شخص عظيم أصحاب منزلة رفيعة للغاية في العالم كله ؛ فينبغي لنا أن نزيّن أنفسنا بتلك الخلات النبيلة الحسنة ، وننوّر حياتنا ونجمّلها ، فليس بمستبعد أن ننال أيضاً تلك العزة والقبول لدى الخالق وخلقه ، (وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ) [إبراهيم : ٢٠] .

(٢) وكان زاهداً في الدنيا وراضياً بالكفاف من القوت ومتجنّباً من الفضول ؛ فكان لا يأخذ من الرواتب المادية شيئاً ، غير أنه وقف حياته كلها لندوة العلماء وأعمالها ، ولا يقبل الهدايا إلا بعد الإصرار ، ثم لا يمسكها عنده مدة ؛ لكي ينفقها على نفسه ، بل سرعان ما يقسمها على المتوسلين أو يدفعها إلى ندوة العلماء . وكان مثالاً واقعياً للسلف الصالح .

وهذه الحقيقة التي لا تنكر أن الاستغناء لا بدّ أن يكون في العلماء ويتحلّوا به كما كان ذلك شعاراً للسلف الصالح دائماً ، فليعلم الأصدقاء وليحفظوا أن الاستغناء من العباد خصلة محمودة محبوبة ، والاستغناء من الله تعالى تكبر مذموم ، والتكبر يوصل صاحبه إلى الخسران ويُلقيه في الهلكة في الآخر .

(٣) وكان رجلاً كريم النفس ، صافي الطبع ، حلو الشمائل ، عذب اللسان ، معتدل المزاج ، رحب الصدر ، كل من زاره أو لقيه أو سمع كلامه تأثر به ، وإذا تحدث أحداً تحدث مبتسماً ، وكان يصل الرحم ويحترز عن كل ما يخارق العدالة ويضادّ المروءة .

وهذه الصفات الحسنة التي يُفتح بها قلوب الناس ويتيسر بها النفوذ في نفوسهم ، كما ترون فضيلة الأستاذ قد اكتسب حب الناس وجلبه إلى نفسه وتبوأ مكانة مرموقة في قلوبهم ببركة تلك الصفات الجميلة التي كان متحلّياً بها ، يدل على ذلك حضور الناس في صلاة الجنازة دلالة واضحة ؛ فينبغي لنا أن نأخذها ويصبغ حياتنا بصبغتها كي يصيبنا الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة جميعاً .

(٤) وكان الناس يأتون إليه للاستشارة في الأمور المهمة والاتعاظ منه ، فكان يستمع إليه بالعناية ثم يشير عليه وينصحه بالإخلاص والأمانة ، كأنه يعمل بهذين الحديثين الشريفين : " المستشار مؤتمن " (أخرجه الترمذي برقم : ٢٥٢٦ ، وأبو داود برقم : ٥١٢٨ ، وابن ماجه برقم : ٣٧٤٥) ، و " خير الناس أنفعهم للناس " (المعجم الوسيط للطبراني برقم : ٦٠٢٦) .

ولنا في ذلك درس ورسالة أن نُكوّن أنفسنا أنفع للناس ما أمكن ونسعى في قضاء حاجاتهم وكشف كربهم وتفريج همهم ودفع حرجهم عنهم ما في وسعنا ، وإن لم يمكن لنا أن ننفع الناس بوجه ، فلا نؤذيهم على الأقل ، وإن لم يمكن لنا أن نُدخِل الفرح والبهجة في نفوسهم ، فلا

نلحقهم بالهم والحزن ، وإن لم يمكن لنا أن نعينهم على البر والتقوى والأمور المباحة ونشجعهم ونحثّهم عليه فلا نكسر علو همتهم ولا نذيب عزمهم الأكيد .

ولا شك أنه كان قائداً دينياً ومرشد الأمة الإسلامية الهندية ؛ فقد رأس الجامعة الإسلامية الكبيرة الموقرة ندوة العلماء بلكناؤ ، وقاد هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند في وقت واحد ، ونجح في قيادته وإدارته بلا شك من جهات شتى ، وأشرف على هيئة التعليم الديني لولايةٍ أترابراديش بالهند ، وفي تلك المؤسسات كانت مشوراته قيّمة سديدة ناجحة ، وتنال عناية الأعضاء ، وتعتبر أقضيته مبرمة ، وكانت ميزته أنه لا يحكم ولا يستعجل بالمشورة والحكم ولا يفزع بالأوضاع السيئة مهما كانت خطيرةً أو مشكلةً معقدةً ، ولا تزلّ قدمه فيها ولا تزلزل همته ، بل كان يواجهها بالقوة متوكلاً على الله عز وجل ، وتكون قوته وصلابته مثل الجبل تجاهه ، وعلو همته مثل السماء قدامه ، وكان يقدم حلولاً إيجابيةً دون سلبيةٍ دائماً .

وترك فضيلة الأستاذ لنا خاصةً للرعاة والمسؤولين قدوةً في المشكلات والمعضلات لمواجهتها بالهمة مع ثبات القدم ، وطلب حلول ناجحة إيجابية بالتفكر والتأمل . وعدم الاستعجال بالقضاء المبرم والمشورة السديدة الناجحة .

وكان من علماء الهند الربانيين البارزين الذين طوروا اللغة العربية وآدابها وعلومها ، وقاموا بجهود جبارة مضنية مكثفة في تعزيزها وتوسيعها في شبة القارة الهندية ، وكان من الكتاب الممتازين الذين لهم مشاركات قيّمة ومشهودة في العصر الحديث ، ولهم إسهامات كبيرة فعّالة في الأدب العربي بمؤلفاتهم القيّمة وكتاباتهم الأدبية المهمة بأسلوب رائع خلّاب متين رشيق .

وكان من أبناء ندوة العلماء البارزين ، الذين لهم جهود مشكورة طيبة في تطوير اللغة العربية الفصحى من مختلف جهات ، ولهم جولة وصولة وخدمات جليلة في هذا الميدان ، وميزتهم أنهم استخدموها كآلة للدعوة الإسلامية والإرشاد الجميل ، والموعظة الحسنة ، وإيقاظ الشعور الديني والحماسة الإيمانية في المسلمين .

وأما فضيلة الأستاذ فكانت له القدرة الكاملة على اللغتين

العربية والأردوية على السواء ، وكان متقناً مجيداً فيهما نطقاً وكتابةً ؛ لذا توجد كتاباتهم ومقالاتهم فيهما ، كان يكتب بأسلوب سهل سلسال هادئ رزين خال عن التعقيد ، وأسلوب دعوي تربوي توجيهي . وفي ألفاظه وتراكيبه وجمله متانة وجمال وصفاء وارتفاع معناها ، وكان يغلب فيها الجدية دون العاطفية والحماسية .

ومن ميزاته جمال التعبير واستيعاب المعاني الغزيرة في المباني الموجزة ، وله ذوق لطيف في الفروق بين الكلمات المفردة . قال فضيلة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي –حفظه الله ورعاه – : " وكان أسلوب أستاذنا أسلوباً جميلاً رائعاً ، حينما يشرح الكلمات والمفردات فيخوض في فقهها وباطنها " .

وأما الإنجازات العلمية فقد ترك وراءه ثروةً أدبيةً قيمةً ضخمةً ، وأعماله العلمية الكثيرة وخدماته الجليلة في شتى الميادين ، فمازالت تفتخر المكتبة الإسلامية وتعتز بها على الدوام ، وقد تجاوز عدد مصنفاته حول مواضيع متنوعة من علمية فكرية توجيهية وأدبية وتربوية ، ومن أشهرها في الأدب العربي وغيره ما يأتي :

١. تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) .
٢. الأدب العربي بين عرض ونقد .
٣. منثورات من أدب العرب .
٤. الأدب الإسلامي وصلته بالحياة .
٥. معلم الإنشاء (الجزء الثالث) .
٦. مختار الشعر العربي (الجزءان) .
٧. في ظلال السيرة .
٨. جغرافية جزيرة العرب .
٩. الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية .

وما عدا ذلك كثير من المقالات التربوية والتوجيهية والفكرية والأدبية ، التي نشرت في مجلة : " البعث الإسلامي " و " الرائد " وغيرهما من المجلات والصحف والجرائد ، لو جمعت لأصبحت كتباً عديدةً قيّمةً .

هذه الكتب والمقالات الكثيرة لسماحة الشيخ تفيدنا أنه لا بدّ أن تكون لكل عالم علاقة وثيقة بالعلم مهما كان شغله حتى لو كان تاجراً ، أو إماماً ، أو إدارياً ، أو أميناً عاماً أو مديراً للمؤسسة .

الربانيّة تخلق الرجال

د . جمال الدين الفاروقي *

كان ذلك في أول شهر سبتمبر الماضي عام ٢٠٢٢م ، حيث سنحتْ لي الفرصة لزيارة العلامة محمد الرابع الندوي في مقرّ ندوة العلماء بلكنؤ ، برُفقة أساتذة من كيرلا : د . مصطفى الفاروقي والدكتور عز الدين الندوي والدكتور محمد يوسف الندوي . ورغم الوهن والفتور الجسمي الذي عاوده إلا أننا رأيناه في غاية النشاط ، وكانت اللحظات التي قضيتها جوار الشيخ سعيدة جداً غمرها البهاء الرباني الذي يشعّه شخصيته . ولم يكن بحسباني أن ذلك آخر لقائي معه ، والأمر كله بيد اللّه . وقد لبّى نداء ربه في أيام رمضان العابق بالخير والبركات ، ونأمل من اللّه أن يرفع درجاته في عداد النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

وقد اهتزت قلوبنا حين استمعنا إلى كلامه ، وفيه تواضع العلم ووقارة العالم وحصافة الخبرة والفطنة ، مما يجعلنا نستنتج : أن الشجاعة والحماسة والصرامة لم تكن هي التي تصنع الرجال ، بل الربانية هي الوحيدة التي تخلق الرجال ، تلك السمة العالية التي تنطلق منها عناصر الشخصية المثلى .

نعم ، العلامة محمد الرابع الندوي من أولئك الرجال الأفذاذ الذين صنعوا التاريخ ، وقدّموا للأمة المسلمة خير نموذج للإصلاح والاسترشاد ، وكانت تلك اللحظات معه تذكّرنا قوله صلى اللّه عليه وسلم : " خياركم مَن إذا رُأوا ذُكِر اللّهُ " (ابن ماجه) ، وهو بحُسن نزاهته ودوام إخباته وتواضع شخصيته خير مثال لما وصفه النبيّ صلى اللّه عليه وسلم . وحياته في حركاتها وسكناتها ، وحلّها وترحالها توحي إلينا ماذا

* ويناد – كيرالا

كانت رسالته وكيف كان يعمل لتحقيقها .

الشخصية المزدانة بالعلم والورع :

للبيئة أثر قوي في تكوين ثقافة الإنسان ، وذلك أيضاً يتبلور في شخصية العلامة ، كان ينحدر من أسرة ذات جذور عريقة في العلم والثقافة ، أسرة الحسني التي يشد عراها بالرعيل الأول ، أسرة منهج حياتهم عقيدة التوحيد واتباع السنة وخدمة العلم باللسان والقلم ، وكانت أعمالهم تطبيقاً لهذا المنهج ، ورجالها معروفون بصفات الاستقامة والنبل والتضحية ، والأمجاد من هذه الأسرة المباركة مثل العلامة عبد الحي الحسني ونجله أبو الحسن علي الندوي والشيخ محمد الحسني والشيخ محمد واضح رشيد الندوي ، ممن قاموا بدورهم القيادي في إثراء مجال التعليم والتربية ، ورثوا تلك الشعلة المقدسة عن العالم الرباني الإمام أحمد السرهندي والإمام ولي الله الدهلوي والإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، حافظوا عليها وزادوها بهاءً ونوراً ليرثها الأجيال القادمة للسير في درب الحياة بثبات وثقة .

وقد سمع العالم الإسلامي من بيئتهم التربوية مفهوم " الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع " . وله أهمية قصوى في هذه الأيام ، ونحن نرى العالم يتسارع وراء التعلم والتعليم القشوري المادي الذي لا يخلق إلا المثقفين الفاقدين روحهم . وهذا المفهوم هو الذي يخلق الرجالَ ربانيين ويصنع الأعاجيب في حياة الفرد والمجتمع ، ولعل العلامة محمد الرابع الندوي تحمّس لتأليف كتابه المعروف بـ " التربية والمجتمع " من منطلق هذه البيئة الأسرية التي لا يكاد يحظى به الكثير من السادة والقادة . والكتاب الذي ترجمه الشيخ محمد إبراهيم الندوي والدكتور محمد أكرم الندوي إلى العربية ، خير دليل لاهتمامه بالتربية الروحية التي تهدف إلى التنوير الذاتي . والعلامة يؤكدُ ضرورة إيجاد القدوة الفاضلة لهذه التربية المنشودة المتمثلة في الآية الكريمة : (وَلَـٰكِنْ كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ) والتربية لا تتم بمجرد النظريات ، وهي

أحوج إلى التطبيق الدائم ليلمس العالم منه منافعها وفوائدها بعين اليقين .

قد حظيَ مع انخراطه في دار العلوم بصحبة زمرة من العلماء من أمثال المحدث محمد حليم عطا ، والمفتي محمد سعيد والسيد حميد الدين والشيخ محمد أويس النجرامي وعبد الفتاح أبو غدة ، ممن كان لهم دور قياديّ في تكوين شخصيته العلمية ، وخصوصاً العلامة أبو الحسن الندوي الذي كان يدرسه الإنشاء العربي . كما قضى بعض السنوات في دار العلوم ديوبند حيث درس التفسير والحديث والفقه على علمائها ، والعلامة كذلك تلقّى العلوم من الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، المحدّث الهنديّ الكبير وصاحب المصنّفات المشهورة في علوم الحديث .

الداعي المعلّم والأديب والصحافي :

كان جُلّ اهتمامه تسهيل الطرق للدعوة إلى الله وإيجاد الفرص المواتية لها . المحاضرات التي ألقاها في المنابر الوطنية والدولية والدروس التي لقّنها على الطلاب ، ومؤلفاته وتصرفاته وتوجيهاته في مختلف المناسبات تحتضن هذه الفكرة . وقد كتب كثيراً في الأردية ، أما الكتابات العربية فهي ناطقة بعلوّ كعبه في اللغة ، يظهر فيها ملامح حنكته وتجاربه وتضلّعه من اللغة ، وقد امتلك بناصية اللغة تعبيراً وتحريراً ، وهي تفيض على لسانه وقلمه بصورة تلقائية خالية من التكلف والصناعة . وكتابه " الأدب الإسلامي – فكرته ومنهاجه " يبلور مدى اهتمامه بصياغة الأدب في قالب القيم والأخلاقيات ، وهو الأدب الوحيد في نظره يستطيع تغيير الواقع وقيادة المجتمع ، أما السقطات والسفسطات فإنها من الأدب التافه الذي لا يُقام له وزن في الحياة ، ويجب أن ينهض الأديب المسلم بواجبه تجاه صناعة الأدب الهادف الذي يسري في الوجدان ويثير العواطف نحو الحق والعدل ، ويقاوم الجور والباطل ، وقد نادى الفقيد المجتمع في خلال ممارساته الأدبية للإقلاع من الخلاعة إلى النزاهة ، ومن الابتذال إلى الاحتشام ، ومن الفسوق والمجون إلى العفة والفضيلة .

أما التعليم فهو المجال الأكثر وضوحاً لبصماته ، قام به أكثر

من خمسين سنةً ، حتى يمكن القول : إنه يكاد يتمثل فيه من شخصية المعلّم المثالي ما يشير إليه أحمد شوقي عميد الشعراء وهو يقول :

قمْ للمعلّم وفِّه التبجيلا   كاد المعلّمُ أن يكون رسولا

وكل طالب تخرّج من دار العلوم ندوة العلماء ، استطاع أن يغترف من نمير علمه الفياض طيلة هذه الفترة . وهو بالنسبة إليه معلّمهم ووالدهم في الوقت الواحد ، عاش معهم بدوره في التعليم والتربية ، ليجدوا في حضانته من الحنان والشفقة ما يُسلّيهم في وحشتهم ويؤنسهم في غُربتهم ، وكيّفَهم لإصلاح الباطن في سِرّهم وعلنهم .

أما الصحافة العربية ، فقد أخذ العلامة زمامها في القارة الهندية ، وكم من صفحات مزدانة بمقالاته ذات الروعة في معناها ومغزاها ! ويكفينا الاطلاع على مجلة " البعث الإسلامي " التي كانت ولا تزال تشعّ نور العربية الناصعة من بلاد الهند منذ أكثر من ٦٨ سنة ، وما من مجلة من المجلات العربية الصادرة من الهند كُتب لها من البقاء والاستمرارية مثل ما ناله " البعث الإسلامي " الغراء . ومجلة " ثقافة الهند " التي أنشأها مولانا أبو الكلام آزاد ، كان لها قدم سبق في المجال . وكان العلامة في طليعة من قاد البعث الإسلامي من حسن إلى أحسن في صياغة هيكلها وإثرائها بما يُحبِّذ به القراء من العرب والعجم . وكانت مقالاته العربية والأردية تتناول القضايا الاجتماعية والثقافية الأكثر مادةً تشغل الرأي العام .

ورغم فراق العلامة محمد الرابع الندوي إلا أن الحسنات والخدمات التي قدّمها للأمة لا تموت ولا تبلى ، بل تظلّ تبقى رمزاً حيّاً لفضل صاحبها . تزدان بها صفحات التاريخ في كل عصر ومصر ، ويستلهم منها شباب المستقبل دروس البقاء والنضال ، مما يجعل الراحل في عِداد من ذكرَه الشاعر :

قد مات قومٌ وما ماتتْ مآثرهم   وعاش قوم ، وهُمْ في الناس أموات

رحم اللّٰه العلامة محمد الرابع الندوي . إنه في عمره الواحد عاش جيلاً قد مضى استلهم منهم تجاربهم ، وجيلاً رافقه نوّر لهم دربهم ، وجيلاً يأتي بعده يقتدون بمآثره . وتُوفي ليعيش في قلوب العباد إلى أبد الآبدين .

كادت عليه تصدع الأكباد

الأستاذ عبدالرحمن الملي الندوي *

فقدت الأمة الإسلامية بغاية من الأسى والحزن يوم الخميس ، وذلك في ٢١/ رمضان المبارك عام ١٤٤٤هـ المصادف ١٣/ أبريل عام ٢٠٢٣م مرشداً حاذقاً ، ومربياً عطوفاً ، وعالماً حكيماً ، ومدبراً جليلاً ، ومفكراً بمعنى الكلمة ، وشخصية فذة ونجماً ساطعاً في سماء العلم والأدب ، أعني سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي نكتب عنه – رحمه الله – بدل – حفظه الله – ولقد كان لنبأ وفاة الشيخ مرشد الأمة – رحمه الله – أثر كبير على العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وعلى المسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها ، وقد عاش فقيد الأمة رحمه الله حياة تضحية وإخلاص ، حياة جد وجهاد ، حياة بسيطة ساذجة ، جمع بين العقيدة والسلوك ، وبين العلم والعمل ، وبين الأصالة والمعاصرة ، وبين الرؤية والتطبيق ، إنه درس تاريخ الأمم والأديان بتعمّق وواقعية ، واستنبط منه نتائج إيجابية ، إنه جعل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم محوراً أساسياً للفكر الإيماني الذي عاشه وانطلق منه إلى جميع التأملات والدراسات في الحياة والكون والإنسان ، ونذر حياته لنشر الإسلام وتعاليمه ، وقد كان يدرس ظروف العالم الاجتماعية والسياسية . وأوضاع الأمم والشعوب ، ويستعرض أحوال المسلمين في كل مكان .

كان شديد التألم بالمؤمرات التي تُدبّر ضد الإسلام والمسلمين من دول العالم الكبرى ، لأنه كان من رجال التاريخ السابقين ، والأئمة الأعلام الذين عاشوا هُموم الأمة وأحزان المسلمين ، لقد كانت حياته ذات مناح متعددة ، وجوانب كثيرة ، فكان العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله عالماً بصيراً ، وداعية كبيراً ، ومفكراً إسلامياً عملاقاً ، وأديباً فذاً ، وخطيباً بارعاً يتكلم عن القضايا المستجدثة ، ومربياً يتناول الناس بحكمة بالغة ، وكاتباً قديراً ، وأستاذاً رحيماً عطوفاً معنياً بتلاميذه بلطف ورحابة صدر . كان يُدعى إلى المؤتمرات العالمية ، والندوات العلمية ، والاجتماعات الدينية ، والمحافل

* مدير التحرير لمجلة " النور " جامعة إشاعة العلوم الإسلامية أكل كوا ، arrahman١٦١٩٦٥@gmail.com

الدولية ، فيستجيب الدعوة حرصاً على أن يقوم بواجب دعويٍّ ، أو يكون سبباً لإقناع الناس بالإسلام ، وإعادة الثقة بالإسلام إلى نفوس العاشقين .

وكان الدين وعقائده وتعاليمه هو الهدف الأول عند سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله تعالى – مهما كانت الظروف والمصالح دعا إلى الدين الحنيف وتجاهر به من غير خوف وبدون مبالاة بالعواقب ، لأن حياة المسلم لا تستغني عن الدين للمحة واحدة ، فالدين هو المحور الرئيس عنده .

كان من ميزاته أنه كان جامعاً لهذا الشتات ، كان عالماً جليلاً ، ومصلحاً ربانياً ، ومرشداً حكيماً ، وكان تأثيره على القلوب ما لا يحققه غزو الجيوش ، إنه كان مجاهداً بالقلم واللسان والقلب ، وكان أسلوبه يأتي بنتائج غالية قيمة ، كان يفتح القلوب بمفتاح المحبّة ، وأسلوبه الحكيم ، إنه كان جامعاً بين أسلوب الإمام السرهندي وشيخ الإسلام ولي الله الدهلوي ، والإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، فقد تصدى لكل قضية كانت تنافي التصور الإسلامي ، وكان يؤمن بأن الحب هو السلاح الأكبر . وهو مفتاح تفتح به القلوب ، ولذلك كان محبوباً إلى الحكام والقادة ، وعامة الناس ، إن الذي شغل عقله وقلبه باستمرار هو الإسلام ورسالته وحضارته . وتربية الجيل المسلم ، والنشء الجديد ، لأن اللبنة الأساسية في بناء الجماعة هو تغيير ما بالنفس حتى يغيّر الله ما بالأمة : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) .

لست أنا وحدي الذي يحب الشيخ مرشد الأمة السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، بل إن كل من عرفه واقترب منه أحبه على قدر معرفته به وقربه له منه ، وكلما ازداد منه قرباً ، ازداد حباً ، وقد قام مرشد الأمة وقائد الإنسانية الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي بدور فعال عظيم في توحيد الصفوف ، في المجتمع الإنساني على مستوى مختلف المذاهب والآراء الفقهية والعقائدية والثقافية .

حققت ندوة العلماء بلكناؤ في عهده المشرق الوضّاء إنجازات وجيهة . في كل مجال من التعليم والتربية ، وشرح الحضارة الإسلامية ، وتفسير مقاصد الشريعة والدين ، وإبراز وجه الشريعة الإسلامية جميلاً نيراً ، إنه خطط الغرض الأصيل لندوة العلماء بكل وضوح . حتى وفقه الله تعالى لإعداد جيل متميز من تلاميذه المخلصين ، ممن ساروا معه على دربه وتابعوه على الخط المستقيم ، وساعدوه بكل ما استطاعوا من الطاعة والولاء ، صارت ندوة العلماء في عهده مناراً شامخاً للعلم والأدب ، والدين والشريعة ، ومثالاً فذاً للجمع بين الإيمان الراسخ ، والعلم الواسع ،

وحاملةً لراية العقيدة النيرة ، والعلم الحديث ، داعيةً إلى تحكيم الشريعة في جميع شئون الحياة وهاتفة بهتافها الوحيد " إلى الإسلام من جديد " أن العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله – لم يتأخر لحظة في حياته عن تقديم الدعوة المخلصة للشريعة الغراء ، إلى الجمهرة جمعاء ، عقيدة وسلوكا ، ونشر الفكرة الإيمانية السليمة ، وإعادة الثقة بالإسلام إلى نفوس الأجيال البشرية ، وشرح بأن الإسلام هو الطريق إلى السعادة والنجاح مهما تغير الزمان وتطور الإنسان ، كان سماحته رحمه الله على غرار خاله المعظم العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في فكرته وسلوكه ومنهجه . وإعادة ثقة العالم إلى ندوة العلماء بصفة خاصة وإلى الأمة الإسلامية بصفة عامة ، كان الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله يرأس الجامعات والمنظمات والهيئآت العالمية ، فكان رئيساً لهيئة الأحوال الشخصية لعموم الهند إلى حين وفاته ، وما إلى ذلك من الجمعيات والمنظمات الدينية ، ومن أهمّها رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، سعدنا بالمشاركة النشيطة في برامجها المختلفة وألقينا مقالات وكلمات حول موضوعات علمية مختلفة في بلدان مختلفة وأماكن شتى من الهند .

فرحمك الله يا مرشد الأمة وقائد الإنسانية ! أدخلك الله في نعيم جناته ، وألحقك بالصالحين والأبرار من الأنبياء والشهداء ، فقدناك وكنّا في أمس حاجة إليك في هذا العصر الهائج . فقد كنت مأوى الناس من باب رسالة الإنسانية ، وموئل الأمة ومرجع المسلمين من رصيف هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين ، وسنداً للباحثين والمحققين من باب رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

فكانت بيني وبين الراحل الكريم رحمه الله علاقة التلميذ والأستاذ الحنون ، علاقة المربي الحقيقي ، علاقة المزكي العطوف ، سعدت بزيارته الكريمة واللقاء معه في مناسبات مختلفة ، وندوات علمية عديدة في أماكن شتى وفي ندوة العلماء أكثر من مرة ، فقد كان بحق وحقيقة إماماً ربانياً ، وداعية إسلامياً ، ولم يكن مجرد شيخ أو عالم ، بل كان عالما ورعاً ، ومربياً عظيماً ، وقد كان يدعو إلى تزكية النفوس وتربية الروح وتهذيبها ، ومن سعادتي أنا حظيت أيضاً بتزكيتي من الشيخ المرشد رحمه الله تعالى .

نسأل الله له القبول والرحمة ، وأن يجعل أعماله في ميزان الصالحين يوم القيامة ، وأسكنه فسيح جناته .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

مثال رائع لميراث الشمائل المحمدية

بقلم : الأستاذ أبوبكر الصديق الفيضي الندوي *

كثيراً ما نقرأ أو نسمع نبذةً من سيرة رسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم أو جانباً من جوانب الشمائل المحمدية أو نفحات حياتِه العَطِرة ، فنتعجَّب كيف يمكن لشخص أن يرتفع إلى تلك الدرجة من السموّ والشرف والكمال في الخلق والطبيعة والشيمة والعادة . ولكن حينما نلمس ونتجرَّب نموذجاً من تلك الأخلاق والشِّيَم والعادات في بعض الأشخاص من أهل بيته صلى الله عليه وسلم وخواصِّ أتباعه تذهب تلك الدهشةُ ويضمحلُّ ذلك الاستغراب ، ونؤمن ونتيقَّن بأن ما صدر من مشكاة النبوة وصاحب المعجزات ومحطِّ الوحي أمرٌ طبيعي ومَظهرٌ فِطري من تلك الشخصية الفذة .

حينما نقرأ أبيات الشاعر العربي الفرزدق في مدح عليٍّ زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب ردّاً على من أنكره وتجاهل عن هُويته في قصيدته المعروفة مُستهلّها :

هذا الذي تعرف البطحاءُ وطءَتَه والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرم

نتخيل ونفكر أن قبساً من القبسات التي استنارت بنور صاحب الرسالة إذا كان بهذه المرتبة من العظمة والمجد فكيف لا تكون ذاته الشريفة وشخصيته الرفيعة متمثِّلةً فيما وصفه الشاعر حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وأحسن منك لم ترَ قط عينٌ وأجمل منك لم تلدِ النساءُ
خُلقتَ مُبرَّءًا من كلِّ عيب كأنك قد خُلقت كما تشاء

ونرى أن هذه العظمة وهذه الرفعة يتمثَّل ظلها ويتجسَّد بعضُ لمعات نورها في كثير من أحفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفروع أهل بيته رغمَ مُضي مئات السنين وتعاقب الأجيال وتباعد الآفاق في ولادتهم

* كاسركود – كيرالا

ونشأتهم وانتمائهم إلى شعوب وجنسيات مختلفة في العالم . وخير دليل على ذلك ما نشهد ونشاهد في بعض سلالته التي نزحت الى بعض بلاد العجم ، واستقرت هناك وأقامت في بيئات وأجواء مختلفة تماماً مثلما نرى في بعض العائلات الشريفة في كيرلا وفي شمال الهند وغيرها . مع أنهم يتوارثون من صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم العلمَ والعقيدة والتقوى والزهدَ والثباتَ في سبيل خدمة الدين والأمة ، يُمثّلونه في الخِلق والخُلق والسيرة والسريرة والشكل والهندام وإقبال الناس واحترامهم ، كما قرأنا في قصيدة الفرزدق عن حفيد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وكما شهدنا في السيد الشريف عبد الرحمن البافقيه وأبناء السيد فوكويا تنجل الفانكادي أي السيد محمد علي شهاب وإخوته في كيرلا وأمثال السيد سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي وأعضاء أسرته في شمال الهند .

الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله :

الشيخ السيد محمد الرابع الندوي فرع من تلك الشجرة المحمدية ، وقبس من نور تلك العترة الماجدة . ولد الشيخ السيد محمد الرابع ولداً رابعاً للسيد رشيد أحمد بن خليل الدين الحسني ، حيث سمَّى كلاً من أبنائه باسم محمد حُباً وتبرُّكاً بخاتم الرسل محمدٍ صلى الله عليه وسلم مع إضافة العدد للتمييز فيما بينهم ، فسمى الأول باسم محمد الأول والثاني بمحمد الثاني وهكذا . . . . . وكان محمد الثاني هذا عالماً من علماء الأمة ، ولكن وافته المنية في منتصف حياته المتوقعة . وكذلك أخوه الأصغر محمد الخامس المعروف باسم واضح رشيد الندوي ارتحل إلى رحمة الله قبل عدة أعوام .

ولادته ونشأته :

وكان شيخنا الرابع نجل السلالة الحَسَنية ، حيث كان أبوه وأمُّه من تلك الشجرة العتيقة ، وأمه أمةُ العزيز هي الأختُ الشقيقة لسماحة الأستاذ الداعية المعروف ومؤلف كتب عربية جليلة ، السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله . ولد في اليوم السادس من جمادى الأولى عام ١٣٤٨هـ الموافق لـ ٢ أكتوبر عام ١٩٢٩م في دائرة الشيخ علم الله (تكية كلان) بمقاطعة راي بريلي من ولاية أترا براديش بشمال الهند . وكانت

عائلته من سلالة عربية من أسرة السيد حسن بن أبي طالب رضي الله عنهم نزحت إلى الهند في عهد الإمبراطور المغولي أورنكزيب عالمكير (م ١١١٨ هجرية) ، وبلدته اشتهرت بجده العالم الرباني الشيخ علم الله الذي كان من كبار خلفاء الإمام أحمد السرهندي المعروف بمجدِّد الألف الثاني . وكانت أسرته معروفةً بالعلم والدعوة والإرشاد حيث كانت أمه وجدّاته من فُضلَيات النساء ، وآباءُه وأجداده أيضاً اشتهروا بعلومهم وارشاداتهم وحياتهم الشريفة النبيلة .

لقد نشأ في تلك البيئة الدينية والعلمية وانتقل إلى لكهنو بعد اكتمال الدراسة الابتدائية ، والتحق في دار العلوم التابعة لندوة العلماء والتزم خالَيه السيد الدكتور عبد العلي والسيد الشيخ أبي الحسن علي الندوي وتربى وترعرع في رعاية الشيخ الندوي وتتَلْمذ عليه وتعلم منه العلوم واللغات وتفرغ من دراسته الرسمية في ندوة العلماء عام ١٩٤٨م ، وبعد ذلك أيضاً لازم خاله الشيخ الندوي في حلِّه وترحاله واستفاد منه جميع ما يمكن استفادته حيث كان يرافقه في معظم أسفاره في البلاد العربية والأوربية وغيرها مع ما كان يستفيد من سائر أساتذة ومشائخ دار العلوم ندوة العلماء وغيرهم من كبار علماء زمانه مثل الشيخ المحدث حسين أحمد المدني والشيخ المحدث زكريا الكاندهلوي وغيرهما .

وعقب فراغه من الدراسة عُيِّن كمدرِّس في جامعة ندوة العلماء وتدرج من معلم مادة اللغة العربية وآدابها إلى الأستاذ المساعد للأدب العربي (١٩٥٢م) ورئيس قسم الأدب العربي (١٩٥٥م) واختير عميداً لكلية اللغة العربية وآدابها في عام ١٩٧٠م . وفي سنة ١٩٩٣م عين مديراً لدار العلوم ندوة العلماء بعد وفاة المدير محب الله الندوي . وفي عام ١٩٩٨م عيِّن نائب رئيس لندوة العلماء كما عين في ٣/ يناير من عام ٢٠٠٠م رئيساً عاماً لندوة العلماء بعد وفاة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في ٣١/ ديسمبر من عام ١٩٩٩م .

وكذا اختير أيضاً رئيساً لهيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند بعد وفاة رئيسها الشيخ مجاهد الإسلام القاسمي في ٢٠٠٢م . وهذا المنصب أيضاً كان خاله الشيخ الندوي يتولاه إلى آخر أيامه . وكذلك تولى منصب رئاسة رابطة الأدب الإسلامي العالمية بعد وفاة

رئيسها التأسيسي الشيخ أبي الحسن الندوي ، إضافةً إلى عدد كبير من الجمعيات والمؤسسات الإقليمية والدولية كان الشيخ محمد الرابع ينتمي إليها يشرف عليها أو يتولى رئاستها أو عضويتها .

الشيخ الرابع هو الذي أصدر صحيفة الرائد من رحاب ندوة العلماء في ١٩٥٩م ، وهي صحيفة عربية نصف شهرية لا تزال تصدر وتُثري العالم الأدبي بمساهماتها القيمة مع ما لشيخنا الراحل من المؤلفات العديدة في العربية والأردية . وعدد من كتبه مقرر في النظام التعليمي لجامعة ندوة العلماء إضافة إلى عدة دور علمية تنتهج منهجها أو تسير في طريق الجمع بين القديم والجديد . ومساهماتُه في مجلة البعث الإسلامي والرائد غنية عن تعريفها لكون القراء العرب يشهدون بها ويستفيدون منها حتى آخر لحظاته .

صلتي مع الشيخ الرابع :

كان لي شرف التتلْمذ والاستفادة من الشيخ حين ما كنت طالباً في دار العلوم ندوة العلماء في ١٩٨٥ – ٨٦م في قسم الدراسات العليا في الأدب العربي . وكان الشيخ يدرِّس لنا بعض الكتب الأدبية ، وكان ذلك فرصةً سانحةً للتعرف مع الشيخ عن كثب . وكان يتعامل مع الجميع بلطف ورقة ، ويظهر بلين وابتسامة وبكلام عذب سهل مع الجميع . والذي يصافحه يخطر بباله ما حكاه الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وعن خِلقه وخُلقه في حديث متفق عليه : " ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كفِّ رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ولا شممت رائحةً قطُّ أطيب من رائحة رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم " ، ويتيقن مصداقية الحديث حق اليقين بما تجرَّب في بعض أحفاده المبتعدين عنه بمئات السنين .

وبالجملة إن كثيراً من أعضاء أهل بيت النبي وخواص أتباعه يُثبِتون بِحياتهم وسلوكهم وسيرتهم أنَّهم لم يرِثوا من صاحب الرسالة العلمَ والعقيدة فقط ، بل توارثوا منه أوصافاً عديدةً من الشمائل المحمدية أيضاً . رضي عن الجميع وأرضاهم وصلى اللّٰه على نبينا المختار وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين . والحمد للّٰه رب العالمين .

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

ومجلة " البعث الإسلامي "

د . محمد يوسف مير *

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي وخدماته الجليلة التي أسداها إلى مجال الأدب والصحافة والدعوة والدفاع عن الإسلام والمسلمين سواءً في الهند أو خارجها ، وذلك عن طريق مقالاته وكتبه ومؤلفاته التي كان يهتم بكتابتها حيناً لآخر جعلته شخصيةً متعددة الجوانب يعرفه كل ناعق وناعر في الهند . فكان مؤسس جريدة " الرائد " ، ورئيس مجلس قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، كما كان يكتب في الجريدة العربية الغراء " البعث الإسلامي " الصادرة من ندوة العلماء ، لكناؤ في شمال الهند .

من المعلوم أن الهند أنجبت عدداً كبيراً من العلماء والفقهاء والمفسرين والمحدثين الذين تلألأ نجم صيتهم في صوب العالم الإسلامي وحدبه بفضل مؤلفاتهم العبقرية . تقف شخصية الشيخ محمد الرابع الندوي في صفوف الرعيل الأول من الأعلام البارزين المعاصرين الذين يحظون بسمعة عطرة ، وصيت دائم بين الأوساط الدينية والعلمية والاجتماعية داخل الهند وخارجها ، ولعلنا لا نبالغ حينما نقول : إنه يضاهي في كتاباته الصحفية والأدبية كبار الصحفيين والأدباء العرب ، وقد نبعت من قلمه الكثير من المؤلفات والمقالات في الأدب والصحافة والنقد والفكر الإسلامي وغيرها من المجالات المهمة . نظراً إلى إسهامات الشيخ الندوي البارزة الكثيرة في شتى المجالات ، اخترنا جانباً من جوانبها للحديث عن إسهاماته الجديرة بالثناء والتقدير ، وهو إسهامات الشيخ الندوي في تطوير مجلة " البعث الإسلامي " بفضل مقالاته التي كان يكتبها في شتى الموضوعات بما فيها الأدب والنقد والفكر الإسلامي

* الأستاذ المساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا ، كشمير ، الهند .

ووحدة الأمة الإسلامية وغيرها مع محاولة فهم شخصيتها المتعددة الأبعاد .

نبذة عن مجلة " البعث الإسلامي " :

هذه مجلة عربية شهيرة تصدر عن مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء لكناؤ ، وكان مؤسس هذه المجلة الأستاذ السيد محمد الحسني رحمه اللّه .

أخذت المجلة تصدر من ندوة العلماء منذ عام ١٩٣٢م تحت إشراف وتوجيه الأستاذ السيد سليمان الندوي والأديب الدكتور محمد تقي الدين الهلالي المراكشي . وأما هيئة رئاسة المجلة فكانت تتكون من الأستاذين الجليلين الشيخ مسعود عالم الندوي والشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، فاستمر صدروها لمدة أربع سنوات ، ثم توقف صدورها ، فلم يبق لسان حال باللغة العربية للمؤسسة ، فظل الشعور بالحاجة الماسة إلى مجلة باقية كي تصبح جسر الواسطة بين الهند والعالم العربي ، وتكون منبراً صادقاً تستطيع به المؤسسة إبلاغ ندائها إلى الناس بأسرهم [١] .

نظراً إلى الحاجة الملحة إلى إصدار مجلة جديدة ، تقدم السيد محمد الحسني لاتخاذ هذه الخطوة المهمة وقرر إصدار المجلة الجديدة باسم " البعث الإسلامي " ، ولم يكن وحيداً في اتخاذ هذا القرار بل كان معه ثلاثة علماء هنود بارزين آخرين في اللغة العربية مثل الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ، والدكتور محمد اجتباء الندوي ، والدكتور محمد راشد الندوي ، وكانوا من أعضاء المجلس . وكان مكتب المجلة – بادئ ذي بدء – في منزل محمد الحسني ، ولكنه نُقل فيما بعد إلى حرم ندوة العلماء عام ١٩٦٠م ، ومنذ ذلك الحين أصبحت تنشر بانتظام من هنا ، كما أصبح الشيخ سعيد الأعظمي الندوي رئيس تحريرها بعد وفاة رئيس تحريرها الأول [٢] .

وأما فيما يتعلق بأهداف المجلة فهي تتميز بالنبل والسمو ،

---

[١] albasulislami.com

[٢] Dr. FaridUddin Ahmad, *Arabic Journalism in India: its growth and development,*Pratidhwani the Echo, Vol .٨, Issue- I , July ٢٠١٩, Page No ٣٠٩ ٣١٠

ونذكرها فيما يلي :

- بعث الروح الإسلامية والأدبية في الشباب .
- توجيهات رشيدة للطلبة في الدراسة والتعليم .
- توثيق الصلات الأدبية والثقافية بين المدارس العربية في الهند .
- إنشاء روابط ثقافية بين طلبة المدارس العربية في الهند وشباب العالم العربي .
- رفع مستوى اللغة العربية والأدب العربي في الهند .
- نشر أوراق بحثية قيمة دون الالتفات إلى أيدولوجية عنصرية .
- التعرف على الشخصيات المسلمة وترويج فكرة ندوة العلماء ونظريتها .
- توفير المعلومات لشعب العالم الإسلامي .

ولا يفوتنا الذكر هنا أن بعض الأهداف المذكورة أعلاه قد تجسدت في مقدمة عددها الأول التي كتبها رئيس التحرير للمجلة آنذاك " السيد محمد الحسني " ، حيث أشار إلى صلب أهداف المجلة ، وكتب في هذا الصدد : " وستحاول مجلة " البعث " أن تكون نقطة الاتصال وهمزة وصل بين الهند والبلاد العربية الشقيقة ، تحمل رسالة أبناء الهند إلى إخوانهم في الشرق العربي ، وتحمل تمنيات أبناء البلاد العربية وعواطفهم الطيبة نحو إخوانهم في الهند ، وتبحث عن الأوضاع المشتركة بين البلاد " [1] .

جُل ما نستطيع قوله أن مجلة " البعث الإسلامي " أصبحت أشهر مجلة عربية خلال فترة زمنية قصيرة . لقد ساهمت كثيراً في تداولِ الفكر الإسلامي الحقيقي ونشرها في العالم الإسلامي بأسره . علاوة على ذلك ، لعبت دوراً ريادياً في تعزيز اللغة العربية وآدابها في جميع أنحاء شبه القارة الهندية . تتميز المجلة عن المجلات الأخرى في الهند بنشرها مقالات مختلفةً وأوراقاً بحثيةً في وجهات نظر أدبية وإسلامية مكتوبة بأساليب حديثة أنيقة .

الأستاذ محمد الرابع الندوي ومجلة " البعث الإسلامي " :

عندما نحيط بإسهامات الأستاذ محمد الرابع الندوي قراءةً متعمقةً

---

[1] د . محمد الحسني ، البعث الإسلامي ، أكتوبر ١٩٥٥م ، العدد الأول ، السنة الأولى ، ص ٥ – ٦ .

وبحثاً شاملاً ننتهي إلى أن الأستاذ لعب دوراً بارزاً في ترويج اللغة العربية في شبه القارة الهندية ، واستخدم شتى الأدوات لنيل هذا الهدف السامي النبيل . ولم تتقيد جهوده في مجال واحد ، بل تجاوزت إلى مجالات مختلفة بما فيها الأدب والنقد والسيرة والوحدة الإسلامية والصحافة وغيرها ، وقد كتب عدداً لا بأس به من المقالات في جميع الموضوعات هذه في مجلة " البعث الإسلامي " ، فليس في مقدورنا أن نحيط بشخصية الأستاذ محمد الرابع الندوي ذات الجوانب المتعددة دون اهتمامنا بتناول مجلة " البعث الإسلامي " قراءةٍ متعمقةً شاملةً . نظراً إلى ذلك ، نركز انتباهنا هنا على فهم شخصية الأستاذ وفكرته ونظريته وجوانبها المتعددة الأخرى في ضوء المقالات المنشورة في مجلة " البعث الإسلامي " ودورها في تطوير المجلة على صعيد دولي .

ذكرنا فيما سبق أن العدد الأول للمجلة " البعث الإسلامي " برز إلى حيز الوجود عام ١٩٥٥م تحت إشراف الأستاذ محمد الحسني في شهر أكتوبر ، وكانت المجلة آنذاك مشتملةً على بضعة صفحات . فأخذ الأستاذ محمد الرابع الندوي يكتب في هذه المجلة منذ بدايته ، وأول المقالة التي كتبها في المجلة هي " الأدب قوة " [١] ، وسلط فيها الأستاذ ضوءاً شاملاً على أصالة الأدب ومدلوله الحقيقي . وبعد ذلك استمر الأستاذ يكتب في المجلة متتاليةً لسبعة أشهر في شتى الموضوعات . ومن الجدير بالذكر أنه لم يقتصر على الكتابة في موضوع واحد ، بل اختار شتى الموضوعات تبعاً لمقتضيات الحال ، ولكن مما لا يختلف فيه اثنان أن جل مقالاته كانت تتمحور حول الأدب ومتعلقاته . نظراً إلى هذا التنوع في الموضوعات ، نستحسن ذكرها بشيئ من الإيجاز مع التركيز الخاص على أثرها في ترويج مجلة " البعث الإسلامي " .

وأما فيما يتعلق بالأدب فكان الأستاذ محمد الرابع الندوي يحظى بذوق أدبي رفيع ، كما يتجلى من بين مقالاته المختلفة . فعلى سبيل المثال نشر الأستاذ مقالته بعنوان " الشاعر الذي أحببته " [٢] في المجلة حيث تناول

---

[١] الندوي ، الأستاذ محمد الرابع ، الأدب قوة ، البعث الإسلامي ، أكتوبر ١٩٥٥م ، العدد الأول ، ص ١٣ .

[٢] المصدر السابق ، ديسمبر ١٩٥٥م ، العدد الثالث ، ص ٩ .

الشاعر الأندلسي " أبو فراس الحمداني " شاعراً ، ويعلق عليه قائلاً : " هذا هو الشاعر المحبوب الحارث بن أبي العلاء أبو فراس الحمداني ، أمير السنان واللسان ، قضى حياة ملؤها الشجاعة والمروءة والكرم ، ومن بطولاتها الشعر والأدب والبيان . . . " [1] ، وكذلك كتب مقالة أخرى في نفس المجلة بعنوان " دراسة أدبية " [2] حيث قدم نظريته في الأدب وأسهب في بيانه أيما إسهاب مع التركيز على بيان الفروق الرئيسية السائدة بين منطقة الأدب ومنطقة العلم . تجدر الإشارة هنا إلى أن الأستاذ اختار – في مجال الأدب – موضوعات تتميز بالجفاف والغموض ، ولكن الأستاذ قدمها بأسلوب شيق ممتع حتى حالفه التوفيق والنجاح في حل عُقد الغموض والإبهام الموجودة فيها . وهذا ما يتجلى في مقالاته المكتوبة في الأدب ، ومنها " كيف وجد الأدب " [3] ، و " الروح الوجدانية في الشعر " [4] ، و " الروح الوجدانية في النثر " [5] ، و " حول كيان الأدب " [6] ، و " خصائص الأسلوب " [7] وغيرها .

عصارة القول أن مجلة " البعث الإسلامي " خير مصدر للاطلاع على نظرية الأستاذ محمد الرابع الندوي في حقيقة الأدب وعناصره المهمة التي تميزه عن العلم المجرد البحت ، كما أصبحت المجلة وسيلة مفيدة لتوصيلها إلى طلبة الأدب ليس في أرجاء الهند ، بل نالت قبولاً حسناً وتقديراً جيداً بين أهل الضاد أيضاً .

علاوة على ذلك ، تحمل المجلة بين دفتيها مقالات الأستاذ في موضوعات إسلامية حيث تتجلى شخصية الأستاذ مفكراً إسلامياً وداعياً كبيراً . وأول مقالة كتبها الأستاذ في موضوع إسلامي في المجلة هي

---

[1] المصدر السابق ، ص ١٤ .
[2] المصدر السابق ، يناير ١٩٦٤م ، العدد الخامس ، المجلد الثامن .
[3] البعث الإسلامي ، نوفمبر ١٩٦٤م ، المجلد التاسع ، العدد الثالث ، ص ٩٠ .
[4] المصدر السابق ، يناير ١٩٦٥م ، المجلد التاسع ، العدد الخامس ، ص ٨٢ .
[5] المصدر السابق ، مارس ١٩٦٥م ، المجلد التاسع ، العدد السادس ، ص ٨٤ .
[6] المصدر السابق ، يوليو ١٩٦٥م ، المجلد التاسع ، العدد العاشر ، ص ٩٥ .
[7] المصدر السابق ، أكتوبر ١٩٦٥م ، المجلد العاشر ، العدد الثاني ، ص ٨٤ .

" سيرة لابن هشام " [1] ، وقد تناول الأستاذ هذا الكتاب من ناحية طريفة ، حيث ألقى ضوءاً شاملاً على أهم ميزات الكتاب مع الإشارة الخاطفة إلى مستواه العلمي والأدبي ، ويعلق عليه قائلاً : " إن كتاب ابن هشام ليس للصغار الذين يقدرون على فهم ألفاظه العربية ، بل إنما هو للكبار الذين يقدرون على فهم معانيه الأدبية الجميلة ، إنه كتاب يجب أن يدرسه الكبار قبل أن يقرأه الصغار " [2] . فهذا التعليق القيم على الكتاب يدل على مكانته بين أخواته الأخرى من الكتب في نفس الموضوع . وكذلك عندما نمعن النظر في مقالات الأستاذ الإسلامية فننتهي إلى أنه كان يهمه وضع الأمة الإسلامية كثيراً ، فكان يبذل قصاراه لإيقاظ المسلمين من سباتهم العميق على صعيد عالمي ، كما كان يكتب في التربية والدعوة ، وهذا كله يتبين في مختلف مقالاته بما فيها " الأمة الإسلامية ماذا تريد " [3] ، و " الربانيون " [4] ، و " جهود التبليغ في الخارج " [5] ، و " ذكرى عيد النحر " [6] ، و " الدعوة والسيرة " [7] ، وغيرها من موضوعات فكرية إسلامية . بعد تناول مثل هذه المقالات للأستاذ محمد الرابع الندوي ، يتجلى جانب آخر من شخصيته العبقرية ، وهو أنه لم يكن مجرد ناقد أديب ، بل كان داعياً كبيراً وشخصية إسلامية يعرفها العرب والعجم على السواء . ونشر المقالات هذه في مجلة " البعث الإسلامي " نجم عن ترويجها على نطاق واسع في حدب الهند وصوبها إضافة إلى إقبال العرب عليه وازدياد طلبه في الأوساط العلمية والإسلامية في البلاد العربية ، وذلك لمستوى المجلة الرفيع من ناحية الأسلوب والموضوع والكتاب .

وليس بوسعنا أن نحيط بجميع المقالات التي كتبها الأستاذ محمد

---

[1] المصدر السابق ، يناير ١٩٥٦م ، العدد الرابع ، ص ٢٥ .

[2] الصدر السابق نفسه ، ص ٢٧ .

[3] البعث الإسلامي ، أغسطس ١٩٦٢م ، المجلد السادس ، العدد الثاني عشر ، ص ٢٤ .

[4] المصدر السابق ، فبراير ١٩٥٧م ، العدد الخامس ، ص ١١ .

[5] المصدر السابق ، مايو – سبتمبر ١٩٥٨م ، ص ١٥٣ .

[6] المصدر السابق ، يوليو ١٩٥٧م ، العدد العاشر ، ص ١٧ .

[7] المصدر السابق ، أبريل – مايو١٩٥٧م ، العدد السابع والثامن ، ص ١٥ .

الرابع الندوي في مجلة " البعث الإسلامي " منذ نشأته الأولى حتى لفظ أنفاسه الآخيرة لعددها الضخم ، لأننا أشرنا فيما مضى إلى مجالين كبيرين فقط أي الأدب والإسلام ، وإضافةً إلى ذلك كتب الأستاذ في أسفاره إلى البلاد العربية كما كتب مقالات نقديةً في مختلف الموضوعات المتعلقة بالدين والكتب والأدب والدعوة والوطن وما إلى ذلك . فلعلنا لا نخطئ حينما نقول : إن مقالات الأستاذ لعبت دوراً بارزاً في تطوير مجلة " البعث الإسلامي " وترويجها منذ بداية صدورها حتى عصرنا الراهن ، وكانت مقالاته حقاً تزيد في جمال المجلة بفضل موضوعاتها طريفة وأسلوبها الرشيق الممتع الجذاب ، بل لا نتردد في القول : إن تاريخ مجلة " البعث الإسلامي " سيكون ناقصاً دون إيراد ذكر إسهامات الأستاذ محمد الرابع الندوي فيه بشيئ من الإسهاب والإطالة ، لأنه لم يبخل قط في تقديم موهبته وكفاءته لتطوير المجلة .

الخاتمة :

بعد تناول هذا الموضوع بدراسة متواضعة توصلنا إلى أن الأستاذ محمد الرابع الندوي كان شخصيةً حميدة السمعة بين أقرانه لإسهاماته البارزة في شتى مجالات الحياة . إن الأستاذ لم يكن عالماً متديناً فقط ، بل كان يحظى بذوقٍ سليم وخبرة بالغة في الأدب العربي كما كان ناقداً بارعاً وداعياً متحمساً إضافةً إلى كونه صحفياً محدثاً في العصر الراهن . ومما لا شك فيه أن الطلبة والأساتذة الهنود هم من كبار المعجبين بمقالاته والمنوهين بها والحافزين على قراءتها ، وكان لمقالاته دوي في الأوساط العلمية والأدبية في الهند وخارجها على السواء . ولا يختلف فيه اثنان أن الأستاذ محمد الرابع الندوي كتب جل مقالاته في مجلة " البعث الإسلامي " وجعلها منبراً صادقاً للتعبير عما كان يختلج في قرارة وجدانه أو ما كان تجول في ذهنه المرهف من الأفكار الرائعة ، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من المجلة . حينما نتفكر أو نتحدث عن تاريخ مجلة " البعث الإسلامي " فالرعيل الأول الذي يتبادر إلى أذهاننا يشمل في تضاعيفه اسم الأستاذ محمد الرابع الندوي الذي ساهم في تطوير المجلة منذ نشأتها الأولى بفضل مقالاته العبقرية التي كان يكتبها في مختلف الموضوعات ،

ولا جرم أنها كانت تزيد في جمال المجلة إلى أقصى الحد . ولا نتردد في القول أنه كان كاتباً من الطراز الأول لا يقل عن أدباء الطليعة الذين يتردد ذكرهم في الصحافة العربية في الهند . بالجملة يمكننا القول أن مجلة " البعث الإسلامي " مصدر نافع للاطلاع على شخصية الأستاذ محمد الرابع الندوي وجوانبها المتعددة ، وسيكون من المستحسن أن يرتب جميع المقالات المنشورة في المجلة هذه من بدايتها إلى عصرنا الراهن في شكل كتابي كي يصبح مرجعاً نافعاً مليئاً بالمواد الغزير في شخصية لها دوي في آفاق العرب والعجم على السواء .

المصادر والمراجع :

١. albasulislami.com
٢. Dr. FaridUddin Ahmad, Arabic Journalism in India: its growth and development, Pratidhwani the Echo, Vol .٨, Issue- I , July ٢٠١٩, Page No. ٣٠٩ ٣١٠ .
٣. البعث الإسلامي ، أبريل – مايو ١٩٥٧م ، العدد السابع والثامن .
٤. البعث الإسلامي ، أغسطس ١٩٥٢م ، المجلد السادس ، العدد الثاني .
٥. البعث الإسلامي ، أكتوبر ١٩٥٥م ، العدد الأول ، السنة الأولى .
٦. البعث الإسلامي ، أكتوبر ١٩٦٥م ، المجلد العاشر ، العدد الثاني .
٧. البعث الإسلامي ، ديسمبر ١٩٥٥م ، العدد الثالث .
٨. البعث الإسلامي ، فبراير ١٩٥٧م ، العدد الخامس .
٩. البعث الإسلامي ، مارس ١٩٦٥م ، المجلد التاسع ، العدد السادس .
١٠. البعث الإسلامي ، مايو – ديسمبر ١٩٥٨م .
١١. البعث الإسلامي ، نوفمبر ١٩٦٤م ، المجلد التاسع ، العدد الثالث .
١٢. البعث الإسلامي ، يناير ١٩٥٦م ، العدد الرابع .
١٣. البعث الإسلامي ، يناير ١٩٦٤م ، المجلد الثامن ، العدد الخامس .
١٤. البعث الإسلامي ، يناير ١٩٦٥م ، المجلد التاسع ، العدد الخامس .
١٥. البعث الإسلامي ، يوليو ١٩٥٧م ، العدد العاشر .
١٦. البعث الإسلامي ، يوليو ١٩٦٥م ، المجلد التاسع ، العدد العاشر .
١٧. مولانا محمد رابع ندوی، مختصر حالات زندگی، ناشر: دفتر نظامت ندوۃ العلماء، پوسٹ بکس ۹۳، لکھنؤ۔

رحلات الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي إلى جنوبي الهند

د . عز الدين الندوي *

مما لا شك فيه أن رحلات العلماء والدعاة لها آثار قيمة وتأثيرات كبيرة فيما بين الأمم والأقوام . ومن عادة الأدباء والعلماء والكتاب والدعاة رحلاتهم العلمية والأدبية إلى مختلف البلدان والأماكن . ويصور الكتاب والأدباء رحلاتهم المميزة بأسلوب جميل جذاب . من الرحلات الشهيرة للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله " شهران في أمريكا " ولأخيه الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي رحمه الله كتاب " الرحلات الحجازية ومناهج الكتاب في العصر الحديث " ولخالهما الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي رحمه الله عدة كتب لرحلاته المختلفة كـ " أسبوعان في تركيا " و" أسبوعان في مراكش " و " من نهر كابل إلى نهر يرموك " و" مذكرات سائح في الشرق العربي " هذا يدل على أن لهذه الأسرة العلمية العريقة عادة الرحلات العلمية والدعوية والإصلاحية ، وكانت هذه الرحلات العلمية والدعوية من مزايا العلماء الربانيين الذين بثوا الخير في القرى والأرياف ولأهلها خاصةً وعامةً .

كان الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ممن وُفِق للرحلات العديدة في حياته ، منها رحلاته الابتدائية إلى دار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ لطلب العلم ، وإلى دار العلوم ديوبند لمزيد من العلم في فن الحديث النبوي الشريف ، وإلى سهارنفور ورايبور ونظام الدين لتزكية النفس . وارتحل إلى الحرمين الشريفين ومكث سنة حيث استفاد من علماء مكة والمدينة المنورة ، وكما حظي بالرفاقة في الرحلات مع خاله المربي الداعية الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي إلى الدول العربية والدول الغربية . وبعد وفاة خاله استمرت رحلاته مع أخيه الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي رغم ما ثقلت على عاتقه مسؤوليات ضخمة لدار العلوم ندوة العلماء وهيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند .

مما يندر في الهند أن توجد مدينة أو ولاية لم يزرها الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي لغرض الدعوة وتوجيه الإرشاد ، ومن الرحلات

* محاضر كلية روضة العلوم العربية بفاروق ، كاليكوت ، كيرالا – الهند .

الطويلة التي قام بها الشيخ في الهند رحلاته إلى ديار كيرالا . وكان يؤثر السفر في القطار في معظم رحلاته في البلاد الهندية . وكان للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي معرفة واسعة عن تاريخ الإسلام في كيرالا وبجانب إلمامه بخدمات أبنائها الأمجاد ، وكان يكرم العلماء والدعاة من ديار كيرالا ويستفسرهم عن أحوال البلاد وبيئاتها العلمية والدعوية وما يقومون به من نشاطات دينية وحركات دعوية وإصلاحية ، وكان يعظهم وينصحهم في اهتمام الشؤون الدينية والدعوة الإسلامية في العصرالراهن .

إن أول جولة قام بها الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي إلى كيرالا على استجابة الدعوة الموجهة من قبل أعضاء مؤسسة مفكر الإسلام بكاليكوت (هذه المؤسسة أقيمت لترجمة مؤلفات الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي وعلماء ندوة العلماء إلى اللغة المليالمية بعد وفاة الشيخ الندوي عام ٢٠٠١م) ونزل الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي وجماعته منهم الشيخ عبد الرزاق خادمه والشيخ محمد واضح رشيد الندوي أخوه وأستاذ دار العلوم ندوة العلماء والشيخ عبد الله محمد الحسني الندوي مدير " جريدة الرائد " آنذاك والأخ شاهد حسين سكرتيره الخاص والشيخ عبد العزيز البتهكلي الندوي أستاذ دار العلوم لندوة العلماء من جنوب الهند، في مطار ترفاندرام في ٢٤ من شهر يوليو٢٠٠٢م . هيأت جمعية العلماء بجنوب كيرالا ترحيباً حاراً واستقبالاً عظيماً في مدينة ترفاندرام بعاصمة كيرالا ، وعقدت حفلة استقبالية كبيرة في قاعة مسجد بالايام الشهير في عاصمة كيرالا ، حيث حضر فيها مئات من العلماء والأمراء . ونال الشيخ حفاوة بالغة من المسلمين في كيرالا . وكانت هذه الرحلة أول جولة له بعد ما تقلد منصب الرئاسة لهيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية بعموم الهند . امتدت جولته ثلاثة أيام من جنوب كيرالا إلى شمالها حيث عقدت حفلات استقبالية في رحاب الجامعة الحسنية بكايم كولم بمقاطعة آلبوزا وفي مدينة كوشين وكاليكوت ومنكلور . ثم توجه إلى مدينة بهتكل في ولاية كرناتك . وذكر في هذه الجولات كلها الأمة الإسلامية عن اهتمام الأمور الدينية واتباع الشريعة الإسلامية في الحياة اليومية وأن اتباع الشريعة الإسلامية في الحياة هو الحل الوحيد لجميع المشاكل ، وهذا هو الجواب الصريح للناقدين على الشريعة الإسلامية .

توالت رحلاته إلى كيرالا أكثر من عشر مرات بعد ٢٠٠٧م إلى ٢٠١٧م للمشاركة في الندوات والمؤتمرات وقيادة النشاطات الدعوية في ديار

كيرالا . وشـرَّف سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئاسة الندوة الدولية عن القرآن الكريم تحت إشراف رابطة الأدب الإسلامي العالمية بفرع كيرالا المنعقدة في رحاب جامعة عين المعارف الإسلامية بكنور (Kannur) كيرالا سنة ٢٠٠٧م ، وهي أولى الندوة لرابطة الأدب الإسلامي في كيرالا وامتازت الندوة بمشاركة الضيوف الوافدين والعلماء الكبار والأكاديميين والأساتذة والباحثين من الجامعات الحكومية والمراكز التحقيقية والجامعات الإسلامية ومعاهد الدراسات القرآنية في الهند وخارجها .

وشـرَّف فضيلته رئاسة المؤتمر التنفيذي لهيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية بعموم الهند المنعقد في مدينة كاليكوت سنة ٢٠٠٩م ، واستمرت رحلاته إلى كيرالا حيث دعي فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوي ضيفاً من الضيوف المميزين إلى الندوة الدولية عن القرآن الكريم وعلومه ، التي عقدها قسم اللغة العربية بجامعة كيرالا ترفاندرام في عاصمة كيرالا في ٢٩ و ٣٠ وأبريل ، و ١ مايو ٢٠١٠م ، وكانت هذه الندوة ندوةً ناجحةً بعدة برامج مثل " المعرض الكبير عن القرآن الكريم وعلومه " و " إكرام مفسري القرآن الكريم " و " مجالس التجارب الشخصية عن مطالعة القرآن " و " مسابقة حفظ القرآن وتلاوته " و " توزيع التفاسير القرآنية لمن يرغب في فهمه " و " الحلقات العلمية الأكاديمية والبحثية " و " ملتقى العلماء " وغيرها من البرامج المتنوعة .

وحضر الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي حفلة رسالة الإنسانية المنعقدة في مدينة كولم (Kollam) ١ يونيو سنة ٢٠١١م ووزع فيها جوائز نقدية للفائزين في مسابقة كتابة المقالة بعنوان " محمد رسول الرحمة والسلام " فيما بين أهالي كيرالا من غير المسلمين على المستوى الإقليمي ، على دعوة من تلميذه السيد جمال الدين الندوي ، واستراح في بيته بقرية كنيكود (Kunnicode) يومين ، والتقى بأبناء ندوة العلماء والخريجين فيها حيث قدم الشيخ بتوجيهات قيمة ونصائح نافعة ثم ارتحل إلى دار العلوم الإسلامية بأوجيرا المؤسسة على يد الداعي الشيخ عبد الله محمد الحسني الندوي رحمه الله ، وهي أول فرع لندوة العلماء في كيرالا والتي يديرها الشيخ عبد الشكور القاسمي عضو المجلس الاستشاري لندوة العلماء حالياً.

واستجاب الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي دعوة موجهة من جانب الدكتور نزار الدين رئيس قسم اللغة العربية بجامعة كيرالا ترفاندرام للمشاركة في الندوة الدولية عن الحديث الشريف ولغته وعلومه ،

المنعقدة في ٢٠١٢م ، وشرف فضيلته الحضور بافتتاح فعاليات الندوة الدولية وشجع المسؤولين والمساعدين لها ، وحرضهم على اهتمام إتباع السنة والأسوة الحسنة في حياتهم الفردية والاجتماعية ، وأضاف قائلاً بأن من حاجة العصر الذي يهتم الإسلام فيه بأن ننشر الهدايات النبوية بانعقاد الحلقات البحثية والندوات العلمية والمجالس العامة لإزالة الشكوك والشبهات حول الإسلام وخاتم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولإيقاظ شعور المسلمين عامة ولتفهيم غير المسلمين خاصة .

إن الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي كان قد اهتم بالنشاطات الأدبية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بفرع كيرالا حيث شرف المسؤولين والقائمين عليها بحضوره للندوة القومية عن " الإعلام " المنعقدة في ٢٩ يوليو ٢٠١٣م ، وترأس الحفلة الافتتاحية التي أقيمت في قاعة المؤتمرات برحاب جامعة كاليكوت ، وحضر ضيفاً مكرماً في مجلس القراءات السبع المنعقد بمدينة تيرور (Tirur) من مديرية مالابورام (Malapuram) على دعوة من الدكتور عبد الصمد الصمداني عضو البرلمان الهندي حالياً . وتوجه الشيخ وجماعته إلى ترفاندرام حيث حضر حفلة تأبين للأستاذ موتانيشيرل كوياكوتي (Muttanisheril Koyakutty) العالم الجليل والمفسر الأول للقرآن الكريم في ديار كيرالا ومترجم الكتاب التاريخي المشهور " مقدمة " لابن خلدون .

وقام الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي بجولة إلى كيرالا في ٢٠١٤م على دعوة من تلميذه الدكتور يوسف محمد الندوي إمام مسجد بالايام (Palayam Masjid) الشهير بعاصمة كيرالا ترفاندرام ، للمشاركة في حفلة ثقافية انعقدت في المسجد تحت إشراف لجنته الإدارية ، وشرف الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي الحفلة بكلماته الافتتاحية باللغة الأردية حيث ترجم الدكتور عبد الصمد الصمداني (عضو المجلس التشريعي لولاية كيرالا آنذاك) إلى اللغة المليالمية . وكان من مزاياه اهتمام شؤون الدعوة الإسلامية والسفر لأجله ، فإنه استعد للسفر إلى مدينة كنياكوماري (Kanyakumari) أقصى بقعة من بقاع الأرض الهندية في الجنوب وهذه البقعة من دائرة حكومة تاملنادو ، على دعوة من الداعي السيد المهندس بجلي ، أنه أسس بمساعدة زملائه الداعين المخلصين مركزاً دراسياً باسم " شانتي بهون " (بيت الأمن) للذين يريدون الدراسة عن الإسلام ومطالعته .

وتفضل الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي إلى كيرالا استجابةً للدعوة الموجهة من قبل الشيخ عبد الشكور القاسمي رئيس دار العلوم

الإسلامية بأوجيرا ، كولم لرئاسة الندوة الفقهية الرابعة والعشرين لمجمع الفقه الإسلامي بالهند ، المنعقدة فيما بين ١ – ٣ مارس ٢٠١٥م ، وكانت امتازت هذه الندوة بمباحثها العلمية ومناقشاتها الحيوية وانتخاب المسائل المستجدة في الأيام الحاضرة ، ورافق معه في هذا السفر أحفاده النبلاء كالأخ محمد أمين الحسني الندوي والأخ محمد خليل الحسني الندوي والأخ محمد منصور الحسني الندوي .

ومن الرحلات الأخيرة للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي إلى كيرالا في بداية السنة ٢٠١٧م ، وكانت هذه الجولة ممتدة من ترفاندرام جنوب كيرالا إلى كاسركود (Kasargode) أقصى شمالها واستعد الشيخ لهذه الجولة العلمية والدعوية ، بناءً على الدعوة المتواضعة من تلميذه المطيع الأخ محي الدين الندوي رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية بفرع كيرالا . انعقدت الندوة في منطقة نيلمبور (Nilambur) من مديرية مالابورام حيث شرف الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي والشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي الندوة بكلماتهما النيرة ، وشجعا الحضور والممثلين من الكليات والمؤسسات والقائمين عليها بالتبريكات على عقد الندوة . وكانت هذه الجولة جولة أخيرة لهما في ديار كيرالا وندوة أخيرة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بفرع كيرالا .

ومما يعجبني جداً أن الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي شارك في عدة برامج متنوعة لمختلف جماعات المسلمين ومؤسساتهم في كيرالا ، منها افتتاح المؤتمر العام للجماعة الإسلامية الهندية لمديرية إرناكولم (Ernakulam) على دعوة من الأخ السيد عبد العزيز أمير الجماعة الإسلامية بكيرالا ، وشرف سماحته الحفلة السنوية لتوزيع الشهادات للجامعة النورية بفيض آباد مالابورم ، التي تديرها جمعية العلماء بعموم كيرالا ، على الدعوة الموجهة من مديرها الأستاذ علي كوتي عضو هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية بعموم الهند . وزار الشيخ وجماعته المسجد الأول في الهند مسجد جيرمان بكودنكلور (Cheraman Masjid Kodungallur) الواقع في منطقة كوشين . ومنها افتتاح احتفالات اليوبيل البلاتيني للكلية العالية العربية بكاسركود في ٤/ يناير سنة ٢٠١٧م على دعوة من الطبيب حبيب الرحمن مدير المستشفى يونيتي بمنغلور وعضو المجلس الاستشاري لندوة العلماء وعلى طلب من الأخ أجمل شاه جهان بن أبي بكر الندوي مندوب خريجي الكلية .

رافقه في هذه الجولة الدكتور محمد أنيس الجشتي سكرتير حركة رسالة الإنسانية بفونا (مهاراشتر) والأستاذ المتقاعد من مجمع الدفاع العلمي والشيخ محمد بلال عبد الحي الحسني الندوي الرئيس العام لندوة العلماء حاليا . وكان جل جولات الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي مع جماعة مشتملة على ستة أعضاء عامة كالشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي رحمه الله أخوه الشقيق والسيد شاهد حسين سكرتيره الخاص والأخ سحبان ثاقب الندوي خادمه المخلص والأخ محمود الحسني الندوي غفر الله له والأخ إسماعيل بهولا الندوي .

حظي كاتب هذه السطور بالرفاقة مع الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي وجماعته بفضل الله في معظم جولاته ورحلاته في ديار كيرالا ، وأرى وأتذكر تلك اللحظات أوقاتا ثمينة وساعات سعيدة في حياتي . وانتهزت تلك الفرص السانحة لخدمات شيوخنا وأساتذتنا الأجلاء الذين قاموا بجولات مزيدة في بلادنا كيرالا رغم كبر سنهم وتعبهم الشديد ومسؤولياتهم الكبيرة وأعمالهم الصحفية والتأليفية والإدارية ، ولكني أفكر وأستحيي بأنني قصرت في الزيارة والرجوع إلى منهل العلم ومنبعه دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ وأساتيذها في أيام شبابنا .

لا شك أن أهالي كيرالا سعداء جداً لنيل التوفيق من الله تعالى لاستقبال الشيخ محمد الرابع وجماعته أكثر من عشر مرات ، حيث انتهز لضيافته ورفاقته أثناء هذه الجولات العلمية والدعوية بعض أهالي الخير على رأسهم الشيخ عبد الشكور القاسمي والأخ رسول عبد الغفور والسيد جمال الدين الندوي والأخ عبد المجيد البتهكلي والأخ محمد الأنصاري الندوي والأستاذ محي الدين الندوي والدكتور يوسف محمد الندوي والأستاذ جمال الدين الفاروقي والأستاذ عبد الرحمن الآدرشيري والحاج عبد الله زمزم والحاج كمال الدين والطبيب محمد شاه والطبيب محي الدين كنجولبا والحاج عبد الستار سيت والحاج إبراهيم والأستاذ محمد أنس النجمي والأخ محمد نعمان الجعفري الندوي والأستاذ الدكتور نزار الدين والحاج عبد الكريم والسيد هاشم الحداد والأخ عبد السلام والأخ محمد مزمل الندوي والأستاذ محمد شريف الكوثري والأخ إبراهيم الكوثري وغيرهم .

أدعو الله تعالى أن يرفع درجات شيوخنا ، ويدخلهم الجنة بسلام آمنين مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي : شخصية ومزايا كتاباته

د . محمد أعظم الندوي *

عندما نتحدث عن شخصية أستاذنا الجليل ومربينا النبيل سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله – ، فإننا نستحضر أمام أعيننا شخصية لامعة ومميزة تخلد في ذاكرتنا وتأسر قلوبنا ، شخصية جوهرها قيادة الشعب المسلم ، والإدارة والتنظيم ، والعناية الزائدة بالأدب العربي والفكر الإسلامي والكتابات الصحفية ، فالكتابة الأدبية والفكرية المتواصلة تضفي على شخصيته الروح والحياة ، والرونق والبهاء ، كان ركناً متيناً من " الأركان الأربعة " للبنيان الأدبي والفكري الشامخ الذي قام بإرساء قواعده الإمام أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، مع بقية أركانه ودعائمه القويمة من الشيخ محمد الحسني والشيخ محمد واضح رشيد الحسني – رحمهما الله – والشيخ الدكتور سعيد الأعظمي –حفظه الله – مدير دار العلوم ندوة العلماء ورئيس التحرير لمجلة البعث الإسلامي ، لكناؤ ، فالشيخ محمد الرابع يعتبر حقاً من روّاد الأدب والفكر في العالم المعاصر ، تبعه المئات والآلاف من الطلبة في أسلوبه الرصين ، حيث قدّم نماذج رائعة في الأدب العربي وتاريخه ، والنقد الأدبي ، والترجمة العربية ، وفاق أقرانه وفاز بالقدح المعلى ، واستخدم أدبه لمقاصد نبيلة ، لم يحاول بواسطة أدبه القيم تحقيق غاياته الشخصية على حساب الآخرين ، تتجلى شخصيته الأدبية كالشمس بين الكواكب ، إذا بدت لم يبد منهن كوكب :

كأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وُلد في عام ١٩٢٩م ، ونشأ في أسرة دينية مثقفة ، تحمل في طيّاتها قيم التوحيد النقي واتباع السنة النبوية ، وروح الجهاد في سبيل الله باللسان والسنان ، تربى في هذه البيئة الإيمانية ، ونشأ في جوّ يحمل

* أستاذ الحديث والفقه وعميد قسم الثقافة الإسلامية بالمعهد العالي الإسلامي ، حيدرآباد.

بذرات الإيمان والتفاني ، فكانت حياته بمثابة نموذج عملي وحيّ لهذه المبادئ ، تميز الشيخ محمد الرابع بتكوين شخصيته بوجود عوامل قلما تجتمع في شخص واحد ، فقد جمعت تربيته بين يد التوفيق والنعمة الإلهية ، حيث وفرت له عائلة ذات تأثير كبير في مجالات العلم والدعوة ، تلقى تعليمه في ندوة العلماء لدى شخصيات علمية بارزة ، مما ساهم في تنمية شخصيته وإثرائها بالعلم والأخلاق ، وقديماً قيل : " من تربّى بين الأسود يصبح أسداً " ، وترعرع على يد العلماء المعروفين آنذاك ، وفي مقدمتهم خاله الجليل المفكر الإسلامي والداعية الشهير الإمام أبو الحسن علي الحسني الندوي – رحمه الله – ، فقد كان له بمنزلة الوالد الرحيم ، والمربي الحكيم ، والأستاذ العظيم ، ربَّاه تربية إيمانية علمية دقيقة ، وزوّده بالإتقان والثقة في كثير من المجالات ، واصطنعه لرسالته الدعوية والفكرية ، فرافقه في الحلّ والترحال ، حتى أصبح مثله في الجوهر والمظهر ، ونحا نحوه ، واحتذى حذوه ، وكأنه " أحد السينين " و " ثاني اثنين " ، فأكرمه وأجلّه حتى حلّ محله وجلس جلسته في رئاسة ندوة العلماء ، وقيادة الشعب الهندي المسلم ، والعلم والفكر .

كان الشيخ منذ صباه يتمتع بالشغف الزائد في الدراسة والقراءة ، بين عائلة متوسطة الدخل ، ولكنه تحدى الصعاب ، وأظهر موهبة أدبية مبكرة ، اهتمّ بالأدب والجغرافيا ، والتاريخ والسيرة ، تأثر بأفكار المفكرين العرب والهنود مثل الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، والعلامة سيد سليمان الندوي ، وأمير البيان شكيب أرسلان ، والأستاذ محمد المبارك وغيرهم ، أعماله الكتابية الأدبية متنوعة وشاملة ، وقد قدّم في كتاباته منهجاً متكاملاً لتحقيق التوازن بين العقل والدين ، بالإضافة إلى ذلك ، كان للشيخ الندوي إسهامات في مجال الإحسان ، عمل على توضيح مفاهيم الإحسان وأهميته في تحقيق التقوى والتوازن النفسي ، ترك الشيخ الندوي إرثاً ثقافياً هائلاً في الفكر والأدب ، والسيرة والتاريخ ، ستظلّ له قيمة علمية وروحانية تستحق الاحترام والاهتمام .

وفي مسيرته المميزة ، انعكست هذه التكوينات السامية على تفاعله مع العالم من حوله ، قاد الشيخ الندوي ندوة العلماء برؤية استراتيجية واضحة ، حيث نجح في تحقيق الريادة والتأثير في الشؤون

التعليمية والإدارية ، وبهذه الطريقة ، تكون حياته نبراساً لنا جميعاً ، كممارسين في ميادين الدين والعلم والحركة ، على كيفية تحقيق أهدافنا والنجاح في مجتمعاتنا ، من خلال التفاني والاستقامة ، وبالتالي ، يظلّ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي حياً في أعمالنا ومساراتنا ، كرمز للإلهام والتوجيه ، ومصدراً للعبر والدروس .

كان الشيخ الندوي ربانياً نقياً ، لين العريكة ، سهل الخليقة ، رضياً مرضياً ، لا يغضب من أحد ، ولا يُغضب أحداً ، ومن أرباب القلوب المتصلة بالله ، يتسم بأناقة لافتة ، فكان دائماً يظهر بمظهر مرتب ومنسق ، مهما كانت المناسبة ، وكان طلقاً بشوشاً ، وضّاح المحيّا ، باسم الثغر ، باهر الجمال ، متسق القوام ، مربوع القامة ، يتلألأ في مظهره الخارجي ، يعلوه الهدوء والوقار ، يختار ملابس تلائم شخصيته ، وتجعله يبدو جذاباً ومحتشماً في الوقت نفسه ، مما يعكس روحه الراقية واهتمامه بالتفاصيل الصغيرة ، وكبار الناس يهتمون دائماً بصغار الأمور ، كان يلبس ثياباً تقليدية متأنقة تعكس ذوقه الرفيع واحترامه للتقاليد الثقافية ، يتميز ببساطته ، لم يكن يسعى للزخرفة الزائدة أو البريق الزائف ، كانت ملامح وجهه مشرقة بالبشاشة والود ، وعيناه كانت تنمّ عن حكمته وعمق تفكيره ، كان يمتلك الانضباط في نمط حياته ، مما ساهم في الحفاظ على لياقته البدنية ونشاطه ، وهذا ما أضفى على شخصيته لمسة من اللين والانسجام ، وساهم في تواصله الفعّال مع الناس والتعامل معهم ، وبفضل جمال مظهره ، وغاية تواضعه ، ووجهه الجميل كان الشيخ الندوي يلفت الأنظار ، ويشع نوراً خاصاً من حوله ، كان يتمتع بدماثة الخلق ، حيث تجلت في تصرفاته وأخلاقه الرفيعة ، يعامل الناس بود واحترام ، لديه قدرة على التفاهم والتعاطف مع مشاعر الآخرين ، كان يعرف بأنه شخص ودي ومتسامح ، وكان يسعى دائماً لتحفيز الخير ونشر السلام بين الناس ، كان يتجنب الجدال والتصاعد ، ويتحلى بالهدوء والصبر في مواجهة التحديات والصعوبات ، يكسب احترام الناس وتقديرهم ، كانت أخلاقه العالية تجعل منه قدوة ملهمة للآخرين ، وتعزز من تأثيره الإيجابي في المجتمع .

كان الشيخ الندوي يُعتبر أستاذاً كبيراً للأجيال ومربياً خبيراً

لآلاف الطلبة من المدارس والجامعات والمعاهد الإسلامية ، ولا سيما طلبة دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، لكناؤ ، والمعاهد المنبثقة منها ، ترك بصمة قوية في الميادين الدينية والتعليمية ، له دور هام في تأثير الأجيال الشابة وتوجيهها نحو العلم والإصلاح ، بالإضافة إلى دوره كداعية ، قام بتدريس الأدب والنقد ، والفكر والثقافة ، وسعى لنشر الوعي الديني بين الشباب وتهذيب الأخلاق ، وتزكية النفوس ، لقد ألهم الشيخ الندوي أجيالاً من الشباب الطموح والمثابرة ، وأثرى حياتهم بالمعرفة والفهم الصحيح للإسلام ، فقد كان يحث الطلاب على تطوير ذواتهم وتحقيق طموحاتهم وأحلامهم ، وأهمية الالتزام بالأخلاق الإسلامية النبيلة ، وخدمة الأسرة والمجتمع ، والعمل الدؤوب للإسلام والمسلمين على نطاق أوسع ، كان للشيخ الندوي دور مهم في التصدي للتطرف والتشدد الديني ، حيث دعا إلى الوسطية ورفض التعصب ، وكان لديه قدرة على التواصل الإيجابي وبناء العلاقات ، كان يهتم بمشاكل الناس واحتياجاتهم ، وكان يسعى لمساعدتهم وإرشادهم بكل حبٍ ورعاية .

كان الشيخ الندوي مفكراً وداعية إسلامياً معاصراً بارزاً ، قضى جزءاً كبيراً من حياته بين مدينتي رائي بريلي مسقط رأسه ، ولكناؤ مصدر علمه وأدبه ، ومهبط آماله ، تميز الندوي بأسلوبه السهل الخاص به في الخطابة والكتابة ، فكان لديه قدرة فائقة على التعبير وتبسيط الأفكار المعقدة ، كان له تأثير كبير في شبه القارة الهندية ، وفي العديد من المناطق في العالم الإسلامي ، اشتهر الشيخ الندوي بتحليله للقضايا الاجتماعية والفكرية والأدبية من منظور إسلامي تقوم قواعده على الحب والتفاهم ، والعطاء والبناء ، كما كان للشيخ الندوي روحانية عميقة وتواجد دائم للفكر الإسلامي المعتدل في حياته ، كان يعيش وفقاً للقيم الإسلامية ، ويحث الناس على اتباع نهجٍ معتدل وتطبيق التعاليم الدينية في كلٍ جوانب حياتهم ، وهكذا فلا عجبٌ أن يعد الشيخ الندوي شخصيةً فذةً من شخصياتٍ الدعوةٍ والفكر الإسلامي المعاصرة .

قاد الشيخ الندوي حركةً إصلاحيةً واسعة النطاق ، سعت إلى إصلاح النفوس وتعزيز الأسس الروحية في المجتمع ، وعلى مدى سنين طوال ، عمل الشيخ الندوي في حقل التعليم والدعوة ، شغل منصب الأمين العام لحركة

ندوة العلماء ، لكناؤ ، وتبوأ منصب الرئاسة لهيئة الأحوال الشخصية المسلمة لعموم الهند ، ويمكن تلخيص دوره المثالي في النقاط التالية :

(١) توعية الشباب : كان للشيخ الندوي دور مهم في توعية الشباب المسلم ، ولا سيما العلماء الشبان ، حيث دعاهم إلى فهم الإسلام بشكل صحيح وتطبيق قيمه ومبادئه في حياتهم ، وتجنب الانجراف مع تيارات متشددة في الدين ، والتفكير العقلاني والتعامل المتوازن مع التحديات الحديثة .

(٢) توحيد الصفوف : بفضل أخلاقه ونهجه المعتدل ، كان الشيخ الندوي يعمل جاهداً على توحيد الصفوف المسلمة وتجاوز الخلافات والانقسامات ، فقد أصبح نقطة الوحدة وهمزة الوصل ، دعا إلى التعاون والتضامن بين المسلمين ، سواء داخل مجتمعهم أو على المستوى العالمي .

(٣) التواصل مع الطبقات المختلفة : كان للشيخ الندوي قدرة على التواصل مع مختلف الطبقات والفئات في المجتمع ، سواء كانوا من العلماء ، أو الشباب ، أو الأطفال والنساء ، كان يستخدم أسلوباً بسيطاً واضحاً يصل إلى قلوب جميع الناس .

(٤) التركيز على القيم والأخلاق : دعا الشيخ الندوي طيلة حياته إلى التمسك بالأخلاق الإسلامية الرفيعة ، مثل العدل ، والتسامح ، والرحمة ، كان يشجع على تنمية هذه المكارم في حياة المسلمين وتطبيقها في التعامل مع الآخرين ، فقد كان يناقش قضايا العصر بحكمة ووضوح ، ويسلط الضوء على أهمية التواصل مع المجتمع ، وتقديم الحلول للتحديات المعاصرة من منطلق إسلامي .

فقد كان دور الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي على غرار خاله العظيم في توعية الفئات المختلفة من المسلمين يتمثل في تشجيعهم على التعلم والتطور ، وتبصير الناس وتوجيههم نحو الوسطية والتواصل ، وتعزيز قيم الإيمان والأخلاق في حياتهم ، مما ساهم في إبقاء وحدة المسلمين وترابطهم .

كانت اللغة العربية محور حياته ومصدر إلهامه ، حيث كانت تجمعه بها علاقة خاصة تدفعه للتغنّي بقول الشاعر القديم :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلباً خالياً فتمكّنا

كان يتحدث بلغة واضحة سهلة ، مما كان له تأثير كبير على

الجماهير التي كانت تستمع إليه ، وبخاصة الطلبة ، كان يعبر عن أفكاره ورؤيته بشكلٍ مقنع ، مما جعله محبوباً ومحترماً لدى الكثيرين ، كان عالماً دينياً موقراً بطرح أفكاره وآراءه بأسلوب مفهوم وواضح ، تأثر كثير من العلماء بمحاضراته وخطبه التي كانت تلقى بعواطف إيمانية ، وتجذب جمهوراً واسعاً من مختلف الأعمار والفئات ، كان يناقش القضايا المعاصرة بفهم سليم وبصيرة ثاقبة ، ويسلط الضوء على أهمية العلم والتعليم في بناء مجتمع مزدهر ومتقدم ، كان يحث على الاحترام المتبادل بين المسلمين وغير المسلمين ، ويؤكد على أهمية العمل من أجل خدمة المجتمع ومساعدة المحتاجين ، ورفع مستوى المجتمع دينياً وحضارياً .

عُرف الشيخ الندوي بأسلوبه الفكري العميق والمتميز ، تميزت كتاباته بالعمق والحنكة ، وكان يستخدم الدلائل المنطقية والعقلانية لدعم أفكاره ، واشتهر بأسلوبه الهادئ الحكيم في الخطابة أيضاً ، وكان يقدم المفاهيم الدينية بأسلوب سهل مؤثر ، يقول الدكتور محمد أكرم الندوي في كتابه " بغية المتابع " : " ويفضل شيخنا في الكتابة الأسلوب العلمي الواضح الذي يؤدي الرسالة ويقنع ، لا الذي يصاغ فيمتع ، ولعل منشأ ذلك حبه للحرية والصراحة ، فيرسل النفس على سجيتها ، ويعرض الفكرة على حقيقتها من غير تمويهها ، ومع ذلك فلأسلوبه طابعه المميز ، فأسلوبه أسلوبٍ عالم يبحث لينتج ، أو مصلح يصف ليعالج على أنه يتوخى الجمال أحياناً ، لاسيما في كتاباته واختياراته الأدبية ، فكتابه " المنثورات " يوحي بما يحمل صاحبه من ذوق أدبي رفيع " .

كان أسلوبه حقاً في الكتابة والخطابة واضحاً سهل المأخذ مع جزالة الألفاظ وترابط المعنى ، يتجلى ذلك في براعة الاستهلال وحسن التخلص ، ألف الشيخ الندوي عدداً كبيراً من الكتب والمقالات التي تناولت مختلف المواضيع الدينية والاجتماعية والأدبية والثقافية ، تأثر كثير من الأساتذة والطلبة والمثقفين بأفكاره وروح الهدوء التي كان يحملها في دعوته وخطبه ، كانت كتبه تتميز بالأسلوب السلس والفكر العميق ، مما جعلها محبوبةً لدى القراء والباحثين ، إن أسلوب الشيخ الندوي في الكتابة الأدبية كان مميزاً رائعاً ، كان لديه قدرة فريدة على التعبير والإيصال ، مما جعل كتاباته تلقى استحساناً واسعاً من القرّاء ،

ومن أبرز خصائص كتاباته وكلماته :

(١) الأسلوب العلمي : كان الشيخ الندوي يستخدم أسلوباً علمياً مؤثراً في كتاباته ، وربما يأتي بالأمثال والتشبيهات والتعابير البديعة للتوضيح والتعبير عن الأفكار والمفاهيم الدينية بشكل واضح وجذاب .

(٢) التأثير العاطفي : كانت كتابات الشيخ الندوي تتميز بالقدرة على إحداث التأثير العاطفي لدى القارئ ، كان يستخدم العاطفة لنقل رسائله الروحية والاجتماعية بطريقة تلامس القلوب وتحرّك المشاعر .

(٣) التبسيط والوضوح : كان الشيخ الندوي يتمتع بقدرة فائقة على التبسيط والوضوح في العرض ، كان يقدم المفاهيم العلمية والأدبية المعقدة بأسلوب سهل وواضح ، مما جعلها مفهومة للجميع بغضّ النظر عن مستواهم .

كان الشيخ الندوي نشطاً في معظم مجالاته إلى أن وافته المنية ، ما انزوى في بيته مع ضعف بدنه وتدهور صحته ، ولم يصبح حلس البيت ، ولا طريح الفراش ، توفي الشيخ الندوي في العشر الأواخر من شهر رمضان ١٤٤٤هـ الموافق شهر أبريل ٢٠٢٣م ، ورحل عن عالمنا إلى دار الخلد ، ولكنه سيبقى قامة دينية وفكرية مؤثرة ، وإرثه العلمي والروحي لا يزال يشكل مصدر إلهام وتوجيه للناس للسعي نحو التطوير والتحسين في حياتهم ومجتمعاتهم ، كأستاذ للأجيال ومرشد ومُوجّه للطلبة وعامة الناس ، وستظلّ شخصيته الروحية معيناً لا ينضب ، حاضراً في النفوس ، ونابضاً بالحياة ، يستمرّ تأثيره في تحفيز الناس على العمل الجاد والاجتهاد في سبيل العلم والتعلم وخدمة المجتمع ، مما يجعله رمزاً مهماً وأيقونة في تاريخ التربية والتعليم ، وأختم الحديث بما كتبه الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي عن الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وهذا ما نقوله الآن عن الكاتب الفقيد – رحمه الله – : " هو شيخنا ورئيس جماعتنا وقدوة أبناء ملّتنا الإسلامية في الغيرة للدين والكفاح لإعزازه والذبّ عن حوزته ، وإقرار روحه وطبيعته الحقيقية ، توفي بعدما نهج للدعوة والتربية الإسلامية منهج الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع في الفكرة والتنفيذ ، ومنهج النصيحة وحسن الخلق ، والأسلوب العلمي المشرق في عرض الفكرة وفي التعبير ، بعد أن أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته القيمة " .

العلامة محمد الرابع الحسني الندوي
هدية الهند للعالم الإسلامي

الدكتور عبد الصمد الندوي *

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على رسوله محمدٍ النبي الأمين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين ، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ، أما بعدُ !

فإنّ العلاّمة الأستاذ الأديب البارع الداعية الكبير المربّي الجليل محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله تعالى – هو أحد علماء ومفكري الإسلام البارزين الذين كانت لهم جهودهم البارزة في العالم الإسلامي ، خرج محمد الرابع الحسني الندوي كعالم وأديب مفكر مؤلف وداعية إسلامي من شبه القارة الهندية ، وقام بنشر دعوته وعلمه داخل الهند وخارجها ، وبالإضافة لجهوده في مجال الدعوة قام بتأليف العديد من الكتب الهامة والتي زادت عن مائتي كتاب ورسالة باللغتين العربية والأردية ، والتي ترجم الكثير منها إلى لغات عديدة .

الولادة والنشأة :

هو من مواليد بلدة راي بريلي في ولاية أتر براديش بشمال الهند عام ١٩٢٩م ، من أسرة علمية عريقة في العلم والنسب ، وكانت الهند آنئذ تحت الاحتلال البريطاني ، وكانت نشأته فريدةً في بابها ، فقد وُلد في بيت علم وأدب ، وخلق وورع ، وخشوع وتواضع ، وجهاد وكفاح ، ونهل من مناهل العلم الصافية ، وعلّ من ينابيعٍ الحكمة والفكرة السليمة والربانية الصافية ، ونال رعايةً خاصةً من خاله الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني ، ودرس في دار العلوم ديوبند ، وكان من أساتذته الشيخ حسين أحمد المدني ، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمهما

* أستاذ مساعد بكلية الدراسات العربية والإسلامية بجامعة هلال بى ، يس عبد الرحمن للعلوم والتكنالوجيا ، وندلور ، تشنائ ، الهند .

الله تعالى .

وقد تربى سماحة الشيخ على خاله العظيم العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، واستفاد منه استفادة ، واستقى منه وتشبع بخلقه ، وعايش معه وصحبه في السفر والحضر ، فأصبح شبيهه خلقاً وخلقاً ، وسيرة وسلوكاً ، ونهجاً وفكراً ، فنهج منهجه ، وسلك مسلكه في الفكر والدعوة ، واصطبغ بصبغته ، وكذا تلقى العلم والأدب من فضيلة الأستاذ الكبير الفاضل عبد الفتاح أبو غدة ، وتخرج في ندوة العلماء ليكون أستاذاً جامعياً بها ، ومتخصصاً في الشريعة الإسلامية والأدب العربي ، حيث أجاد العربية إلى جانب اللغة الأم (الأردية) ، ويلاحظ أن تأثير خاله عليه كان كبيراً ، فقد أشرف على تعليمه وتربيته ، وكان مصاحباً له في نشاطاته الدعوية والأدبية ، وفي رحلاته الخارجية ، وكان من أقرب الناس إليه ، وحافظاً لأوراقه وتراثه .

حياته العملية وجهوده الدعوية :

وعُين الشيخ محمد الرابع الندوي أستاذاً في دار العلوم لندوة العلماء في مادة اللغة العربية وآدابها عام ١٩٤٩م ، ودرّس فيها ما يقارب سبعين سنة ، وقد تخرّج عليه عدد كبير من العلماء والمشاهير في الهند . وقد تولى إلى جانب مهمة التدريس إدارة ندوة العلماء في عام ١٤١٣هـ ، ثم رئاستها بعد وفاة خاله العلامة أبي الحسن الندوي في عام ١٤٢٠هـ .

ولا شك أن الشيخ الندوي لازم صحبة خاله الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في رحلاته ، فسافر معه إلى الحجاز في عام ١٩٥٠م ، وأقام أكثر من سنة قضاها في الدعوة ، واكتسب العلم من مناهل العلم والمعرفة فيه ، وقد استفاد هنا من العلامة ابن باز ، والعلامة عبد الله بن حميد ، والشيخ ناصر الدين الألباني ، والعلامة محمد تقي الدين الهلالي المراكشي ، والشيخ أمين الشنقيطي ، كما استفاد هنا من الشيخ السيد علوي المالكي ، والشيخ محمد علي الحركان ، والشيخ عبد الله الخياط ، وغيرهم ، ثم عاد إلى لكهنؤ ، واختير أستاذاً مساعداً للأدب العربي في دار العلوم لندوة العلماء في عام ١٩٥٢م .

الرحلات العلمية الدعوية :

قد زار الشيخ عدداً من بلدان أوروبا وآسيا وإفريقيا مثل بلاد

الحرمين الشريفين ، وتونس ، والجزائر ، وتركيا ، وبلاد ما وراء النهر ، ودول الخليج ، وجمهورية مصر العربية ، وجمهورية اليمن العربية ، والكويت ، والإمارات العربية المتحدة ، والمملكة الأردنية الهاشمية ، وسوريا ، ولبنان ، وإيران ، والعراق ، واليمن ، وباكستان ، وبنجلاديش ، ونيبال وماليزيا ، واليابان ، وبريطانيا ، وأمريكا ، وأفريقيا الجنوبية ، وزار فيها كثيراً من المدارس والجامعات ، وحضر الندوات واللقاءات الأدبية والعلمية .

رئاسته وعضويته للمجامع العلمية والمؤسسات العالمية :

قد عُيّن في عام ١٩٥٥م رئيساً لقسم الأدب العربي في جامعة ندوة العلماء .

واختير عميداً لكلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء في عام ١٩٧٠م .

وفي عام ١٩٩٣م عُين مديراً لدار العلوم لندوة العلماء بعد وفاة مديرها في ذلك الوقت الشيخ محب الله الندوي .

وفي عام ١٩٩٨م عُين نائباً لرئيس ندوة العلماء .

قد اختير أميناً عاماً لندوة العلماء ورئيساً لندوة العلماء عام ١٤٢٠هـ الموافقة لسنة ٢٠٠٠م ، بعد وفاة الشيخ أبي الحسن الندوي .

وفي عام ٢٠٠٣م اختير رئيساً لمجلس الأحوال الشخصية الهندية لمسلمي الهند بعد وفاة رئيسها القاضي مجاهد الإسلام القاسمي .

وهو من مؤسسي رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وقد عُين نائب رئيس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئيسها لشبه القارة الهندية بعد وفاة الشيخ أبي الحسن الندوي . وبعد وفاة رئيسها الدكتور عبد القدوس أبو صالح انتخب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية عام ٢٠٢٢م .

وكان عضواً مؤسساً في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، ومجمع أبي الكلام آزاد لكناؤ ، وهو كذلك كان عضواً مؤسساً في عدد من المؤسسات العلمية والأكاديمية العالمية مثل مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في بريطانيا .

وأصدر الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي في عام ١٩٥٩م صحيفة " الرائد " ، وهي صحيفة عربية نصف شهرية ، لا تزال تصدر من

ندوة العلماء بجانب مجلة " البعث الإسلامي " وأثرى الشيخ محمد الرابع الندوي هذه الصحيفة بمقالاته القيمة ، الأدبية والإصلاحية . وكان يشرف الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي على المجلات الصادرة من ندوة العلماء : " تعمير حيات " (الأردية) و " سجا راهي " بالهندية (الرائد الصادق) ومجلة إنجليزية "The Fragrance of East" .

وبالإضافة إلى ذلك كان يرأس عدداً كثيراً من المؤسسات العلمية والمجامع الأدبية كالمجمع الإسلامي العلمي لندوة العلماء ، ومؤسسة الصحافة والنشر لندوة العلماء ، لكناؤ ، ومجلس التعليم الديني لأترابراديش ، الهند ، ودار عرفات برائي بريلي ، الهند ، وحركة رسالة الإنسانية لعموم الهند ، وجمعية الشيخ عبد الباري الندوي ، لكناؤ ، وما إلى ذلك من المدارس الإسلامية والمراكز التعليمية .

المشاركة العلمية :

قد شارك سماحة الشيخ الندوي في عدد كبير من الندوات والمؤتمرات والملتقيات الأدبية والعلمية على المستوى المحلي والعالمي والدولي ، وقدم بحوثاً ومقالات نشرت بعضها في كتيبات ، وبعضها في المجلات والصحف الوطنية والعالمية ، منها : استانبول ، القاهرة ، عمان ، لاهور ، مكة المكرمة ، أوكسفورد ، الرياض ، المدينة المنورة .

تراثه العلمي الهام :

قد ترك الشيخ محمد الرابع الحسني تراثاً مهماً تمثل في أكثر من عشرين كتاباً ، في العقيدة والشريعة والأدب والقضايا العامة ، ونشير بإيجاز فيما يأتي إلى بعضها :

١. الأدب العربي بين عرض ونقد . (بالعربية)
٢. منثورات من أدب العرب . (بالعربية)
٣. مقالات في التربية والمجتمع . (بالعربية والأردية)
٤. قيمة الأمة الإسلامية ومنجزاتها . (بالعربية والأردية)
٥. تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) . (بالعربية)
٦. الأدب الإسلامي وصلته بالحياة . (بالعربية)
٧. الأدب الإسلامي : فكرته ومنهاجه . (بالعربية)
٨. رسائل الأعلام . (بالعربية)

٩. معلم الإنشاء (الجزء الثالث) . (بالعربية والأردية)
١٠. مختار الشعر العربي (في جزئين) . (العربية)
١١. أضواء على الأدب الإسلامي . (بالعربية والأردية)
١٢. العالم الإسلامي : قضايا وحلول . (العربية)
١٣. في ظلال السيرة النبوية على صاحبها ألف ألف تحية وسلام . (بالعربية والأردية)
١٤. أضواء على الفقه الإسلامي . (العربية والأردية)
١٥. رسالة المناسبات الإسلامية . (العربية)
١٦. الغزل الأردي ومحاوره . (العربية)
١٧. بين التصوف والحياة . (تعريب لكتاب أردي ألفه الشيخ عبد الباري الندوي)
١٨. الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي : شخصية صنعت التاريخ . (بالعربية والأردية)
١٩. الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية . (بالعربية والأردية والهندية)
٢٠. جزيرة العرب . (بالعربية والأردية)
٢١. حركة الإصلاح والدعوة وآثارها في شبه القارة الهندية والجزيرة العربية .
٢٢. تأملات في سورة الكهف . (بالعربية والأردية)
٢٣. شعائر الله تعالى وتعظيمها . (بالعربية والأردية)
٢٤. المجتمع الإسلامي : حدوده وآدابه في ضوء سورة الحجرات . (بالعربية والأردية)
٢٥. الأوضاع المعاصرة وطرق معالجتها .

وعلاوةً على ذلك له مقالات وبحوث علمية كثيرة منشورة في المجلات والصحف المحلية والعالمية .

أسلوبه العلمي الرشيق :

وأسلوبه في مؤلفاته أسلوبٌ علميٌّ سهلٌ واضحٌ ، كما أنه أسلوبٌ هادئ ساذج متينٌ مطمئنٌّ يصل إلى أعماق قلوب القارئ أو السامع ، فأسلوبه الرائع كما وصفه تلميذه الشهير الدكتور محمد أكرم الندوي : " يكتب في الأسلوب العلمي الواضح ، الذي يؤدي الرسالة ويقنع ، لا

الذي يصاغ فيمتع ، ومنشأ ذلك حبه للحرية والصراحة ، فيرسل النفس على سجيتها ، ويعرض الفكرة على حقيقتها من غير تمويهها ، ومع ذلك فلأسلوبه طابعه المتميز ، إنه أسلوب عالمٍ يبحث لينتج ، أو مصلح يصف ليعالج ، على أنه يتوخى الجمال أحياناً ، لاسيما في كتاباته واختياراته الأدبية " (بغية المتابع لأسانيد العلامة الشريف محمد الرابع ، دار القلم ، دمشق ، ص ٣٨ – ٣٩) .

الجوائز :

وتقديراً لأعماله في خدمة اللغة العربية وآدابها منحه رئيس جمهورية الهند الجائزة التقديرية في عام ١٩٨٢م .

ومنحه المجلس الهندي لأترابرديش الجائزة التقديرية تقديراً لخدماته في مجال الأدب العربي .

وكذلك منحته مكتبة رضا برامفور بولاية أترابراديش جائزةً تقديريةً .

مكانته المرموقة وسجيته الفاضلة :

كان سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي جبلاً من جبال الحلم والأناة ، وبحراً من بحور العلم والأدب والحكمة ، وداعيةً من الدعاة إلى الحق والهدى ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعماداً من أعمدة صيانة الدين والشريعة ، قد استفاد منه المسلمون في الهند ، وفي شتى بقاع العالم ، عن طريق اللقاء والمشافهة ، وعن طريق الكتابة والصحافة ، وعن طريق التدريس والتعليم ، والتوجيه والتربية ، كما استفادوا منه عن طريق الرسائل والمكاتبات ، وعن طريق الخطب والمحاضرات ، فقد عاش عمره المبارك (٩٤ عاماً) للعلم والدين والدعوة ؛ يعلِّم ويدرِّس ، يكتب ويخطب ، يوجِّه وينصح ، ينبِّه ويرشد ، يزكي ويصلح ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وكذلك كان سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي خير خلف لخير سلف في جميع مجالات الحياة ، وكان خير ظهير ومؤيد لمربيه ومرشده (العلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي) في تحقيق الأهداف المنشودة التي توخاها شيخه ومرشده ، وإنجاز الأعمال والمسئوليات التي نيطت به من توجيه الصحوة الإسلامية ، وقيادة الحركة

الإسلامية ، وإدارة المؤسسات والمنظمات ، وتوجيه العمل الإسلامي ، وإعداد الجيل المؤمن الواعي ، فله تلاميذ منتشرون في مختلف أنحاء العالم ، يشغلون مناصب عالية في الجامعات والمدارس والكليات ، ومراكز البحث العلمي ، ومجامع اللغة ، ويلعبون دوراً بارزاً في مختلف مجالات الحياة .

وكان سماحة الشيخ الندوي في الحقيقة يُعتبر كهدية الهند للعالم الإسلامي كله ، كما أنه كان يُعَدُّ كنموذجٍ رائعٍ نادرٍ فيما يقوم به ، ويؤلف ويكتب ، إنه يؤثر البحث الهادئ دون عجلة ، ويضع الخطة المحكمة دون تسرُّع ، فقد ترك بصمات واضحةً على العقل الإسلامي المعاصر ، لا يمحوها اختلاف الليل والنهار بما ألف من عشرات الكتب ، وما ألقى من آلاف الدروس والخطب والمحاضرات ، لقد عاش عمراً طويلاً يحارب القوى المعادية للإسلام ، ويتصدى لتياراتها بكتاباته المؤثرة المقنعة باللغة العربية والأردية كلتيهما .

وفاته :

تُوفّي في اليوم الحادي والعشرين من رمضان ١٤٤٤هـ الموافق ١٣ أبريل ٢٠٢٣م عن عمر ناهز ٩٤ عاماً . رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأنزل عليه شآبيبَ رحمته ، وغفر له ، وأسكنه الفردوس الأعلى ، وتقبّله في المتقين من عباده ، وحشره مع الذين أنعم الله عليهم من النّبيين والصِّديقين والشّهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

الخاتمة – خسارة عظيمة للأمة جمعاء :

وفقدان الشيخ الندوي يُعتبر كخسارة عظيمة للأمة جمعاء . فلهذا قد تأثر بوفاته علماء الإسلام وأدباؤه في مختلف البلدان الإسلامية ، فضلاً عن مسلمي الهند الذين تدفقوا في حشود ضخمة إلى ندوة العلماء لتشييعه والصلاة عليه ، وقد عبروا عن خسارة الأمة لرحيل أحد حُراس العقيدة واللغة العربية في شبه القارة الهندية ، وكان على رأس الناعين له الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي قال في نعيه :

" فقدت الأمة الإسلامية عالماً من علمائها المخلصين ، نسأل الله العلي القدير أن يغفر له ويرحمه رحمةً واسعةً ويعفو عنه ، ويجزيه خير الجزاء ، ويكرم نزله ، ويدخله جنة الفردوس ، ويحشره مع النبيين

والصديقين وحسن أولئك رفيقاً ، وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان ، إنه نعم المولى ونعم المجيب "... كما نعته رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، من خلال الرئيس للرابطة ، حسن الأمراني (المغرب) في بيان جاء فيه :

" بقلوب خاشعة ، وعيون دامعة ، ونفوس راضية بقضاء الله تعالى نعزي جميع أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في وفاة رئيسها سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي الذي لبّى نداء ربه العلي القدير اليوم الخميس ٢٢ رمضان ١٤٤٤هـ ، كما نعزي كل محبي الأدب الإسلامي ، ونعزي مسلمي شبه القارة الهندية ، في رجل طالما وقف مدافعاً عنهم ، خادماً لقضيتهم . ونعزي الأمة الإسلامية قاطبة في عالم عامل ، وأحد أعلامها المخلصين الذين سخروا فكرهم وأدبهم لخدمة أمتهم إلى أن وافاه قضاء الله المحتوم " .

وقدمت هيئة علماء فلسطين تعزيةً للمسلمين في الهند والأمة الإسلاميّة ؛ وأهل الفقيد وذويه وطلابه . وكتب كثير من العلماء والأدباء على صفحات التواصل الاجتماعي ، نعياً للراحل وعزاءً لندوة العلماء والرابطة وتعريفاً بجهوده ونشاطاته .

المصادر والمراجع :

١. بغية المتابع لأسانيد العلامة الشريف محمد الرابع ،دار القلم ،دمشق ،ص ٣٨ – ٣٩ .

٢. "*آل انڈیا مسلم پرسنل لاء بورڈ کے صدر اور دار العلوم ندوة العلماء لکھنؤ کے ناظم مولانا محمد رابع حسنی ندوی کا انتقال*" (بالأوردية) ١٣ أبريل ٢٠٢٣م .

٣. "Syed Mohammad Rabe Hasani Nadvi". shibliacademy.org. مؤرشف من الأصل في ٢٠٢٢م – ٠٣ – ٣٠ – ٣١ .

٤. الاتحاد يعزي في وفاة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي عن عمر ناهز ٩٤ عاماً . الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين . نشر في ١٣ أبريل ٢٠٢٣م ، دخل في ١٤ أبريل ٢٠٢٣م . نسخة محفوظة ٢٠٢٣م – ٠٤ – ١٣ على موقع واي باك مشين .

٥. صحيفة الرائد ، ١٥ مايو ، ٢٠٢٣م .

٦. رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ١٣ أبريل ، ٢٠٢٣م .

٧. ويكيبيديا الموسوعة الحرة .

الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي وولاية كيرالا
(باعتناء خاص بقسم اللغة العربية لجامعة كيرالا)

بقلم : د . تاج الدين المناني (كيرالا)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

الجاهلون فموتى قبل موتهم والعالمون وإن ماتوا فأحياء

اللغة هي عقد من العلامات والرموز والإشارات ، تستخدم كوسيلة لإيصال المعاني بين البشر . ولولاها لأصبح الاتصال شبه معدوم ، أو قد لا يكون هناك اتصال بين الجماعات . فاللغة تشبه المنظار الذي يجعلنا نرى العالم ، ونتعرف على دقائقه المختلفة . فبها نتبادل المعاني وبها نفكر . لا شك في أن اللسان هو ترجمان القلب ، والكلمات التي تخرج من اللسان هي في الحقيقة انعكاس لأفكار الإنسان و تصوراته كما قال الأخطل :

إن الكلام لفي الفؤاد ، وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فاللسان ترجمان القلب ، وبريد القلب ، ومبين عن اعتقاده بالصحة أو الفساد ، فإن كلمات الإنسان هي أفكاره العقلية ،وإبراز معتقداته .

تعد الجامعة إحدى المؤسسات المركزية التي تقع عليها مسؤولية تنمية مقدرات التفكير لدى طلابها من خلال إعداد الأنشطة المحفزة على تفعيل القدرات العقلية المغمورة لديهم ،وذلك لإعداد جيل جديد يستطيع مواجهة المتغيرات العديدة في عصره أو من بعده . ومن ثمَّ فإن تنمية مهارات التفكير لدى الطلبة لم تعد رفاهية ،بل صارت ضرورة تفرضها التطورات والمتغيرات التي يتسم بها هذا العصر ،وصار لزاماً على جميع المؤسسات التعليمية ، ولاسيما الجامعة أن تضع تنمية التفكير أحد أبرز الأولويات عند إعداد مخرجات التعلم . ولقد أكد العديد من علماء التربية وعلم النفس على أهمية تنمية مهارات التفكير وأنماطه المتعددة لدى المراحل التعليمية المختلفة.

إن ولاية كيرالا أصغر بالنسبة إلى الولايات الهندية العظيمة ، ولكنها أكبرها شهرة ومنزلة ورفعة في بلاد العرب تقع في أقصى جنوب الهند ، دخلها الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على رأي بعض المؤرخين ، وهذا الرأي هو السائغ والمعقول لأن العرب كانوا يتاجرون مع هذه المناطق منذ ما قبل البعثة بمئات من السنين ، فلما جاء النبي صلى

الله عليه وسلم بالإسلام اعتنقوه وجاؤوا في الموسم التالي إلى كيرالا تاجرين مسلمين ، ولكن بداية الدعوة وإظهار دعاية الإسلام فيها اختلاف بين المؤرخين ، يقول زين الدين المخدوم الصغير في كتابه تحفة المجاهدين : إن غالب الظن أنه كان بعد المائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية . ويرجح رأي أن الإسلام دخلها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، حديث أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : أهدى ملك الهند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة فيها زنجبيل ، فأطعم أصحابه قطعة قطعة وأطعمني منها قطعة .

وشكلت في كيرالا حركات إسلامية عديدة انعكاساً بعدد من الحركات الدينية العالمية ، منها العصبة الإسلامية التي تشترك في حكومة الولاية ، والجماعة الإسلامية ، والفرق العديدة من السلفيين ، وأهل السنة والجماعة وغيرها كثير . والجدير بالذكر أن لهذه الحركات الإسلامية دوراً ملحوظاً في التعليم والإعلام والدعوة ، وإن المدراس الدينية والعصرية تحت هذه الحركات تلعب دوراً بارزاً في نشر الدراسات الدينية والعربية . كذلك تصدر جرائد يومية وأسبوعية تابعة لهذه الحركات بلغة ملايالام لغة الولاية ، كذلك لها مستشفيات وكليات الطب والهندسة ونسبة التعليم في كيرالا عالية . ومع ذلك أنشأت حكومة ولاية كيرالا قسماً خاصاً للغة العربية في جامعة كيرالا كما أنشأت قسماً في جامعة كاليكوت .

أذكر في هذه الآونة زيارة سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، الرئيس العام لندوة العلماء ورئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند ، وعلاقته بالقسم العربي بجامعة كيرالا . أستطيع أن أقول بلا شك وريب : إنه كان أحد محبي قسم اللغة العربية بجامعة كيرالا وطلبة القسم وأساتذة القسم ، وأخص بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور نزار الدين عبد الكريم طول الله عمره في خدمة لغة القرآن الكريم رئيس القسم العربي ، والذي ما زال ينفق معظم أوقاته في الحياة الاجتماعية لعامة المسلمين وخاصتهم . وأنا مسرور جداً لأن أقول : إن الأستاذ الدكتور نزار الدين رجل اجتماعي ، وله مكانة معتبرة عند أعيان جنوب كيرالا خاصة في مقاطعة تروندبورام وكولام في حين أن معظم أساتذة اللغة العربية ليس لهم اتصال بأهالي وطنهم وهو في شعلة من

النشاط والعمل الجد واتصال مستمر مع أعيان البلاد ويحبونه ، وكذلك مع جميع طلبة اللغة العربية ومدرسيهم .

الندوة الدولية حول القرآن الكريم :

عندما نقول عن زيارة مولانا محمد الرابع الندوي قسم اللغة العربية بجامعة كيرالا أذكر زيارتين هامتين : الأول زيارته خلال الندوة الدولية حول اللغة والتفاسير وعلوم القرآن الكريم التي نظمها القسم في مدينة تروندبورام ، عاصمة ولاية كيرالا ، الهند . وانعقدت تحت الندوة العالمية أربع جلسات عامة ، ومعرض القرآن الكريم ، ومؤتمر دولي في ملعب جندرشيكر ، وقدمت في الجلسات خلال سبعة أيام ، وذلك بين الفترة من شهر أبريل ٢٥ إلى شهر مايو ١ حوالي ٢٠٠ مقالة ، علاوة على الخطب والكلمات المرتجلة للزعماء والقادة والعلماء . وقد حضر في كل منها الجمع الغفير من العلماء والأدباء والمثقفين والسياسيين والمتطوعين من مختلف أنحاء الهند .

وعلى رأسهم سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي الذي شارك نيابةً عن معالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ، وأحمد سليم الواحتي سفير جامعة الدول العربية حينذاك ، Arab League Mission ، والدكتور عثمان إبراهيم ، وأبو بكر من ليبيا ، والدكتور عبد الله ، المحاضر من جامعة كاليفرنيا ، وفضيلة الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، (رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء سابقاً) ، ومحمد علي شهاب ، والمولوي عبد الشكور القاسمي – أحد كبار علماء " كيراله " ، ورئيس فرع " كيراله " لرابطة المدارس والجامعات الإسلامية الأهلية التابعة للجامعة الإسلامية دارالعلوم/ ديوبند – والدكتور ذاكر نايك ، والدكتور حسين مدوور – رئيس إحدى فرقة المجاهدين ، والمولوي جمال منكدا – إمام مسجد بالايام ، وغيرهم وأعيان البلدة وأصحاب الديانات المختلفة ، وعلمائها . وكان الشيخ يوسف القرضاوي مدعواً لهذه الندوة ، لكنه اعتذر عن الحضور لأسباب صحية .

وقد قام بافتتاح الجلسة العامة الأولى لهذه الندوة المباركة م . أ . بيبي (MA Baby) وزير التربية والتعليم لولاية كيرالا ، كما قام

بافتتاح الجلسة الثانية المرحوم إ . أحمد (E. Ahmad) الوزير المعاون لوزارة السكة الحديدية حينذاك ، ثم أصبح الوزير المساعد لوزارة الخارجية ، فهو الذي أعطى المال لعقد مؤتمر دولي حول موضوع التبادل الاجتماعي والثقافي بين الإمارات العربية المتحدة وولاية كيرالا الذي شارك فيه السفير الإماراتي إلى الهند ، وناقش مع كبير الوزراء بولاية كيرالا لبداية القنصلية الإماراتية بعاصمة كيرالا ، والتي صارت عوناً كبيراً للعمال المليباريين الذين يعملون في الإمارات . والجلسة الثالثة أومان جاندي (Ooman Chandy) رئيس حزب المعارضة آنذاك ، ثم أصبح كبير الوزراء بولاية كيرالا ، وأذكر الآن مساعدته لتكوين ثلاثة كراسي في هذا القسم للأستاذ المساعد ، رغم أن وزير الخزانة عارض لهذا التكوين لأسباب مالية وسياسية ، لكنه أصر على مساعدة القسم العربي ، بل سأل لسكرتيره كيف يمكن الدراسة بلا أساتذة في القسم العربي . كما افتتح الجلسة الرابعة إ . ت . محمد بشير ، عضو مجلس البرلمان ، الذي صار صيتاً عالياً للمسلمين في داخل البرلمان وخارجه .

وكان لهذه الندوة المشهورة – التي كان لها صدى إلى الآن – خاصةً مشاركة سماحة الشيخ محمد الرابع الندوي تأثير كبير عند نفوس الناس ، لأن الناس قد وجدوا فرصةً عظيمةً للقاء الشيخ والتحدث معه وطلب الدعاء منه . قد سمعت كثيراً من الناس يقولون عن تواضع الشيخ مع أنه في منصب عال خلال مسلمي الهند . وسمح الشيخ لملاقاته لجميع من حضروا لرؤيته بلا أي تعيين وتخصيص ، عالماً كان أو جاهلاً وغنياً كان أو فقيراً . وقضى أوقاته عندما كان موجوداً في تروندبورام بتوجيه الناس وإرشادهم . وكان الشيخ راغباً كبيراً في مشاركة فعاليات هذه الندوة المباركة ، وحث الناس على أن يتعلموا القرآن الكريم قراءةً وبحثاً عمقاً ليتعبدوا بأوامر القرآن الكريم . وخص الشيخ بالذكر في الخطبة التي ألقاها الأجر العظيم الذي يحصل عليه عامل القرآن الكريم والدعاة والعلماء والمتعلمين ، اللهم اجعلنا وإياه ممن عمل بالقرآن العظيم ، وجمعنا الله معه في جنة الفردوس الأعلى ، آمين .

المؤتمر الدولي حول الحديث النبوي الشريف :

قد وجهنا الدعوة إلى سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني

الندوي ، الرئيس العام لندوة العلماء ورئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند لحضور حفل افتتاح مكتب المؤتمر الدولي حول الحديث النبوي الشريف في قسم اللغة العربية بجامعة كيرالا في تروندبورام . ووصل سماحة الشيخ من لكناؤ إلى عاصمة كيرالا عن طريق منغلور ، حيث أقام سماحته هناك يومين في لقاء المتصلين به والتوجيه والإرشاد . ووصل الشيخ في مقر المؤتمر صباح ٢٠١٢/٠١/٢٣م للحضور في الجلسة المقررة . انعقد الحفل الافتتاحي في ٢٤ يناير ٢٠١٢م في قاعة المؤتمر بقسم اللغة العربية بجامعة كيرالا ، حيث حضره كبار المسئولين عن الجامعة ، والأساتذة من مختلف الأقسام . وحصلت أنا على فرصة عظيمة لأعطي سماحة الأستاذ باقةً من الزهرة . ألقى الأستاذ الدكتور نزار الدين عبد الكريم رئيس القسم كلمة الترحيب بسماحة الشيخ وفضيلة الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الندوي المرافق له . وبين رئيس القسم في خطبته تفاصيل المؤتمر الدولي المقرر عقده في ١٤ – ١٨ فبراير ٢٠١٢م . وتحدث سماحة الشيخ رداً على خطاب الترحيب ، وشكر أساتذة القسم على رأسهم الدكتور نزار الدين على توجيه الدعوة إليه للحضور في حفلة الافتتاح ، لأنه كان قد اعتذر عن الحضور في المؤتمر المقرر عقده في فبراير ، وقال : إن من الشرف الكبير والسعادة العظيمة عقد مؤتمر عن موضوع له صلة مباشرة بذات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وإن الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني للشريعة الإسلامية ، رغم أنه موضوع له لغوية وأدبية وإنسانية وخلقية وتربوية ، وتتميز جامعة كيرالا بعقد مثل هذا المؤتمر في رحابها .

وألقى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد واضح رشيد الندوي محاضرةً بليغةً في تلك الحفلة الميمونة فقال في محاضرته : " إن لعلماء الهند دوراً بارزاً في خدمة هذا الموضوع لغوياً وأدبياً ودينياً . وقد اعترف علماء العرب بفضل علماء الهند في هذا المجال . وقد أنجبت الهند كبار المحدثين الذين ألفوا كتباً قيمةً نالت الاعتراف من الدوائر العلمية . ولا يزال عدد كبير من علماء الهند مشغولين بخدمة الحديث النبوي الشريف . ومن سعادة هذه الجامعة أنها تعقد مؤتمراً دولياً على هذا الموضوع ، كما عقدت في العام الماضي ندوة دولية حول القرآن الكريم ودوره في إثراء اللغة العربية ، وكان لي شرف

الحـضور فيـه " . وتابعـه بالتحـدث في الافتتـاح رؤسـاء الأقـسام الأخـرى في الجامعة كالإنجليزية والتاملية والسنسكرتية والمليالمية ، ومسجل الجامعة . ثـم قـام سماحـة الـشيخ النـدوي بافتتـاح مكتبـة لمـؤتمر قـسم اللغـة العربيـة . وأعطـى سماحـة الـشيخ مـساعدته الماليـة ١٠٠٠٠ روبيـة لفعاليـات هـذا المـؤتمر المبـارك ، تقبلـه اللّه منـه ، وسـببه للدرجـة العلـى في الجنـة . ثـم كتـب بيـده الشريفة رسالة دعوة لسماحة الشيخ إمام الحـرم المكـي السيد عبد الـرحمن الـسديس ورسـالة دعـوة أخـرى لـسماحة الـشيخ عبـد اللّه بـن عبـد المحـسن التركي عضو هيئة كبار العلماء في السعودية والأمين العام السابق لرابطة العـالم الإسـلامي ، والمستـشار في الـديوان الملكـي الـسعودي برتبـة وزيـر لحضورهما في هذا المؤتمر المقرر في شهر فبراير . وقد سـاعدنا (المولـوي عبد الشكور القاسمي والدكتور تاج الدين المنـاني والـسيد شـعيب سـريكاريام) تانك الرسالتان للحصول على الفـرص لملاقاتهمـا عنـدما زرنـا مكـة المكرمـة لتوجيـه الـدعوة إليهمـا . وعنـدما قـرءا رسـالة الـشيخ فرحـا بهـا وأظهـرا البهجـة والسرور ورغبتهما للحضور في المؤتمر ،ولكن قدر اللّه ما شاء لأنهمـا اعتـذرا للحضور لأسباب إدارية حيث لم يحصلا على الإذن الرسمي من الحكومة .

وقد شـارك في هذا المؤتمر أيضاً عدد ملحوظ من أساتذة الجامعات بالبلدان العربيـة بمقـالاتهم وبحـوثهم ، كمـا شـارك فيـه نـسبة كـبيرة مـن المندوبين من الهند وخارجها . ولكثرة البحوث العلمية وزعت المقـالات علـى جلسات مختلفة عقدت في قاعات مختلفة ليجد كل باحث فرصة لتقديم بحثه . فكان المؤتمر ملتقىً علمياً وأدبياً كبيراً . ونشر القسم كـل البحـوث العلميـة في كتـاب المـؤتمر مجلـدين ، وأرسـل إلى أنحـاء العـالم في صـورة الكتـاب ، وهـذان الكتابان موجودان في موقع القسم (www.arabicku.in) .

حفلة تأبينية :

إجـلالاً وتعظيمـاً وتـذكاراً لـسماحة الـشيخ مولانـا محمـد الرابـع الحسني الندوي أقام قسم اللغة العربية بجامعة كيرالا حفلة تأبينيـة في ٢١ يونيو ٢٠٢٣ بمناسـبة " الجدوة " مهرجـان البحـث العلمـي في جامعـة كـيرالا ، وألقـى فيهـا فـضيلة الـدكتور يوسـف محمـد النـدوي الأسـتاذ المـساعد بكليـة WMO وينـاد ، وفـضيلة الـدكتور عـز الـدين النـدوي الأسـتاذ المساعد بكلية روضة العلوم بكاليكوت محاضرتين قيمتين حيث بين

الدكتور يوسف الندوي في محاضرته عن سيرة حياة سماحة الشيخ محمد الرابع الندوي العلمية والعملية ومكانته في دائرة علماء الهند وخارجها ، كما بين الدكتور عز الدين الندوي عن سيرة حياة سماحة الشيخ محمد الرابع الندوي الأسرية ومجهوداته القيمة لوحدة المسلمين وغير المسلمين حيث سافر طول الهند وعرضها يدعو الناس إلى الأخوة والتعاون والمساواة فيما بينهم ويدعو إلى مكانة عالية من العفو والصبر والتحابب حتى يكون كل واحد منهم نموذجاً للآخرين . وألقى فيها أساتذة القسم العربي تجربتهم بسماحة الشيخ محمد الرابع الندوي ، حينما وصل إلى القسم من قبل وكذا مساعدته للقسم .

مجلة كيرالا وكتب المؤتمر :

ومجلة كيرالا تنشر من القسم العربي بجامعة كيرالا . ومجلة كيرالا هذه بدأت في ديسمبر ٢٠١٠م يصدرها القسم مجلدين في سنة واحدة ، وهي مجلة نصف سنوية عربية أدبية بحثية ، تهتم بنشر الدراسات والبحوث والإسهامات النقدية المتعلقة بالعربية وآدابها المختلفة ، وقد صدرت أعدادها السابقة مع مقالات قيمة حول اللغة العربية ونقدها وانتشارها . على كل ، فإن هذه المجلة وغيرها من المجلات والجرائد والصحف والمنشورات العربية نتيجة لجهود فعالة قام بها محبو اللغة العربية في كيرالا . وقد يخص بعض أعداد المجلة بنشر البحوث والمقالات العلمية التي عرضت في المؤتمر أو الندوة ، كما خص العدد الثالث في ٢٠١٢م بالمقالات العلمية حول الحديث النبوي الشريف .

وعقد القسم مؤتمراً وطنياً حول كتاب " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن علي الندوي " لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي في نوفمبر ٢٠١٦م . وقد عرض فيه مقالات قيمة في هذا الموضوع ونشرها القسم في صورة كتاب ووفرها في الموقع السابق ذكره .

فظلت علاقة سماحة الشيخ بالقسم العربي بجامعة كيرالا علاقة وطيدة وجزءً لا يتجزء إلى يوم القيامة بإذن الله . الآن يريد أهل القسم عقد مؤتمر خاص حول مؤلفات الشيخ الرابع الندوي في أقرب وقت ممكن عندما يحصل القسم على الإذن الرسمي من إدارة جامعة كيرالا إن شاء الله تعالى ، والله ولي التوفيق .

حارس اللغة العربية في الهند

د . محمد أنظر الندوي *

كان الشيخ الأغر الأبيض الهاشمي محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله (المولود في ٢٩ أكتوبر ١٩٢٩م) وارث بيت النبوة ، وأمين ندوة العلماء ، وخليفة العالم الرباني والمفكر الإسلامي أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي طبق صيته الآفاق ، وسار بذكره الركبان . كان الفقيد ذا وجه بهي وقلب نقي ، وكان من أتقى عباد الله الصالحين ، حيث إنه كان متحلياً بالعلم والحلم ، والأدب والخلق ، وسلامة الصدر ، وطهارة النفس ، والزهد والعفاف ، والصلاح والتقى . وكان أسوةً حسنةً للعلماء والشيوخ وطلبة علوم الدين والشريعة الإسلامية الغراء ، لِما أنه كان يتصف بالزهد في الشهرة ، والفرار من الفخفخة وحب الظهور ، ولما أنه كان – وذلك بحد ما عبَّره الدكتور محمد أكرم الندوي إثر وفاة الراحل الكريم – : " ما أشده تمسكاً بمذهب الشمول والاعتدال ، وما أثبته على محجة الحق والإنصاف ، وما أعظمه استقامةً على مسلك شبلي ، وسليمان ، وأبي الحسن ، وما أبعده عن الإفراط والتفريط ، وما أبلغه عداءً للعصبية العمياء ، والتزمت البغيض ، والجمود الممقوت " [١] .

كان فقيدنا الغالي محمد الرابع الندوي أميراً لركب الأدب الإسلامي ، وزعيماً للمسلمين الهنود وأهل الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، في حين جفاهم الأقارب والأباعد . كان الفقيد في الواقع إمام الكرامة وجبل الحلم ، إنه تحمل حلماً وهمةً وقدراً حينما جهل الجهال وسفه السفهاء .

وُلد سماحة الأديب الكبير محمد الرابع الندوي لأسرة علمية عريقة في قرية " تَكْيَهْ " – الصغيرة مساحة والعظيمة مكانة – بمديرية

---

* الأستاذ المشارك بقسم الدراسات العربية ، جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية ، حيدرآباد ، الهند . itsanzar@gmail.com

[١] الدكتور محمد أكرم الندوي ، أوكسفورد : إنا لفراقك لمحزونون ، وفاة العلامة الشريف محمد الرابع الحسني الندوي ، صفحات الواتساب من وسائل التواصل الاجتماعي .

راي بريلي في ولاية أترا براديش ، التي كان وُلد فيها وعاشها الإمام أبو الحسن علي الندوي وأسرته المحروسة ، والتي أنجبت شموساً في العلم والدين ، والصلاح والورع والتقوى ، وأضاءت بأشعتها أرجاء البلاد ، ونشرت العلم والروح ، ورفعت اسم الهند في العالم بأسره ، ومن أمثالهم : الشيخ علم الله الحسني (م ١٦٨٥م) ، والرجل المشهور في عائلته هو الرجل الذي يعرفه العالم باسم السيد أحمد الشهيد (اُستُشهِد في سنة ١٨٣١م) ، والطبيب عبد الحي الحسني (م ١٩٢٣م) ، والدكتور عبد العلي الحسني (م ١٩٦١م) ، والأستاذ محمد الحسني (م ١٩٧٩م) ، والشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي (م ١٩٩٩م) ، والشيخ السيد محمد واضح رشيد الندوي (م ٢٠١٩م) ، وما سواهم .

درس الشيخ محمد الرابع في دار العلوم لندوة العلماء ، وتخرج فيها ، ليكون أستاذاً جامعياً بها ، ومتخصصاً في الشريعة الإسلامية والأدب العربي ، حيث أجاد العربية وأتقن فيها إلى جانب اللغة الأم (الأردية) . ودرس في دار العلوم ديوبند ، وكان من أساتذته هناك الشيخ حسين أحمد المدني ، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، ثم انطلق إلى الحجاز (أي المملكة العربية السعودية) في عام ١٩٥٠م ، وأقام فيها أكثر من سنة قضاها في الدعوة ، وكسب العلم من مناهل العلم والمعرفة فيها ، وتلقى الدروس من علمائها ومشايخها البارزين ، ثم عاد إلى لكناؤ ، وعُيِّن أستاذاً مساعداً للأدب العربي في دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٥٢م .

عاش الشيخ محمد الرابع الندوي حياة طويلة حافلة بالعمل الدؤوب والتربية الحسنة والتعليم الراقي والوظائف المؤثرة ، فكان انضم إلى الهيكل التدريسي بدار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ ، وإلى جانب التدريس تولى إدارة ندوة العلماء عام ١٩٩٣م بعد وفاة مديرها في ذلك الحين الشيخ محب الله الندوي اللاري ، وصار رئيساً عاماً لها في يناير عام ٢٠٠٠م بعد وفاة خاله الشيخ أبي الحسن علي الندوي . إنه كان من أبرز مؤسسي رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، التي صار نائباً لرئيسها ، ورئيساً لمكتب شبه القارة الهندية ، وآلت إليه الرئاسة أعقاب وفاة رئيس الرابطة د . عبد القدوس أبي صالح . وكان عضواً في رابطة العالم

الإسلامي بمكة المكرمة ، ورئيساً لهيئة الأحوال الشخصية لمسلمي الهند مع عضويته في مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية في بريطانيا .

قد تربى فقيدنا الشيخ محمد الرابع على يد خاله الشيخ أبي الحسن علي الندوي ، ذلك الرجل الذي كان مفخرة العالم الإسلامي برمته ، والرجل الذي أجمعت الأمة على عبقريته ، ونهل من منهله ، واصطبغ بصبغته ، وتشرب روحه وفكره ، واضطلع بمهامه . وكان الفقيد من صنعه ، فكان متزوداً بنفس الحب واللطف ، ونفس الأسلوب اللطيف لأداء الصلوات والعبادات ، ونفس صدق العمل ، ونفس حسن الخلق ، ونفس الحذر في الحديث حتى لا ينكسر قلب أحد ، الذي تزود به خاله العظيم الشيخ أبو الحسن علي الندوي . وفي الحقيقة إنه كان صنو خاله العبقري العصامي في الصفات والشمائل ، وفي التألم للدين الإسلامي الحنيف ، والتحرق للأمة الإسلامية الهندية على أوضاعها الحرجة ، وفي التحلي بالأخلاق السنية ، وفي قيادة سفينة المسلمين الهنود في العُباب المضطرب والأفق المُكْفَهِرّ ، وفي الاهتمام بالعلم والدين والدعوة والتوجيه والإرشاد نشراً وتبليغاً . وظهر حصاد هذه التربية بشكل كونه خير خلف لخير سلف .

لقد كان الشيخ محمد الرابع بالفعل خير خلف لسلفه الشيخ السيد أبي الحسن علي الندوي . إنه كان صديقه المقرب لعدة عقود ، وكان يصاحبه في جميع الأوقات ، في حله وترحاله ، وفي نشاطاته الدعوية والأدبية ، وفي رحلاته الخارجية التي تضمنت عدداً من بلدان أوروبا وآسيا وإفريقيا . وكان من أقرب الناس إليه ، وحافظاً لأوراقه وتراثه . وإنه مثل الإمام الندوي في مناسبات عديدة ، وتحدث نيابةً عنه في الملتقيات والمنتديات العلمية والأدبية والثقافية عدة مرات ، وكلما كان الإمام الندوي يقبل مسؤوليةً ، فكان الشيخ محمد الرابع هو الذي يؤدي أمانته ، وكان عليه أن ينفذها ، وليس هذا فقط بل أصبح مظهره مثل مظهر خاله الشيخ أبي الحسن علي الندوي ، ولا شك أن الشيخ محمد الرابع الندوي كان وريثه الحقيقي بلا منازع .

كان الأستاذ محمد الرابع أديباً كبيراً وعالماً جليلاً ، وبسمته

الهادئ الوديع يتفجر حماسة بالنشاط والقراءة والدرس والبحث ، من أجل تقديم أجيال جديدة والناشئين الجُدد من المسلمين الهنود ترتبط بتراثها الإسلامي وتحافظ على اللغة العربية في الهند .

يمتلك الشيخ محمد الرابع قلباً رؤوماً ، ونفساً رقيقةً ، وصدراً سمحاً ، وكلاماً رقيقاً ، وتواضعاً متصاعداً ، ولهجةً لطيفةً ، وخلقاً عظيماً . وكان سماحته ناعماً كالحرير في أوساط الأحبة والأصدقاء ، كما كان رمزاً لوحدة المسلمين ، وكان رئيساً لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في شبه القارة الهندية ، وهي رابطة أدبية امتدت إلى العالم بأسره ، وتوجد لها فروع في مختلف البلدان والأمصار ، وقام بتأسيسها سماحة الشيخ أبو الحسن علي الندوي والرجال الأكفاء من أهل العرب .

أنعم الله عز وجل على الفقيد بعلم وحكمة غير عاديين ، ويمكننا أن نناقش عبقريته متعددة الأوجه بأبعاد مختلفة كعالم إسلامي ، ومفكر ، ومرب ، ومؤرخ ، وناقد ، وأديب ، وديني ، ومعلم ، ومصلح ، وخطيب ، وصحفي ، وفقيه ، وكاتب ، ومتحرق للأمة على أوضاعها المروعة المكروهة ، وكاتب سيرة الرسول الأكرم صلوات الله عليه وسلامه ، ومتحدث باسم محنة المضطهدين والفقراء والضعفاء المتشردين ومَن في حكمهم .

لقد حظي الشيخ محمد الرابع الندوي من حب الأمة المسلمة في الهند والبلدان الإسلامية الأخرى بنصيب أوفر يندر نظيره في مصاف العلماء والقادة والزعماء ، ويُستدل على هذا بواقع اتفاق كلمة الأمة عليه في اختياره رئيساً لهيئة الأحوال الشخصية لمسلمي الهند في حيدرآباد (الهند) سنة ٢٠٠٢م ، وهو لم يكن موجوداً في الاجتماع الذي اختاره فيه أعضاء الهيئة رئيساً لها ، وقد اعتذر الفقيد عن تولي مهام الرئاسة في أول الأمر ، ولكن لما وقع الاختيار عليه ، قبلها على مضض ، مراعاةً لمصلحة الأمة ، وشعوراً منه بواجبه نحو أمته ، واهتماماً بأمورها ، وحرصاً على حل قضاياه المرهقة ومشاكلها الحرجة . كل منا يعرف أن تولي مهام الرئاسة للهيئة التي تموج بالاتجاهات والرؤى والأفكار والمذاهب ، ليس أمراً ميسوراً ، ولكنه قادها قيادةً موفقةً في حذق وبراعة ، ويقظة وصبر ،

ووعي وثقة ، بنصر الله وعونه .

كان الشيخ محمد الرابع عالماً متضلعاً من علوم الشريعة الإسلامية ، وكان له نظر في علوم الكتاب والسنة ، وكان يلم بأسرارها ورموزها ، وكتاباته ومؤلفاته وخطبه خير دليل على تضلعه وإتقانه . وكان يعكف على دراسة الكتب لأبرز المؤلفين في العالم ، ويستوعبها ، وحتى تعرف على أفكار العلماء العرب ونظراتهم من خلال منشوراتهم العلمية والفكرية .

كان الشيخ المغفور له رجلاً مشغوفاً بالأدب والإنشاء والتعبير ، وذلك منذ أن كان طالباً في دار العلوم التابعة لندوة العلماء ، ومنخرطاً في سلك التدريس بها ، حيث إنه قد كان تولى منصب الأديب الأول ، ثم عمادة كلية اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء ، وكان يُدرّس كتب الأدب ودواوين الشعر لفحول الشعراء العرب ، ويؤلف الكتب في الأدب والإنشاء والتعبير ، وكان له اختصاص في مجال الأدب والتعبير ، وله إسهامات قيمة في تطوير اللغة العربية وآدابها ، ونراه أنه ألف خمسة عشر كتاباً باللغة العربية ، وفيما بينها في موضوع الأدب العربي بوجه الخصوص كتابه المعروف بـ " الأدب العربي بين عرض ونقد " ، و " منشورات من أدب العرب " ، و " مختار الشعر العربي " (جزءان) ، و " تاريخ الأدب العربي : العصر الإسلامي " . وهذه الكتب من المقررات الدراسية في دارالعلوم لندوة العلماء والمدارس العربية الدينية الأخرى في مختلف أرجاء الهند . وأهمية كتابه المعنون بـ " الأدب العربي بين عرض ونقد " تكمن في أنه أول كتاب وُضع لشباب لم يعرفوا من الأدب العربي إلا مختارات قليلةً من النثر والشعر ومعلومات بسيطةً عن تاريخ الأدب العربي ، ويضم الكتاب مجموعةً من الفصول حول حقيقة الأدب والنقد والتحليل ونماذج من حيث القيمة الأدبية حسب العصور : الجاهلي ، والإسلامي الأول ، وعهد المدنية والحضارة ، والنهضة الحديثة . وله كتاب بالأردية باسم " جزيرة العرب " ، وموضوعه جغرافية جزيرة العرب ، وهو منفرد في موضوعه ، وهو داخل في المقررات الدراسية هو الآخر ، وكتابه الآخر بالأردية المسمى بـ " حج اور مقامات حج " ، ويناقش فيه عن

الأماكن التي يمارسها الحجيج أثناء زيارتهم لها ، وهو أول كتاب تم تأليفه بالمنهج الجغرافي ، ويكمل ضرورة البحث العلمي لهذه الأماكن والمواقع . ألف الشيخ عبد الماجد الندوي كتاباً في جزئين ، باسم " معلم الإنشاء " لتدريب الطلاب والناشئين على اللغة العربية والترجمة من العربية إلى الأردية وعلى العكس . وكانوا بأمس حاجة للجزء الثالث من هذا الكتاب للصف المتقدم ، فقام الشيخ محمد الرابع الندوي بإكمال هذه الضرورة ، وألف كتاباً باسم " معلم الإنشاء " (الجزء الثالث) . وهذا الكتاب هو الآخر في موضوع اللغة العربية وتدريسها للناطقين بالأردية ، وضمن مقررات المنهج الدراسي .

ومن حسن حظي وسعادتي أنني قرأت على الشيخ محمد الرابع الندوي كتابه هو " الأدب العربي بين عرض ونقد " عندما كنت طالباً في السنة العالية الرابعة في كلية الشريعة وأصول الدين بدار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ ، وذلك في عام ١٩٩٧م ، وأتذكر حتى الآن أن منهجه التدريسي كان سهلاً ميسوراً ، سائغاً مقبولاً لدينا نحن الدارسين ، خفيفاً على مسامعنا ، جميلاً جمال الأدب ، مؤثراً تأثير القول الجميل الجذاب ، رائعاً روعة الأزهار الباسمة ، ينال من الطالب كمثلي الرضا والاقتناع ، ويشرح الكلمات الغامضة في النثر والأبيات في الشعر شرحاً يفي المستلزمات ، ويلذ الطلاب المشاركون سماعه ، ويتمنون لطوال الساعة ليستمتعوا بكلامه العذب الماتع ، وحديثه الأحلى من جني الشهد .

يكتب تلميذه الأديب العربي الكبير الشيخ محمد نعمان الدين الندوي رئيس تحرير " الصحوة الإسلامية " الصادرة عن دار العلوم حيدرآباد سابقاً ، في شأن أسلوبه ، وهو يقول :

" عندما كان يشرح الكلمات شرحاً لغوياً ، فكان يشرح شرح المتمكن القدير من العربية ، المُلِمّ بدقائقها وخصائصها ، العارف بفوارق المترادفات من الألفاظ والكلمات " [١] .

وكما يصف أسلوبه تلميذه الدكتور محمد أكرم الندوي العميد للشؤون التعليمية والأستاذ في كلية كامبريدج الإسلامية ، والأستاذ في

[١] مولانا محمد نعمان الدين الندوي : سلسلة شخصيات أعجبتني (١٥) : فقيد الأمة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، المصدر : الفيسبوك ، ٧ من يونيو ٢٠٢٣م .

معهد السلام بأوكسفورد ولندن :

" يكتب في الأسلوب العلمي الواضح ، الذي يؤدي الرسالة ويقنع ، لا الذي يصاغ فيمتع ، ومنشأ ذلك حبه للحرية والصراحة ، فيرسل النفس على سجيتها ، ويعرض الفكرة على حقيقتها من غير تمويهها ، ومع ذلك فلأسلوبه طابعه المتميز ، إنه أسلوب عالم يبحث لينتج ، أو مصلح يصف ليعالج ، على أنه يتوخى الجمال أحياناً ، لا سيما في كتاباته واختياراته الأدبية "[1] .

قد درّس الشيخ محمد الرابع الندوي في دار العلوم لندوة العلماء قُرابة أربعة عقود من الزمن ، فقد ظل يُدرّس الطلاب ، ويُعلّم الدارسين ، ويضيئ الباحثين عن نور العلم والمعرفة ، منذ أن تخرج إلى أن لبّى نداء ربه في ظهر الخميس بتاريخ الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وأربع مائة وألف الهجري ، المصادف الثالث عشر من أبريل عام ثلاثة وعشرين وألفين الميلادية ، عن عمر يناهز خمساً وتسعين سنة . فكان بحق أستاذ الأجيال ومربي آلاف من الأساتذة والعلماء والشخصيات البارزة ، وكان قاسم الخيرات والحسنات ، إذ تخرج العديد من الكتاب والمؤلفين المبدعين على يديه ، وفي الحقيقة إنه كان يبني المجد ، ويربي الجيل ، ويعلم الدارسين ، ويوجه المتفقدين ، ويرشد المسترشدين والمنخرطين بسلك نظام السلوك والتربية ، ويصنع الأذهان والأدمغة ، ويعد الرجال والأكفاء ، وينير درب الحياة .

تتميز أسرة الشيخ محمد الرابع الندوي بالعلم والفضل والدعوة والصلاح والتقى والمجد ، كما هي معروفة بأسرة التأليف والتنقيب العلمي ، فقد نبغ فيها المؤلفون الأمجاد وصاحبات علم وفضل وأدب ، ألّفن الكتب ، وقرضن الشعر . كان الشيخ محمد واضح رشيد الندوي شقيقه الصغير كاتباً عملاقاً ومفكراً بارزاً للغة العربية ، ومؤلفاً للعديد من الكتب ، وكان شقيقه الآخر الشيخ محمد الثاني الحسني شاعراً وكاتباً ومؤلفاً جيداً جداً ، إنه هو الذي كتب ترنيمة دار العلوم لندوة

---

[1] الدكتور محمد أكرم الندوي : بغية الطابع لأسانيد العلامة الشريف محمد الرابع ، دار القلم ، دمشق ، ص ٣٨ – ٣٩ .

العلماء . وكان ابن خاله الأستاذ محمد الحسني كاتباً ممتازاً وصحفياً عربياً شهيراً ، وخاله الشيخ أبو الحسن علي الندوي معروف للعالم الإسلامي بأسره ، ففحوى القول أن أسرته كلها مثال للشمس التي تشرق الداني والقاصي بضوئها المنير .

ومن هنا ، اشتغل فضيلة الشيخ محمد الرابع بمهمة الكتابة والتأليف منذ شبابه المبكر ، فترجم كتاباً للشيخ عبد الباري الندوي باسم " تجديد تصوف وسلوك " من الأردية إلى العربية ، وكان في العشرين أو الثاني والعشرين من عمره آنذاك . كان كاتباً غزير الإنتاج ، وصدرت عن قلمه تأليفات قيمة ، باللغتين العربية والأردية ، وذلك أكثر من أربعين كتاباً . إن عمله الأدبي والإبداعي متعدد الأبعاد ، ويتضمن هذا : العقيدة والشريعة والأدب والتعبير والسيرة والتاريخ والجغرافيا والرحلات والقضايا العامة ، تم تضمين كتبه المختلفة في مناهج مختلف المؤسسات ودور العلم ، بما في ذلك دار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ . ومن أهم منشوراته وكتبه : " ندوة العلماء : فكرتها ومنهجها " ، و " العالم الإسلامي اليوم : قضايا وحلول " ، و " شهران في أمريكا " ، و " سراجاً منيراً " ، و " الغزل الأردي ومحاوره " ، وما إلى ذلك . صدر له كتابان في مجال الأدب الإسلامي ، الأول بعنوان " الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام " ، والثاني بعنوان " أضواء على الأدب الإسلامي " ، وفي الكتابين تتبلور رؤية المؤلف ونظرته لفكرة الأدب الإسلامي ، انطلاقاً من استخدام السلف نصاعة التعبير في الموضوعات العلمية والتعليمية ، فضلاً عن الأدبية . وله كتاب في مجال الاجتهاد الفقهي بعنوان " أضواء على الفقه الإسلامي ومكانة الاجتهاد منه " ، وهو يدافع فيه عن الشريعة الإسلامية ، ويدعو العلماء المجتهدين إلى الاجتهاد الفقهي لسد الفجوات التي أصابت المجتمعات الإسلامية في عالم اليوم . ثمة كتب أخرى للشيخ محمد الرابع ، يضيق المجال عن تناولها والتعليق عليها .

تتميز كتاباته ومنشوراته بالأسلوب العلمي الجاد الرصين ، والتعبير السلس ، والعرض المتزن ، والأداء السهل ، لا يجنح إلى الظلم ولا يركن إلى العدوان ، يهتم بعفة القلم وصيانته من الانحراف والانتحال ، ويصفو فكره وتأمله السديد ، ورأيه الصائب من كل ريب وتشكيك ،

ويبعـد تمامـاً مـن الزخـارف اللفظيـة ، والتعقيـد والـصعوبة في اسـتخدام الكلمة وأداء المعنى ، ولا ينحاز إلى التصنع في التعبير عن مواقفه وتأملاته وخواطره ومشاعره . على الرغم من أن أسلوبه كان هادئاً سهلاً رزيناً ، ولكنه كلما كان يكتب فينثر الدرر واللآلي الفكرية الخصبة الثرية .

كـان الـشيخ الراحـل الكـريم صـحفياً بارعـاً ، احتـل مكانـةً مرموقةً في مجال الصحافة بوجه العموم ، وفي مجال الصحافة العربية في الهند بوجه الخصوص ، نظراً لمعرفته الواسعة في جميع العلوم الدينية ، بما في ذلك الفقه الإسلامي ، ومعرفته المتعمقة باللغات المختلفة مثل الأردية والعربية والفارسية والإنجليزية ، فقد ألقى الضوء بشكل صريح على كل موضوع بالتفصيل ، ودبّج مئات من المقالات باللغتين العربية والأردية . كتب الكثير عن مشاكل المسلمين وعن موضوعات الساعة وما عداها من الموضوعات العلمية والدينية والأدبية ، وقاد الأمة عن طريق كتاباته الرصينة والرؤية الإسلامية المتزنة ، بطريقة مدروسة للغاية . وعادةً ما تنشر هذه المقالات الفكرية له في مجلة " تعمير حيات " الأردية الصادرة عن ندوة العلماء بلكناؤ ، ومجلة " البعث الإسلامي " ، وجريدة " الرائد " الصادرتين عن ندوة العلماء . وبالإضافة إلى ذلك ، كان الفقيد محمد الرابع الندوي راعياً لخمس مجلات منشورة من ندوة العلماء ومشرفاً عليها ، مثل : الرائد ، والبعث الإسلامي ، وتعمير حيات ، و The Fragrance of East (رائحة الشرق) بالإنجليزية ، و (ساتشا راهي) Sachcha Rahi(الرائد الصادق) بالهندية ، وساهم فيها جميعاً بانتظام .

وبما أنه كان أصدر جريدة " الرائد " العربية النصف الشهرية منذ أكثر من ستة عقود من الزمن وبالتحديد في عام ١٩٥٩م ، وكان ممن أيّد فكرة إنشاء مجلة " البعث الإسلامي " ، وظل يكتب فيهما بتواصل واستمرار ، وشارك في المجال الصحفي الإسلامي والأدبي بالكتابة أو رئاسة التحرير ، وشارك بالكتابة والإدارة في مجلات إسلامية تصدر بالأردية ، ومنها الندوة ، وصدق ، ومعارف ، والضياء ، وغيرها ، فيعد من رُوّاد الصحافة العربية في الهند .

وتقديراً لأعماله في خدمة اللغة العربية منحه رئيس جمهورية الهند

الجائزة التقديرية في عام ١٩٨٢م ، ومنحه المجلس الهندي لأترابراديش الجائزة التقديرية تقديراً لخدماته في مجال الأدب العربي ، ومنحته مكتبة رضا برامبور بولاية أترابراديش جائزةً تقديريةً .

لم يكن الشيخ محمد الرابع الندوي خطيباً حماسياً مصقعاً ، ولكنه كان صاحب قلب حي نابض يرتجف لاضطهاد المسلمين ، ويتحرق على أوضاع الأمة المسلمة ، ولذا إذا كان يتحدث إلى فرد أو جماعة ، إلى ملتقى أو جموع حاشدة ، فتحدث حديثاً مؤثراً يدخل القلب ، وكان حديثه عادةً يتسم بحلاوة الجملة ، وغزارة المعنى ، وسمو الروح ، وإشراق النفس ، وسحر الإخلاص ، دون اللجوء إلى تكلف وتصنع وتشدق .

أبرز نواحي حياة الشيخ محمد الرابع هي الأخلاق الفاضلة المثالية والإنسانية النادرة ، وهي التي أضفت عليه مسحة القبول والمحبوبية من لدى العلماء والقادة والزعماء والأمة المسلمة ، حيث إنه بلغ من اللين والنبل والتواضع والصبر والحلم منزلةً لا يصل إليها إلا قليل . وكان بحكم طبيعته يؤلف القلوب ويحسن إليها ، ويراعي مشاعر الناس وعواطفهم ، ويستجيب لطلباتهم ، وكان يفتش عن أحوال الناس ويواسيهم ، ويتفقد كوائف الأقارب والأحبة ، ويحافظ على الصلات الودية معهم ، كان يحب الخير للناس ، ويتحلى بالنبل والكرامة ، ويتواضع لله ولرسوله الصادق الأمين حتى رفعه الله إلى المنزلة الرفيعة ، وجعل القلوب تنجذب إليه انجذاب الحديد إلى المغناطيس .

يكتب الأستاذ خليل الحسني الندوي في مقالته الأردية المطبوعة بعنوان " جدي في مرآة خصائصه المنفردة " أن خادم الراحل الكريم المولوي سحبان الباتكلي يقول : " لقد صحبته أكثر من عشر سنوات ، ولكنه لم يقل لي قط : لم فعلت كذا ؟ ولم لم تفعل كذا ؟ وما غضب علي ولا مرةً واحدةً " [1] .

كان رحمه الله صابراً على حدَثان الزمان ، ومبتعداً عن الفساد

---

[1] مولانا خليل الحسني الندوي: *اباجی انفرادی خصوصیات کے آئینے میں* / جدي في مرآة خصائصه المنفردة ، المصدر: صفحات الواتساب من وسائل التواصل الاجتماعي . (والأستاذ خليل أحمد الحسني هو حفيده) .

الخلقي . يكتب الكاتب الإسلامي الكبير البروفيسور محسن عثماني الندوي ، العميد والأستاذ الأسبق في جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد ، الهند :

" كان الشيخ مولانا محمد الرابع الندوي يبتعد عن الغيبة والبغضاء ، ويحترم العلاقات الأسرية والشعبية سواسيةً ، ويهتم بحاجات الفقراء ، ويتأمل من أجل تفوق الإسلام ، ويلم بالعالم الإسلامي ونصرة المسلمين ، ويكثر العبادة ، ومع كثرة العبادة وغزارته يهتم بأداء الحقوق والأمانة ، ويستحضر النية دائماً ويحتسب ، ويصل الرحم ، ويستضيف الناس ، ويوقر العلماء ، وكان له غنى عن المال والثروة " [١] .

كان الشيخ محمد الرابع موفقاً منصوراً من الله سبحانه وتعالى للقيادة التي جاءت تسعى إليه ، ولم يطلبها قط ، ولا رغب فيها ، بل وُلِّيَها وهو زاهد فيها . هذه الصفات المذكورة أعلاها كانت نتيجة التعليم والتربية والتزكية والسلوك الذي تلقاه من قبل مشيخته سماحة العلامة أبي الحسن علي الندوي . وجلس في مجالس العلماء والصلحاء العُبّاد ممن مضوا ، واستفاد منهم في مجال التزكية والإحسان والسلوك ، نحو : الشيخ إلياس الكاندهلوي ، والشيخ أشرف علي التهانوي ، والشيخ حسين أحمد المدني ، وشيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي ، وعبد الفتاح أبو غدة رحمهم الله .

فحوى القول أن الشيخ محمد الرابع الندوي كان رجلاً طالما وقف مدافعاً عن مسلمي شبه القارة الهندية وخادماً لقضاياهم ، وكان أحد أعلام الأمة المسلمة المخلصين الذين سخروا فكرهم وأدبهم لخدمة أمتهم إلى أن استأثرت رحمة الله سبحانه وتعالى به . نسأل الله العلي القدير أن يغفر له ويرحمه رحمةً واسعةً ، ويعفو عنه ، ويجزيه خير الجزاء ، ويكرم نزله ، ويدخله جنة الفردوس ، ويحشره مع النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقاً .

---

[١] البروفيسور محسن عثماني الندوي : *ملال یہ ہے کہ دہلیز عاشقاں بھی گئی* ، مجلة أرمغان الأردية ، عدد خاص بذكرى الشيخ محمد الرابع الندوي ، يوليو ٢٠٢٣م .

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي : قائداً حكيماً

الأستاذ محمد اصطفاء الحسن الكاندهلوي الندوي*

فقدنا في شهر رمضان الفضيل المنصرم شخصيةً كانت مترامية الأبعاد من العلم والفضل ، والورع والتقوى ، والزهد والصلاح ، والابتهال والتضرع ، والإفادة والتدريس ، والفكر والأدب ، والدعوة والإرشاد ، والإدارة والرئاسة ، والكفاح لأجل الدين الحنيف ، والذود عن الشريعة الغراء ، واتخاذ الخطوات الحثيثة في درء الفتن ، وتقديم حلول مجدية وعرض آراء سديدة في مواجهة القضايا العصرية والمشاكل الاجتماعية ، رحم الله – تعالى – سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، وتقبل منه حسناته ، وغفر له سيئاته ، وجزاه على خدماته المتميزة وجهوده الجبارة التي كانت منه لأجل الأمة الإسلامية .

وإلى جانبٍ هذه السمات المذكورة أعلاه ، التي قد يضاهيه فيها – بعضاً أو كلاً – عدة رجال الدين وعلماء المسلمين عبر العالم الإسلامي والمجتمعات الإسلامية في العصر الحاضر ، غير أن هناك سمة أخرى قد لا يضاهيه فيها أحد ولا يساويه ، فهي ميزته الكبرى ، وهي الشارة التي تتلألأ في زي شخصيته ، وهي الأسوة التي قدمها كأجمل أسوة في حياته ، ألا وهي سمة القيادة ، التي نفع بها الشعب المسلم في القارة الهندية ، ليس أعواماً ولكن عقوداً عديدة .

لقد قام الشيخ – رحمه الله – بقيادة الشعب المسلم في شبه القارة الهندية في حالة حرجة من التوتر والفوضى والطائفية والعصبية ، بين مختلف أوساطه وجماعاته ، بالإضافة إلى خطورة الوضع السياسي الذي ترصد من خلاله الآليات والمنظمات الهندوسية المتطرفة المسلمين في البلاد ، فالمسلمون في الهند منذ عقود ، قد ضربهم الوضع الداخلي قبل أن يضربهم الوضع الخارجي ، وكل ضرب شديد ، ولولا القيادة الحكيمة والسياسة الخبيرة من بعض زعماء المسلمين في البلاد لقضي أمر المسلمين في القارة منذ زمان ، ولم يبق لهم ما تبقى لهم من نصيبهم في مجالات التعليم ، والاقتصاد ، والمجتمع ، والدين ، والحضارة .

وعلى رأس هؤلاء القادة والزعماء ، كان شيخنا الراحل – رحمه الله ، والذي كان يمتاز من بينهم بوسطيته ، وسعة نظره ، ورحابة صدره ، ونفوذ بصيرته ، بالإضافة إلى ما كان له من شيم العفو ، والصفح ، والصبر ، والتحمل ، والصمود ، والجلادة ، والرجولة ، والمثابرة ، ما

* محاضر كلية الشريعة ، دار العلوم لندوة العلماء – لكناؤ .

اكتسبه من أسرته الكريمة العريقة في القدم ، ومن أستاذه ومربيه وخاله المفكر الإسلامي الجليل سماحة الشيخ محمد أبي الحسن علي الحسني الندوي – رحمه الله ، إضافة إلى ما اكتسبه من دراسته الدقيقة العميقة للأصول والمبادئ الإسلامية وتاريخ وأيام المسلمين في البلاد وغيرها ، فكوّن كل ذلك من نفسه رجلا حبيبا إلى القلوب ، أثيرا للنفوس ، موحياً للأذهان ، مصغية إليه الآذان .

وبهذه الميزة ، يغشاه الناس زرافات ووحداناً ، منتمين إلى كل طبقة من طبقات المجتمع الإسلامي ، وإلى كل مدرسة من المدارس الفكرية ، وإلى كل مذهب من المذاهب الفقهية ، ومن المثقفين والمتنورين ، والطلاب والباحثين من الجامعات العصرية والمدارس الإسلامية ، ومن المعسرين والموسرين ، كل يقصده في طلب رأي في أمره ، أو حل عقدة في ذهنه ، أو معرفة جواب لسؤاله ، أو طلب معونة مالية إذا حلت به رزية ، أو أصابته بلية ، أو لأجل حوار حول قضايا المسلمين السياسية والاقتصادية والفردية والجماعية والتعليمية والدينية ، فقد كان – رحمه الله – ملجأ الشعب المسلم بجميع أوساطه وطبقاته ، وفي جميع قضاياهم ومشاكلهم ، كل يألفه ويستأنسه ، في إجلال واحترام ، وهو – بدوره – يقابلهم بما يتوخون منه من تجاوب واعتناء ، واهتمام وإقبال ، ويجود لهم بما يريدون منه ويحتاجون إليه ، وهذه ميزة لم تحصل لأحد في الهند – خاصة – مثلما حصلت له بعد خاله سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي – رحمه الله .

كان – رحمه الله – رجلاً محنكاً ، حنكته الأيام والليالي ، حيث عاش ما يقرب قرنا كاملاً ، شاهد من خلاله صروف الدهر ونوائبه ، ومن أهمها : أيام الهنود مع الإنجليز الغاصبين ، وانقسام البلاد إلى باكستان وبنجلاديش ، وانهدام المسجد البابري ، والحملات المتتالية من الهندوس المتطرفين على مقدسات الدين وأحوال الشخصية الإسلامية ، ومن الاضطرابات الطائفية وأحداث العنف والاضطهاد ، ما أثاره أعداء الإسلام ضد المسلمين في جميع أقطار البلاد ، بعدد يناهز خمسين ألف حادث أو أكثر ، طبق الإحصائيات الرسمية ، وظروفاً جدّ قاسية واجهها المسلمون الهنود خلال هذه المدة المديدة من عمره ، فكل ذلك ملأه صبراً وأناة ، وحكمة ودهاءً ، ودقة في النظر ، وعمقاً في التفكير ، وجعله يرى الأحداث قبل أن تحدث ، ويدرك المصائر قبل أن ينتهي إليها الأمر ، فيتحين الفرصة لأخذ رأي سديد ، وحلّ مناسب ، وخطة مدبرة ، وكان يتحرى الأمور فيختار أوساطها ، ويحلل البليتين – بما أوتي من الحكمة – فيتخذ أهونهما ، ويهتدي – بإذن ربه – إلى الطريق القويم كلما وقف في منعطف الطرق .

وبصفته تلك ، كان – رحمه الله – قد أصبح وهو مطمئن بالإيمان بما شرح الله له صدره من رأي أو قرار ، أو خطة أو عملية ، لا يلويه عن ذلك فزع الأصحاب ، وتشوش الأذهان ، واضطراب النفوس ، ووجل القلوب ، كان يُصدر قراره بكل طمأنينة واقتناع ، ثم يُقنع الآخرين بكلام فصيح ، وأسلوب حكيم ، وكلمة صارمة ، ولهجة هادئة ، وحجة بالغة ، إقناع الأب الحنون لأبنائه ، أو إقناع المعلم الشفوق لتلاميذه ، وكل يحترم رأيه بعد ما يعرفه ، وينبذ عن مخيلته ما كان له من قبل ، من رأي أو قرار .

وكان من صفته – رحمه الله – التحكم على اللسان ، في داخل البيت مع أهله ومحارمه ، وعندما يقابله الوفود في مقره برحاب ندوة العلماء ، وعلى المنصات الخطابية ، وخلال الحوارات الصحفية ، وفي قراراته السياسية ، وكتاباته الدعوية والإرشادية ، كان – وأيم الله – أكثر الناس تحكماً على اللسان ، وأحسن اختياراً للكلمة ، وأمكن قدرة على إبداء ما يريده ، من دون إبهام أو إغماض ، لا يحاذيه في ذلك – فيما نعلم ، والله أعلم – أحد في الأمصار عبر الأقطار ، ولا ندري أكان الفضل في ذاك يرجع إلى تورعه وتقواه أكثر أم إلى تضلعه من الأدب وإتقانه باللغة ، على كل ، فكان لا يدخر وسعاً لأحد أن يواخذه في مقال ، أو ينتقد عليه في كلام ، أو يحمل حديثه على غير محمل ، فعل الصحفيين ومراسلي القنوات اليوم ، وما أكثر وأنكر ما كان منهم ذلك في عصرنا الحاضر .

رحم الله شيخنا محمد الرابع الحسني ، الذي كان بهذه الصفات والميزات " ثاني اثنين " لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، فقد كانا – رحمهما الله ، لا فارق بينهما في الوسطية والاقتصاد ، والسلوك والوجهة النظرية ، اللهم إلا شيئاً يسيراً لا يعبأ به ، ولا يرجع ذلك إلا إلى اختلاف الطبائع البشرية ، لا غير ، وقد حاز معظم ما حازه من السمات والشيم ، والفضائل والقيم ، حتى المناصب والوظائف التي كان الشيخ أبو الحسن يحتلها في البلاد وخارجها ، أتت إليه بعد وفاته كخير خلف لخير سلف ، من دون نزاع في الأمر أو خلاف في الرأي :

أتته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها
ولم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها

وقد فقدت – بفقد شيخنا – الأمة الإسلامية الهندية قائداً حبيباً ، وأباً حنوناً ، وأستاذاً شفوقاً ، ولا يسعنا حينما نريد أن نبدي مشاعرنا حول وفاته ، إلا أن نتمثل ببعض أبيات الحريري :

فما راقني من لاقني بعد بعده ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي منذ ند ندٌّ لفضله ولا ذوخلال حاز مثل خلاله



إبداعاته في الأدب الإسلامي



الرؤى الأدبية للشيخ الندوي من منظور إسلامي

د . سعيد بن مخاشن *

صلة الأدب بالإسلام :

إن الأدب له صلة وطيدة مع الإسلام ، مع أن اللغة العربية نشأت قبل بعثة النبي صلى اللّه عليه وسلم ، ولكنها ترعرعت في مهد الإسلام وفي حضنه ، وكان النبي صلى اللّه عليه وسلم أفصح العرب بل أفصح الناس على الإطلاق ، لذا نرى أن اللغة العربية لم تزل تواصل مسيرتها في جنب الإسلام ، فحلت حيث حل الإسلام وبلغت إلى أقاصي البلاد وأدانيها تحمل لواء الإسلام وأوامره . وإن الإسلام لم يقصر جهوده على جوانب العبادة وحدها ، بل تناول جميع أشكال الحياة ، صعودها وانحدارها ، حلوها ومرها ، ليلها ونهارها ، فخطت اللغة العربية مع آدابها جميع خطى الإسلام وانتهجت منهجه فلم تحدد فعالياتها على العبادة وحدها .

يقول الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه اللّه عن مدى اللغة العربية واتساعها : " ومن أغزر اللغات أدباً ، وأطولها مدةً ، هي اللغة العربية وآدابها ، فإن امتدادها لا يقصر من خمسة عشر قرناً بالتواصل والتوالي ، لم تنقطع هذه اللغة ولا آدابها في هذا الامتداد فترة ، ولم تنسحب عن المجال الأدبي ، غير أنه قد اعتورها في عهود مختلفة ضعف واستكانة لأسباب متغيرة وطارئة ، وكان الإسلام أقوى وارد على اللغة العربية وعلى آدابها ، ولقد تلقاه الأدب وحمله بل وتزعم به ، وأصبح لباساً مطابقاً له ، واحتمل مسؤولية عرضه وتقديمه ، فقد كان رسول هذا الدين محمد بن عبد اللّه صلى اللّه عليه وسلم – وهو الداعي الأعظم للإسلام – من أكثر هذه اللغة وآدابها قوةً وإجادةً ، لم يكن قائلاً للشعر ، ولكنه كان مجيداً لفهمه ، ومتذوقاً لمحاسنه ، أما النثر الأدبي فقد كان صلى اللّه عليه وسلم أروع الناس جميعاً كلاماً فيه وفهماً له .

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية ، البريد الإلكتروني : sayeed_makhashin@yahoo.com

ثم إن الدين الإسلامي لم يكن ديناً قاصراً محدوداً في العبادات وحدها حتى يقال عنه : إنه إذا سايره أدب كان أدباً منحصراً في العبادات وحدها ، بل إنما الإسلام هو الدين الفريد الذي اتسع كاتساع الإنسان ، وامتد كامتداد حياته ، ولم يتعارض إلا مع ما يتعارض مع مصلحة الحياة الإنسانية ذاتها ومع ذوقها الجميل ، وإنه إذا تعارض فيتعارض مع عمليات الهدم والإخلال بصالح الإنسان وإنسانيته .

فلم يكن للعمل الأدبي أن يجد صعوبةً في منادمة الإسلام ومسايرته ، ولم يكن له عائق عن أن يجد تحقيقاً لأهدافه في تصوير جوانب الحياة المتلائمة مع الإسلام " [1] .

الدين لا ينافي الأخلاق والسمة الأدبية في الكلام :

" فمن الظلم أن يزعم رجل أن معاني الأخلاق والدين إذا دخلت في كلام زالت عنه السمة الأدبية ، مع أن الأخلاق والدين وسيلة لتحسين الحياة الإنسانية وتهذيبها ، تنال الحياة منهما الجمال والطهارة ، أما الإسلام فشأنه أوسع وأشمل ، إنه يجمع الدين مع الدنيا ، والدنيا مع الدين فهو يشتمل عليهما جميعاً .

فنحن عندما نقول " الأدب الإسلامي " فنعني به أدباً هو دين ودنيا في وقت واحد ، وذلك لأنه يتسع اتساع الحياة ، ويتنوع بتنوعها ، ولكن بطريقته وبمنهجه ، فإن ضوءه يشع في مجالات الحياة الفردية بأنواعها المختلفة من عاطفية ، وفكرية ، ونفسية ، وفي مجالات الحياة الاجتماعية من سلوك الإنسان مع أخيه ، ومع جاره ، ومع زوجه ، ومع إنسان غريب وأجنبي .

فنحن حينما نستخدم مصطلح الأدب الإسلامي لا نريد به تحديد الأدب بالزهد في مرافق الحياة ، أو إلزام الأدب بالانكماش والانزواء في ركن خاص من أركان الحياة ، بل إنما نريد به السمة الإسلامية النزيهة في الأدب " [2] .

---

[1] محمد الرابع الحسني الندوي : الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٨ و ١٩ .
[2] أضواء على الأدب الإسلامي ، ص ١٦ .

الحدود الإسلامية للأدب :

" إن الحدود الإسلامية للأدب واسعة كسعة الحياة الإنسانية ، فيه دقة كدقة الحياة البشرية ، وروعة كروعة الأزهار الجميلة والرياحين الفاتحة ، وليس فيه حجر وتضييق جائر ، بل إنما هو ملاءمة بين الفن وبين الإنسانية الصافية . إنه أدب يؤدي عمله بكرامة ، ويلعب دوراً تتطلبه آمال الإنسان اللائقة ، وهو يتلاءم مع حاجاته ومصالحه ، إنه ينهل من المنهل القرآني المتدفق بالروعة والجمال والتأثير أولاً ثم يقتبس من البيان النبوي الرائع الحافل بالتصور الإنساني البليغ ، وبالتعبير المؤثر الجميل ، ثم يقتبس بكل نموذج أدبي يتلاءم مع القيم الأدبية الصافية التي انبثقت من نماذج أصحاب الأساليب البليغة من المسلمين في مختلف أصناف الأدب ومجالاته المتنوعة " (٩) .

الأدب الإسلامي واسع مع الالتزام :

إن الأدب الإسلامي يتمتع بالسعة والشمول ، والالتزام والامتناع كما عبر به الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله أنه واسع مع الالتزام ومقيد مع الشمول ومعبر عن الطبيعة الإسلامية ، فقال : " أما الأدب الإسلامي فواسع مع الالتزام ومقيد مع الشمول ، يتصل بجميع مجالات الحياة الدينية والدنيوية ، ولكنه ملتزم في حدود الطبيعة الإسلامية .

والطبيعة الإسلامية هي الفطرة التي فطر خالق الناس الناس عليها ، ففيها سرور وحزن ، وفيها شعور الارتياح والأسى ، وسرور الرضا والسخط ، وفيها العتاب والاستعتاب ، والعفو والانتقام ، والمباعدة والوئام ، وليس الأدب في أي لغة من لغات البشر إلا حديثاً عن كل ذلك ، ولا يفرض التوجيه الإسلامي على أدب المسلم إلا أن يتجنب السوء والخبث ، وهذه هي الطبيعة التي فطر الناس عليها ، والوحي المرسل من فاطر الفطرة إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أوضح لنا أبعاد الخير والشر فيها ، كما أودع في الفطرة الإنسانية أيضاً شعوراً بذلك ، فقد ورد في الحديث الصحيح : " البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس " [١] .

---

[١] نفس المصدر ، ص ٥٤ و ٥٥ .

الأدب الإسلامي إنساني التصور طبيعي الوضع :

الأدب في الإسلام إنساني التصور طبيعي الوضع ، جميل الأداء ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما توفي نجله الكريم إبراهيم : " العين تدمع والقلب يبكي ولا نقول إلا ما يرضى الرب ، وإنا على فراقك يا إبراهيم محزونون " . وقال في صلح لم تكن النفوس في باطنها راضية به : " هدنة على دخن " ، وقال لحادي الإبل التي تركبها النساء : " رفقاً بالقوارير " [١] .

الأدب الإسلامي ليس بشيئ جديد:

إن الأدب الإسلامي مليئ بنماذجه وملامحه ومظاهره منذ أن طلعت شمس الإسلام على السماء ، ونورت الكون بأشعتها الصافية النيرة ، فهناك عدد كبير في العصر القديم وفي العصر الحديث ، على حد سواء ، من الأدباء والشعراء الذين أثروا هذا الجانب الهام من الأدب العربي . لكن الرجال المختصين بالأدب خصوا أنفسهم بأعمال الرجال الذين احترفوا الأدب وقدموا للعالم كل ما قدموه بأنفهسم ، وأغمضوا أعينهم عن إسهامات الآخرين واغتفلوا عن مآثرهم حتى أصبحت مظاهر الأدب الإسلامي مختفية عن منصة الأدب العربي .

هذه حقيقة لا تجحد أن العالم قد شهد عدداً كبيراً من المظاهر التي اتسمت بالأدب الإسلامي من العصر القديم حتى العصر الراهن من الأحاديث والآثار والخطب والرسائل والوصايا والقصائد والحكم ، وما ظهر في العصر الحديث من المقالة والرواية والقصة والمسرحية وما إلى ذلك .

تناول الشيخ محمد الرابع الحسني رحمه الله هذا الجانب المهم قائلاً :

" ولدينا تاريخ طويل للنماذج الأدبية الرائعة للإسلام منذ أن بسط الإسلام أشعته في هذه الأرض ، وفي مقدمتها النماذج الرائعة من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم من أدعية ، وأحاديث وخطب ، ومن كلام صحابته الأولين ، وفيها نماذج سيدنا علي بن أبي طالب بصورة خاصة ، وهي خطبه ورسائله وكلماته مما صحت روايتها ، ثم تلتهم طائفة من أصحاب الكلام البليغ الرائع ، في كل المجالات المختلفة من الحياة ،

---

[١] أضواء على الأدب الإسلامي ، ص ٩ .

وفيها قصص وفيها وصف وفيها إثارة ، وفيها تعبير للملامح النفسية وتصوير للمشاعر الإنسانية ، وعرض للتصورات الأدبية .

ولكن المحترفين بالأدب قصروا عنايتهم بالأدباء المحترفين ، ولم يسلطوا الأضواء إلا على أدبهم وحدهم ، وأغفلوا عن النماذج الأدبية الرائعة التي جاءت خلال كلام غير المتسمين بالأدباء والشعراء . والذين لاقوا في هذا المجال ظلما أكبر ، هم الملتزمون بالسمة الإسلامية ، والمتمسكون بمنهجٍ من مناهج الإسلام " .

وتابع قائلاً : " ولكن ما فتئ أن أصبح الفن الأدبي أسيراً في أيدي النفعيين والمستغلين يسخرونه لأهوائهم وشهواتهم ، ويرفضون ما يأتي من أهل الصلاح والاستقامة وينفون عنه صفة الأدب حتى ظن بعضٍ الناس أن الأدب لا صلة له بالدين والاستقامة ، فكانت الحاجة ماسةً إلى أن تقوم حركة لتحرير الأدب من هذا الأسر وإبراز صلته بالحياة مع الموافقة مع السيرة الإسلامية في ذلك ، ومهتدية بهدي القرآن وبيان الرسول عليه الصلاة والسلام بحيث يكون الأدب جامعاً بين المتعة والفضيلة وبين الجمال والخير وبين التأثير والتزام الحق " .

وقال أيضاً : " ولقد شعر بهذه الحاجة عدد من أصحاب البيان الأدبي من الأوفياء للإسلام فسلكوا استخدام الأدب للأغراض الطيبة بإجادته وإحسانه ، وتحركت أقلام وعملت أفكار فبدأت تبرز من ذلك ملامح اتجاه إسلامي للأدب من نماذج أدبية إسلامية تجمع بين الخيرين تدل على ذلك أمثلة من تراثنا الإسلامي الأدبي القديم ، ونماذج من عصرنا الحديث نحو أمثلة من هذه النماذج في كلام شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال في شبه القارة الهندية ، وفي كلام الأستاذ محمد عاكف في شبه الجزيرة التركية ، ونماذج رائعة في شعر الشاعر العربي الكبير محمد شوقي ، ونجد نماذج رائعة في النثر أيضاً كتبته أقلام أدباء العصور السابقة وفي هذا العصر من الأدباء الإسلاميين في الشرق الإسلامي والغرب العربي .

وتوسع الأمر حتى تحول إلى فكرة وتصور معين يتسم بصفات إسلامية وخصائص أدبية واضحة يمكن بها وضع منهج إسلامي للأدب " [1] .

[1] أضواء على الأدب الإسلامي ، ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

الفارق الأساسي بين الأدب الإسلامي وغير الإسلامي :

تحدث الشيخ السيد محمد الرابع الحسني رحمه الله عن الفارق الأساسي بين الأدب الإسلامي وغير الإسلامي ووجه الأنظار إلى الأدب الإسلامي ومصطلحه وأهدافه ومناهجه وعدم احتياج تقسيم الأدب إلى إسلامي وغير إسلامي في أول الأمر ، وشيوع الأفكار السليمة الصادقة ، والأدب التائه المنحرف الذي اشتط عن الخط الصحيح ، ونشأة النظريات الأدبية المعارضة للإسلام ، وتأثير الاتجاهات الغربية في الأدب والفكر والثقافة ، والاحتياج إلى تقسيم الأدب إلى إسلامي وغير إسلامي ، فقال :

" ليس مبدأ الأدب الإسلامي هو قصٍ الجناح ، بل إنه ترشيد للقصد ، وليست ربوع من الحياة الإنسانية محظورة عليه ، ولكن القضية هي قضية التحري للخير وتجنب مواضع الشر ، فالأمر هو أمر النظر والفكرة ، فهما إذا كانتا صالحتين فكل المناهج والمجالات الأدبية مفتوحة على الأدب الإسلامي ، فهو أدب الرسالة والخطابة ، وأدب القصة والرواية ، وأدب الشعر والنظم ، وهو نقد وتاريخ ، ومقالة ، وهو شعر وجداني وقصصي ، هو كل شيئ من هذا وذاك ، ولكنه ملتزم في كل ذلك بفكرته الإسلامية الرشيدة ، وبمنهج إنساني جميل ، وضع خطوته ومهد سبله القرآن الكريم، ثم أدب الرسول صلى الله عليه وسلم وأدب أتباعه الملتزمين .

ومصطلح الأدب الإسلامي لم يكن مستعملاً في القديم ، وذلك لأن الحاجة لم تكن تقتضي في حالة سيادة الفكرة الإسلامية للحياة أن يقسم الأدب إلى إسلامي وغير إسلامي ، فكل ما كان تحت سلطان هذه الفكرة من الأدب كان يعد إسلامياً ، وكل ما كان خارجاً من هذا السلطان كان يعد منحرفاً وجاهلياً ، وفي حالية سيادة الفكرة الإسلامية كان إذا نقض من أدب التزامه واشتط عن خطه الصحيح كان يوصف تائهاً منحرفاً ، وإذا حافظ على التزامه فكان يعد صالحاً سليماً ، لأن أصحاب الأدب – وأكثرهم مسلمون – كانوا في ثقافة الإسلام وفي بيئاته، فلم يكونوا يرجعون في تصوراتهم وأفكارهم إلى نظريات أدبية وافدة من البيئات الجاهلية المضادة للإسلام ، فكلهم كانوا ينسبون أنفسهم إلى الإسلام ، أما التفاوت فيهم فكان في مقدار الالتزام بمثالية الإسلام ،

وكانوا يتمايزون فيما بينهم على هذا الأساس ، لا على أساس نظريات أدبية معارضة عن الإسلام ، ولا على ثقافته وغير ثقافته ، فكان أدبهم الملتزم يعرف بالصالح ، ويعرف غير الملتزم منه بالمنحرف ، وذلك بمقدار التزامه أو تحرره ، وكان لا يخرج ولا يتمرد في كلتا الحالتين على الإسلام ، فكان إسلامياً بصورة عامة ، لا يقرر الفرق بين نماذجه إلا بمدى التزامها .

ولكن أتى على المسلمين زمان أصبحوا في تأثير الاتجاهات الغربية في الأدب والفكر والثقافة ، واختلط عليهم الأمر لا يعرفون بناءاً عليه ما هو أصيل وما هو دخيل ، وطغت مفاهيم الأدب والنقد الغربية الجاهلية على مفاهيم الأدب والنقد الشرقية والإسلامية ، بحيث طمست معالمها ، وذلك بإخضاع الآداب لنظريات سائبة وأفكار نابعة من البيئات الضالة بدون رعاية لما فيه الخير وما فيه الشر ، فكان أمراً خطيراً ومفسداً للموازين الإنسانية الفاضلة ، ومخالفاً لما جاء الإسلام من تغيير شامل من أوجه الفساد والشر إلى اتجاهات الصلاح والخير ، وكان عودة إلى القيم الجاهلية القديمة ، وإن كان ذلك بعنوان الجديد المتقدم الراقي "[1] .

وقال : " فموضع الاختلاف بين الأدب الإسلامي وغيره من أجناس الأدب هو في رعاية مصلحة الحياة الإنسانية وعدم رعايتها ، حيث إن الأدب الإسلامي يرى مجالات العمل في الكون والحياة ، ويميز بين اللائق بإنسانية الإنسان وغير اللائق بها ، فهو أدب ملتزم في هذا المعنى ، ولكنه ملتزم بالمفيد الصالح لا بالجمود والتقليد ، أما الأدب غير الإسلامي فهو لا يبالي بمجالات العمل في الكون والحياة ، يدخل في كل مكان مثل البهيمة الهاملة ، ترعى فيما تشاء ، ولا تفرق بين الصافي والعفِن ، والطيب والخبيث ، ولا تبالي بالفرق بين المراعي الفائحة والقاذورات النتنة .

الأدب الإسلامي لا يحب هتك العورات ، ولا إثارة المزابل إلا في نطاق هادف محدود . أما الأدب غير الإسلامي فلا يبالي أين وقع ، وماذا أفسد ،

---

[1] أضواء على الأدب الإسلامي ، ص ٢٩ و ٣٠ .

بل إنه حينما يجرد نفسه من الالتزام يرى أحب مجالات عمله كل صورة مثيرة للعواطف ،وكل معنى يغذي النزوات مهما أتى به في إثره من فساد وانهيار ، وهذا هو موضع الخلاف بين الأدب الإسلامي والأدب غير الإسلامي

الأدب الإسلامي يتلقى روحه وهدايته من الإسلام ، ومن حياة نبي الإسلام . والأدب غير الإسلامي يتلقى روحه وإرشاده من هوى الإنسان ، وحياة كل هائم من الحيوان . وليس صحيحاً أن الأدب بعد التزامه بالإسلام يصبح محدوداً وقاصراً ، لأننا حينما نشطب جانب الفساد والقبح من الحياة فالذي يبقى بعده في الأدب هو واسع وكثير ومتنوع الجوانب ومختلف الصور والأشكال ، ولن يشعر الممارس له والمستفيد به أي قصور فيه لقضاء حاجته من الأدب ، بل إن ما يجده يخدمه في كل ما يعينه في حياته " [1] .

وقال : " ويمكن معرفة الفارق بين النظرة الإسلامية والنظرة الجاهلية إلى الحياة ، وسريانهما في الأدب ، ودلالتهما على اختلاف الأدب الإسلامي عن غير الأدب الإسلامي ، بحيث تتبين به ملامح كلا الأدبين وفكرتاهما ، من الكلمة السائرة في عرب الجاهلية " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " ، فقد كان مفهومها الجاهلي نصر الأخ بدون النظر إلى صواب عمله أو خطئه ، ونعى رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا المفهوم الفاسد ، ونهى عن استخدامه ، وأرشد إلى المفهوم الإسلامي عوضاً عن هذا المفهوم ، وهو نصرة الرجل على أساس الحق لا على أساس القرابة والنسب ، وقام بتربية النفوس المسلمة على هذا النظر الإسلامي ، فتربوا عليه ، وأصبحت الأولية في نظرهم للعدالة والحق ، وإذا بالرسول صلى الله عليه وسلم يتكلم نفسه بهذه الجملة : " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " فيتعجب صحابته على هذا التعبير ، ويستفسرونه عن مراده ، فيشرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن نصرة الظالم هو منعه من الظلم ، فدخل بذلك على الفقرة السابقة مفهوم جديد ، وحل محل المفهوم القديم ، وأصبح للفقرة مفهومان ، مفهوم إسلامي ومفهوم جاهلي " [2] .

---

[1] الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، ص ١٩ و ٢٠ .
[2] نفس المصدر ، ص ٢٢ و ٢٣ .

الشيخ السيد محمد الرابع الندوي :
صحافياً وأديباً

د . يوسف محمد الندوي*

نبذة عن السيد محمد الرابع الندوي :

كان السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله نجماً متألقاً في عالم العلم والمعرفة ، والأدب والفن ، والنقد والفكر ، والتاريخ والسيرة ، والاجتماع والدين والسياسة . إنه علم من أعلام الأمة الإسلامية المعاصرة ، وشخصية بارزة من شخصياتها الأفذاذ . قاد مجتمعه مرشداً منيراً برسالة حياته المضيئة وبصفاء العقيدة والإيمان ، ونورانية العلم والحكمة .

كان هو مؤمناً تقياً ذا ورع وتواضع ، وإماماً متبعاً ، ومؤرخاً مدققاً ، وأديباً بارعاً ، وصحفياً ألمعياً ، ومؤلفاً عظيماً ، ومجدداً تعليمياً ، ومفكراً صارماً ، وداعية إسلامياً ، وشيخاً مربياً ، وزاهداً مخلصاً ، وفوق ذلك كله كان هو مسلماً مثالياً يرشد الأمة بحياته المثالية ، وإنساناً مثالياً يحب الإنسانية والسلامة والتسامح بين الأمم والدولة . جعل الشيخ سلاحه المفضل الكتابة والصحافة ، والتعليم والتدريس ، والخطب والمحاضرات ، والرحلات والحوار . يراه الناس أنموذجاً فذاً في مجال التزكية والتربية ، كما أنه كان وارثاً حقيقياً لخاله العلامة السيد أبي الحسن علي الندوي رحمه الله . في الفكر والعمل والدعوة .

كان السيد محمد الرابع الندوي أديباً بارعاً قبل كل شيئ إذا كنا نراه في مرآة الأدباء والنقاد ، يكتب بلغة جميلة ، وأسلوب رشيق . وكان له معرفة عميقة عن الآداب والفنون العالميتين عبر العصور . وكان كنهر سلس أدبي إذا تحدث عن فنون الأدب وأقسامه وتاريخها ، هذا ما جرَّبه صاحب هذه السطور خلال دراسته في الأدب العربي على مائدة دروسه الأدبية بجامعة ندوة العلماء بلكنؤ . قد سال من قلمه المبارك

---

* الأمين العام : رابطة الأدب الإسلامي العالمية (فرع ولاية كيرلا)، الأستاذ المساعد : كلية الآداب والعلوم لدار الأيتام المسلمين بويناد ، كيرالا .

مقالات قيمة ورسائل نفيسة وكتب جميلة في ميدان التعليم والتربية ، والتزكية والدعوة ، والأدب والنقد ، والتاريخ والفقه ، والاجتماع والسياسة ، ومواجهة الفساد الفكري في كلتا اللغتين العربية والأردية ، بعضها ترجم إلى اللغة الإنجليزية والهندية أيضاً .

قد أصبحت دار العلوم ندوة العلماء في لكنهؤ بالهند مركزاً رئيسياً في تكوين شخصية الشيخ محمد الرابع الندوي علمية وأدبية ودعوية ، حيث تعلم فيها وتخرج منها ، وبعد ذلك درس فيها طوال السنين وترأس نشاطات ندوة العلماء المختلفة علمية وثقافية وأدبية ودعوية .

تجديد المناهج الدراسية حسب متطلبات العصر كان مجالاً مهماً في خدمات الشيخ حيث يكتب فيه : " إن للمنهاج التعليمي والتربوي اتصالاً وثيقاً بأهداف التعليم والتربية ، وهو يصبغ الطالب بصبغة يريدها واضعو المناهج ، وتتكون الأجيال وفق المقررات الدراسية التابعة له ، فلا بد من رعاية هذه العلاقة التي توجد بين المناهج والنتائج ، ومن الضروري أن توضع المناهج حسب الأهداف المطلوبة . يفضل المعنيون بالتعليم والتربية مناهج ومقررات تعكس الطموحات والقيم التي يتواضع عليها مجتمعهم ويختارونها حتى يبنوا جيلهم الناشئ بناءً يحقق الصورة التي يريدونها لازدهاره وتقدمه ، ولكن إعداد هذه المناهج والمقررات وتحديدها يتوقف على إدراك مشاكل المجتمع وقضاياها إدراكاً واقعياً " [١] .

دوره في الصحافة الإسلامية في الهند :

كان للشيخ محمد الرابع الندوي دور قيادي في الصحافة الإسلامية والعربية في شبه القارة الهندية ، وكان فضيلته يرأس خمس مجلات إسلامية تصدر في أربع لغات من ندوة العلماء بلكنؤ ، كفى لنا برهاناً ودليلاً عن عناية ندوة العلماء بالصحافة بأنها أنشأت هيئة باسم مؤسسة الصحافة والنشر منذ بداية نشاطاتها لتصدير المجلات والدوريات . نحن لا نعرف داراً أو مؤسسةً تصدر منها خمس مجلات في أربع لغات . إلا دار العلوم بندوة العلماء .

وكان رحمه الله مؤسس صحيفة الرائد – نصف شهرية – عام

---

[١] محمد الرابع الحسني الندوي ، مقالات في التربية والمجتمع ، المجمع الإسلامي العلمي ، ندوة العلماء ، بلكنؤ ، ٢٠٠٤م ، ص ٦٢ .

١٩٥٩م ، رئيس تحريرها الآن الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي بعدما زيّن هذا المنصب السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي رحمه الله نحو ٣٥ عاماً . كتب الشيخ محمد الرابع الندوي مقالات قيمة في معظم عددها . كما أشرف على مجلة " البعث الإسلامي " الصادرة من ٦٨ عاماً ، المقررة لدى هيئة المنح الجامعية الهندية ، أنشأها فقيد الدعوة الإسلامية السيد محمد الحسني عام ١٩٥٥م ، ورئيس تحريرها الآن فضيلة الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي حفظه الله ورعاه . وعلى صحيفة " تعمير حيات " الأردية التي لها تأثير قوي بين مسلمي جنوب الهند ، أنشأها أيضاً الأستاذ المرحوم محمد الحسني عام ١٩٦٣م . وعلى مجلة " FRAGRANCE " الإنجليزية الصادرة منذ عام ١٩٩٩م ، وعلى مجلة " سجا راهي " الهندية الصادرة منذ عام ٢٠٠٢م .

يكتب الأستاذ محمد الرابع الندوي عن الصحافة : " فإن الصحافة فن من الفنون التي تساعد الإنسان بتعريفه بالأحوال والأحداث التي تحمل أهمية في مجتمعهم وفيما حولهم ، وتكون سبب تربية للعقل الإنساني فيزداد بها الإنسان خبرة واطلاعاً على أحوال الآخرين ، وهي فن جديد أصبح يمارسه أهل الخبرة والمؤهلات العلمية والأدبية منذ أن اخترعوا صناعة الطباعة كوسيلة للنشر والإعلام ، أما قبل ظهور عمل الطباعة فقد كانت ذريعة تلك الطريقة الخطية التي كان أهل المعرفة يختارونها لنشر كلمتهم ، أما في زمن العرب الأميين فقد كان ينوب عنها الشعر والخطابة لإبلاغ الناس ما يفيدهم ، وللتأثير على عقولهم ، وكان كلامهم الشعري يبلغ بسهولة إلى الأطراف المختلفة من مكان صدوره ، حسب مدى روعته وبلاغته ، وكان يؤثر تأثيراً كبيراً أو قليلاً على خواطرهم وآرائهم "[١] .

" الصحافة وسيلة مؤثرة من وسائل الإعلام والنشر ، وهي وسيلة تربوية ، تفوق الصحافة الكتب والإنتاجات الأدبية الأخرى نفعاً وتأثيراً ، لأنها تنقل بسهولة الموضوعات والأفكار المتجددة إلى القراء وتعمل كأداة تربوية ناجحة إذا كان هدف الآخذين بزمامها نبيلاً بناءً ، وتصبح أداة هدم وإفساد إذا كانت العقول المخططة من ورائها هدّامة مفسدة ، وهي بذاتها

[١] من مقدمة الصحافة العربية : نشأتها وتطورها لسعيد الأعظمي الندوي ، مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء ، لكنؤ، ص ٥ .

ليست إلا مجرد أداة ووسيلة ، ولكنها تخضع لإرادة من يصرف زمامها . تتجلى أهمية الصحافة إذا كانت في نطاق الجرائد اليومية أو نحوها ، فقد يجد قراؤها توجيهات وتعاليم يومية ، بل يتلقون دروساً منظمةً متلاحقةً كالغذاء الرتيب ، وهناك قسم آخر من الصحافة ، وهي المجلات الشهرية أو نحوها ، ولكنها – لطول فترة صدورها – لا تحمل تأثير القسم الأول ، ويجدر بنا أن نتحدث عن كلا النوعين بشيئ من التفصيل "[1] .

عناية ندوة العلماء بالصحافة وبدايتها :

" ولما أنشئت جمعية ندوة العلماء وأنشئت مدرستها دار العلوم للقيام بالتعليم والتربية اقتضت أن تكون لها صحافة أيضاً لإبلاغ الناس بما تقدمه دار العلوم في المجال التعليمي والتربوي ، فاعتنى بها رجالها حتى نشأ من أبنائها جيل يستطيع أداء دور مفيد في هذا المجال ، ويستخدم هذه الوسيلة كسفير علمي وأدبي إلى جمهور أهل العلم والمعرفة ، فصدرت من ندوة العلماء صحيفة في اللغة الأردية لأهلها باسم " الندوة " ، وصحيفة في اللغة العربية باسم " الضياء " فكانت صلةً بين أهل هذه البلاد وأهل البلدان العربية ، ومهدت الصحيفتان طريقاً لتربية أبناء ندوة العلماء على الصحافة ، وطرأت أحوال قاسية في العالم اضطرت بسببها الصحيفتان إلى التوقف عن الصدور ، ولما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وتحسنت الأحوال تشجعت نفوس أبناء ندوة العلماء على أن يبدأوا الصحافة من جديد ، وكان في مقدمتهم الأستاذ المرحوم محمد الحسني ابن الدكتور عبد العلي الحسني رئيس ندوة العلماء العام الأسبق ، وزميله الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي وبعض رفاقهما ، وحمل الأستاذان بصورة خاصة مسئولية رئاسة التحرير ، وقاما بأدائها أداءً حسناً وظهرت براعتهما في العمل وأحرزا خبرةً كبيرةً في شأنها ، فقد رأسا تحرير صحيفة " تعمير حيات " باللغة الأردية وتحرير مجلة " البعث الإسلامي " باللغة العربية ، وتوفي السيد محمد الحسني رحمه الله تعالى ، واستمر الدكتور سعيد الأعظمي الندوي في رئاسة تحرير مجلة " البعث الإسلامي " وزامله في العمل الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي رئيس الشئون

---

[1] محمد الرابع الحسني الندوي ، مقالات في التربية والمجتمع ، المجمع الإسلامي العلمي ، ندوة العلماء ، بلكنؤ ، ٢٠٠٤م ، ص ٩٧ .

التعليمية لندوة العلماء وأحرزت المجلة بجهود رئيسي تحريرها قبولاً وتقديراً من قرائها العرب وصارت ترجماناً للفكرة الإسلامية التي اختارتها ندوة العلماء ، وهي الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وفكرة إلى الإسلا م من جديد "[1] .

نظراته الأدبية :

وكان لشيخنا العلامة محمد الرابع الندوي نظرة كاملة متميزة إلى الآداب والفنون ، وهو يرى الأدب أداة متفضلة لتأدية المعاني الشعورية عن تجربة إنسانية عن سائر وسائل الإعلام والدعاية ، إن عالم الأدب عنده عالم فسيح بأوسع معاني الفسحة ، يجده المطلع عن الأدب ومفهومه والفنون وكنهها على صفحات مؤلفاته ومقالاته ورسائله ، نستعرض هناك بعضاً منها على سبيل المثال ، يقول في مقدمة كتبها لكتاب " الصحافة العربية : نشأتها وتطورها " للأستاذ سعيد الأعظمي الندوي :

" فإن الموضوع الذي يسمى أدباً ، إنما يحمل جوانب متنوعة وكثيرة من معاني الحياة ، مما يظهره الشعور الإنساني ، في كل ما تمت رابطة متصفة بروعة الظاهر ، وحسن الأداء ، وبقدر ما يكون الأداء فيه مصوراً لمدى الشعور الإنساني يكون الكلام المنتظم للعبارة ناجحاً ومفيداً ، فالأدب بذلك يكون سفيراً معبّراً لما يختلج في نفس صاحب الأدب ، وبحيث إن الإنسان بشعوره وتصوراته يجول في أحوال كثيرة من الحياة ، فالأدب بذلك يسع هذه الجوانب المختلفة لحياة الإنسان ، وبه نستطيع أن ننفذ إلى أغوار النفس الإنسانية ، ونطلع على ما فيها من تصورات ورؤى ، وبذلك يحصل لنا من الاطلاع على النفس الإنسانية ما لا يحصل عن طريق آخر[2] .

أما كلمة الأدب فقد كانت تستعمل في القديم لاختيار الأخلاق المهذبة ، وما يتعلق بها ، وقرر الإسلام لهذه الأخلاق خصائصها وحدودها ، والأدب باشتماله على هذه الصفات والخصائص يصبح معرفةً إنسانيةً

---

[1] من مقدمة الصحافة العربية : نشأتها وتطورها لسعيد الأعظمي الندوي ، مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء ، لكنؤ ، ص ٦ .

[2] من مقدمة " مصادر الأدب العربي للأستاذ محمد واضح الندوي ، مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، دار عرفات ، رأي بريلي .

مؤثرةً يرغب إلى الاطلاع عليها وإلى ذكرها كل من يريد معرفة الجمال النفسي ، والكرم الخلقي ، وقد ذكر الشعراء كلٍ ذلك بأسلوب مؤثر ، وأصبحت الحكايات التي تتصل بها تعد مادةً رائعةً لهذا الفن ، حتى إن أبا تمام سمى الباب الذي جمع فيه شعراً من هذا القبيل باباً لأدبٍ ، وقد كثرت المادة في هذا الباب حتى استوعب كل معنى فيه متعةً للنفس لجمال أدائه ، وروعة ما يضمره من فكر أو خيال ، وأصبحت القدوة لكل ذلك ما ورد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من موضوعات شيقة في كلام رائق ومعان رائعةٍ تستأثر ذهن القارئ والسامع شعراً كان أو نثراً ، وأصبح كل ذلك مادةً فياضةً للقراءة والتعليم ، حتى صار اسماً لمعلم مؤدباً ، وأصبحت التربية على هذه المواد الرائعة المفيدة تأديباً ، وقد ورد في الحديث الشريف : " أدبني ربي فأحسن تأديبي " ، وجاء عن القرآن الكريم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " القرآن مأدبة الله في الأرض ، فتعلموا من مأدبته " [١] .

يتسع الأدب باتساع الحياة وتتعدد جوانبه ونواحيه ،كما تتعدد جوانب الحياة ونواحيها ، ويستطيع به القارئ أو السامع أن يطل على حياة البعيدين في المكان أو السالفين في الزمان مهما قدم تاريخهم أو بعدت أوطانُهم [٢] .

الأدب يمثل الحياة ويصورها ، ويعرض على القارئ والسامع صوراً تنعكس وتبدو من مجالات العيش المختلفة ، ويعرض عرضاً جميلاً ومؤثراً لشتى جوانبها وأشكالها ، فتبدو فيه ملامح الكون والحياة وأشكالها المتنوعة ، فعندما يفوتنا النظر إلى الحياة مباشرةً ننظر إليها ونشاهدها في مرآة الأدب شريطة أن يجيد الأدب عمله وتصدق من صاحبه مقدرة وتحسن ملكته ، وبذلك يصبح الأدب سبباً لتخليد أحداث الحياة وصورها ، فهي تُلْمَس وتُشَاهَد ولو بعد وقوعها بزمن بعيد إذا بقيت العبارة المصورة لها ، وبقي التعبير الفني الجميل منها ، وبقيت معانيها وكلماتها مفهومة مثلما كانت مفهومة في أوانها [٣] .

يقول الشيخ في تعريف الأدب : " فالأدب عمل من أعمال العقل

---

[١] المرجع نفسه .

[٢] محمد الرابع الحسني الندوي ، الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، ص ١٠ .

[٣] محمد الرابع الحسني الندوي ، الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، ص ٩ .

الإنساني ، وفن من فنون الكلام . وهو كلام يؤثر عن الشعراء والخطباء والكتاب وأمثالهم متضمناً لأخيلة دقيقة ومعان رقيقة ، مما يهذب النفس ويرقق الحس والشعور ويثقف اللسان " [1] .

يكتب الشيخ عن تاريخ الأدب العربي : إن فن تاريخ الأدب بإطاره الجديد السائد لدى مؤرخي الأدب اليوم مأخوذ من قادة الأدب الغربيين ، ولكننا إذا رأيناه في إطاره العام لوجدناه أنه كان سائداً لدى أدباء العربية وعلمائها القدماء أيضاً ، فإن هناك مجموعات شعرية مختارة ومجموعات نماذج الأدب المنثور ألفت على الأساس التاريخي كذلك ، وبذلك ليس تاريخ الأدب في أساسه موضوعاً حديثاً ، بل إن له جذوراً قوية واضحة في القديم ، وهي التي تربى عليها الأجيال العربية السابقة ولم تزل تتربى إلى أن بدأ العهد الحديث [2] .

فإن الأدب العربي ذو تاريخ مجيد ، عاش قروناً طويلةً ، وعاشر شعوباً وبلداناً مختلفةً ، فاتسعت مساحته الزمنية والوطنية ، وزخر من ذلك بنماذج متنوعة وألوان شتى ، وفاق على الآداب الأخرى ، فإنه لا يوجد مثل هذه السعة في الزمان والمكان في أدب آخر غير الأدب العربي ، ومرَّ الأدب العربي بسبب سعته في الزمان والمكان من حالتي القوة والاضمحلال ، وكذلك من مراحل التأثر والتأثير العديدة [3] .

ومما لا شك فيه إن الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي صاحب أسلوب جميل وذوق أدبي مرهف ، منح للأمة العربية والإسلامية ثروةً قيمةً خالدةً ، كتب بألفاظ سهلة وتعبيرات رشيقة ، يقول الدكتور محمد أكرم الندوي عن أسلوبه : " يكتب في الأسلوب العلمي الواضح ، الذي يؤدي الرسالة ويقنع ، لا الذي يصاغ فيمتع ، ومنشأ ذلك حبه للحرية والصراحة ، فيرسل النفس على سجيتها ، ويعرض الفكرة على حقيقتها من غير تمويهها ، ومع ذلك فلأسلوبه طابعه المتميز ، إنه أسلوب عالم يبحث لينتج ، أو مصلح يصف ليعالج ، على أنه يتوخى الجمال أحياناً ، لا سيما

---

[1] محمد الرابع الحسني الندوي ، الأدب العربي بين عرض ونقد .

[2] من تقدبم محمد الرابع الحسني الندوي لكتاب تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي – للأستاذ محمد واضح الندوي ، كلية اللغة العربية وآدابها ، ص ٣ .

[3] من مقدمة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، للأستذ محمد واضح الندوي ، دار الرشيد ، لكنؤ .

في كتاباته واختياراته الأدبية " [1] .

الفنون الجميلة :

علاوة على نظرة الشيخ الأدبية نراه يتحدث عن سائر الفنون الجميلة مثل المسرحيات والسينما وغيرها ، يقول عن المسرحيات : " من أهم البرامج الثقافية المسرحيات ، وهي من أكبر وسائل التأثير في العقول والعواطف البشرية ، أما المسرحيات الموضوعية الهادفة فتساعد في بناء الفكر الصالح والاتجاه المستقيم ، وأما المسرحيات الترفيهية فإنها وإن كانت غير صادقة فهي تقوم كذلك ببناء الفكر أو إفساده ، ولا نغالي إذا قلنا : إنها تفسد العقول والأفكار وتخربها في الغالب . تمثل المسرحية جزءاً مؤثراً خطيراً من الحياة البشرية يتأثر بها الحضور المستمعون كأنهم يشاهدون الواقع عياناً ، وأكثر ما يتأثر الإنسان بمشاهدة الحياة ونواحيها المختلفة ، وجاء التلفزيون فأخرج المسرحيات من النطاق الصوتي وأدخلها في النطاق الصوتي البصري حتى قرَّبها إلى الواقع " [2] .

وكتب الشيخ عن الفن السينيمائي : " أما السينما فهي أقدم من التلفزيون ، كانت السينما في البداية صامتة تشاهد فيها الحركات الصورية من دون صوت ثم قرن بها الصوت ، واخترعت السينما بعد اكتشاف الكاميرا ، فالحركات تمر في السينما على الشاشة بسرعة يتخيل الناظر إلى أنها صور واقعية حية ، والصور الكثيرة المختلفة تمثل الحركات البشرية المختلفة اعتماداً على تحريكها على الشاشة . توضع قصص وأحداث وأدوار خيالية لإعداد صور السينما ومشاهدها ، ثم تعد الأفلام ، وتعرض في قاعات السينما . وتكون القصص والأحداث المعروضة على الشاشة مثيرة خلابة كالمسرحيات ، والروايات ، وتعتمد السينما على البصر فتؤثر في الأخلاق والشعور تأثير المشاهد الحقيقية ، وتؤكد التجارب أن أفلام السينما كان تأثيرها أشد على أخلاق الحياة الشعبية وسلوكها بالنسبة إلى أي مؤثر آخر ، وتقام دور السينما بصفة عامة للأغراض الاقتصادية فتطغى على الأغراض الأخرى ولا يكترث أصحابها بما إذا كانت تترك آثاراً صالحة أو فاسدة على الحياة

---

[1] بغية المتابع لأسانيد العلامة الشريف محمد الرابع ، دار القلم ، دمشق ، ص ٣٨ – ٣٩ .

[2] محمد الرابع الحسني الندوي ، مقالات في التربية والمجتمع ، المجمع الإسلامي العلمي ، ندوة العلماء ، بلكنؤ ، ٢٠٠٤م ، ص ١١٠ .

الاجتماعية ، وإن الأساليب أو الوسائل التي يتخذونها لإدخال روح التسلية والمتعة والترفيه فيها تقطع بأن لا سبيل إلى أن يُرجى منها ظهور آثار صالحة بناءة [1] .

الأدب الإسلامي :

حينما نستخدم اصطلاح " الأدب الإسلامي " لا نستطيع أن ننسى سماحة الشيخ الإمام الهمام السيد أبى الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله الذي ألقى الضوء على فكرة الأدب الإسلامي في أول مرة ، في مقالة قدمها بمناسبة عضويته للمجمع العربي بدمشق سنة ١٩٥٧م ، فكان هو الداعي الأول إلى الأدب الإسلامي حسب معرفتنا . وبعد ذلك تلاه الأستاذ سيد قطب رحمه الله فكتب مقالاً في الموضوع ، ثم نشر في كتابه " التاريخ : فكرة ومنهاج " إنه دعم فيه فكرة الإمام الندوي رحمه الله ، وبعد ذلك جاء الأستاذ محمد قطب بكتابه " منهج الفن الإسلامي" فكان أول كتاب ظهر في هذا الموضوع ، بحث فيه مجالات فنية في تصوير الإسلام ، وتلاه الأديب الدكتور نجيب الكيلاني ، الذي ألف كتاباً في هذا الفكر " الإسلامية والمذاهب الأدبية " هذا الكتاب وكتاب الدكتور عماد الدين خليل " في النقد الإسلامي المعاصر " خطوة رائدة في الأدب الإسلامي . وكتاب " النظرات في الأدب " للشيخ أبي الحسن على الندوي وكتاب " الأدب الإسلامي : إنسانيته وعالميته " للدكتور عدنان النحوي من البحوث القيمة في هذا المجال .

كان شيخنا السيد محمد الرابع الندوي لا يزال يتبع على منوال خاله أبي الحسن علي الندوي ويدعمه في تشجيع هذا الأدب الرفيع حينما يكتب كتيبات ويحاضر محاضرات حتى ألف بنفسه كتابه الشهير " الأدب الإسلامي وصلته بالحياة " ، فكثر المستجابون له وأخذ العالم الإسلامي يصحو من سبات عميق تناسى المسلمون فيه هذا الجانب وتغافلوا عن أهميته ، يقول فيه عن سعة الأدب الإسلامي :

" إن الأدب الإسلامي يرى مجالات العمل في الكون والحياة ، ويميز بين اللائق بإنسانية الإنسان وغير اللائق بها ، فهو أدب ملتزم في هذا المعنى ؛ ولكنه ملتزم بالمفيد الصالح لا بالجمود والتقليد ، أما الأدب

---

[1] محمد الرابع الحسني الندوي ، مقالات في التربية والمجتمع ، المجمع الإسلامي العلمي ، ندوة العلماء ، بلكنؤ ، ٢٠٠٤م ، ص ١١٢ .

غير الإسلامي فهو لا يبالي بمجالات العمل في الكون والحياة ، يدخل في كل مكان مثل البهيمة الهاملة ترعى فيما تشاء ، ولا تفرق بين الصافي والعفن ، والطيب والخبيث ، ولا تبالي بالفرق بين المراعي الفائحة والقاذورات النتنة . الأدب الإسلامي لا يحب هتك العورات ولا إثارة المزابل إلا في نطاق هادف محدود ، أما الأدب غير الإسلامي فلا يبالي أين وقع وماذا أفسد ؛ بل إنه حينما يجرد نفسه من الالتزام يرى أحب مجالات عمله كل صورة مثيرة للعواطف وكلّ معنى يغذّي النزوات مهما أتى به في أثره من فساد وانهيار . الأدب الإسلامي يتلقى روحَه وهدايته من الإسلام ، ومن حياة نبي الإسلام (صلى الله عليه وسلم) ، والأدب غير الإسلامي يتلقى روحَه وإرشاده من هوى الإنسان وحياة كل هائم من الحيوان ، وليس صحيحاً أن الأدب بعد التزامه بالإسلام يصبح محدوداً وقاصراً ؛ لأننا حينما نشطب جانب الفساد والقبح من الحياة فالذي يبقى بعده في الأدب هو واسع وكثير متنوع الجوانب ومختلف الصور والأشكال ، ولن يشعر الممارس له والمستفيد به أي قصور فيه لقضاء حاجته من الأدب ، بل إنما يجده بخدمة في كل ما يعينه في حياته " [1] .

رابطة الأدب الإسلامي العالمية :

إثر دعوات متتالية من قبل الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي وأتباعه إلى الأدب الإسلامي استقر رأي الأدباء المسلمين والنقاد الذين تأثروا في هذا الفكر الخيري منذ عام ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م على تكوين هيئة تأسيسية لدراسة الموضوع وتجمع الأفكار وتراسل الأدباء في البلدان الإسلامية .

فعقدت ندوة عالمية للأدب الإسلامي في لكنؤ بالهند في شهر جمادى الأخرى عام ١٤٠١هـ الموافق شهر أبريل ١٩٨١م ، في رئاسة سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله ودُعي إليها عدد كبير من شخصيات العالم الإسلامي ، وفيهم كثير من المهتمين بالأدب . كانت هذه الندوة أول ندوة دولية عقدت للأدباء المسلمين في العالم ، حتى كانت الندوة دافعاً قوياً للأدب الإسلامي ، وتشجيعاً بليغاً للأدباء المسلمين ، وانتهت الندوة بتوصيات هامة منها إنشاء رابطة عالمية للأدباء الإسلاميين .

---

[1] الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، محمد الرابع الندوي ، المجمع الإسلامي العلمي ، ندوة العلماء بلكنؤ ، ص ١١ – ١٢ .

توالـت علـى هـذه النـدوة التاريخيـة نـدوات عديـدة حـول الأدب الإسـلامي في البلـدان العربيـة ، منهـا نـدوة عُقـدت في رحـاب الجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة في شـهر رجـب عـام ١٤٠٢هـ الموافـق شـهر مـايو ١٩٨٢م ، وندوة عقدت في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسـلامية في شهر رجب ١٤٠٥هـ الموافق شهر أبريل ١٩٨٥م . وخلال هذه الفترة قامت الهيئـة التأسيسية للرابطـة بالاتصال بسماحة الشيخ النـدوي رحمـه اللّه ، وعرضت عليه ما قامت به من أعمال تمهيدية واتصالات موسعة ، ورغبت إليه أن يتبنى إنشاء هـذه الرابطـة ، واستجاب سماحتـه بمـا عـرف عنـه مـن صدر رحب ، وبصيرة نافذة ، ووعي وحكمة ، هـكذا انبثقت عـن الهيئـة التأسيـسيـة لجنـة تحـضيرية تولـت الإعـلان عـن تأسـيس رابطـة الأدب الإسـلامي العالميـة ونـشرت هـذا الإعـلان في الـصحف والمجـلات بتـاريخ ١٤٠٥/٣/٢هـ الموافق ١٩٨٤/١١/٢٤م .

ثـم دعـت الهيئـة التأسيـسية إلى مـؤتمر الهيئـة العامـة الأول ، بعـد انتساب عدد كبير من الأدباء إليها في مختلف أنحاء العـالم الإسـلامي ، وعقد هذا المؤتمر في رحـاب جامعـة نـدوة العلمـاء بلكنـؤ في الهنـد في شـهر ربيع الآخر عام ١٤٠٦هـ الموافق لشهر ينـاير ١٩٨٦م حيث تم وضـع النظـام الأسـاسي للرابطة ، وانتخاب مجلس الأمنـاء . كمـا انتُخِبَ سماحـة الـشيخ النـدوي رحمـه اللّه رئيسـاً للرابطـة مـدى الحيـاة ، وتمّ الترخيـص الرسمـي للرابطة في مقرها الرئيسي بمدينة لكنـؤ بالهنـد ، أمـا مقـر رابطـة الأدب الإسلامي العالمية فقد كان في لكنؤ إلى وفاة الشيخ النـدوي رحمـه اللّه ، ثـم انتقـل إلى مدينـة الريـاض في المملكـة العربيـة الـسعودية سـنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ، وانتخب الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيساً لها ، وهـو أحـد مؤسسيها . بعد وفاته عام ٢٠٢٠ أصبح السيد محمد الرابـع النـدوي رئيسـاً لرابطـة الأدب الإسـلامي العالميـة ، وانتقـل الـشيخ رحمـه اللّه إلى جـوار ربـه حـاملاً هـذا المنـصب كمـا كـان يحمـل رئاسـة مجلـس الأحـوال الـشخصية لمسلمي الهنـد . مـع عـضويته في عـدد مـن المؤسـسات العلميـة والأكـاديميـة العالمية واللجان الإسلامية مثل رابطـة العـالم الإسـلامي بمكـة المكرمـة ، ومركز أكسفورد للدراسات الإسلامية ببريطانيا وغيرها .

مؤلفاته :

أكثر كتب أدبية ألفها الأستاذ الندوي كان معداً لطلبة جامعة ندوة العلماء منها : الأدب بين عرض ونقد ، وتاريخ الأدب العربي ، والأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، وأضواء على الأدب الإسلامي ، ومنثورات من أدب العرب ، ومختار الشعر العربي . يقول الأستاذ أحمد الجندي محرر مجلة العربية بدمشق عن خلفية تأليف كتاب الأدب العربي بين عرض ونقد : " هذا الكتاب مجموعة من الدروس ألقاها المؤلف على تلامذته في دار العلوم بلكنؤ في الهند ، وقد تناول فيها شرح اختلاف الأساليب الأدبية العربية في مختلف أدوار التاريخ العربي ، كما تناول التعريف بأصحاب هذه الأساليب مع بيان القيمة الأدبية لكل أسلوب ، وقد سجل المؤلف هذه الدروس ، ثم أعمل فيها التهذيب والتنقيح وأضاف إليها نصوصاً أدبيةً من النثر " لتكون عوناً على التطبيق والشرح " على حد قوله ، فكان من كل ذلك هذا الكتاب " [1] .

يقول المؤلف : لقد كنتُ عند تدريسي لكتاب " مختارات من أدب العرب " لأستاذنا الجليل السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في عالمية دار العلوم ندوة العلماء ، أشرح اختلاف الأساليب الأدبية في مختلف أدوار التاريخ العربي ، وأسعى للتعريف بأصحابها وزعمائها ، وتبيين القيمة الأدبية لنصوصهم المختارة في الكتاب ، كما كنت أقوم بتمهيد أدبي دراسي أشرح فيه المباني الأساسية للأسلوب الأدبي والفن ، غير أني كنت أقوم بكل ذلك شفوياً يختلف طريقةً وتفصيلاً باختلاف المرات والسنوات ، فأردت أن أسجلها كمذكرات لي حتى يمكن لي إملاؤها شيئاً معيناً واحداً ، ففعلت ثم هذبتها بعض التهذيب وأضفت إليها نصوصاً أدبيةً من النثر والشعر لتكون عوناً على التطبيق والشرح ، فصارت مجموعة تشبه الكتاب . وأشار عليّ أصدقائي بإحكامها وطبعها ككتاب يسهل وصوله الصعوبات وقام بالإشراف على طبع الكتاب وإخراجه إخراجاً .

استجاب شيخنا المربي رحمه الله لدعوة ربه عز وجل للحياة البرزخية بعد حياة مليئة بالخدمات الجليلة والمسؤوليات الكريمة تجاه الله والإسلام والأمة والدولة ، أحسن الله مأواه ، وأسكنه الفردوس الغالي وجمعنا معه في الجنة .

---

[1] من مقدمة لكتاب : الأدب العربي بين عرض ونقد .

رائد متميز في موكب رواد الأدب الإسلامي

الأستاذ محمد خالد ضياء الصديقي الندوي *

كان الشيخ العلامة محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله – من أفذاذ الأعلام وكبار الأدباء والكتاب للقرن العشرين المنصرم والقرن الحادي والعشرين الجاري ، جمع الله فيه من معالم النبوغ والموهبة ما لا تجتمع عادةً في إنسانٍ واحدٍ ، فكان – رحمه الله – كاتباً ، وباحثاً ، ومؤلفاً ، ومدرّساً ، وداعياً ، ومرشداً ، وصحافياً ، وأديباً ، وناقداً ، وجغرافياً ، ومفكراً ، وقائداً ؛ فلقد تجلت عبقريته العلمية والأدبية والدينية في شتى المجالات ؛ ولكن الملمح المميز لشخصيته هو الأدب ، وخاصةً الأدب الإسلامي الذي قضى في خدمته حياته كلها ، والذي تعزز به وارتقى .

ولا يكون من المبالغة في شيئ إذا قلت : إن الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي يجدر – عن حقٍ وجدارةٍ – بأن يُعدّ من رواد الأدب الإسلامي ، فحركة الأدب الإسلامي ظهرت ونشأت أمامه وفي عصره ، فلم يكتف بالمساهمة الفعالة في تنظير قواعد الأدب الإسلامي وإقرار منهجه ، وإبراز نماذجه فحسب ؛ بل احتضنه ورعاه في كنفه ، حتى بلغت شهرته في الشرق والغرب ، وامتد من أفق ضيق إلى آفاق واسعة .

وبما أن الشيخ بطبعه شديد الميل إلى الأدب النزيه الملتزم ، فلذا انضم كعضوٍ تأسيسي بارزٍ فعالٍ إلى " رابطة الأدب الإسلامي العالمية " حين أنشئت، ثم أسهم إسهاماً فاعلاً في إبراز الأدب الإسلامي وإثرائه بثرواته الأدبية ، وذلك من خلال المشاركة ببحوثه القيمة في ندواتها المنعقدة في الهند وخارجها ، ومقالاته العربية المنشورة في مجلة " الأدب الإسلامي " الصادرة من " رابطة الأدب الإسلامي العالمية " مكتب البلدان العربية ، ومقالاته الأردية

* الأستاذ : بالمدرسة المعينية عظمت العلوم ، صاحب غنج ، مظفرفور ، بهار .

التي نشرت في مجلة " كاروان أدب " الصادرة من " رابطة الأدب الإسلامي العالمية " مكتب بلاد شبه القارة الهندية ، وقد نالت هذه المقالات إعجاباً وتقديراً لدى أنصار الأدب الإسلامي ، ولم يزل يكتب حول الأدب الإسلامي بشكل أروع وأجمل ، ويقدم نماذج رائعةً للأدب الإسلامي النزيه ، حتى صار رائداً متميزاً في كوكب رواد الأدب الإسلامي .

تصور الأدب عند الشيخ :

إن تصور الأدب عنده واسع جداً ، فإنه ينظر إليه كأديب إسلامي ، والأديب الإسلامي ينظر إلى الأدب بنظرته الواسعة ، فلا يكون الأدب عنده محصوراً في دائرة محدودة وأغراض معينة كالفسق ، والمتعة ، والتسلية ، واللهو ، والترفيه ، والطرب فحسب ، كما يظن كثير من الأدباء والمحترفين بالأدب ؛ بل إن الأدب يتسع عنده كاتساع الحياة ، وتتعدد جوانبه كما تتعدد جوانبها ، وإلى ذلك يشير الشيخ بقوله :

" إن الحدود الإسلامية للأدب واسعة كسعة الحياة الإنسانية ، فيه دقة كدقة الحياة البشرية ، وروعة كروعة الأزهار الجميلة والرياحين الفائحة ، وليس فيه حجر وتضييق جائر ، بل إنما هو ملائمة بين الفن وبين الإنسانية الصافية " . (أضواء على الأدب الإسلامي : ٩ – ١٠) .

الأدب الإسلامي : الملمح المميز لشخصيته :

وإذا كانت قضية الأدب الإسلامي هي الملمح المميز لشخصيته ، فمن المناسب أن ندرس حياته كأديب إسلامي ، ونستعرض أعماله التي قام بها بصفته أديباً إسلامياً ، ونعرف المراد من الأدب الإسلامي عنده ، فيحلو لي أن نبدأ بالمراد من الأدب الإسلامي .

المراد من الأدب الإسلامي عنده :

وليتضح المراد من الأدب الإسلامي عند الشيخ بشكلٍ واضحٍ يحسن بي أن أنقل هنا قطعةً مما جاء في كتابه " أضواء على الأدب الإسلامي " تحت عنوان : " السمة الإسلامية والأدب " ، فيقول – رحمه اللّٰه – :

" فنحن عند ما نقول الأدب الإسلامي فنعني به أدباً هو دين ودنيا في وقتٍ واحدٍ ، وذلك لأنه يتسع اتساع الحياة ويتنوع بتنوعها ؛ ولكن

بطريقته وبمنهجه ...... فنحن حينما نستخدم مصطلح الأدب الإسلامي لا نريد به تحديد الأدب بالزهد في مرافق الحياة ، أو إلزام الأدب بالانكماش والانزواء في ركنٍ خاصٍ من أركان الحياة ؛ بل إنما نريد به السمة الإسلامية النزيهة في الأدب " . (أضواء على الأدب الإسلامي : ١٦ – ١٧) .

ويقول عنه في موضع :

" إنه ليس أدباً محصوراً في الجانب التعبدي وحده ، وليس حراً إلى حدود الإباحية واقتران السيئات ، إنه حر وملتزم ، يؤدي دوره في حدود الحياة الإنسانية تحت الوصاية الإسلامية ، التي ترعى لواقعية الحياة الإنسانية ولجوانب الطموح والنقص فيها ؛ فهي ترعاها وتعطي كلاً منها حقها ، فبذلك يستطيع أدب الإسلام أن يخدم الحياة الإنسانية كما لا يخدمها أدب آخر ، ويؤدي حقها كما لا يؤدي أدب آخر ، ويصورها بصورةٍ أكرم وأشرف ، وبجمالٍ أروع وأصدق " . (نفس المصدر : ٣١) .

بين الأدب الإسلامي وغيره :

ولكي يتضح مفهوم الأدب الإسلامي أكثر وضوحاً يجب ذكر الأدب الذي هو ضد الأدب الإسلامي ، فأقول : إن الأدب إذا كان مشتملاً على المعاني الإسلامية والأغراض الشريفة كان أدباً إسلامياً ، وإذا كان يشتمل على المواد الفاسدة والأغراض الخسيسة سمي ذلك الأدب أدباً غير إسلامي ، فالأدب إذا كان ملتزماً ونزيهاً ، هادفاً وبنّاءً ، سُمي إسلامياً ، وإذا كان حراً ومنحرفاً ، فاسداً وهادماً ، يُدعى غير إسلامي ، فالالتزام هو الفارق بينهما ، وهو ضروري في العمل الأدبي ، يقول الشيخ – رحمه الله – :

" لقد شغلت قضية الالتزام في الأدب نفوس نقاد الأدب واسترعت انتباههم ، وانقسم الناس فيه إلى موافقين ومعارضين ؛ ولكن الالتزام في العمل الأدبي حالة لا محيد عنها لأديب ، فإنه لا يتجرد منها نص أدبي مهما قل ظهورها فيه أو ضعف أثرها ، والالتزام إذا لم يكن متعمداً ظاهراً ملموساً كان خفياً وبصورةٍ تلقائيةٍ ، وذلك لأن الإنسان مهما كان محايداً في نظراته إلى الحياة وتصوراته وأحواله النفسية والشعورية ، لا

يمكن أن يخلو من احتوائه لميول ومشاعر ذات صعبة معينة ، وهي تلقي أضواءها على نفسه ، وتصبغها بصبغتها الأعمال التي تصدر منه ، ومن هذه الأعمال عمله الأدب أيضاً ، فنصوصه الأدبية لا يمكن أن تتجرد من هذه الانطباعات المعينة بتاتاً . (نفس المصدر : ٦١) .

ويقول في موضع بعد تسليط الضوء مفصلاً على صلة الأدب بالإسلام : " فموضع الاختلاف بين الأدب الإسلامي وغيره من أجناس الأدب هو في رعاية مصلحة الحياة الإنسانية وعدم رعايتها ، حيث إن الأدب الإسلامي يرى مجالات العمل في الكون والحياة ، ويميز بين اللائق بإنسانية الإنسان وغير اللائق بها ، فهو أدب ملتزم في هذا المعنى ؛ ولكنه ملتزم بالمفيد الصالح لا بالجمود والتقليد . أما الأدب غير الإسلامي فهو لا يبالي بمجالات العمل في الكون والحياة ، يدخل في كل مكان مثل البهيمة الهاملة ترعى فيما تشاء ، ولا تفرق بين الصافي والعفن ، والطيب والخبيث ، ولا تبالي بالفرق بين المراعي الفائحة والقاذورات النتنة . الأدب الإسلامي لا يحب هتك العورات ، ولا إثارة المزابل إلا في نطاق هادف محدود ، أما الأدب غير الإسلامي فلا يبالي أين وقع ، وماذا أفسد ؛ بل إنه حينما يجرِّد نفسه من الالتزام يرى أحب مجالات عمله كل صورة مثيرة للعواطف ، وكل معنى يغذي النزوات مهما أتى به في أثره من فساد وانهيار ، وهذا هو موضع الخلاف بين الأدب الإسلامي والأدب غير الإسلامي . الأدب الإسلامي يتلقى روحه وهدايته من الإسلام ومن حياة نبي الإسلام ، والأدب غير الإسلامي يتلقى روحه وإرشاده من هوى الإنسان ، وحياة كل هائم من الحيوان ، وليس صحيحاً أن الأدب بعد التزامه بالإسلام يصبح محدوداً وقاصراً ؛ لأننا حينما نشطب جانب الفساد والقبح من الحياة فالذي يبقى بعده في الأدب هو واسع وكثير ومتنوع الجوانب ومختلف الصور والأشكال ، ولن يشعر الممارس له والمستفيد به أي قصور فيه لقضاء حاجته من الأدب ؛ بل إن ما يجده يخدمه في كل ما يعينه في حياته " . (الأدب الإسلامي وصلته بالحياة : ١٩ – ٢٠) .

لقد تبين من هذين المقتبسين أن الالتزام بالطبيعة الإسلامية هو

المبدأ الأول والوحيد عنده للأدب الإسلامي .

الأدب الإسلامي بين معارضيه :

يتصور كثير من الأدباء الغربيين وتلامذتهم في الشرق أن نسبة كلمة " الإسلامي " إلى " الأدب " غير صحيحة ، فمن مقومات الأدب عندهم أن توجد في الكلمات الأدبية من التأثير الفني ما يمس القلوب ، ويثير النفوس ، ويحرك العواطف ، والأدب الإسلامي يخلو من هذه القوة الأدبية الفنية لاشتماله على الأقسام الأدبية الجافة كالوعظ والإرشاد والزهد والنسك وما إلى ذلك ؛ ولكن تصورهم هذا خاطئ ، فأمثال هؤلاء الأدباء حينما يلصقون العجز والقصور بالأدب الإسلامي لا يلصقون به فحسب ؛ بل إنما يلصقون العجز بالإسلام في الحقيقة ، مع أن الإسلام منه براء . يقول الشيخ – رحمه الله – :

" نجد كثيراً من الناس يبدون استغراباً على إضافة كلمة " الإسلامي " إلى الأدب ، ويقولون : كيف يصح أن يقسم الأدب إلى إسلامي وغير إسلامي ، ويظنون أن الأدب الإسلامي لا يخرج من أن يكون موعظة وترغيباً وإنذاراً في الدين ، وذكر صلاة وصيام وأمور أخرى من هذا القبيل ، وكيف يعد ذلك كله فناً وأدباً . ونقول : إن كان صحيحاً ما يقولون من إن إسلامية الأدب تجعله موعظةً وإرشاداً فماذا رأيهم عن الوعظ والترغيب الذي تغلب عليه الصفة الفنية الأدبية ، ويقوى فيه الأسلوب الأدبي ، ألم توجد نماذج للوعظ والإرشاد لرجال الإصلاح الديني كانت متصفةً بالصفات الأدبية الفنية فعدت أدباً ، ألا نرى مواعظ العلامة ابن الجوزي ومن قبله سيدنا الحسن البصري رحمهما الله ، ثم أن الوعظ والإرشاد ليس وحده كل الأدب الإسلامي ؛ بل إن أدبهما جزء منه ، وإذا صرفنا النظر عن الوعظ والإرشاد والدين ؛ فإن الساحة تشتمل على أقسام مختلفة من الأدب الإسلامي ، وإنه ليعمل في الجوانب المختلفة المتنوعة من الحياة ...... والأدب الملتزم بالإسلام يحمل رحابةً وسعةً كبيرةً وهو يمتاز في هذه الصفة ، ويفوق على المذاهب والاتجاهات الأدبية الأخرى ، فإنه إذا رُوعي فيه بما يقتضي الدقة والاحتياط ، فلن يكون لديه مانع من قبول أي أسلوب من الأساليب

الأدبيـة ، ومـن التفاعـل مـع أي خيـال إنـساني جميـل ؛ فـإن صـدر الأدب الإسلامي رحب في كل ذلك " . (أضواء على الأدب الإسلامي : ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١) .

ويقـول الـشيخ – رحمـه الله – رداً علـى المعارضـين لفكـرة الأدب الإسـلامي ، وهـو يتحدث عن الحاجة إلى إنشاء حركة على أساس المنهج الإسـلامي لـلأدب : " ولكـن مـافتئ أن أصبح الفـن الأدبـي أسـيراً في أيـدي النفعيين والمستغلين ، يسخرونه لأهوائهم وشهواتهم ، ويرفضون ما يـأتي مـن أهل الصلاح والاستقامة ، وينفون عنه صفة الأدب ، حتى ظن بعض الناس أن الأدب لاصلة لـه بالـدين والاسـتقامة ، فكانـت الحاجـة ماسـةً إلى أن تقـوم حركة لتحرير الأدب من هذا الأسـر ، وإبراز صلته بالحياة مع الموافقة مع السيرة الإسلامية في ذلك ، ومهتدية بهدي القرآن وبيان الرسول عليه الصلاة والسلام ، بحيث يكون الأدب جامعاً بين المتعة والفضيلة ، وبين الجمال والخير ، وبين التأثير والتزام الحق " . (نفس المصدر : ١٩ – ٢٠) .

ويتضح مما قدمت أن الشيخ له صلة وثيقة بهذا الأدب النزيه ، وقضى حياته كلها – التي هي حافلة بالعطاءات الأدبية – خادماً لـه ، ومنافحاً عنه ، وداعياً إليه ، ومقدماً صورةً رائعةً له ، ويرد علمياً على الإبداعات التافهة .

ويكون من المناسب أن أذكر هنا بعض أعماله الأدبية القيمة ، الـذي أثـرى بهـا المكتبـة العربيـة ، والـتي لهـا قيمـة كـبيرة لـدى الأوسـاط الأدبية والعلمية .

آثاره الأدبية والعلمية :

كـان جل تأليفه فيمـا يسمى الأدب ، ومـن أشـهر مؤلفاتـه الأدبيـة والعلميـة الـتي أبـدع فيهـا كـأديب إسـلامي ، والـتي تكـشف عـن موهبتـه الأدبية والفنيـة ، وتشكل جانبـاً مهمـاً مـن أدبـه الإبـداعي : " منثورات مـن أدب العـرب " ، و " الأدب العربـي بـين عـرض ونقـد " ، و " تـاريخ الأدب العربـي " (العـصر الإسـلامي) ، و " مختـار الـشعر العربـي " ، و " الأدب الإسلامي وصلته بالحياة " ، و " أضواء على الأدب الإسـلامي " ، و " معلم الإنشاء " (الجزء الثالث) . وفيما يلي تعريف وجيز بهذه الكتب :

منثورات من أدب العرب :

كتـاب يشتمل علـى النـصوص الأدبيـة مـن العـصر الإسـلامي الأول

إلى العصر الحديث ، اختار المؤلف في هذا الكتاب النصوص الأدبية نظماً ونثراً ، وراعى في اختياره السهولة ، واقتبس – كما يقول الإمام الندوي رحمه الله في تقديمه لهذا الكتاب – : " من كتب السيرة والتاريخ والأدب والدين قطعاً نابضة ، مشرقة الديباجة ، واضحة الفكرة ، إسلامية النزعة ، تغذي الملكة الأدبية والعاطفة الدينية في وقتٍ واحدٍ ، وتمثل الأخلاق العربية الفاضلة والحضارة الإسلامية المثلى . وقد جمع فيه المؤلف بين النثر البليغ ، والشعر الرقيق ، والأدب القديم ، والأدب الحديث ، فجاء كتابه مجموعة جامعة تغرس في قلوب الناشئة حبَّ هذه اللغة الكريمة التي يدرسونها ، وحبَّ الأخلاق والأغراض التي يحملها أدبها ، وحبَّ المجتمع الذي عاشت فيه هذه اللغة وآدابها ، ويدفعهم إلى تقليد هذه الأساليب الأدبية السهلة الطبيعية ، ويرون أن كل ذلك ميسور ، فنشأ فيهم الثقة بنفوسهم ، وبدينهم ، ولغتهم ، وقريحتهم " .

الأدب العربي بين عرض ونقد :

كتاب يجمع بين النصوص الأدبية المختارة ، وتاريخ الأدب والنقد . وينقسم إلى ثلاثة أقسام ، وهي : حقيقة الأدب ، وتحليل النصوص الأدبية ونقدها ، والنماذج لمختلف أدوار الأدب العربي مع بيان قيمتها الفنية ومكانة أصحابها الأدبية .

تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) :

اعتنى المؤلف في هذا الكتاب من تاريخ الأدب بمدى استجابة الأدب للنظرة الإسلامية للشعر والبيان وأثر ذلك على فنيتهما ، وهذا الجزء يحيط بشطري العهد الإسلامي : صدر الإسلام وعصر بني أمية .

مختار الشعر العربي :

وهو اختيار للشعر في العصرين الإسلامي والعباسي ، ويدرس في المراحل العليا في دارالعلوم لندوة العلماء ، لكناؤ .

الأدب الإسلامي وصلته بالحياة :

أصل هذا الكتاب بحث أعدّه المؤلف مساهماً في الندوة العالمية الأولى للأدب الإسلامي المنعقدة في دار العلوم لندوة العلماء في عام ١٤٠١هـ ، شرح فيه المؤلف صلة الإسلام بالأدب وصلة الأدب الإسلامي بالحياة ، وبيَّن ميزة الأدب الإسلامي بين الآداب العالمية وسعته ، وبكل ذلك جاء هذا الكتاب على وجازته غنياً بالمواد ، وشارحاً لفكرة الأدب الإسلامي

شرحاً مفيداً جامعاً .

أضواء على الأدب الإسلامي :

هذا الكتاب مجموعة لكلمات ومقالات كتبها المؤلف للصحيفة العربية الناطقة للجمعية الأدبية الإسلامية رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، التي صدرت عدة سنوات من مكتبها الرئيسي في ندوة العلماء لكناؤ ، وكتب بعضها كبحوث لندواتٍ علميةٍ أدبيةٍ عقدت في الهند وغيرها ، وكل البحوث والمقالات تلقي الضوء بشكلٍ مباشرٍ على الأدب الإسلامي ، ومبدئه ، ومنهجه ، وسماته البارزة .

معلم الإنشاء (الجزء الثالث) :

كتاب نال قبولاً عاماً في المدارس العربية في تدريس التعبير والإنشاء وكتابة المقالات ، وصياغة الجمل وإعداد الرسائل الموجهة إلى الكبار والصغار .

خاتمة البحث :

إنها نظرة إجمالية سريعة على ما قدم الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله من خدمات ومساهمات في خدمة الأدب الإسلامي ؛ ولكنها تكشف لنا عن رؤيته للأدب الإسلامي الذي عاش له وعاش به وعاش فيه مدى الحياة بعطاءاته الواسعة والمتميزة .

وبفضل مجهوداته القيمة المشكورة هذه استطاع أن يستعرض ذخائر الأدب استعراضاً جديداً ، ويستخرج نفائس من الثروة الأدبية المطمورة ، ويقدم صوراً رائعاً للأدب الإسلامي من التراث الأدبي القديم الذي هو (كما يقول سماحة الشيخ الإمام الندوي رحمه الله) : " بقي قروناً طويلةً مطموراً في صفحات من الكتب التي أبعدت عن ركن الأدب والبيان في المكتبة العربية العالمية ، ووضعت في ناحيةٍ بعيدةٍ عن الأدب واللغة ، بحيث لا يتبادر إليها ذهن مؤرخ الأديب ، ولا باحث في البيان والبلاغة " . (الأدب الإسلامي وصلته بالحياة : ١٤) .

ملامح عامة للأدب الإسلامي

عند العلامة محمد الرابع الحسني الندوي

د . عبد الوحيد شيخ المدني *

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فإن الأدب تهذيب للنفوس ، وهو كلام معبر عن شعور صاحبه نحو حياته وحياة غيره ، ولا يؤدي هذا الكلام دوره الأدبي إلا إذا استجاب له وجدان سامعه أو قارئه ، وإلا كان ذلك الكلام لغواً وفلسفةً ، وليس أدباً . وكذلك فإن الأدب تعبير عن الحياة ، لذلك نجد أن الأدباء الذين تأثروا بحياة الغرب فإنهم يمثلون أفكارهم وقيمهم ، ولا يمثلون قيم الإسلام إلا نادراً ، فأدبهم يدور حول إنسان مبهم مجهول ، وأوهام وأسرار بتعبيرات ومصطلحات متطرفة ، بينما الأدب الإسلامي تعبير مخلص للحياة ، وتصوير صادق للآمال والآلام للأمة ، فهو يؤدي دوره المطلوب في خدمة الأمة بتوجيهها إلى الغايات والأهداف .

فقد أنجبت الهند عدداً كبيراً من العلماء البارزين على مرّ العصور ، ولم تكن شهرتهم قاصرة على الهند ، وإنما ذاع صيتهم في الآفاق واتجه إليهم الوفود من العالم كله واستفاد منهم الطلاب من الهند وخارجها . ومن محاسن الهند أنها قدّمت علماء كباراً في مختلف العلوم والفنون من العلوم الشرعية وغيرها واستفاد من مصنفاتهم العرب والعجم قديماً وحديثاً ، وأثروا المكتبة الإسلامية بمؤلفات قيمة حظيت بالقبول عند العلماء ، ويأتي اسم العلامة محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله – في طليعة هذه النخبة من العلماء الأفذاذ علماً وتواضعاً ، ويمتاز بالنجابة والإخلاص والصدق والأمانة مع اتصافه بالأخلاق الفاضلة وتضلعه من العلوم الشرعية واطلاعه الواسع على الأوضاع الراهنة التي تمر بها الأمة الإسلامية في هذا العصر بالإضافة إلى اهتمامه بقضايا الأمة والسعي

* كشمير ، الهند .

الدؤوب إلى تحقيق مصالحها ، فقلبه حزين على وضعها المخفق وقلمه جيّاش على التعبير بآلامها .

فقد اعتنى علماء الندوة بهذه المسؤولية وعلى رأسهم أديب الهند وعَلَمها الشهير العلامة أبو الحسن علي الندوي – رحمه الله – ، فقد ألّف كتباً وألقى محاضرات في هذا الصدد ، وكان لابن أخته العلامة محمد الرابع الحسني الندوي أوفر نصيب من هذا الميراث ، فإنه كان يكتب في مجلة البعث الإسلامي عن موضوعات تمسّ حاجة الأمة إلى معرفتها ، وتتنوع مقالاته ما بين دينية وسياسية وأدبية وتربوية وإصلاحية ، وكل ذلك يغلب عليه النزعة الدينية والغيرة الإسلامية ، ولا عجب في ذلك ، فإنه كان من كبار العلماء في هذا العصر ، وعلماً بارزاً من أعلام الهند ، وقد اعترف بمنزلته القاصي والداني . وكان لنشأته في بيت العلم والأدب ولتربيته في أحضان خاله أبي الحسن علي الندوي تأثير كبير في تكوين شخصيته العلمية والأدبية ، فقد لازمه في حلّه وترحاله ، واستفاد من علمه وحلمه وأدبه وسمته وتأثر بأسلوبه في الكتابة من حيث الوضوح والبيان على منهج الوسطية من غير جفاء ولا ليونة ، واستخلفه في مهامه بعد وفاته . فقد أسندت إليه رئاسة رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئاسة ندوة العلماء ورئاسة هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند بالإضافة إلى العضوية في المؤسسات التعليمية والإصلاحية والجمعيات الخيرية والدينية والأدبية .

مؤلفاته : فقد ترك العلامة محمد الرابع الحسني الندوي كتباً مفيدةً ، يستفيد منها الأجيال والقادمة بعد وفاته ، بالإضافة إلى المقالات والبحوث التي نُشرت في الصحف والمجلات المحلية والعالمية ، منها :

(١) الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية (٢) أضواء على الفقه الإسلامي (٣) الشيخ أبو الحسن علي الندوي : شخصية صنعت التاريخ (٤) ندوة العلماء : فكرتها ومنهاجها (٥) تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) (٦) الأدب العربي بين عرض ونقد (٧) أضواء على الأدب الإسلامي (٨) الأصول الثلاثة (عقيدة التوحيد ، الرسالة ، الآخرة) (٩) قيمة الأمة الإسلامية : منجزاتها وواقعها المعاصر (١٠) منثورات من أدب العرب (١١) الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام (١٢) رسائل الأعلام (١٣) مقالات في التربية والتعليم (١٤) الأدب الإسلامي : فكرته ومنهاجه (١٥) معلم الإنشاء (١٦) مختار الشعر العربي (١٧) العالم الإسلامي : قضايا وحلول (١٨) رسالة المناسبات الإسلامية (١٩) في ظلال السيرة النبوية

(٢٠) الغزل الأردي ومحاوره (٢١) سراجاً منيراً : سيرة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم (٢٢) في وطن الإمام البخاري (٢٣) جزيرة العرب (٢٤) تأملات في سورة الكهف (٢٥) ملامح بارزة في شخصية الشيخ أبي الحسن علي الندوي (٢٦) الحج وآدابه ومشاعره (٢٧) شعائر الله تعالى وتعظيمها (٢٨) أدب الأطفال : أهميته وحاجته (٢٩) المجتمع الإسلامي : حدوده وآدابه في ضوء سورة الأحزاب (٣٠) الأوضاع المعاصرة وطرق علاجها .

مفهوم الأدب الإسلامي : لا يمكن تحديد المراد به في تعريف واحد ، لأن كل أديب يعرّفه من وجهة نظره الخاص ، نستخلص من كلامهم أن الأدب الإسلامي هو تعبير فني جميل يستمد روافده من القرآن والحديث والفكر الإسلامي ، فهو الأدب الذي ينبع من التصور الإسلامي للخالق ويتحدث عن الحياة والإنسان والكون طبقاً للقرآن الكريم والسنة النبوية ، فهو أدب هادف ملتزم بالعقيدة الإسلامية .

يقول كتيل جمال : تعريف الأدب الإسلامي يجب أن يشمل :

١. العناصر الفنية للأدب ، وهي العناصر التي تساهم في بنائه وتكون جماله الفني .
٢. القوى الأساسية التي ينطلق منها العمل الفني من الإنسان والجذوة التي تطلقه والميادين التي يعمل بها .
٣. العقيدة التي ترعى ذلك كله ، وتغذيه وتهبه القوة والحياة وتحدد له الأهداف المرحلية [1] .

يقول الدكتور نجيب الكيلاني بعد أن ذكر تفصيلاً عن المراد بالأدب الإسلامي : " ذلك هو مفهومنا للأدب الإسلامي : تعبير فني جميل ونابع من ذات مؤمنة ، ومترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم وباعث للمتعة والمنفعة ومحرِّك للوجدان والفكر ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما " [2] .

وسبب استعمال التركيب الوصفي لهذا الأدب أن الغرب أفسد في معنى كلمة الأدب حيث استعملها في مفاهيم معينة من الوجدان والشعور والفكر ، وبينما كانت هذه الكلمة تستعمل عند العرب بمعنى الفضيلة

---

[1] الأدب الإسلامي ، ط ٢٠١٨م ، ص ٥ .
[2] مدخل إلى الأدب الإسلامي ، كتاب الأمة ، قطر ،ط ١ ، ١٤٠٧هـ ، ص ٣٦ .

لـذلك اضـطر المتحمـسون مـن الأدبـاء المـسلمين إلى اسـتعمال التركـيـب الوصفي ، فقالوا : " الأدب الإسلامي " للدلالة على المعاني الأصلية لكلمة الأدب لئلا يخطئ في فهم المراد بها مخطئ ، ولا ينال بمعانيها عابث [1] .

نزعته الدينية : وقـد غلـب علـى كتاباتـه النزعـة الدينيـة والثقافـة الإسـلامية ، فكثـر فيهـا الـدعوة إلى الأخـلاق النبيلـة والـصفات الـسامية والـسعي إلى مـا فـسد في المجتمـع ومـا سـاد فيـه مـن الجهـل والظلـم علـى مـستوى الفـرد والمجتمـع والأمـة ؛ لـذلك فقـد كـان القـراء ينتظـرون بفـارغ الصبر لصدور مجلة البعث الإسلامي للوقوف علـى مقالاتـه الممتعة وتحليلـه البارع للقضايا المهمة لهذه الأمة ، وقد كتب الله لـه القبـول والاحترام بـين تلاميــذه في مــشارق الأرض ومغاربهــا ، ومــا ذلــك إلا لآرائــه الــسديدة وتوجيهاته القيمة التي فيها مصالح العباد والبلاد . ومنبعه في ذلك كله القرآن والحديث ، يقـول الشيخ : " والأدب في كل أمة لا تنبثق مضامينه ومعانيـه مـن حيـاة أمتـه فحسب ، بـل ويكـون مـرآة لهـا ، فـلا بـد فيـه مـن التفريـق بـين الأصـل منـه والمستورد ، ولكـن إذا اضـطربت المـوازين بـسبب تواضـع الأصيل منه أمـام الـدخيل لانخذل أمام الوافد الجديد ، فـلا بـد لأصـحاب العزيمـة والعقـول الكبيرة أن يقيمـوا سـدّاً يمنـع الغـارة ويحـيط الـتراث الأصـيل مـن الـذوبان ويربطـوه بالمنـابع الأصـيلة الـصافية ، وهـي للمـسلين كتـاب ربهـم وكـلام نبـيهم وإبـداعات سـلفهم وآراؤهـم القيمـة ويـستعينوا بهـا لإعـادة الـصرح الإسـلامي " [2] . ومـن ذلـك يتـبين أن الثقافـة الإسـلامية تكونـت عنـد الـشيخ محمـد الرابـع النـدوي بمجمـوع المـصادر الأساسية للإسلام ، وهي القرآن والحديث بفهم السلف ، ووصل بـه الأمـر إلى أنه يرى أن كـل جملـة وآيـة في القـرآن تحمـل ثـروة أدبيـة وقـوة بيانيـة لا يمكـن حـصرها ، وكـذلك الحـديث النبـوي الـشريف يـضم ثـروة أدبيـة كبيرة تفوق ما تشتمل عليه الكتب الأدبية .

تأسيس رابطة الأدب الإسلامي : والأدب الإسـلامي عنده أدب شامل للدين والدنيا ، وليس المراد به الدنيا فقط وهـو ينعـزل عـن الآخـرة ، وإنمـا هـو يحـيط بالحيـاتين معـاً ، ولهـذه الأهميـة فقـد أسّـست رابطـة الأدب

---

[1] أضواء على الأدب الإسلامي ، المجمع الإسلامي العلمي ، لكناؤ ، الهند ، ط ٢ ، ٢٠١٧م ، ص ٨٦ .

[2] المصدر السابق ، ص ٧ .

الإسلامي بتوجيه العلامة أبي الحسن علي الندوي ، وانضم إليها كبار المفكرين والأدباء من المسلمين من العرب والعجم . وكانت لهذه الرابطة دوافع وأسباب ، ذكرها الشيخ محمد الرابع الندوي فقال : " فإن رابطة الأدب قد أنشئت لتكون منبراً عالمياً لدعم التصور الإسلامي في الأدب " [1] .

الأدب يؤثر في الحياة ويصنع الأجيال كما يرسمه الأديب في أدبه ، لأنه يؤثر في النفس والعاطفة والخيال فتسير الأفكار وفق تأثير الأدب ويصير الأدب هو الحياة ، لأنه يسجل أحداث الحياة ويخلدها وتتسع مجلات الأدب كلما اتسعت مجالات الحياة .

الإسلام هو الميزان الصحيح لمعرفة الصحيح وغيره : ومن التوجيه الجميل الذي ذكره الأستاذ محمد الرابع في قول النابغة الجعدي عند ما قال :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهراً

فلما كان البيت يحتمل معنيين مغايرين : أحدهما قبيح إذا ما أريد به الجرأة على الله عزّ وجلّ ، والآخر جميل وهو الذي أراده الشاعر النابغة بأن مراده به الجنة وهو يتفق مع النظرة الإسلامية الرشيدة إلى الحياة [2] . فالبيت الواحد قد يكون مقبولاً إذا فسّر بالمعنى الحسن الموافق لروح الإسلام ، وقد يصير مرفوضاً إذا حمله الشارح على ما يشين بروح الدين ، فالإسلام هو الميزان الصحيح لمعرفة هذه الأمور ، وهو الحد الفاصل بين الصحيح وغير الصحيح ، ومن المعروف أن الإسلام قد أقرّ بكل ما هو خير ، ولو كان ذلك في العهد الجاهلي ونفي الشر كله سواء كان في الجاهلية أو الإسلام .

نصوص الأدب الإسلامي : أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أفصح الخلق قاطبة واعتبر الشيخ كلامه نبراساً يستضيئ به الأدب الإسلامي على مر العصور والأزمان ، فكلامه عليه الصلاة والسلام آية في الفصاحة والبلاغة يعبر عن المشاعر الإنسانية ، وقال : " نبوته تمنحه قوة وصرامة وبشريته تمنحه الرقة والانفعال العاطفي وبلاغته تمنحه التعبير البليغ والمنهج المؤثر الجميل " [3] . وضرب لذلك أروع مثال من كلام

---

[1] المصدر السابق : ص ٢٥ .
[2] المصدر السابق ، ص ٣٨ .
[3] المصدر السابق ، ص ٥٠ .

النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار عندما وجد بعضهم في أنفسهم شيئاً لما وزّع النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم في غزوة حنين بين أفراد من قريش تأليفاً لقلوبهم ، وترك الأنصار اعترافاً منه بقوة إيمانهم ، فلم يعطهم منها شيئاً ، فلما سمع به النبي صلى الله عليه وسلم فجمعهم وقام فيهم خطيباً فقال : ألا ترضون يا معشر الأنصار ! أن يرجع الناس بالشاه والبعير وترجعون برسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى رحالكم " . وبذلك حرّك مشاعرهم وأزال شكواهم بأسلوب جميل وتعبير قوي معجز وبلاغة مؤثرة ، فإن المال لا يساوي شيئاً في مقابل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى الأنصار وقالوا : " رضينا برسول الله قسماً وحظاً " .

ومما ذكره الشيخ محمد الرابع من الأدب الإسلامي شعر الابتهال والمناجاة ، وانتقد المؤرخين الذين لم يهتموا به وأهملوه كليّاً ، مع أنه أنموذج أدبي رائع مدعم بالوجدان والانفعال ويستحق كل تقدير واهتمام[1] .

ويندرج في هذا الصنف ما قيل في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو غرض من الشعر مستقل بذاته ، ويمتاز بالرزانة والاحترام ويتصف بالروعة الأدبية والبلاغة الشعرية[2] .

تساؤل وجواب : ذكر الشيخ أن بعض الناس يرى أنه ليس هناك أدب إسلامي وغير إسلامي ، وأن هذا التقسيم غير معترف به ، لأن ما يسمونه بالأدب الإسلامي ما هو إلا صوراً من المواعظ والإرشاد لا ترتقي إلى المستوى الفني للأدب ، ولكن هذا الاعتراض مرفوض ومردود على صاحبه لأن الأدب الإسلامي ليس قاصراً على المواعظ والإرشاد ، وإنما هو جزء منه فقط ، ثم إن الأدب الإسلامي عمل وجداني بمعنى أنه يؤثر في وجدان القارئ والسامع ، والإسلام لا يستنكر شيئاً من جوانب الحياة ، وإنما يعارض صوراً فيها اعتداء على إنسان أو مخالفة لمرضاة الله ، فإذا كان كذلك فهو خارج من إطار الأدب الإسلامي ، وأما الصور الأخرى التي لا منافاة فيها لروح الإسلام فهي داخلة فيه .

هذا ما أمكن من استخراج الملامح العامة للأدب الإسلامي عند الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله – من خلال النظر في كتابه " أضواء على الأدب الإسلامي " ، فجزاه الله خيراً عما قدمه من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين .

---

[1] المصدر السابق ، ص ٤٢ .

[2] المصدر السابق ، ص ٤٦ .



آثاره العلمية والأدبية



التعريف السنيّ بكتاب : رسائل الأعلام
للأستاذ محمد الرابع الحسني رحمه اللّه

بقلم : الدكتور صالح العود *

أقول ، ومن اللّه تعالى الرضا والقبول :

إن العلاقة الوطيدة بين سماحة المفكر الشهير أبي الحسن علي الندوي (ت ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) وبين ابن أخيه الراحل : الأستاذ النابغة السيد محمد الرابع الحسني الندوي (ت ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م) ، فقد مهّدت السبيل بل عبّدته إلى تقديمه " خدمات علمية " جليلة كلّفه بها سماحة أبي الحسن رحمه اللّه ، إذ ربّاه تحت عينه ، وبإشراف منه ، فاستفاد منها وأفاد بها الراحل الساحة العلمية ، والدعوة الإسلامية في الداخل والخارج ، ومنها - بل أقلها - وهي على سبيل الذكر والفكر ، ما كلّف به من قِبل سماحته ، من عمل هام ومهم ، وهو " إعداد وترتيب وتبويب المراسم الواصلة ، والحاملة لرسائل ومكاتيب كانت تصل إلى سماحة العلامة أبي الحسن الندوي ، من المشاهير والأعلام ، لرجالات الإسلام ، في أنحاء عديدة من الوطن العربي والإسلامي - مهما بعدت الشقة - واختلفت أبعادها ومقاصدها ، وهي تفوق في مجموعها : (ثلاث مائة) مراسلة ومكتوب .

فقام سماحة العلامة أبو الحسن - بعد حصرها - وانتقى منها ما يقارب (السبعين) ، وأسلمها بيده إلى هذا الشبل الأمين ، فتفرغ لها وفاءً لأستاذه ومربيه ، فأحسن إعدادها ، وتبويبها ، والتقديم لها ، والتعليق عليها ، بأمانةٍ وحذق ، حتى استوت كما يُرام ، فبارك اللّه جهده وأثابه عليه ثواباً جزيلاً ، ثم صدرت الطبعة (الأولى) من هذا العمل النفيس من مدينة القاهرة عام (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) بالقطع المتوسط في ١٩٢ صفحة .

وعلى كل ، فها أنا أعرض على القارئ والقارئة " عينات " من عمله البار ، للتقريب والإفهام في إيجاز غير مخل ، ولا تطويل ممل ، وذلك على النحو التالي :

(١) جاء في مقدمة الكتاب بقلم الأستاذ الراحل محمد الرابع الحسني رحمه اللّه ، ما يلي :

" .... إن صاحب هذه المجموعة نفسه ، يمتاز بالتنوع العلمي والأدبي ،

---

* باحث وكاتب ، فرنسا .

ويلتقي بأصحاب الرسائل من أصحاب المجلات العلمية ، والأدبية المختلفة على تنوعهم ، بكل واحد منهم في نوعه .... " (ص ١١) . " .... وبذلك أصبحت المجموعة حديقة ذات ألوان وروائح مختلفة ، لا نجد هذا النموذج في مجموعات الرسائل الأخرى ، وهي ميزة تمتاز بها هذه المجموعة ، ويزيد ذلك من قيمتها وأهميتها .... " (ص ١٢) . " .... ومن الممكن بل من المتوقع أن تصبح هذه المجموعة من الرسائل ، من المراجع والوثائق التاريخية في يوم من الأيام ، يعرف المؤرخون عن طريقها كثيراً من القضايا الإسلامية والمشكلات التي كانت تشغل عقول كثير من المعنيين بالإسلام والمسلمين ... وكذلك يمكن أن يتعرفوا بها على عدد من الشخصيات الإسلامية ، وحلقات مفقودة في تاريخ حياتهم وأعمالهم ، وما يهمّ معرفته عن شخصيتهم من التواريخ والسنين ، التي فات المؤرخين والمترجمين الاطلاع عليها ، وتمتد المساحة الزمنية لذلك إلى (سبعة وثلاثين) عاماً ، فاختيار نخبة من رسائل هذه المدة ونشرها للراغبين ، عمل مفيد قيم ، نقدم لفضيلة شيخنا شكرنا ، وشكر قرائها من غيرنا عليه ، والله نسأل : أن يجعل هذا العمل خاصاً لوجهه ، ويضع فيه النفع والقبول " . ا هـ / ص ١٣ .

محمد الرابع الحسني الندوي

دار عرفات ، مكتب لكهنؤ ، ٢٨/ ذي الحجة ، سنة ١٤٠٤هـ .

(٢) وحسبما جاء في فهرس الكتاب ، فقد وضعها الراحل رحمه الله بعد تقسيمها على الشكل التالي في (خمس) مجموعات ، وهي :

(١) الأساتذة والشيوخ الكبار

(٢) كبار العلماء في العالم العربي

(٣) القادة والموجهون الإسلاميون

(٤) المؤلفون الأدباء والكتاب الأصدقاء

(٥) الملوك .. والأمراء .. والوزراء

(٣) وإلى القارئ والقارئة " عينات " من الأعلام المشاهير في العلم أو التأليف أو الدعوة ، ولا يسع المقام لذكر أكثر من هؤلاء حسب تقديري – والله أعلى وأعلم – :

الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي (من المغرب) ، الشيخ حسين أحمد المدني (من الهند) ، الشيخ عبد الله حميد ، والشيخ عبد العزيز بن باز (من السعودية) ، الشيخ محمد بهجة البيطار (من دمشق) ، الشيخ أحمد عبد العزيز المبارك (من الإمارات) ، الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي (من مصر) ، الشيخ محمد محمود الصواف (من العراق) ، الشيخ الحاج محمد أمين الحسيني (من فلسطين) ، الدكتور سعيد رمضان (من جنيف) ، الأستاذ محمد أسد (النمساوي) وغيرهم .

رحم الله الأستاذ الجليل السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمة الأبرار ، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

أدب الأطفال : أهميته وحاجته

بقلم العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي

سعيد الأعظمي الندوي

الحمد للّه رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد !

فإن المعنيين بالتعليم والتربية تناولوا موضوع تربية الأطفال وتزويدهم بالثقافة الإسلامية في العالم كله ، وهو صفحة مشرقة من التاريخ ، ولاشك أن المدرسة الأولى للطفل هي حضن الأم ، وهو يرجع إلى الأم في قضاء حاجاته ، وهناك وسائل وأدوات لا يمكن بناء حياة الطفل إلا بها ، ومن ثم استمرت سلسلة إعداد أدب إيجابي للأطفال في لغاتهم ، وهو يحتوي على تطور ملحوظ حسب أعمارهم .

نظرة خاطفة على تاريخ أدب الأطفال باللغة الأردية تكشف لنا جهود الأستاذ محمد إسماعيل الميرتهي مشكورةً في هذا المجال ، وكانت جديرةً بالعناية الفائقة لدى أهل العلم والأدب ، فقد بذل مجهوداً بالغاً في لفت أذهان الأطفال إلى الإيمان بقدرة اللّه تعالى وعظمته ، وأصبحت سلسلته لتعليم اللغة الأردية مقبولةً في الأوساط العلمية والأدبية ، توجد فيها معان قيمة للدين باعتناء خاص بحلاوة اللغة ، يجتمع ذلك في سلسلة كتبه من النظم والنثر معاً ، وهي تحدث بلسانهم .

وقد أعد العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي وفقاً لمراعاة نفسية الأطفال سلسلة باسم قصص النبيين ، نالت قبولاً عاماً ، فقد رتب هذه الحكايات مستمداً من القرآن الكريم ، وهذه السلسلة في عدة أجزاء ، وهي تستوعب عدداً من الأنبياء أمثال : سيدنا آدم ونوح وهود وصالح وإبراهيم ويونس وموسى وداؤد وسليمان وعيسى وسيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم ، فلم يذكر مجرد هذه القصص ، بل استخرج منها نتائج عقدية وإيمانية ، وقد لخصت هذه القصص شقيقته السيدة أمة اللّه تسنيم باسم " قصص الأنبياء "

باللغة الأردية .

وقد عرفت الهند في مجال أدب الأطفال باللغة الأردية أدباء ومؤلفين أمثال الشيخ الطبيب شرافت حسين الرحيم آبادي ، فإنه أعد أيضاً سلسلة مباركةً لأدب وتربية الأطفال المسلمين ، وتشتمل هذه السلسلة على عشرين كتاباً ، نحو : إيماننا ، سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي وغيرها من الكتب ، يقول الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي : " كنت في عام ١٩٣٠م طالباً عند أستاذنا العلامة محمد تقي الدين الهلالي المراكشي ، فكان يدرس عليه أيضاً الطبيب شرافت حسين الرحيم آبادي اللغة العربية ، فتعرفت عليه ، وقد أنشأ مكتبة باسم مكتبة دين ودانش بلكناؤ ، وأصدر منها كتباً دينية ، وهي مأثرة عظيمة يتوقف عليها مستقبل النشء الجديد " .

وقد رأينا نشاطاً ملحوظاً في أدب الأطفال في هذا العصر ، وهو جهود الأستاذ الفاضل سراج الدين الندوي ، فقد تناول هذا الموضوع بالدراسة والمطالعة ، وألف حوله عدداً من الكتب العلمية ، كما أصدر صحيفة باسم : اجها ساتهى (الزميل الصالح) ، وهي تصدر بكل اهتمام منذ مدة .

وبناءً على دعوته عقدت رابطة الأدب الإسلامي العالمية في شبه القارة الهندية ندوة أدبية حول أدب الأطفال ، في بلدة بجنور في ولاية أترابراديش (الهند) في نوفمبر عام ٢٠١٨م ، فقد كتب لها العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية) خطبة رئاسية ، ألقيت في الندوة ، وكانت الخطبة ذات قيمة وفوائد عظيمة ، فنقلها إلى اللغة العربية الأستاذ محمد فرمان الندوي (أستاذ كلية اللغة العربية وآدابها ، بجامعة ندوة العلماء ، لكناؤ) ، وهي الآن ماثلة للطباعة ، ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذه الرسالة الأدبية ، ويجعلها مفيدةً للباحثين في هذا الموضوع .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم .

الهداية القرآنية : سفينة نجاة للإنسانية

بقلم : الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي

إن التأليف في أي موضوع يمت إلى القرآن بصلة ، سواءً كان فنياً أو علمياً ، يبعث على السعادة في جانب ، ويكون من وسائل الدعوة والإصلاح في جانب آخر ، فقد اهتدى كثير من الناس عن طريق القرآن قديماً وحديثاً ، ولا تزال أمثلته تشاهد في عصرنا الحالي كذلك .

يقول سماحة العلامة أبو الحسن علي الندوي رحمه الله : " ومعلوم أن القرآن ليس معجزاً في ألفاظه وتراكيبه وفصاحته اللغوية وبلاغته المعنوية فحسب ، بل إنه معجز في ألفاظه ومفرداته ومركباته ، معجز في معانيه ومحتوياته ، معجز في علومه ومعارفه ، معجز في غيبياته وحقائقه الأبدية ،معجز في تعليماته الدينية والخلقية والاجتماعية والمدنية ، معجز في تأثيره وإثارته ، ومعجز في نبوءاته وأخباره ، فإذا ظهر العجز من الإتيان بمثله في ألفاظه وتراكيبه فحسب ، فكيف يا تُرى ! بمماثلته في جميع وجوه إعجازه "[1] .

وقال أيضاً : " إن البحث في القرآن الكريم عن حقائق العلم الحديث أو كشوفه الحديثية والتطبيق بين بعض إشاراته الإجمالية ، وبين الكشوف الجديدة والتحقيقات الجاهزة ، الذي قام به على نطاق واسع في هذا القرآن العلامة الطنطاوي الجوهري المصري في تفسيره " جواهر القرآن " ويسعى له باحثون في تحقيقاتهم العلمية جهد شائك ، ودقيق خطير ، لأنه من الممكن جداً ، وقد أيدت التجارب ذلك مرات وكرات في تاريخ العلم والبحث أن تتغير نتائج هذه البحوث والمعارف التي يراها الناس اليوم من أجلى البديهيات وأظهر الحقائق رأساً على عقب أو تصبح موضع شك وتردد ، وتفقد بداهتها وقطعيتها .

[1] المدخل إلى الدراسات القرآنية ، ص ٣٢ – ٣٣ .

ثـم إن الجهـد العلمـي الـذي لا ينكـر إخـلاص القـائمين عليـه ، وجديتــه وإفادتــه في بعــض الأحيــان يبعــد بــالقرآن الكــريم عــن موضــوعه الــرئيس وغايتــه الأساســية ، وتــشم منــه رائحــة الخــضوع للعلم والابتهار بالكشوف العلمية الحديثة " [1] .

لقـد صـنف العلمـاء في إعجـاز القـرآن البيـاني كتبـاً كـثيرةً ، ثـم اعتنـى العلمـاء المعاصـرون بالإعجـاز العلمـي ، فـصدرت في هـذا الموضـوع كتـب ، وحـاول بعـض أصـحاب العلـم التطبيـق بـين علـوم القـرآن وعلـوم الطبيعة ، وإن كان ذلك لا يخلو من خطر ، كما أنه قد عُقدت ولا تـزال تُعقد ندوات علمية في إعجاز القرآن العلمـي ، ذلـك أن القـرآن كتـاب خالـد ، فإعجازه كـذلك خالـد مـستمر كمـا ذكـر الـدكتور محمـود شـاكر في مقدمة كتاب الدكتور مالك بن نبي " الظاهرة الكونيـة في القـرآن " : أن القرآن معجز في كل عهد ويظهـر إعجـازه في كـل زمـان مـن الناحيـة الـتي تكون أكثر تأثيراً ووقعاً في عقول أهل ذلك الزمان وقلوبهم .

لقـد أثـارت في عـصرنا هـذا بعـض الأوسـاط المغرضـة حربـاً شـعواء ضـد القـرآن الكـريم ، بـزعم أنـه كتـاب يعلّم الإرهـاب والعنـف والظلـم ، ويتذرعون في ذلك بالآيات التي تسوغ للمسلمين الدفاع عـن أنفسهم ودينهم إذا اعتُدي عليهم ، إن هذه الدعاية الكاذبة المضللة تجـري في كـل طريـق ممكـن : مـن وضـع الكتـب ونـشر الـبرامج والأفـلام ووسـائل الإعـلام ، فتمس الحاجة إلى عـرض مبـادئ القـرآن الهادية ومعانيـه الـسامية في القـيم الخلقية الرفيعة والمثل الإنسانية النبيلة بأسلوب علمي معاصـر ، إن ذلك لمـن أهم موضوعات القرآن الكـريم ، فقد وصف الله تعالى القرآن بأنه " هدى للناس " و " شـفاء لمـا في الـصدور " و " بيـان للنـاس " ، فالحاجـة شـديدة إلى التنويـه بموضـوعات القـرآن الأخلاقيـة والإشـادة بمـا يوجـد فيـه مـن تعـاليم العدل والقسط والشهادة بالحق ، وما يدعو إليه من الأمـن والـسلام والبعـد عن الفتنة ، وما يأمر به أتباعه مـن الـصبر والعفـو والـصفح والرحمـة وأخـذ الحيطة في التعامل مع أتباع الديانات الأخرى إلى غير ما يزخـر بـه كتـاب الله من المعاني العليا التي تخلو منها الكتب والصحائف الدينية الأخرى .

إن أخي الكبير فضيلة الشيخ السيد محمـد الرابـع الحـسني النـدوي

---

[1] المدخل إلى الدراسات القرآنية ، ص ٤٣ .

صاحب هذا الكتاب الذي هو بين أيدينا قد أتيح له أن يستفيد من سماحة الشيخ الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي في حله وترحاله ، وكان الشيخ يتمتع بإدراك معاني القرآن وتذوق أساليبه ، فقد كان يقوم في دار العلوم ندوة العلماء بتدريس التفسير والأدب معاً ، وقد تلقى العلم من العلامة السيد سليمان الندوي الذي كان صاحب بصيرة ودَرك بعلوم القرآن .

ثم إن الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي بحكم علاقته بحركة " رسالة الإنسانية " قد تيسر له الحوار وتبادل الأفكار مع غير المسلمين ، واطلع بذلك على ما يختلج في نفوسهم من الشكوك والشبهات حول القرآن العظيم ، فشعر بالحاجة إلى كتاب يبين محتويات القرآن التي تتصل بمعرفة الله تبارك وتعالى والإيمان بخالق الكون وقدرته وصفاته وخلق الإنسان في الدنيا وغايته في العالم ، والآخرة والبعث والقيامة وشريعة الله تعالى وأحكامه والحياة الإنسانية وعلاقات الناس فيما بينهم والأخلاق العظيمة والقيم وطبائع البشر وميولهم ، وذلك لكي يعلم الناس أن هذا الكتاب ليس للمسلمين وحدهم ، بل إنه هدىً للناس جميعاً يهدي للتي هي أقوم ، ويُرسي قواعد تمهد نحو الأمن والسلام والسعادة وطمأنينة القلب وانشراح الصدر ، فانطلاقاً من هذا الشعور ألف فضيلة الشيخ هذا الكتاب باللغة الأردية [1] لكي يستفيد منه الناطقون باللغة الأردية ، ثم يُنقل إلى لغات أخرى فيعم نفعه المسلمين وغير المسلمين ، وقد اعترف بتأثير القرآن الرجال الذين سنحت لهم الفرصة بدراسة معاني القرآن ودلالاته الخلقية ومفاهيمه السلوكية وإن كانت بالترجمة ، فألف المؤلف كتاباً مفصلاً على معاني القرآن الكريم ، وإن نظرة عجلى إلى عناوينه ومحتوياته تكفي لمعرفة قيمة الكتاب وفهم موضوعه ، فهو مقسم على الشكل التالي :

- توطئة وتمهيد : بسم الله الرحمن الرحيم ، سورة الفاتحة .
- الباب الأول : القرآن والعلم .
- الباب الثاني : القرآن والإنسان .
- الباب الثالث : طاعة رب العالمين .
- الباب الرابع : بعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، سيدنا نوح

---

[1] وقد ترجم هذا الكتاب بالعربية محمد فرمان الندوي ، وصدرت له طبعتان : طبعة من المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ ، وطبعة من دار القلم ، بدمشق .

عليـه الـسلام ، سـيدنا إبـراهيم عليـه الـسلام ، سـيدنا موسـى عليـه السلام ، سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام ، سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- الباب الخامس : القرآن آخر كتاب للهداية الربانية .
- الباب السادس : فضائل القرآن الكريم وخصائصه .
- الباب السابع : العلوم التي يشتمل عليها القرآن .
- الباب الثامن : وجوه الإعجاز في القرآن الكريم .
- الباب التاسع : من تعاليم القرآن الكريم .
- الباب العاشر : مكانة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ومهمته .
- الباب الحادي عشر : توجيهات قرآنية ، في حسن السيرة والأخلاق الحسنة .

وقد صدر قبل ذلك بقلم المؤلف كتاب في السيرة النبوية العطرة في اللغة الأردية سماه : " سراجاً منيراً " وتلقى بقبول عظيم واستحسان كبير ، ولا سيما في أوساط غير المسلمين والمتغربين ، وتداولته الأيدي ، وكان له فضل في إزالة الأوهام والتصورات الباطلة عن السيرة المباركة مما أحدثته كتب المستشرقين والمتعصبين من أهل الغرب .

وهذا الكتاب " الهداية القرآنية : سفينة نجاة للإنسانية " إنما هو الحلقة الثانية لهذه السلسلة ، بحيث إن القرآن والسيرة كليهما نور يهدي إلى الصراط المستقيم .

إن ما يرشد إليه القرآن من الأخلاق الإنسانية والسلوكيات النبيلة ومبادئ المعاملات والاقتصاد وأصول المجتمع ليساعد الإنسانية اليوم على التحول من الفساد والدمار والقلق والتعاسة إلى الصلاح والبناء والطمأنينة والسعادة ، فإن عصرنا هذا غلبت فيه الأثرة والأنانية ورعاية المصالح الشخصية على حساب الأخلاق الاجتماعية وفقدان الأمن والسلام والإيثار ، وتحولت بذلك الحياة إلى جحيم لا يُطاق ؛ وإن تعاليم القرآن ستكون الحل الوحيد لهذه المشكلات ، وتثبت أن القرآن يدعو إلى العفو والتسامح والسلام لا إلى العنف والشدة والإرهاب ، قال الله تعالى : (وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) [لقمان : ١٧] .

أدعو الله أن ينفع بهذا الكتاب الخاصة والعامة على السواء ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

جغرافية جزيرة العرب : دراسة علمية

كتبه / د . أبو سحبان روح القدس الندوي *

أنشئت في سنة ١٣١١هـ في الهند حركة " ندوة العلماء " التعليمية والإصلاحية .

ومن أهدافها المنشودة : إصلاح نظام التعليم ، وتطوير المنهج الدراسي ، وإعداد مقرر دراسي .

عُنيت " دار العلوم " التابعة لندوة العلماء بدراسة اللغة العربية كلغة حية نامية خالدة كتابةً ، وتحدثاً ، وتعبيراً ، وأدباً ونقداً ، وصحافةً ، واهتم بها مسؤولو دار العلوم عبر العصور ، حتى أعدّ أساتذتها النبغاء طائفةً صالحةً من المقررات الدراسية ، التي نالت قبولاً ورواجاً بالغين في الأوساط التعليمية في أرجاء شبه القارة الهندية ، وقُرِّر إنتاجها الأدبي والنقدي في المنهج الدراسي للجامعات العصرية والمؤسسات الدينية قاطبةً ، فشمّر عن ساق الجد الأديب العلامة " أبو الحسن علي الندوي " (ت ١٩٩٩م) ، وألّف الكتب التالية :

- قصص النبيين للأطفال (١ — ٥)
- والقراءة الراشدة (١ — ٣)
- ومختارات من أدب العرب (١ — ٢)
- والطريق إلى المدينة
- وإلى الإسلام من جديد
- وإذا هبت ريح الإيمان
- ورجال الفكر والدعوة (١ — ٤)

وأتحف المكتبات العلمية العالمية بآثاره القيّمة ، نشأ وتخرج عليها أبناء العالم العربي والإسلامي ، لا سيِّما مؤلَّفه الشهير " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " ، و " الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية " ، ولعبت مؤلّفاته دوراً ريادياً في إقناع الشباب بصلاحية هذا الدين كل عصر ومصر ، وإنقاذهم من الأفكار المستوردة الزائغة الزائفة .

وأسهم في هذا المضمار زملاؤه الفضلاء وتلامذته النبلاء :

* محاضر في قسم التخصص في الحديث وعلومه بدار العلوم ندوة العلماء ،لكناؤ ، الهند .

فألّف الشيخ محبوب الرحمن الأزهري (ت ٢٠١٠م) : دروس الأشياء والمحاورة العربية (للناشئين) .

وألف الأستاذ عبد الماجد الندوي (ت ١٩٨٥م) : معلم الإنشاء (١ – ٢).

وألف الأستاذ محمد مصطفى الندوي (ت ١٩٥٩م) : تمرين النحو .

وألف الأستاذ محمد معين الندوي (ت ١٩٩٩م) : تمرين الصرف .

وألف الأستاذ شفيق الرحمن الندوي (ت ٢٠٠٢م) : الفقه الميسّر .

وألف الدكتور عبد الله عباس الندوي (ت ٢٠٠٦م) تفهيم المنطق بالأردية .

وألف الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي (ت ٢٠١٩م) : تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، ومصادر الأدب العربي ، وأدب الصحوة الإسلامية ، وتاريخ الثقافة الإسلامية ، وأعلام الأدب العربي في العصر الحديث ، وله : الغزو الفكري أيضاً .

وألف الدكتور الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي : علم التصريف ، وشعراء الرسول صلى الله عليه وسلم في ضوء الواقع والقريض ، والصحافة العربية : نشأتها وتطورها ، وساعة مع العارفين .

ومن ثم أصدرت ندوة العلماء في مختلف عهدها مجلتين عربيتين وصحيفة عربية ، لتأهيل أبنائها كتابة بالعربية الفصحى ، وإخراج جماعة تتمكن من إبداء وجهات نظرهم بالعربية السلسة ، وفعلاً قد نشأت ثلّة من الكتّاب بالعربية حتى العصر الراهن ، فأنشأ من أبنائها الأفذاذ أديب العربية مسعود الندوي (ت ١٩٥٤م) مجلة " الضياء " ، وأنشأ من أسرة هذه الدار العلمية الأديب الملهم محمد الحسني (ت ١٩٧٩م) مجلة " البعث الإسلامي " الغراء ، يستمر إصدارها حتى الآن برئاسة تحرير الأستاذ سعيد الأعظمي ، كما أنشأ الأستاذ محمد الرابع الندوي صحيفة " الرائد " النصف شهرية ، ولا تزال تصدر .

هذا ، ونبغ فيهم الأديب الألمعي ، المبرِّز في العربية أدباً ونقداً ، المغرم بالجزيرة العربية ثقافة وتاريخاً وجغرافية ، ومعالم وخِططاً ، ودولة وشعباً "محمد الرابع الحسني الندوي " (١٩٢٩ – ٢٠٢٣م) الذي كان رئيس ندوة العلماء وترجمان فكرتها وحامل لوائها ، ورائد الحركة الأدبية الإسلامية العالمية ، وأحد العلماء الأعلام في الهند ، ورئيس المجمع الإسلامي العلمي ، ورئيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند ، وعضو رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

لا جرم أن له إسهاماً كبيراً في تطوير سلسلة تعليمية لإعداد مقرر دراسي ، بدأ بها أسلافه وزملاؤه وتلامذته بين الحين والحين ، فألف سماحته رحمه الله :

- منثورات من أدب العرب
- ومعلم الإنشاء (الجزء الثالث)
- وتاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)
- والأدب العربي بين عرض ونقد

أما كتابه " جغرافية جزيرة العرب " فهو سلسلة من المقررات الدراسية ، التي ألمَّ بها مسؤولو ندوة العلماء الأفاضل ، وقد شعروا بوضع كتاب ماتع في جزيرة العرب تاريخها وثقافتها وجغرافيتها ، وكلّفوا الأستاذ محمد الرابع بتأليف كتاب في ذلك . " فإن جزيرة العرب لها أهمية تاريخية ، لموقعها الخاص ، لأنها تقع في وسط العالم ، ولموقعها الجغرافي حيث تحيط بها مناطق ذات الأهمية التاريخية والسياسية ، ولها أهمية دينية لوقوع أول بيت وضع للناس فيها " [١] .

فالذي يدرس الأدب العربي شعره ونثره في أشد حاجة إلى معرفة طبيعة تلك البلاد المتنوعة ، وبدون الاستفادة من هذه المعرفة يصعب عليه فهم النصوص ، كذلك دارس السيرة النبوية ، وتاريخ العهد الأول من الإسلام ، الذي يشمل ذكر الأماكن وظروف الحياة وطبائع القبائل ، يجد في هذا الكتاب بغيته " [٢] .

وقد توافر المؤلف على جمع المعلومات من مصادر قديمة وحديثة في لغات شتى ، وكان المشوار كثير العثار ، ولكن بفضل الله سلك الجددِ أمن العثار ، وعاش المؤلف هذا العمل المضني سنواتٍ ، وبذل فيه جهداً جباراً ، وقد صدرت طبعته الأولى بالأردية في عام ١٩٦٢م ، ثم تتابع الطبع تلو الطبع ، وقرِّر تدريسه في المقرر الدراسي بدار العلوم التابعة لندوة العلماء ، وفي المدارس التابعة لها في ربوع الهند ، وإني قرأت هذا الكتاب على المؤلف من خلال خريطة العالم العربي سنة ١٩٧١م .

صدرت حديثاً الطبعة الأنيقة المعرَّبة في ثوب قشيب باسم " جزيرة العرب : تاريخياً ، ثقافياً ، وجغرافياً " ، اعتنى به د . محمد فرمان الندوي [٣] ونقله إلى العربية ووزّع الكتاب إلى خمسة عشر باباً مع خرائط

---

[١] منتزع من كلمة الناشر ، ص ٣ .

[٢] المصدر نفسه .

[٣] عضو هيئة التدريس بدار العلوم ندوة العلماء ، ومدير التحرير لمجلة البعث الإسلامي .

ملوّنه وتناول توسعة الحرمين الشريفين عبر التاريخ على الهامش ، وذكر أطراف الآيات والأحاديث والأبيات وثبت المراجع والمصادر .

وهاك موجز فهرس الكتاب فيما يلي :

الباب الأول : يحتوي على جزيرة العرب ، ساحتها وعمرانها وطبيعتها .

أما الباب الثاني : فيشتمل على جبال جزيرة العرب الساحلية ، وميادينها ، ثم أمكنة تهامة ومدنها الشهيرة .

أما الباب الثالث : فيلقي ضوءاً كاشفاً على وسط جزيرة العرب (من الربع الخالي ، والنفوذ الكبرى ، والدهناء ، وبادية الشام ، ونجد) وسواحل المنطقة الشرقية (قطر والأحساء والبحرين والكويت) .

أما الباب الرابع : فمحتوٍ على فصول جزيرة العرب وأمطارها .

أما الباب الخامس : فيتحدث عن أودية جزيرة العرب ونباتاتها .

أما الباب السادس : فيفيد حيوانات جزيرة العرب ورياحها .

أما الباب السابع : فيطل على أمم جزيرة العرب وقبائلها ، فبدأ بالعصر الأول إلى ولادة سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام واختتم العصرين الثاني والثالث بذكر أمم جزيرة العرب وقبائلها .

أما الباب الثامن : فيتضمن حضارة جزيرة العرب ومدنيتها ، وانتهى هذا الباب إلى ذكر ديانات العرب والحياة الاقتصادية فيها .

أما الباب التاسع : فهو من أبرز أبواب الكتاب وأشمله .

أما الباب العاشر : فهو يشتمل على أغذية جزيرة العرب وموازينها .

والباب الحادي عشر : يتناول حكومات جزيرة العرب .

والباب الثاني عشر : يختص بمكة المكرمة ومعالمها وجبالها .

والباب الثالث عشر : يحتفل بذكر المدينة المنورة ومعالمها وآبارها وآثار المدينة التاريخية وضواحيها .

والباب الرابع عشر : يزوّد بالأمكنة الواردة في السيرة النبوية .

والباب الخامس عشر : خاص بذكر شوارع بين مكة والمدينة وأهم مواضعهما ، ثم اعتنى هذا الباب بمواضع خاصة في طريق بدر ، ومواضع دينية أو تاريخية أخرى .

والكتاب قام بنشره المجمع الإسلامي العلمي ، بلكناؤ ، الهند ، في ربيع الأول ١٤٣٩هـ الموافق ديسمبر ٢٠١٧م وعدد صفحاته ٢١٦ .

تاريخ الأدب العربي : دراسة وصفية

الأستاذ محمد علاء الدين الندوي *

كان المؤلفون القدامى يهتمّون بكتابة تاريخ الأدب العربي من خلال السير الذاتية للشعراء والأدباء ، ويعبّرون عن محاسنهم ومعايبهم وفق معاييرهم ، ويزنونهم بموازينهم ، أعني أنهم يمزجون موضوعات النقد الأدبي وعلوم البلاغة من خلال تراجم حياتهم ، مثل " الشعر والشعراء " لابن قتيبة ، ولكن المؤلفين المعاصرين يكتبون تاريخ الأدب العربي محاكين أساليب ومناهج حديثية ، ومعتمدين على الظروف السياسية والاجتماعية – وهذا المنهج الأخير في الحقيقة برز بظهور المستشرقين ، ثم شاع وساد في الشرق بتوافر تلاميذهم المتطفّلين المتغرّبين – فافتتنوا بالمنهج الاستشراقي ، وانتهجوه وساروا حذو القذة بالقذة ناسين أو متناسين شخصيتهم الشرقية الإسلامية .

قام حضرة الأستاذ السيد محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله – بتدريس " مختارات من أدب العرب " ، – وهي مجموعة روائع البيان من المقالات والمحاضرات والرسائل من الأدباء والبلغاء وأصحاب الألسن وعباقرة اللغة والأدب – ولا ريب هي استعراض جديد لمكتبات ذخيرة الأدب العربي ، واستقطاب الأدباء بالنظرة الجديدة جمعها وألّفها سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي رحمه الله في الخمسينيات من القرن الماضي ، وقام الأستاذ الألمعي والأديب الإسلامي الرائد السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله بتدريس هذه المجموعة في السنة الأولى من العالمية بدار العلوم التابعة لندوة العلماء ، ويسلّط الأضواء على الأساليب الأدبية لمختلف أدوار التاريخ للأدب العربي ، ويميز بين أسلوب كاتب عن أسلوب كاتب آخر ، ويبين القيمة الأدبية للنصوص المدروسة ويزوّد تلاميذه بالقيم الفنية والمباني الأساسية للأدب ، وكان كلّ ذلك

* عميد كلية اللغة العربية وآدابها ، بدار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ ، الهند .

شفوياً ، ثمّ سنح له في يوم من الأيام أن يسجّل هذه المعايير الأدبية ، وقد سجّلها فعلاً ، وهذّبها تهذيباً ، وأضاف إليها نماذج شعرية ونثرية رائعة ، لتكون تطبيقاً وعوناً على تلك القواعد والمعايير الفنية ، فصارت هذه النماذج المعروضة عرضاً نقدياً كتاباً مستقلاً ، وطبع باسم " الأدب العربي بين عرض ونقد " ، وأُدخل الكتاب في مناهج المقررات الدراسية لدار العلوم التابعة لندوة العلماء .

وقد قام المؤلف رحمه الله بتقسيم هذا الكتاب إلى خمسة أقسام نظراً إلى نماذج العصور المختلفة :

- نماذج العهد الأدبي من العصر الجاهلي شعراً ونثراً
- نماذج عصر التحول والانقلاب وهو عصر الأدب الإسلامي الأول ويشمل صدر الإسلام وعصر بني أمية (العصر الإسلامي)
- نماذج عهد المدنية والحضارة مع نماذج العصر الأندلسي (العصر العباسي)
- الأسلوب الأدبي قبل النهضة الحديثة (عهد الجمود الأدبي)
- بدء النهضة الحديثة إلى يومنا هذا

وأضاف إلى هذه العصور المختلفة " حقيقة الأدب " في مستهل الكتاب ، وبيَّن فيه أصول الأدب وضوابطه وفنيته بالدقة والوضوح بتسعة وسبعين عنواناً جانبياً استغرق ثلاثين صفحة من الكتاب .

هذا التقسيم حسب العصور الأدبية وأساليبها لا يبتعد عن تقسيم العصور التي تبتني على المؤثّرات السياسية والاجتماعية التي يلتزمها المؤرخون المعاصرون ، ولكنّ الفرق بينهما كالفرق بين التأصيل والتقليد .

وقد أشاد العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي – رحمه الله رحمةً واسعةً – بهذا التأليف في مقدّمته قائلاً :

" أقدم لهذا الكتاب (الأدب العربي بين عرض ونقد) الذي يسدّ حاجةً وفراغاً في مكتبة تدريس اللغة العربية والأدب العربي في الهند ، وهو الفراغ الذي قد ظلّ باقياً بعد ما ألّفتُ مجموعات ومختارات للقطع الأدبية الرائعة " . (مقدمة الأدب العربي بين عرض ونقد ، ص ٥) .

ويقول الأستاذ السيد واضح رشيد الندوي رحمه الله : " قد كان

كتاب الأدب العربي بين عرض ونقد للأستاذ محمد الرابع الندوي كتاباً رائداً في هذا العمل ، وكان الموضوع يحتاج إلى توسعة وتفصيل ، فوضعت ندوة العلماء خُطّةً موسّعةً للكتابة في هذا الموضوع " . (تاريخ الأدب العربي : العصر الجاهلي ، ص ١١ ، ط ١٩٩٠م) .

كان تأليف كتاب جديد أو تخطيط سلسلة الكتب لتاريخ الأدب العربي في مختلف الأدوار وفي مختلف الأقطار كان حاجةً أكيدةً يراودها سماحة الشيخ الندوي – رحمه الله – منذ زمان ، ولكن لم تتحقق أمنيته لانشغاله بمسئوليات دعوية وعلمية بحثية وقيادية داخل البلاد وخارجها ، وكانت هذه الحاجة – أعني إعداد سلسلة كتب تاريخ الأدب العربي – يقتضيها منهج ندوة العلماء التعليمي والتدريسي منذ البدء ، كي تكون مكتفيةً في مناهجها التعليمية ، ولكن لم تتحقق إلا بعد مضي قرن كاملٍ تقريباً على إنشاء ندوة العلماء ، كم زاد سرور حضرته ، وكم نال أريحيةً وبهجةً غامرةً حين علم ورأى أن أستاذين بارزين من أساتذه جامعة ندوة العلماء ألفّا سلسلةً من كتب التاريخ للأدب العربي التي يرغب سماحته بإعدادها ، يقول العلامة رحمه الله منوّهاً بما فعل الأستاذان الجليلان :

" فكانت للكاتب مفاجأة سارة حين علم أن أستاذين بارزين من أساتذة جامعة ندوة العلماء ، وهما الأستاذ محمد الرابع الندوي ، والأستاذ واضح رشيد الندوي قد تكفلا بوضع منهج دراسي ، وتأليف سلسلة من كتب في تاريخ الأدب العربي ، واستقلّ الأستاذ واضح رشيد الندوي بقسم العصر الجاهلي من تاريخ الأدب العربي ، واختار الأستاذ محمد الرابع الندوي تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي ، وقد ساعدهما على ذلك إلمامهما باللغة الفارسية والإنجليزية ، فضلاً عن الأردية لغة الهند العلمية والدينية ، واطلاعهما على المصادر الحديثة وتاريخ العلوم والآداب ، والنظريات العصرية ، وزيادةً على ذلك النظرة الإسلامية الموسّعة البعيدة عن تقديس الغرب والاعتماد عليه الاعتماد الزائد ، والتطفّل على كتابات المستشرقين ، وإعطائهم ما لا يستحقونه من التفخيم والتقدير ، والنقل والتقليد . (تصدير كتاب تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي) .

وكان الأستاذان الجليلان الموقران والعالمان الفاضلان حريين بأن يقوما بتأليف سلسلة كتب تاريخ الأدب العربي ، ويمثّلا اتّجاه ندوة العلماء

فكراً ومنهجاً خير قيام ، لما أنّهما خاضا في غماره إلى أبعاد ، وعاشا في مهاده زمناً ، وحلبا أشطر لغته وثقافته ، ونثره ونظمه ، ونموه وتطوره ، ومارسا تدريسه وتنويره دهراً ، ووفّقهما القدر ، وساعدهما إشراف سماحة الشيخ العلامة أبي الحسن الندوي رحمه الله ، فبذل كل من الأستاذين جهدهما ، وقد استأثر الكاتب القدير الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي – رحمه الله – العصر الجاهلي ، واختار أستاذ الأساتذة السيد محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله – العصر الإسلامي على إيعاز من سماحة الشيخ الندوي وفق المنهج الذي اختطّه له ، وحين تمّ تأليف كلا الجزئين وتناولهما سماحة الشيخ أبدى برؤيتهما استحسانه ، وأظهر هشّه وبهجته ، وأكد أهمية الموضوع ، والضرورة التي كانت تقتضي تأليفهما ، وقيم مكانتهما بين سائر الكتب التاريخية الأدبية ، وأطلق عنان قلمه في مقدمته التي حبّرها في الجزء الأول من سلسلة الأجزاء التي يختص بالعصور المختلفة .

وقد بين لنا حضرة الأستاذ الشفوق مربّي الأجيال وموئل المعارف الأدبية لتلاميذه على الأخص وجهة نظره الشخصية بصدد تأليفه الجزء الذي يتعلق به ، وهو العصر الإسلامي قائلاً :

" كان علي أن أعدّ الجزء الثاني في أدب العصر الإسلامي ، فقمتُ بإعداده بما تيسّر لي من البحث والدراسة ، وبما حصل لي من توفيق الله سبحانه وتعالى ، ولقد اعتنيت في هذا الجزء من تاريخ الأدب بمدى استجابة الأدب للنظرة الإسلامية للشعر والبيان ، وأثر ذلك على فنّيتهما ، ومما لا شك فيه أن طبيعة الشعر والبيان تنبع من الوجدان الإنساني " . (كلمة المؤلف ، ص ٤) .

تنقسم منهجية البحث لهذا الكتاب ، إلى أقسام ، وأبواب ، وفصول . فالقسم الأول – وقد تفرّع إلى ثلاثة أبواب – يعالج تاريخ الأدب من صدر الإسلام إلى نهاية خلافة سيدنا علي رضي الله عنه ، كما جعل صدر الإسلام باباً أو تمهيداً لمدخله إلى العهد الجديد ، فقام بتعريف الحياة العربية قبل الإسلام ، ووصفها الاجتماعي ، وسمتها الجمهوري ، وأميتها مع البراعة اللغوية والأدبية ، وأخلاقها سلباً وإيجاباً حتى ظهر الإسلام .

أمّا الباب الأول فيتوزَّع إلى فصلين ، ففي الفصل الأول تحدّث

العلامة عن تأثير الدين الإسلامي في حياة العرب ، وبيّن في الفصل الثاني دعائم أدب العهد الجديد ، كما يلي :

أ. الأدب المأثور من العهد الجاهلي
ب. ظروف الحياة الجديدة
ت. القرآن الكريم
ث. حديث الرسول صلى الله عليه وسلم

وقد أسهب المؤلف في الدعامتين الأخيرتين .

أما الباب الثاني ففيه فصلان كذلك . الفصل الأول ، وقد تبنّى الدعامة الرابعة من دعائم العهد الجديد ، وقد اشتمل على النثر وأعلامه .

والدعامتان الأخيرتان (القرآن الكريم ، وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام) فهما مقتبستان من " الأدب العربي بين عرض ونقد " من تأليف حضرة الأستاذ المغفور له ، كما مرّ ذكره فيما سبق .

أما الباب الثالث فيتضمّن فصلين : الشعر في صدر الإسلام ، وتطرّق الحديث في هذا الفصل إلى بيان ضعف الشعر ، أو أسباب قلة إقبال الناس إليه ، وموقف الإسلام من الشعر ، وميزان الإسلام للشعر ، وأغراض الشعر قديماً وحديثاً ، والالتزام الإسلامي ، وقسّم المؤلف رحمه الله شعر هذا العصر إلى ثلاثة أقسام ، وجاء بنماذجهم حسب الموضوعات المختلفة . وعنوان الفصل الثاني : أعلام الشعراء وكلامهم ، وقد استغرق هذا الفصل حوالي عشرين صفحة مع عرض النماذج من شعرهم .

والقسم الثاني من الكتاب يشمل ثلاثة أبواب . تكلم في الفصل الأول من هذا الباب عن العوامل والمؤثرات التي غيرت حياة العرب الاجتماعية ، وطبعاً هذه المؤثّرات هي : الدين الإسلامي ، والسياسة الموحّدة ، والحالة الاقتصادية ، والثقافة ، وبهذه المؤثرات ظهر جيل جديد .

الفصل الثاني يتضمّن : (أغراض الأدب وأقسامه) بمثابة التمهيد للفصل الثالث حيث عالج فيه .

موضوع : نهضة جديدة للشعر ، وهو فصل مهمٌّ جدّاً ، وقد قام المؤلّف هنا بتعريف المناطق الشعرية ، والتطورات الجديدة في الشعر ، وخصّ الكلام بذكر الغزل الرقيق ، والشعر الجدلي (السياسي) ،

والنقائض ، والتأثير الديني للشعر .

والباب الثالث يتفرّع إلى أربعة فصول : الفصل الأول يتحدث عن الغزل العفيف أو العذري وعن شعر شعرائهم ، وهي حقّاً نماذج رائعة ما يمسّ القلوب ، والغزل الإباحي ، أو القصصي ، والغزل العام التقليدي .

والفصل الثاني : يدور الكلام حول أغراض جديدة ، واعتنى المؤلف فيه بالشعر السياسي والديني لما أنهما نوعان جديدان ، وشعر الأدب والحكمة والرجز .

وخصّ الفصل الثالث ببيان شعر النقائض بين ثلاثة أبطال ؛ جرير ، والفرزدق ، والأخطل ، وقام بالتعريف عن تراجم حياتهم ، وذكر بعض أعلام الشعراء ، وأحاطهم في أربع عشرة صفحة . وفي الفصل الرابع تناول النثر ورجاله ، وبدأ بذكر الخطابة والخطباء في هذا العصر ، وأبرز من الخطباء زياد بن أبيه ، وسحبان وائل ، وقطري بن الفجاءة ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، والحسن البصري ، وجعلهم من المقدَّمين .

أما أكبر الكتاب وشيخ الأدباء أعني عبد الحميد الكاتب فقد أفرد له المؤلف رحمه الله فصلاً مستقلاً (الفصل الثاني) أبرز فيه خصائصه الكتابية ، ومميزاته التي أحلّته محلّ الأستاذية . والفصل الثالث : وهو آخر الفصل من الكتاب تناول فيه موضوع التوقيعات ، والروايات ، والتدوين ، وبهذا ينتهي الكتاب بإيجازه ، وحسن بيانه ، ورشاقة أسلوبه ، ووضوح غرضه ، ومعلوماته الجمّة ، ومعانيه العالية ، واستعراضه أساليب الأدوار المختلفة للأدب والشعر .

والمهمُّ الذي سيلاحظ الدارس في هذا الكتاب لمؤلفه الأعلى كعباً ، والأدقّ نظراً في اللغة العربية وثقافتها وأدبها – لا بل آدابها – وهو مؤلف كتاب " جزيرة العرب " ، وفي كتابات شقيقه الأصغر الأستاذ واضح رشيد الحسني الندوي – رحمهما الله – ، وفي كتابات أعلام الندويين إبراز ضرورة التأصيل والتصحيح ، والتفريق بين الأصالة والتقليد الأعمى ، وتزيد أهمية هذا الاتجاه القاصد الرزين في خضم النظريات التي تظهر بين يوم وليلة كالحشائش البرية ، وممّا يؤلمنا أننا نرى مؤرخي

تاريخ الأدب العربي في الشرق أغلبهم – لا جميعهم – تتلمذوا على موائد المستشرقين الغرب فاستفادوا منهم كما يستفيد التلاميذ الأوفياء من أساتذتهم ، فلم يتنبّهوا على مواضع الضعف والخلل ، وحاكوهم محاكاة الصغار للكبار ، ويؤكد هذا المعنى الأستاذ واضح رشيد الندوي رحمه الله موضّحاً الاتّجاه الاستشراقي قائلاً :

" كان تاريخ الأدب العربي منذ بدء التأليف فيه يخضع لأفكار المغتربين وتلامذة المستشرقين ، والقوميين العرب ، وغلب عليه طابع التقليد للفكر الأوروبي ، وسيطر على هذه البحوث تأثير بحوث المستشرقين ، فأثقل المؤرخون العرب كتبهم بآراء المستشرقين الذين كانت صلتهم باللغة العربية ضعيفةً ، وفهمهم لطبيعة العرب القومية ضيقاً ، وكانوا في دراساتهم منحازين إلى تصوراتهم القومية ، وعقائدهم النصرانية واليهودية " . (تقديم كتاب تاريخ الأدب العربي ، ص ١٠) .

إن ظاهرة التقليد الأعمى للفكر الغربي ظاهرةٌ خطيرةٌ منذ أكثر من قرنين ماضيين ، وهي تنذرنا كأمة عربية إسلامية ، ولكن يرى المتأمل كبارها وصغارها غارقين في بحار التأثر والاستدراج والميوعة ، يرى أن الاستبعاد والخنوع في مجتمعاتهم يزيد كل يوم ، ليست قضية الشباب هي في موضاتهم وقصّات شَعرهم وملابسهم الممزّقة فقط ، وإنما هي قضية آبائهم وأوليائهم وبلادهم وثقافتهم ومناهج تعليمهم والتهاون في تربيتهم وفتح الأبواب على مصراعيها أمامهم لاستلاب الغرب عقول شبابنا وغسل أدمغتهم عن طريق العلم والثقافة والفن .

إنّ الاطّلاع على الثقافات ليس عاراً ولا مرفوضاً ، بل هو ضرورة حياتية ، ولكن نحن في حاجة إلى التمييز بين الرفض والقبول أولاً ، رفض ما لا يعنينا ، وقبول ما يفيدنا ، ثم نحتاج إلى الإبداع والابتكار بدل التبعية والتقليد الأعمى ، وهذا ما جعلت ندوة العلماء لنفسها شعاراً ودعت إلى التمسّك بـ " القديم الصالح والجديد النافع " ، وبهذا نادت العالم الإسلامي كله " إلى الإسلام من جديد " ، لا في الدين فقط ، بل في العلم والثقافة والفن والتكنالوجيا .

كتاب جزيرة العرب : دراسة موضوعية

الأستاذ محمد قيصر حسين الندوي *

مما لا شك فيه أن جزيرة العرب تمتاز في الأهمية الدينية لوقوعها في وسط العالم ، وهي محاطة بالمناطق ذات الأهمية الدينية الكبيرة ، كما تمتاز لوقوع أول بيت وُضع للناس فيها ، ولها أهمية كبيرة لأنها مكان الهجرة لسيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، ولأن رسولنا المصطفى الأمي العظيم الكريم محمد بن عبد الله الأمين بُعث إلى الناس كافةً في مكة المكرمة ، وهاجر إلى المدينة المنورة ، ومما لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان ، بأن جزيرة العرب أرض ذات احترام وعظمة وإكرام ، وهي مهد اللغة العربية ومفتتحها ومبدأها ومنشئها ومكان ولادتها ، ولها علاقة وطيدة بالقرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة ، فإن هذين المصدرين الأساسيين لا يمكن فهمهما ولا البراعة والمهارة فيهما إلا بدراسة قبائل العرب ومناطقه وحضارته وجزيرته .

إن موطن الإنسان ومسكنه أينما كان ، لكن موطنه الإسلامي الأساسي ومقر حضارته باعتباره مسلماً جزيرة العرب مما تقتضيه عقلية الإنسان الطبيعية أن يقف على تاريخها وثقافتها وجغرافيتها ، ولا يناسبها أن ينعزل عن أحوالها قديماً وحديثاً ، لأن فهم المصدرين الأساسيين من الكتاب والسنة ينحصر في دراية تاريخ هذه المناطق ، فأين خيبر وأين ثنية الوداع وما معنى " شرِّقوا وغرِّبوا " في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهلم جراً ، وهناك حاجة أدبية يفتقر إليها طلاب اللغة العربية ولا يتمكنون من إدراك معاني الشعر العربي إلا بدراسة تاريخ هذه المنطقة .

نظراً إلى العجم كان هذا الموضوع مهماً للغاية ، لأن العجم ما كانوا يعرفون عنه إلا قليلاً ، فكانت الحاجة أمس وأشد إلى تأليف كتاب يحتوي على تاريخ جزيرة العرب في اللغة الأردية قبل أكثر من

* أستاذ كلية اللغة العربية ، دار العلوم ندوة العلماء ، لكناؤ .

خمسين سنةً من اليوم ، وذلك بإيماء من الطبيب البارع الشيخ السيد عبد العلي الحسني رحمه الله ، الشقيق الأكبر للعلامة الإمام الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، فكان ما قدمه العلامة من اقتراح اقتراحاً موفقاً ، فكتب وتم تأليفه ثم طُبع ونُشر ونال قبولاً واسعاً في الأوساط الدينية والعلمية ، واعتبره النقاد المؤرخون والصحافيون والأدباء حاجة الساعة ، وسعياً مشكوراً يسد فراغاً كبيراً في المناهج التعليمية للمدارس الإسلامية في شبه القارة الهندية .

مادام الكتاب في المناهج الدراسية لدار العلوم التابعة لندوة العلماء ، يُدرس كمادة أساسية ، لكنه كان في حاجة إلى نقله إلى اللغة العربية لأهمية موضوعه وابتكار تصنيفه بصفة خاصةً ، فقد نقله الأستاذ محمد فرمان الندوي أستاذ دار العلوم ندوة العلماء بكامله لحلقات مجلة البعث الإسلامي الصادرة من ندوة العلماء لكناؤ ، لذلك ذاع صيت الكتاب وطلب الناس جمعه ، فالكتاب بين يدي العلماء والمشايخ وعامة الناس .

الكتاب يحتوي على خمسة عشر باباً ، الباب الأول مشتمل على مساحة جزيرة العرب وعمرانها وطبيعتها ، وقد زيدت إلى هذا الباب معلومات جديدة وخرائطها الملوّنة من التاريخ المعاصر ، يقول المترجم الفاضل : " تضم شبه جزيرة العرب حديثاً سبع دول " ، والباب الثاني يتكلم عن جبال جزيرة العرب الساحلية وميادينها ومدن جبلية لجزيرة العرب ، أما الباب الثالث فهو يتحدث عن وسط جزيرة العرب من الربع الخالي والنفوذ الكبرى ، والدهناء وبادية الشام ونجد وما إلى ذلك من سواحل المنطقة الشرقية .

والباب الرابع يتناول فصول جزيرة العرب وأمطارها ، يقول : تنقسم السنة في شمال جزيرة العرب في أربعة فصول (١) الشتاء ، (٢) الربيع ، (٣) والصيف ، (٤) والخريف ، كما تنقسم السنة عند أهل الحجاز في ستة فصول ، وقسم العرب السنة من نزول المطر إلى ثمانية ، راجعوا لمزيد من التفصيل كتاب جزيرة العرب ، والباب الرابع يحتوي على أودية جزيرة العرب ونباتاتها ، ومن ثمارها التمور والسمر والأثل

والطرفاء وإلى ذلك من الأودية الأخرى .

والباب الخامس يذكر حيوانات جزيرة العرب ورياحها ، ومن الحيوانات الإبل ، والخيل والظبي والبقر الوحشي ، والبغل والنسر ، أما رياح جزيرة العرب فهي الرخاء والعاصف والعوجاء والنكباء وما إلى ذلك من الرياح الأخرى .

والباب السابع يتحدث عن أمم جزيرة العرب وقبائلها .

والباب الثامن يشتمل على حضارة جزيرة العرب ومدنيتها وديانات العرب ، وتناول ذكر عرب البادية وعرب الحضارة ثم خصائص العرب ومروءتهم وأسواقهم ، كما تناول ذكر النصرانية واليهودية والمجوسية والصابئة والوثنية .

ويحتوي الباب التاسع على ثقافة جزيرة العرب وأدبها من الشعر وأقسام الشعراء والشعراء الصعاليك وأهم موضوعات الشعر وشعراء المعلقات، ثم يتحدث عن أهم موضوعات الشعر ، ثم تحدث عن النثر الأدبي من الخطابة والوصايا والحكم والأمثال والقصص ، ومن علوم العرب من علم الطب وما إلى ذلك من علم الهيئة ومن أطباء العرب ، ويشتمل الباب العاشر على أطعمة جزيرة العرب وأغذيتها ، ويحتوي على نسبة النخيل منها .

ويتناول الكتاب ذكر العملات النقدية ، ويؤكل الشعير في المواد الغذائية .

والباب الثالث عشر يتحدث عن المدينة المنورة وجبالها والمسجد النبوي، وروضة الجنة والحجرة النبوية الشريفة والصفة النبوية ومقبرة البقيع وآبار المدينة المنورة ، كما يتناول ذكر آثار المدينة المنورة وضواحيها ، ويتحلى الكتاب بذكر المصادر والمراجع من المؤلفات والمجلدات والمصادر الأجنبية والأطراف القرآنية والحديثية والأبيات الشعرية والفهارس العامة .

ونُشر الكتاب من المجمع الإسلامي العلمي لكناؤ ، الهند في شهر ديسمبر عام ٢٠١٧م ، يتزين بكلمات قيمة للمؤلف وسعادة أستاذنا الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ، وسعادة الأستاذ فضيلة الشيخ الأستاذ السيد واضح رشيد الندوي رحمه الله .

منثورات من أدب العرب : دراسة موضوعية

الدكتور محمد وسيم الصديقي الندوي *

درستُ هذا الكتاب في الثانوية الخامسة ، وكنت في الخامس عشر من عمري ، حينما قرأته تأثرت ببعض مقالاته كثيراً فحفظتها وألقيتها في الحفلات الأسبوعية للنادي العربي ، وهذه المقالات والدروس المختارة التي توجد في هذا الكتاب تدل على الذوق الرفيع للمؤلف ، وأدبه الرائع ، واختياره البديع ، لأن المؤلف حينما اختارها ، اختارها مع المراعاة الدقيقة لمستوى الطلاب ومبلغهم العلمي وشعورهم الديني ووعيهم الفكري ، ولذلك أدخل فيه ما يفيد الطلاب ويوقظ الوعي الإسلامي ويربيهم تربية دينية ، ويزودهم بمعارف إسلامية جمة ، ويرسخ عقيدتهم وإيمانهم ودينهم ، ويشعل فيهم حرارة الإيمان ويشحن بطاريتهم من جديد ، والكتاب بين منثور ومنظوم ، وجميع الدروس المختارة للأدباء الكبار والعلماء العظام والمؤرخين الموثوق بهم وأهل الفضل والكمال ، ولا شك أنني فقدت بفقده علماً من أعلام العلم والأدب ، وعلماً من أعلام الفضل والكمال ، وعلماً من أعلام الخير والتقى ، وعلماً من أعلام الصبر والحلم ، وعلماً من أعلام التواضع والانكسار ، وله مكانة سامية مرموقة في جميع أنحاء العالم من بين العلماء والأدباء المبرزين والصلحاء والأتقياء الربانيين .

المؤلف بدأ كتابه بالأحاديث التي وردت في صحيحي البخاري ومسلم ، هكذا يرسخ في ذهن الطالب مكانة كتب الحديث الشريف وأهميتها بما فيه من زاد علمي وتربوي وديني للقارئ ، ثم أتبع بمقالات المؤرخين والأدباء النابغين في زمانهم ، واختار من بينها خاصة المواد التي تحتوي على غذاء فكري وعلمي وأدبي ، من سيرة ابن هشام ، ونزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني ، والأمالي لأبي علي القالي ، وابن عبد ربه ، والدكتور طه حسين ، وأبي الفرج الأصبهاني ، وابن قتيبه الدينوري ، وعبد الله بن المقفع ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، والشيخ علي الطنطاوي ، وابن الجوزي ، والفضيل بن عياض ، وأحمد أمين ، وجرجي زيدان وغير ذلك من الأدباء والعلماء الربانيين ، فإذا قرأ أحد جميع الدروس التي جاءت فيه ، يطلع على

* أستاذ كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء .

الأدباء الكبار في اللغة العربية في سن طفولته ، وتؤثر هذه الدروس تأثيراً عظيماً في سلوكه وسيرته وعاداته وأخلاقه ، وهذا الإنتخاب ليس سهلاً ميسوراً ، كما يظن بعض الناس ، بل هو صعب جداً ، وله دور عظيم في تربية النفوس وتزكيتها ، وعمل صامت إيجابي في إيقاظ الشعور الإسلامي والوعي الديني ، وتكوين الأخلاق والعادات وتوجيه الجيل الجديد إلى نموذج صالح مثالي وعمل هادف بنَّاء للأمة وللإنسانية جمعاء ، وأشار إلى ذلك الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي فقال : " إنه اقتبس من كتب السيرة والتاريخ والأدب والدين قطعاً نابضةً مشرقة الديباجة ، واضحة الفكرة ، إسلامية النزعة ، تغذي الملكة الأدبية والعاطفة الدينية في وقت واحد ، وتمثل الأخلاق العربية الفاضلة والحضارة الإسلامية المثلى ، وقد جمع فيه المؤلف بين النثر البليغ والشعر الرقيق والأدب القديم والأدب الحديث ، فجاء كتابه مجموعة جامعة تغرس في قلوب الناشئة حب هذه اللغة الكريمة التي يدرسونها ، وحب الأخلاق والأغراض التي يحملها أدبها ، وحب المجتمع الذي عاشت فيه هذه اللغة وآدابها ، ويدفعهم إلى تقليد هذه الأساليب الأدبية السهلة الطبيعية ، فنشأ فيهم الثقة بنفوسهم وبدينهم ولغتهم وقريحتهم " ، وقام فضيله الشيخ أبو الحسن علي الندوي بإشادة هذه المجموعة المختارة والتنويه بها في مقدمة هذا الكتاب بقوله : " أنا أعرف صعوبة الاختيار وجهد المؤلف لمثل هذه المجموعة على كثرة مصادرها ومراجعها ، لذلك أهنئ المؤلف على هذا الجهد الذي بذله والنجاح الذي أدركه ، وأهنئ ندوة العلماء على هذا العمل الصامت المنتج ، تأليف الكتب الدراسية ، فإنه جزء مهم في برنامجها الإصلاحي الضخم الذي قامت لأجله وأسست دار العلوم ، وأرجو أن تتسع دائرة الإفادة من جهودها في المستقبل ، ومع اليوم غد " .

هذه الكلمات إن دلت على شيئ فإنها تدل على مكانته العلمية والأدبية ، وخير شهادة على فضل المؤلف ، ونبوغه وكماله في العلم والأدب والاعتراف بجهده وسعيه المشكور من هذا الرجل العظيم العبقري الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي .

هذا الكتاب أدى دوراً كبيراً في ملء الفراغ الذي يوجد في الأدب في المدارس الإسلامية ، ووسع النطاق الأدبي الذي كان محصوراً في بعض الكتب القديمة .

جزى الله المؤلف خير الجزاء ، وأسكنه في فسيح جنانه ، وتغمده برحمته الواسعة .

مقالات في التربية والمجتمع : دراسة تحليلية

بقلم : د . محمد أكرم الندوي ، أوكسفورد

كان شيخنا العلامة الشريف محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله عالماً لعصره معايشاً ، وأديباً بارعاً ، وخبيراً تربوياً ، وكان عجباً في الأخلاق والفضائل ، وأوتي من الحلم والحكمة والسداد ما أهَّله لزعامة شعبه ، وإدارة ندوة العلماء ، وجعل عامة الناس راضين بقيادته .

وقد كتبت أنا وكتب غيري عن أبرز معالم شخصيته وأخلاقه وإسهاماته في العلوم والآداب ، ولا أعرض لها هنا ، وإنما أفرد مقالي هذا للتعريف بكتابه (التربية والمجتمع) ، وهو عبارة عن مجموعة مقالات ألقاها باللغة الأردية على طلاب الدورة التربوية والدعوية التي عقدتها دار العلوم لندوة العلماء لمدة سنة في رحابها تحت إشراف المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي ، ونقلها صاحب هذه السطور إلى اللغة العربية ، وطُبعت في مجموعة ، ونالت قبولاً في أوساط العلم والأدب والتعليم والتربية .

إن مادة التربية لجديرة بأن يُعتنى بها الاعتناء اللائق وتبذل في سبيلها الجهود ، فإن المسلمين رغم تكاثر مدارسهم ومعاهدهم التعليمية في العصر الحديث لم ينجحوا إلى الآن في تقرير أصول تعليمية وتربوية توافق مبادئ دينهم ومقتضيات عهدهم وبيئتهم في انسجام بينها ، ولم تجر سياسة قراراتهم إلى غاية تريدها على تدبير وحياطة ، ولا نزال نتجاهل تفهم معنى التعليم الديني وأهدافه ومعنى التعليم العلماني وعواقبه ، وإذا كان يمكننا أن نؤسس تعليماً دينياً يستفيد من التعليم العلماني دون أن يخسر شيئاً من مبادئه وغاياته ، ومن العجيب أن نفشل نحن المسلمين إلى يومنا هذا في تقرير سياسة كاملة عامة تتناول حياة الأمة العلمية والأدبية والخلقية والدينية بأدق النظر وأحسن الرأي ، الأمر الذي أدى إلى توهين الروابط بين طوائف الأمة المختلفة وشعبها المترامية الأطراف .

لا تزال مادة التربية تُعتبر جديدةً بالنسبة للمدارس الإسلامية المنتشرة في أرجاء شبه القارة الهندية ، وقد شعر خبراء التربية والتعليم بالنقص الذي يعاني منه خريجو تلك المدارس لتفريطها في هذا الموضوع ، وما دام الدعاة وأصحاب الفتوى والإرشاد مقصرين في دراسة موضوع التربية والاجتماع ، فإن ذلك يستتبع آثاراً سلبية على مساعيهم الدعوية والإرشادية وفتاويهم وتوجيهاتهم العامة .

وكان اهتمام شيخنا بهذا الموضوع تجربةً جديدةً وخطوةً جريئةً في هذه البلاد ، ولكنها كانت متطابقةً مع أهداف حركة ندوة العلماء ودوافعها ، ومنسجمةً مع الرؤية التي رآها مؤسسوها الثاقبو النظر ومستجيبة لخططهم التجديدية وعزائمهم الصادقة ، يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في تقديمه للكتاب : " وقد دلت التجربة على أن هذه الطريقة في التعليم وهذا المنهج الدراسي له فائدته وأهميته وضرورته ، وشعرنا بأنه كان يلزم البدء بإقامة هذا المعهد قبل ذلك بكثير ، وأنه يحتاج إلى توسيع ، وتنظيمٍ وتنسيق أكثر " [1] .

صدرت في هذا الموضوع مؤلفات كثيرة خاصة في اللغة العربية ، وكانت الحاجة ماسة إلى أن يُعاد فيها النظر ، وتخلص مباحثها في كتاب يوافق حاجة دار العلوم لندوة العلماء في تربية أبنائها المختصين في هذا المجال ، فجاء الكتاب تلبيةً لتلك الحاجة ، يقول الشيخ أبو الحسن الندوي :

" ويسرنا أن العزيز الفاضل الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي عميد كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء – الذي أسندت إليه هذه المهمة – قام بها خير قيام ، وعرض هذا الموضوع بإحسان وإجادة وإتقان ... وقد استفاد المؤلف في إعداد هذه المحاضرات والدروس من المصادر العربية والإنجليزية والأردية الحديثة استفادة تامة ، وأوجز وأطنب حسب الحاجة الداعية إليه ، فجاء كل ذلك في كتابٍ لا يلبي الحاجة الطارئة الموقتة بفترة الدوام الرسمي فحسب ، بل أصبح جديراً لأن يستفاد به في تدريس هذه المادة ، وقد استعان المؤلف في إعداد هذا الكتاب بدراساته الأدبية الواسعة ورحلاته الطويلة في بلدان العالم الإسلامي وبلدان الغرب أيضاً ، ومساهمته الفعالة في الندوات ، واتصالاته القريبة بالطبقة المثقفة المعاصرة ، وتعرفه عن كثب على مسائلها ومشاكلها وأوضاعها ، فضلاً عن تذوقه للموضوع ، وجهده الجاد الصابر فيه " [2] .

من أبرز عناوين الكتاب : الطبيعة البشرية الاجتماعية ، ومعتقدات المجتمع ومقوماتها ، وآثار الدين والقومية ، والأسرة ووحدات الحياة الاجتماعية ، ومكانة الأسرة وقيمتها في المجتمع ، وقدرة التفكير والاستفادة لدى الطفل وتأثير الأبوين فيه ، وآثار التربية البيتية ، والمجال المدرسي للتربية ، والجوانب المهمة في المدرسة ، والنظريات التعليمية السائدة ، والمناهج والمقررات الدراسية ، وصلة التعليم بالجوانب البشرية المختلفة ، والمساجد والمعابد ، والهيئات

---

[1] ص ٨ .

[2] ص ١٠ .

والجماعات ، والتعبير وآثاره ، والأدب ونشره ، والكتب الأدبية ، والصحافة ، والوسائل الإعلامية الأخرى ، ودور الإقامة الاجتماعية ، ومسابقات الألعاب الرياضية ، والأعياد والمواسم .

افتتح الكتاب بتمهيد ، عرف فيه بالمجتمع البشري ، وعملية التعليم وتطورها من اللامنهجية إلى المنهجية ، يقول : " إن الإنسان يحرص على أن تنتقل تجاربه في الحياة إلى أجياله القادمة ، وهي تلك النتائج التي توصل إليها نتيجة مشاهداته وتجاربه المتواصلة على امتداد حياته ، وذلك لأنه يريد أن لا تضيع جهوده وتجاربه سدىً ، بل تبقى وتنتقل للأجيال القادمة لتضمها إلى تجاربها واكتشافاتها الجديدة ، وهذا هو الهدف الذي ترمي إليه عملية التعليم والتدريب " ، ثم يقول بعد الحديث عن اللامنهجية في التعليم : " وهذه اللامنهجية في التعليم تشكل أساساً للتعليم المنهجي ، فإنه بقدر ما يتقدم المجتمع البشري في مجال الصناعات والفنون ويتسع نطاقها يشتد الشعور بالحاجة إلى تعليم الأحداث والأغرار من الناس وتوجيههم توجيهاً بناءً ، وذلك يجر إلى التعليم المنهجي " [1] .

ومن أهم مباحث هذا الكتاب " آثار الدين والقومية " ، يقول فيه : " إن الدين قوة عظيمة تساهم مساهمةً فعالةً في تكوين المعتقدات والأفكار والقيم في جانب ، وتنشئ في نفوس الجماعة والأفراد الحياة والروح والعزيمة والطموح في جانب آخر ، وقد تحقق مآثر جليلة ومفاخر عظيمة تعجز عنها الأساليب والمناهج الأخرى ، وتتضمن تعاليم الدين مقومات تنفخ روحاً وثابةً في القوة البشرية العاطفية والمعنوية ، وتستثير فيها الطموح والعزيمة ، وقد تدفع الناس إلى القيام بمغامرات وتضحيات تفوق الفكر والخيال " [2] .

ويقول وهو يتحدث عن وجهة نظر الغرب المتمثلة في إعطاء الحرية الكاملة للأطفال : " يقوم هذا النظام الغربي التربوي على فكرة أنه لا ينبغي إيقاع أي صعوبة في سبيل النماء الفكري والتقدم العقلي للطفل لئلا يضر ذلك بصلاحيته للتقدم والنمو ، وقد طبقت هذه النظرية في أمكنة مختلفة من العالم ، ولكن لم يتأت لها وحتى الآن علاج ناجع لمضارها التي تتمثل في انحراف الناشئين وشذوذهم الفكري والسلوكي ، وأن مظاهر التدهور الخلقي والسلوك البهيمي والميول اللاإنسانية والتحرر والانحلال التي أصبحت الآن بمثابة أعراف شائعة في المجتمع الغربي تكاد أن تدع أصحاب الحلم والأناة

---

[1] ص ١٤ .

[2] ص ٢٩ .

حيارى مبهوتين "[1] .

ويفيض المؤلف في تؤدة وأناة في شرح أسس التربية والتعليم ، وتوجيه الشعوب المسلمة إلى ما يوافق منها طبيعتها ورسالتها ، ويختم الكتاب بقوله : " المهم في كل ذلك هو أن يفهم الذين يملكون أزمة البلاد طبيعة هذه الشعوب الإسلامية وفكرتها وهدفها في الحياة ، وماضيها المجيد ، ثم يضعوا نظاماً تربوياً يتفق مع كل هذا ، ويبني الفرد والجماعة على أساسه ، ثم ينفذوا هذا النظام تنفيذاً شاملاً دقيقاً وبإخلاص وحكمة ، فإنهم إن فعلوا ذلك فستكون شعوبهم بعد برهة من الزمن لا راقية فحسب ، بل قائدة زعيمة هادية للعالم كما سبق لها في الماضي ، وليس ذلك على الله بعزيز "[2] .

لا يهدف الكتاب إلى وضع الأسس التعليمية والتربوية لمناهج الأمة الدراسية العامة ، وإنما غرضه دراسة جادة للنظريات التعليمية والتربوية مع انتقاد علمي لها ، فيكون خريجو المدارس على بينة منها ويستعينوا بها في تقرير أصولهم التربوية ، فالكتاب خلاصة مصفاة من جهود خبراء التربية ، وبهذه الخلاصة يستطيع المهتمون بهذا الموضوع أن يعدوا شعوبهم لأمر مقدور ، وهو أن يكونوا قادة في هذا العصر الذي طغت فيه المادية طغياناً ، محتفظين بثقافتهم وفكرهم وتراثهم ، ومقدِّمين دينهم وتعاليمه للبشرية جمعاء في أسلوب علمي رصين ، وأدلة تقنع العقول وتنفذ إلى القلوب نفوذاً .

ومن محاسن الكتاب أنه لا يتناول الموضوع تناولاً رتيباً جافاً ، بل يعرضه عرضاً شيقاً ممتعاً ، يقول الشيخ أبو الحسن الندوي : " وهكذا لم يعد هذا الكتاب كتاب منهج دراسي جاف ، بل أصبح كتاب علم ودعوة وفن جديراً بأن يقرأه ويتمعنه المعنيون بشؤون الدعوة ، المهتمون بقضايا مستقبل النشء الجديد ، والجيل المثقف المعاصر ، وكل من يشعر بأهمية إصلاح المجتمع المسلم "[3] .

لم يقصِّر المؤلف في تقديم مباحث هذا الكتاب في أمانة علمية ، ولم يتخلف عن النصيحة للطلاب والعلماء ، فالرجاء من المعنيين بالتربية في المجتمعات الإسلامية أن يعتمدوا الكتاب حتى يأتي يوم يتعمق المسلمون في دراساتهم الدينية ويتصلوا اتصالاً تاماً بجميع ألوان الثقافات العالمية ، فتكون لهم ثقافة مستقلة عن هذه الثقافات طاهرة نزيهة مبرأة من العيوب التي فرضتها الثقافات العلمانية وبيئاتها المنافية للدين والخلق .

---

[1] ص ٣٧ .

[2] ص ١٣٧ .

[3] ص ١١ .

المجتمع الإسلامي : حدوده وآدابه في ضوء سورة الحجرات

الأستاذ شهاب الدين الندوي *

إن شخصية الشيخ الندوي لها جوانب متعددة مهمة ، كلها تقتضي وقفات متأنيةً وأبحاثاً طويلةً دقيقةً ، ولا يسعني في هذا المقام أن أخوض في تلك الجوانب المختلفة ، بل إنني أقصد في هذا المقال أن أقدم دراسةً وعرضاً يسيراً لكتاب " المجتمع الإسلامي : حدوده وآدابه في ضوء سورة الحجرات " للشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي .

إن هذا الكتاب " المجتمع الإسلامي : حدوده وآدابه في ضوء سورة الحجرات " مجموعة دروس قرآنية كان ألقاها العلامة الشيخ الندوي في رمضان في جامع قريته برائ بريلي ، الهند ، وهي تفسير موجز جامع " لسورة الحجرات " قد شرح فيها جميع الآداب والأصول التي تتكون منها الحياة الفردية والجماعية بأسلوب سلس مؤثر ، وقد ركّز فيها على مفاسد ومساوئ منتشرة في المجتمعات الإسلامية وحلولها الناجعة في ضوء سورة الحجرات .

يقول الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي في مقدمة هذا الكتاب مؤكداً لأهميته :

" إن الحضارة الغربية قد قضت على تصور المجتمع ، ولم يبق فيها معنى للأسرة والمجتمع ، وانتهت معاني الحب والرحمة والوحدة والمساواة والعلاقات الاجتماعية ، وازدادت رعاية المصالح الشخصية إلى حد أكبر ، إن هذا الاتجاه لم يكن مخالفاً للدين والأخلاق فحسب ، بل هو مخالف تماماً للتعاليم الإسلامية ، ففي مثل هذه الظروف الحاجة ماسة إلى تفكير جاد لإصلاح المجتمع مع إصلاح الفرد ، وسورة الحجرات هي سورة وحيدة ذكرت فيها آداب الحياة وأصول المجتمع بقدر من التفصيل

* كلية الشريعة وأصول الدين ، بدار العلوم لندوة العلماء لكناؤ (الهند) .

تـدعو إلى تطبيقهـا وصـوغ الحيـاة الفرديـة والجماعيـة وفـق هـذه المبـادئ الأساسية " .

هناك آيات عديدة على هـذا الموضـوع منتشرة في سـور مختلفـة مـن القرآن الكـريم ، ولكـن هذه السـورة " سـورة الحجرات " لهي سـورة خاصـة بهذا الموضوع بكاملها ، فيها ذكـرت مفاسد وعيوب اجتماعية منتشرة في المجتمعات وحلولها الناجعة أيضاً ، كـأنها هـي دسـتور اجتمـاعي كـامـل ، ونظام جامع للمجتمع الإسلامي الأمثل .

يتميز هذا الكـتاب بميزتين مهمتين : إحداهما : اختصاره ووجازتـه ، وأخراهما : سهولة عرضه وأسلوب بيانه ، وتتخلله نكـت تفسيرية من بيـان القرآن للشيخ أشرف علي التهانوي ، يقول الشيخ عن هذا الكـتاب : " هذا التفـسير الـوجيز لـسورة الحجـرات يـدل علـى أن يكـون المـؤمن نموذجـاً للأخـلاق النبيلـة ، وبعيـداً عـن المنكـرات والفـواحش ، وأن يثبـت في قلبـه حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ويؤمن إيمانـاً كـاملاً بـأوامر الله ونواهيـه ، ولـيكـن في ذهنـه أن الله مطلـع علـى كـل شـيئ ، ويـرى جميـع أعمالنا ، ويطلع على جميع نشاطاتنا خالصة أو فاسـدة ، ثـم يجزينـا جـزاء حسناً أو سيئاً " (مجلة " البعث الإسـلامي " ع/ ٧ ، ج/ ٦٤ ، صفـر المظفـر ١٤٤٠هـ) .

كـمـا عرفنـا مـن قبـل أن صـاحب هـذه المجموعـة سماحـة الـشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، له علاقة قوية واهتمام بـالغ بـالقرآن الكـريم وبالتدبر في آياته وسوره ، وكـان من دأب سماحة شـيخنا في شـهر رمضان المبارك أن يختار موضوعات اجتماعيةً تتعلق بآداب الحياة ومبادئها للـدرس القرآنـي ، كـي يرغّـب النـاس إلى تطبيقهـا واستئـصال الفـساد المنتشر في مجتمعاتنا ودرء المفاسد والعيوب المنتشرة في الأوساط الدينية .

ومن خلال معرفتي لهذه المجموعة الطيبـة ومـا تحويـه مـن توجيهـات قيمة يمكـن لي أن أقول : إن هذه المجموعـة الـوجيزة هـي عـصارة دراسـات صاحبها القرآنية الواسعة ، وهـي تتصف برشـاقة الأسـلوب ومتانـة العـرض

ودقة التعبيرات ، كما هي تعالج تلك المساوئ الخلقية والأدواء الاجتماعية الموبقة التي تعم وتنتشر في مجتمعاتنا من سوء الظن والغيبة والتجسس وغيرها ، وتذكر خطورتها وآثارها السلبية على المجتمعات الإنسانية من التفرق والتشتت ، والعداوة والبغضاء ، وتقدم أيضاً علاجها الشافي وحلّها الناجع .

ومما لاشك فيه أن هذه المجموعة مع وجازتها جديرة بحق بأن تلعب دوراً بارزاً في إزالة تلك المنكرات والمساوئ الاجتماعية التي قد جعلت مجتمعاتنا مريضةً ومصابةً بأنواع من الشقاء والتعاسة والقلق والاضطراب ، وفي سبيل إسعاد المجتمع البشري بروح المحبة والمودة والأمن والسلام ، وبالجوّ الإيماني الممتاز الذي تهبّ فيه نفحات الحب والوئام ، والأخوة والتضامن ، وإن هذه المجموعة المختصرة القرآنية تنفرد بميزتها الإصلاحية وبأسلوب مؤلفها السهل السائغ ، وإبرازه لجوانب هامة للقرآن الكريم من آداب الحياة وأصول المجتمع البشري ، جعلها الله نافعة للأمة ، وتقبلها قبولاً حسناً .

وهذا من اللازم أن أصرّح بأن هذه المجموعة القيمة لم تتحقق إلا باهتمام الأخ الفاضل محمد أرمغان الندوي بتلك الدروس القرآنية للعلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، فقام لها وجمعها من آلة التسجيل ورتّبها وعيّن لها عناوين بكل جدّ واهتمام ، ثم قام بنقلها إلى العربية الفصحى الأخ الفاضل الأستاذ الدكتور محمد فرمان الندوي بأسلوب سلس رشيق ، جزاهم الله خير الجزاء .

وختاماً أنا أقول بكل صدق وصراحة : إن حياة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي حياة حافلة بالفضائل والمكارم الخالدة ، حياة عامرة بالخدمات الجليلة المتنوعة في تسجيل تاريخ الدعوة الإسلامية المشرق ، وفي إصلاح المجتمع البشري وفي خدمة العلوم والآداب ، وهو جدير بحق بأن يحتذى ويقتدى ، ويستنار بآرائه السديدة وفكره السليم ، جزاه الله عنا وعن الأمة الإسلامية جمعاء ، خير ما يجزي به عباده الصالحين . آمين .

قراءة في كتاب :

سراجاً منيراً (سيرة خاتم النبيين) ◆

الأستاذ عبد الرشيد الندوي *

إن سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله تعالى كان يتميز بكثير من الأخلاق العظيمة ، ويتحلى بمحاسن السجايا وكريم الشمائل ، لقد كان فريداً في سمته وهديه وخلقه ، وكان ألبس الوقار والرزانة ، وكسي الروعة والبهاء والبشاشة ، لا يلقى الناس إلا متهللاً هشاً بشاً ، لا يعبس في وجه أحد ، ولا يقطب جبينه مهما كان زائره قد سبب له الأذى والتألم .

ولو ذهبنا نلتمس ونبحث عن مصدر هذه الأخلاق الطيبة والخلال السمحة الكريمة التي اجتمعت في شخصيته لقلنا : إن سماحة الشيخ قد استقى من نبع الأخلاق الصافي ، وتضلع من منهل المحاسن والمكارم الأصيل ، ألا وهو سيرة رسول الله محمد بن عبد الله الأغر الأزهر الزكي الميمون صلوات الله وسلامه عليه .

فقد كانت السيرة النبوية العطرة الفائحة هوايته الأثيرة المفضلة ، وكان حب النبي صلى الله عليه وسلم قد رسخ في قلبه ، وخالط منه اللحم والدم ، وجرى في عروقه وشرايينه ، وطالما كنا نستمع إليه وهو يتحدث في مجالسه ودروسه عن رسول الله وحبيب الله صلى الله عليه وسلم بغاية من اللذة والشوق والحنان ، ويعتبر سيرته الطيبة منبع الفضائل والمحاسن ومصدر المكارم والمزايا ، ومشكاة النور والضياء وأساس الإيمان واليقين ، وأصل الفلاح والسعادة .

إن حبه للسنة والسيرة وكل ما يمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المتغلغل في أحشائه ، المستقر في شغاف قلبه ، الواصل إلى قرارة فؤاده وأعماق روحه هو الذي حدا به إلى تأليف كتاب عظيم قيم في موضوع السيرة احتلّ المكانة المرموقة وحظي بالقبول وحسن التلقي ، كما يقول الشيخ جعفر مسعود الحسني الندوي في كلمة الناشر :

◆ كان الكتاب في الأصل باللغة الأردية ، قام بتعريبه الأخ الأستاذ محمد وثيق الندوي محاضر في كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء ومدير التحرير لصحيفة " الرائد " الصادرة من ندوة العلماء ، لكناؤ (الهند) .

* دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ (الهند) .

" نال قبولاً واسعاً في الأوساط العلمية والدينية في شبه القارة الهندية ، ثم نُقل هذا الكتاب إلى اللغة الهندية لغة الهند الرسمية ليقف الناطقون بها ويبلغ عددهم أكثر من مليار على سيرة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وقوبل بترحيب حار لأسلوب مؤلفه السهل العذب المقنع وإبرازه لجوانب إنسانية وخلقية من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعرضه الرسول الأعظم كمنقذ للإنسانية التائهة في متاهات الضلالة والغواية ، وكمعيد للإنسان الخائف المذعور المثخن بالجروح ، أمنه المفقود وتقديمه لنماذج لائقة من تعامله صلى الله عليه وسلم مع الأسرى وتوجيهاته صلى الله عليه وسلم لجنوده بشأن جثث القتلى وأوامره صلى الله عليه وسلم لقواته برعاية الأرامل والأيتام وعدم التعرض للشيوخ والنساء والأطفال وعدم إحراق الأشجار والزروع وعدم استهداف المدنيين الأبرياء العُزل خلال اندلاع نيران الحرب ، فأحله كثير من المثقفين الهندوس المحل الأرفع ، وأقبلوا عليه وأبدوا إعجابهم له واعترفوا بأن هذا الكتاب يُزيل سوء التفاهم الذي يغشى المجتمع الهندوكي عن رسول المسلمين صلى الله عليه وسلم " .

ولا شك أن الأعمال التي تصدر عن الإيمان واليقين والإخلاص والتجرد ، وتنبع من القلوب المؤمنة العارفة المفعمة بعواطف الصدق والوفاء ومشاعر الحب والحنان تكتسب القبول والحظوة والتأثير ، وتنال الخلود والبقاء والازدهار وتحظى بالقيمة والأهمية والشرف والرفعة عند الله وعند الناس ، وأما الأعمال التي لا يمدها صدق العاطفة وعمق الشعور والإخلاص والصفاء والوفاء ، فإنها تضمحل وتتلاشى ولا تحمل الأهمية ولا التأثير ولا تجدر بالخلود والبقاء ولا تسترعي القلوب والنفوس ، ولا تستلفت الأنظار والأسماع ولا تحرِّك سواكن القلوب ولا تحيي موات النفوس ولا تثير الكامن من الأشواق ، وإنما تكون ألفاظاً خرجت من اللسان فبقيت على الآذان ولم تجد سبيلاً إلى الأفئدة والعقول والأذهان أو تكون سواداً على بياض وحبراً على ورق فحسب ، وإن شئت على ذلك مثالاً فخذ الموطأ للإمام مالك رحمه الله فقد جاء في " ترتيب المدارك وتقريب المسالك " للقاضي عياض رحمه الله ٧٦/٢ :

" أول من عمل الموطأ عبد العزيز بن الماجشون عمله كلاماً بغير حديث ، فلما رآه مالك قال : ما أحسن ما عمل ، ولو كنت أنا لبدأت بالآثار ، ثم شددت ذلك بالكلام ، ثم عزم على تصنيف الموطأ فعمل من كان بالمدينة يومئذ من العلماء الموطآت ، فقيل لمالك : شغلت نفسك بهذا الكتاب وقد شاركك فيه الناس وعملوا أمثاله فقال : ائتوني بها ، فنظر

فيها ثم نبذها وقال : لتعلمن ما أريد به وجه الله تعالى " .

فيمكننا القول بأن جل الأعمال التصنيفية الخالدة النافعة المؤثرة المباركة المتلقاة في الأمة بحسن القبول ، المحمودة بطيب الثناء وجميل الذكر ، المكسوة ثوب الخلود والبقاء ، إنما اكتسبت قوتها وتأثيرها ورواءها واستحقت البقاء والثناء والحلول من القلوب والنفوس ، والتفوق والمزية والشرف على أخواتها ومثيلاتها ، لما أنها انبعثت من القلوب المؤمنة الحية والضمائر الطيبة الصادقة ، والأقلام الممدّة بمداد الإيمان والإخلاص والحب والحنان والصدق والعرفان والاحتساب واليقين .

يقول المؤلف الكريم وهو يذكر الباعث على تأليف هذا الكتاب : " ثم شرح الله صدري ، لأن أنال سعادة خدمة الموضوع الحامل للقداسة والمحبوبية ، وإن بذل الوقت وتحريك القائم في هذا الموضوع المقدس لا يخلو من بركة وسعادة ، وإن كان بدون جدارة وصلاحية ، فجمعت همتي ، وعزمت على الكتابة في موضوع السيرة النبوية " . (مقدمة الكتاب)

إن مؤلف كتاب " سراجاً منيراً " يتوخى إثارة الجوانب المشرقة في السيرة النبوية ، جوانب الخلق العظيم والبر العميم والسلوك القويم في حياة رسول صادق أمين رؤوف رحيم ، ويركز على بيان تعاليمه وتوجيهاته الكريمة في باب الأخلاق ومكارم الشيم وحسن التعامل مع الناس ، لكي يستجلي الدارسون محيا السيرة النبوية الجميل النقي الصافي ويستنشقوا ريا هذه الحياة الطاهرة الزكية النيرة العبقة التي هي أعطر وأطيب من المسك والعنبر ، ويتمتعوا من شميم الأخلاق المصطفوية والشمائل النبوية العنبرية ويستظلوا بظلال الدوحة المحمدية الوارفة الفيحاء ، اقرأ معي هذه القطعة من الكتاب ، وحاول أن تستشف ما وراءها من الروح الصافية اللطيفة والعاطفة الصادقة الرقيقة :

" وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى دعوة أهل مكة إلى إصلاح العقائد يدعوهم إلى مكارم الأخلاق والفضائل الإنسانية ويركز على اختيار الصفات النبيلة والاتصاف بكريم السجايا والشيم من المؤاساة والمؤازرة والتضامن والتعاون والأخوة والمحبة والامتناع عن إيذاء الآخر وتجنب سائر الأعمال التي تسبب الفساد والتحارب والصراع والدمار ، والرحمة والعطف على الناس والسلوك الحسن والعفو والصفح والصبر والحلم والأناة والتحمل ، ويقول : " الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء " .

ويقول بعد قليل : " وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم مثلاً

عالياً للصبر وتحمل الأذى ومؤاساة الإنسان وطلب الخير له والحلم والأناة ، والحكمة والاستقامة وكل من قبل الإسلام واتبعه تحلى بهذه الصفات العظيمة وائتسى بأسوة نبيه " (ص : ١٥٧ – ١٦١) .

ويقول وهو يذكر الإذن من الله بالقتال في المدينة المنورة : " فأذن لهم حينئذ بالقتال واستخدام القوة والرد على الشدة بالشدة للحفاظ على أنفسهم ورد حملات الأعداء ، فلا حاجة بهم إلى الصبر على أذاهم : أذن للذين يقاتلون الآية .

فبناءاً على هذا الإذن بدأ المسلمون يختارون وسائل للدفاع عن أنفسهم وأقوالهم حسب الحاجة ، ولكنهم أمروا بالإضافة إلى ذلك بأن يجتنبوا من الإجراءات بدون حاجة إليها ، ويراعوا القيم الإنسانية وأن لا يقتلوا النساء والأطفال وأن يعاملوا الأسرى معاملة حسنة ، ويؤثروا الصلح بدل الحرب ، والعمل لخير الإنسانية وسعادتها ، فلم تزل تبوء محاولات الأعداء ، ومخططاتهم بالفشل والخيبة وتنتصر الدعوة الإسلامية وتحصل الفتوحات حتى ألقى الإسلام بجرانه في الجزيرة العربية كلها .

ودخل العرب في الإسلام قبل وفاته ، وقبلوا تعاليم الرسول ، وخضعوا له ، حتى دان له كبار الرؤساء في مكة الذين لم يقصروا في إيذائه ؛ بل القضاء البات عليه " (ص : ٢٤٤) .

يشتمل الكتاب على عشرة أبواب :

الباب الأول : تمهيد ، وفيه تاريخ الأنبياء من أبي البشر إلى خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

الباب الثاني : في تصوير الوضع القاتم الحالك عند بعثته صلى الله عليه وسلم .

الباب الثالث : فيه بيان نسبه الزكي وأحواله من الولادة إلى البعثة .

والباب الرابع : يحتوي على بدء الوحي إليه ، ثم دعوته إلى التوحيد وتحمل الأذى في سبيل ذلك وإسلام الرعيل الأول من الصحابة حتى ذهابه إلى الطائف .

والباب الخامس : يبدأ من حادث الإسراء والمعراج ، وينتهي بهجرة المصطفى إلى المدينة .

والباب السادس : في إقامة النظام الإسلامي في المدينة المنورة ، فيه تفصيل الغزوات وفتح مكة وقدوم الوفود والإقبال العام على الإسلام .

والباب السابع : في حجة الوداع .

والباب الثامن : في مرضه ووفاته وأزواجه وأولاده صلى الله عليه وسلم .

والباب التاسع : في الأخلاق والشمائل .
والباب العاشر : في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويشكل باب الأخلاق والشمائل الجزء المهم من الكتاب ، ويحل محل الواسطة من العقد أو البيت من القصيدة ، وقد أطال المؤلف رحمه الله تعالى فيه النفس وأرسل لقلمه العنان ، وأذن لعواطفه وأشواقه أن تظهر وتبرز وتتجلى ، وأذن لي أن أنقل لك قطعة صغيرة رائعة يقول :

" إن الإخلاص والصفاء والشرف والسمو وعلو الهمة والعزم والإرادة القويمة والصبر والجلد والاستقامة والثبات والسلوك الحسن والمؤاساة والخلق الرفيع هي الخصائص التي تضطر كل من يستمع إلى كلامه مترفعاً عن التعصب وبعيداً عن العناد إلى الإيمان به . (ص : ٤١٤) .

ومن أغلى وأروع وأفضل ما استنتج المؤلف العظيم من أحداث السيرة المختلفة أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت حياته متسمة بناحيتين مشرقتين : ناحية الإنسانية المعتدلة الكاملة ، وناحية النبوة الصادقة العادلة الخاتمة الشاملة ، وتتجلى كلتا الناحيتين في جميع الحوادث والوقائع جنباً إلى جنب ، ومَثّل ذلك بموت ابنه إبراهيم وابن بنته زينب فقال صلى الله عليه وسلم عند وفاة ابنه : إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون ، وقال عند موت ابن بنته لزينب بنته : " إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيئ عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب ، فلما رأى صلى الله عليه وسلم الصبي وهو يجود بروحه ويلفظ نفسه الأخير فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن بكاءه ودموعه ورحمته ورثاءه ورقة قلبه تدل دلالة بينة على كمال بشريته وعاطفة إنسانيته ورضائه بما يرضى الله واستسلامه لقضاء الله ، وصبره على قدر الله ووصيته بالصبر والرضا بالقضاء والاستسلام والانقياد لله آية على صدق نبوته وكمال رسالته وبلوغه المنزلة العليا في العبدية والطاعة لله تعالى صلى الله عليه وسلم .

وعلى كل فإن أسلوب المؤلف في الكتاب يتسم بالسهولة والعذوبة والرونق وحلاوة اللفظ ورشاقة المعنى ، وبصدق العاطفة وتدفق المشاعر مع تحكيم العقل والمنطق وحسن الترتيب وجمال السياق وروعة العرض ، ودقة الاستنتاج وبراعة الاستدلال ، وتتجلى فيه خصائص الرزانة والرصانة والفصاحة والتوازن والهدوء والقصد ، والجمع بين عاطفة القلب ومنطق العقل والدليل ، والمزج بين الإيمان والشوق والحنان ، وبين العلم والتحقيق والبرهان كما هو الشأن في جميع كتابات المؤلف رحمه الله رحمة واسعة ورفع درجته في عليين .

معلم الإنشاء (الجزء الثالث) : دراسة عامة

الأستاذ رحمت الله الندوي *

تعريف موجز :

كان الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله تعالى من شخصيات فذة لهذا القرن ، ودرة يتيمةً للزمن ، ومن سلالة سيدنا الحسن ، تنتمي أسرته الحسنية إلى سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ، كان من أفذاذ ونبغاء الرجال ، وعباقرة الدهر ، لا يجود بمثله الزمن إلا قليلاً .

نشأ وترعرع في أحضان العلم والأدب ، وتربى في ظل خاله الكريم الدكتور السيد عبد العلي الحسني وأخيه الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وللشيخ أبي الحسن عناية كبيرة وإسهامات موفورة ومشاركة كبيرة في تعليمه وتثقيفه وشحذ ذهنه وصقل فكره ، وإسعاده بالعلم والتجارب خلال حلّه وترحاله وأثناء إقامته ورحلاته ، لأن الشيخ محمد الرابع الحسني لازم خاله المربي الشفوق ملازمة الظل لصاحبه ، فتعلم منه الكثير من العلوم والفنون ، برع فيها ، وأصبح أستاذاً ومعلماً ، أديباً ومؤلفاً ، وعاش حياة حافلةً بجلائل الأعمال ، وقضى عمراً يناهز خمسة وتسعين عاماً ، كله مملوء بالمكارم والمآثر والأعمال الصالحة والأمور المهمة نحو خدمة العلم والدين والملة والوطن ، ونالته بشارة النبي صلى الله عليه وسلم " خير الناس من ينفع الناس " ، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم : " خير الناس من طال عمره وحسن عمله " .

كان موضوع اختصاصه " الأدب العربي " لذلك عُيّن أستاذاً لهذه المادة بعد التخرج في دار العلوم لندوة العلماء ، ثم ارتقى وتدرج حتى صار عميداً لكلية اللغة العربية وآدابها ، وألّف في الأدب عدة كتب مثلاً :
" منثورات من أدب العرب " ، " الأدب العربي بين عرض ونقد " ، " تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) " وغيرها ، كان الراحل الكريم له

---

* دار العلوم لندوة العلماء لكناؤ ، (الهند) .

ملكة راسخة وقدرة تامة ومهارة كاملة في التدريس والتأليف في كلتا اللغتين : الأردية والعربية ، ولأجل ذلك ترك خلفه تراثاً علمياً وتأليفياً كما خلّد آثاراً باقيةً وراءه ، وهذه الباقيات والآثار الخالدة تخلّده ، ويُعَطّر ذكره القرون ، عاش الفقيد ، فقيد الدعوة الإسلامية ، ورائد الأدب ، وعَلَم الفن . معظم عمره بل جُلّ حياته في الدرس والتدرس والتعليم والتربية للجيل القديم والحديث حتى وافاه الأجل المحتوم ، وجاءه اليقين ، ومدة تعليمه وتدريسه أكثر من نصف قرن ، فطوبى له ! " طاب حيّاً وطاب ميتاً " انتقل إلى جوار ربه الكريم في شهر رمضان المبارك ، في العشر الأخير عام ١٤٤٤هـ .

من سعادة حظي أني قرأت عليه كتابه " الأدب العربي بين عرض ونقد " و " المعلقات السبع " فوجدته معلماً ناجحاً وأستاذاً ماهراً ، يتميز بأسلوبه الخاص ، ويملك على تسهيل المواد وترسيخها في الأذهان ، وله قدرة تامة على الإفهام والتفهيم ، والبيان والإيضاح ، والشرح للكلمات الصعبة والألفاظ العويصة ، يجعل الدرس سهلاً ميسوراً ممتعاً ، كل من قرأ عليه وتيسر له القراءة يثنى عليه بكلمات رفيعة وألفاظ ضخمة ، كان يقول : أنا مدرِّس ومعلم في الحقيقة ، قضيت حياتي في التعلم والتعليم ، والمسئولية عن ندوة العلماء ألقيت على كواهلي وعواتقي ، أحاول الجمع بين التدريس وأداء المسئولية .

أما الأدب العربي فقد دَرَس ودَرّس ، وكتب وألّف ، وهذّب ، ومما كتب حول الأدب ، منه كتابه " معلم الإنشاء ، الجزء الثالث " ، وقد سبقه تأليف الجزئين الأول والثاني من الأستاذ عبد الماجد الندوي رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً .

دراسة عامة للكتاب :

وهذا الجزء الثالث يحتوي على ٢٠٦/ صفحة ، وفيه مقدمة للشيخ الأديب (أستاذ المؤلف) الشيخ محمد ناظم الندوي رحمه الله تعالى شيخ الجامعة العباسية ، بهاول فور ، باكستان الغربية ، وديباجة من المؤلف ، وعام تأليفه ١٣٧٤هـ المصادف ١٩٥٥م ، استفاد المؤلف خلال تأليفه من هذه الكتب : ضوء الصبح المسفر ، الإنشاء العصري ، معلم الإنشاء ، الإنشاء الحديث ، الأسلوب الحكيم ، القراءة الراشدة ، والقراءة

الرشيدة .... وغيرها .

قبل بداية الباب الأول كلمات توجيهية في عدة سطور للمعلم ، طالب فيها المؤلف من الأستاذ بتأكيد أن يدرّس الدرس والمثال ويقرأ على الطلاب بنفسه قبل التمرين يطالع الطالب بنفسه تحت إشراف المعلم ، لأن التمرينات والأمثلة كلها تابعة للكتاب .

قسم المؤلف كتابه بين خمسة أبواب ، وثلاثة وعشرين درساً ، وعشرين مثالاً ، ونماذج وتمرينات عديدة .

ففي الباب الأول : التفصيل والتجزية ، التجزية واعتدال الأجزاء ، تعيين المواضيع ، وتفصيل المواضيع .

وفي الباب الثاني : مقالات على إحدى المخترعات الصناعية (السيارة) .

وعلى أحد الحيوانات (الجمل) ، على عامل من خدمة الإنسان في حياته الاجتماعية (ساعي البريد) ، كذلك فيه بيان حادث أو وقعة (سقوط من السطح) وعلى احتفال أو نزهة أو برنامج فكه ، (يوم مطير) ، وقصص للتذكير (في غمار المياه) ، وعلى إحدى الاكتشافات (الكهرباء) وعلى أثر تاريخي أو محل جغرافي معروف (التاج محل) ، على خلق إنساني نبيل (الصدق ينجي والكذب يهلك) ، أصول كتابة الرسائل والتمرين عليها ، أصول الترجمة ومثالها ، فوائد المدارس ، وصف الأمة العربية ، البرتقال ، العقل وفوائده .

والباب الثالث : يختص بالهداية والتوجيه نحو الترجمة والنقل من اللغة الأردية إلى اللغة العربية وعكسها .

والباب الرابع : يتحدث عن أقسام النثر ، وفيه نماذج من المقالات ، مقالة على شخصية عظيمة من شخصيات التاريخ (عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى) ومقالة على هيئة اجتماعية : أنظمة (ندوة العلماء ودار علومها) ، مقالة على بيان أمر أو إثبات فكرة (لماذا أتعلم اللغة العربية ؟) ، مقالة على الخاطرة (هكذا يفهمون الإسلام في الغرب) والدرس الثالث والعشرون لهذا الباب يشتمل على المذكرات أو اليوميات ، وفيه نموذج (أيام في القطر المصري) .

أما الباب الخامس : وهو آخر باب من أبواب الكتاب ، فهو الذيل في

تعريف الخطأ والصواب من الجُمل الأردية والعربية ، بيّن فيه المؤلف تعبيرات صحيحة للجمل الأردية ، يقع فيها الخطأ من الطالب في التعبير والتعريب .

وبعد هذا الباب قدّم المؤلف " نماذج الإنشاء " من مقالات كتّاب مصر وسوريا والهند وباكستان ، أمثال الشيخ مصطفى لطفي المنفلوطي ، مقالة حول " حياة النبي عليه الصلاة والسلام هي الأسوة " .

والدكتور أحمد أمين ، (الدين الصناعي) ، والأستاذ سيد قطب (العبيد) ، والأستاذ أحمد حسن الزيات (الإسلام دين القوة) ، الشيخ علي الطنطاوي (أسرة واحدة) والأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي (قد مضى عهد ألف ليلة وليلة) ، والأستاذ مسعود عالم الندوي (المجدد السرهندي) والأستاذ محمد ناظم الندوي (دار المصنفين بأعظم كره) وهو الذي قدّم للكتاب .

بعد ذكر نماذج وأمثلة من مقالات هؤلاء الكتّاب والأدباء ، ذكر المؤلف تراجمهم موجزاً .

يكتب الأستاذ محمد ناظم الندوي رحمه الله تعالى في مقدمة هذا الكتاب : " هذا الكتاب الذي هو بين أيديكم ، هو الجزء الثالث لمعلم الإنشاء ، ألّفه وجمعه العزيز محمد الرابع الندوي ، وهو حلقة أخيرة لهذه السلسلة ، بيّن طرق إعداد البحث وكتابة المقالات والإنشاء في اللغة العربية مفصّلاً ، كما ذكر قواعد وأصول الكتابة وفنّ بسط موضوع مختصر ، ولم يكتف ببيان الأصول فحسب بل قدّم أمثلة عديدة نحو تمرين الكتابات وإعداد الموضوع والمادة ، حدّد الموضوع ، ثم فصّله ، وذكر غرض الموضوع وعناصره وأجزاءه اللازمة ، ثم ذكر خاتمته ، وكتب مقالاً إجمالياً مختصراً في ضوء ذلك ، والمهارة في الإطناب والإسهاب هي روح صناعة الإنشاء والتعبير " ، وميزة واحدة لهذا الكتاب ، هي أن جوّ روح الإسلام سائد على الكتاب كله ، بالرغم أنه كتاب تمرين على كتابة المقالة وإعداد البحث في اللغة العربية ، المدارس الإسلامية في الهند ، وأحوال مؤسسيها ، وخدماتهم ، وتجد سيرة عمر بن عبد العزيز ، ومآثره التجديدية وما إلى ذلك " .

هذا الكتاب أُلّف للطلاب غير الناطقين باللغة العربية ، وهو من المنهج الدراسي في دار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ وفروعها

والمدارس الملحقة بها وغيرها من المدارس العربية في الهند وباكستان ، ونُقل إلى اللغة الفارسية أيضاً .

وأرى حسناً أن أقدّم إليكم بعض القطعات والمقتبسات لمعرفة أهمية الكتاب وجهد صاحبه وما بذل فيه من قصارى مجهوداته نحو جمع وإبراز هذا الكتاب على حيز الظهور ، انظر كيف يكتب جملة ثم يفصّلها ويبسطها ويوسعها :

" (١) مدرستي جميلة المنظر أنيقة المبنى .

(٢) مدرستي جميلة تُمتّع النظر إليها وتجعل زائرها معجباً بأناقتها وروعة جمالها .

(٣) مدرستي جميلة ، كلما دخل إليها زائر دهش من جمال مظهرها ومبناها إذ ركبت من بناء فخم وصورة رائعة ، حيث يتمنى كل طالب أن كان التحق بها حتى تجتمع لديه متعتان : متعة العلم ومتعة المنظر البهيج .

(٤) كان منشئو مدرستي يملكون سلامة الذوق ونظرات ثاقبة ، فما كانوا يبغون مبنى بسيطاً أو عمارة ساذجة ، لا تدخل في النفس السرور ولا تبهج القلب وتريح الذوق ، كما أنها جدران وسُقُف أقيمت لاضطرار الحاجة إلى ذلك .

فأحضروا لبناء مبناها من المهندسين المهرة الذين يحسنون إيجاد تشكيلات جميلة للمباني ، تشكيلات تقضي الضرورة وتسهل في نشاط التعليم في أرجائه ، وترضي ذوق الرجل ، وتقضي فرائضه من أمور دينية وشؤون علمية ، وأنفقوا على ذلك مبلغاً عظيماً من المال لإيجاد هذا الجمال الساحر والروعة المدهشة اللذين يبعثان في نفوس رُوّادها البهجة والسرور ، ويجعلان زائرها يغتبط بمشاهدتها ، ويحمل معه ذكرها أينما حل ، ويثني على المشرفين عليها وعلى بُناتها " .

ومثال آخر بعنوان : " وبالأمطار حياة الأرض "

وإنما الأرض لتترقب نزول المطر حينما تشتد الحرارة ويشتد وهج الشمس ويجف كل شيئ على ظهرها أو يكاد يجف فينزل حين ذلك المطر فيكون حياة لكل مخلوق ، وحياة لكل ما يصلح أن يكون نباتاً وتحى الأرض به حياة خصبة ناضرة " .

ومثال آخر :

" القطار ينقل البضائع سواء كانت خفيفةً أم كانت ثقيلةً ونرسل به طرودنا من كتب وصحف وحلاوى وأطعمة والمرافق التي نحتاج إليها حيناً بعد حين ، لأننا لا نقدر أن نسافر كل حين لجلب هذه الأمتعة والبضائع " ... إلخ .

يكتب حول " العقل وفوائده " :

" إنما العقل نور عظيم رزقه الله الإنسان ، يسلك به طرقه بالسلامة والاستقامة ، وبه يسيطر على الحيوانات والأحياء الأخرى ، وبه يترقى ويتقدم ويخترع المصنوعات ويكشف المجاهيل ويصنع الخطط ويرتب المبادئ ويحكم على الموجودات ، يشق الجبال ويجفف جوانب البحار ، فيكوّن منها براً يبساً يطير في الجوّ ، ويسافر في أعماق البحور ، فهو آلة بين يديه يتسلط بها على كثير من الأشياء ، فهو نور من الله ، من حرم حرم خيراً كثيراً "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً " .

انظر إلى هذه القطعة حول : " التاج محل " :

" لقد كان شاه جهان من ملوك الهند المغول شديد الحب والغرام لعقيلته ، وهي التي توفيت ولم تقض من العمر إلا جزءاً قصيراً ، فبلغ منه الحزن كل مبلغ ، وكاد لا يتمالك ولا يصبر ، فرأى أن يبني مقبرة على قبرها ، تتضائل دونها القصور الفخمة الفاخرة ، فتكون آية أبد الدهر ، ورمزاً للحب ، ومبعثاً للسلوان وبهجة للقلب المكلوم ..... إنه بنى مقبرةً شامخة البنيان ، جميلة الشكل كطاقة رشيقة ، بابها من الحجر الأحمر المرصع بالرخام الأبيض والأسود ...... بهذا الشكل الرائع لا يزال هذا البناء يعجب الزوار والشاهدين ، ويقوم آية في الفن مع إنفاق المال الكثير في هذه الأعمال التذكارية لا يُبيحه الإسلام ، وإنما الفقراء والمساكين هم يستحقون أن ينفق عليهم " .

أكتفي بهذه القطعات والمقتبسات ، لأنها تكفي بالدلالة على ذوق المؤلف وبراعته وحسن اختياره وقصارى جهده ، فجزاه الله خيراً عن الطلاب والمعلمين والمستفيدين من هذا الكتاب القيم النافع .

اللهم أغدق عليه شآبيب رحمتك ورضوانك ، وأسكنه فسيح جناتك ، وألهم أهله وذويه وتلاميذه الصبر والسلوان .

مختار الشعر العربي : دراسة عامة

الدكتو ر عبد القدوس الندوي *

نظراً إلى قيمة الشعر العربي الأدبية واللغوية الكبيرة وأهميتها القصوى ، واهتمام العلماء والمعنيين باللغة العربية به ، يُدرس الشعر العربي في كل مدرسة أو معهد تعليم اللغة العربية في مستويات مختلفة في جميع أنحاء البلاد ، نظراً إلى أهمية هذا الجانب للشعر العربي وضعت دار العلوم ندوة العلماء الشعر العربي في مقرراتها الدراسية من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة العالية ، " قررت دار العلوم ندوة العلماء في مناهج الدراسات العليا في كلية اللغة العربية ، بصورة واسعة ، وفي كلية الشريعة وأصول الدين بصورة محدودة ، مختارات شعريةً من العصر القديم والعصر العباسي ، وجعلت هذه المقررات ، موزعةً في مختلف السنوات من الدراسات العليا ، بحيث تجمع طبقات عصور الشعر العربي من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي ، فكان شعر العهد الإسلامي من مقررات السنة الأولى من الدراسات العليا ، وكان شعر العهدين الجاهلي والعباسي من مقررات السنة الثانية من الدراسات العليا " [1] .

ولكن كانت المشكلة أمام مسؤولي دار العلوم ندوة العلماء أنٍ القصائدٍ الموضوعة في المقرر الدراسي في مستويات مختلفة كانت موزعةً ومنتشرةً في الدواوين والكتب الشعرية المختلفة ، فكان الحصول على جميع هذه الدواوين والكتب الشعرية للطلاب والوصول إلى القصائد المختارة لصفوفهم صعباً للغاية ، ويقول مؤلف الكتاب الشيخ السيد محمد الرابع الحسني في مقدمة كتابه : " وكانت النماذج الشعرية المختارة من دواوين وكتب شعرية مختلفة وكثيرة ، وكان الحصول عليها لطلابها مشكلةً ، حيث إن الكتب والدواوين قد تكون ضخمةً ،

---

* الأستاذ المشارك ، قسم اللغة العربية وآدابها ، بجامعة مولانا آزاد الوطنية الأردية ، حرم لكناؤ .

[1] الرابع محمد الندوي ، مختار الشعر العربي ، الجزء الأول ، كلية اللغة العربية وآدابها ، دار العلوم لندوة العلماء ، ١٩٨٣م ، ص ٧ .

والقصائد المختارة منها ، تكون مبعثرةً فيها وقليلةً ، فلا يمكن أن يسد العدد الحاصل من هذه الكتب حاجة جميع طالبيها ، فأرادت دار العلوم ندوة العلماء أن تجمع هذه القصائد في مجموعة واحدة ، وتطبعها أو تصورها حتى تغني هذه المجموعة عن طلب الكتب الضخمة المتعددة لموضوع واحد محدود " [١] .

فجاء كتاب " مختار الشعر العربي " في حيز الوجود في جزئين بجهود الشيخ السيد محمد الرابع الحسني لسد حاجة مناهج الدراسات العليا في كلية اللغة العربية ، وفي كلية الشريعة وأصول الدين لدار العلوم ندوة العلماء ، ويشتمل هذا الكتاب على قصائد سيدنا حسان بن ثابت (١١ قصيدة) ، وكعب بن زهير (١٧ قصيدة) ، والخنساء (١٧ قصيدة) – رضى الله عنهم – والحطيئة (٧ قصائد) وعمر بن أبي ربيعة (١ قصيدة) ، والفرزدق (٢ قصيدتان) وجرير (٣ قصائد) ، والأخطل (١ قصيدة) من الشعر الإسلامي ، وعلى قصيدة النابغة الذبياني (١ قصيدة) من العصر الجاهلي وعلى قصائد أبي تمام (١٠ قصائد) ، والبحتري (١٠ قصائد) ، والمتنبي (١٠ قصائد) ، وأبي فراس (٢٣ قصيدة بعض منها تشتمل على أبيات مختارة) ، والشريف الرضي (٢٢ قصيدة بعض منها تشتمل على أبيات مختارة) ، والمعري (٣ قصائد) من العصر العباسي .

إن هذه المجموعة الشعرية لا تسد حاجة دار العلوم ندوة العلماء فحسب ، بل حاجة المدارس والجامعات والكليات ومعاهد الدراسات العليا الأخرى في البلاد أيضاً ، لأن الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي قام بإعداد هذا الكتاب في صورة جذب انتباه المثقفين والمهتمين باللغة العربية وتعليمها في الهند ، ونال قبولاً وإعجاباً عاماً في الأوساط العلمية والأدبية ، وإن هذا الكتاب يساعد الطلاب في فهم الشعر العربي ، وأسلوبه واتجاهاته في العصور المختلفة وأساليب شعرائها ، لأن المؤلف لم يشمل القصائد في هذه المجموعة عشوائياً ، بل راجع آلاف القصائد في الدواوين والمجاميع الشعرية المختلفة ، وانتخب منها من قصائد الشعراء

---

[١] نفس المصدر .

البارزين ما يناسب مستوى الطلاب التعليمي وأذهانهم ، ويساعد في تربيتهم الأدبية والشعرية والدينية والخلقية والذهنية ، لأن معظم القصائد تشتمل على أبيات تحمل القيم الدينية والخلقية بجانب القيم الأدبية من الفخر والحماسة والشجاعة والشهامة والغيرة والحمية والعقل والحكمة ومكارم الأخلاق وغيرها من القيم الإنسانية العالية .

وقد ذكر المؤلف في بداية قصائد كل شاعر نبذةً عن حياته في عدة جمل تصور خلفيته الأدبية والدينية والاجتماعية وأسلوبه ، وتبين خصائصه الشعرية ومزاياه في مجال خاص تميزه عن غيره فيه ، وتحدد مكانته الأدبية وأهميته في مجال الشعر والأدب ، وكيف يختلف عن الشعراء الآخرين في عصره ، مع شرح الكلمات الصعبة في الشعر شرحاً وافياً وبيان معاني الأبيات ومفهومها بكلمات سهلة سائغة وقابلة لفهم الطلاب مع الإشارة إلى القضايا الأدبية المهمة السائدة في عصر ما مثل قضية شعر النقائض ، كل هذا يساعد الطلاب في التفريق بين أساليب الشعراء المختلفة والوصول إلى أهدافهم من تعلم اللغة العربية والتدرج من مرحلة إلى مرحلة أعلى من التعليم .

لقد ذكر المؤلف إحدى عشرة قصيدة لحسان بن ثابت الأنصاري (توفي عام ٥٤هـ) يقول المؤلف في بداية قصائده عنه : " عاش حسان بن ثابت الأنصاري – رضى الله عنه – في الجاهلية والإسلام ، فكان شاعراً مخضرماً ، أكثر وأجاد في الجاهلية وأكثر وأجاد في الإسلام ، وكان يغلب في شعره الفخر والحماسة والمدح والهجاء ، كان في الجاهلية يعد شاعر أهل المدن ، وكان في الإسلام شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام ... كان سيدنا حسان بن ثابت الأنصاري خزرجياً ولد ونشأ في المدينة المنورة وقضى حياته فيها نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام " [١] .

وذكر قصيدةً واحدةً لكعب بن زهير (٤٢هـ) وهى قصيدة شهيرة تعرف بقصيدة البردة ، يقول المؤلف في بداية قصيدته عنه : " كان كعب بن زهير سليل أسرة شاعرة ، فقد كان والده زهير بن أبي سلمى أحد شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وكان أخوه وأخته شاعرين

[١] نفس المصدر ، ص ١٠ .

كذلك وقد ظهر الإسلام في حياته فابتعد عنه كما ابتعد عدد آخرون من الناس في بداية الأمر ، وأسلم أخوه بجير فهجاه كعب وذمه على إسلامه وذم الإسلام فأهدر الرسول صلى الله عليه وسلم دمه ، ولما غلب أمر الإسلام على أكثر بقاع جزيرة العرب خاف زهير على نفسه ، ولكن أخاه نصحه باللجوء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والتوبة أمامه فإنه لا يؤاخذ من يسلم على جريمته السابقة ، وهناك حضر كعب بين يدى الرسول وأنشد قصيدة رائعة في مدحه ، ومنحه الرسول عليه السلام بردته الشريفة جائزةً على ذلك فسميت قصيدته بقصيدة البردة ، فما زالت في أهله حتى اشتراها معاوية رضى الله عنه منهم بأربعين ألف درهم وتوارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون ، ونالت هذه القصيدة قبولاً لدى المسلمين حتى قيلت قصائد كثيرة على منوالها وسميت بقصائد البردة ، ولا تزال قصيدة كعب سبباً لذكره وشعور المسلمين بكرامته ، وهى قصيدة رائعة قوية على المنهج الشعري القوي السائد في ذلك العصر " [1] .

وفي الجزء الثاني انتخب الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي عشر قصائد لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (١٨٨ – ٢٣١هـ) ، يقول المؤلف في بداية قصائد عنه : " كان رأس الطبقة الثانية في العهد العباسي ، فقد شق لنفسه طرقاً جديدةً آثر فيها تجويد المعنى على تسهيل العبارة ، وكان أول من أكثر من الاستدلال بالأدلة العقلية والكنايات الخفية ولو أفضى ذلك إلى التعقيد ، وعند ما فاتته سلاسة اللفظ جبره الجناس والمطابقة والاستعارة ، ولقد ترك ثروة لا بأس بها من الشعر الرائع ، ومهد لمن خلفه الطريق فسلكها البحتري والمتنبي وأبو العلاء وأمثالهم في مناهجهم الشعرية مع شيئ من الاختلاف حسب ميولهم وطبائعهم . وكان من أعظم تلاميذه البحتري ، وكان أقرب إلى الطبع ، وأكثر اختياراً للوصف والخيال ، قضى أبو تمام نشأته وبداية عهده في مصر ، وقضى خير عهد حياته الشعرية في بغداد ، وكانت أكثر مدائحه في الخليفة العباسي المعتصم بالله ، واشتهر أبو تمام باختياره الشعري ويسمى بديوان الحماسة لكون أكبر أبواب المجموعة باب الحماسة ، فقد اتفق أهل الأدب على جودة هذا الاختيار بحيث أصبح

---

[1] نفس المصدر ، ص ٣٦ .

الكتاب يمثل أروع مقطوعات شعرية عربية أصيلة ، ولقد قلده في هذا الاختيار عدد من الأدباء فلم يبلغوا مبلغه في إجادة الاختيار " [1] .

انتخب الشيخ محمد الرابع الحسني عشر قصائد لأبي عبادة البحتري (٢٠٦ – ٢٨٤هـ) ، يقول المؤلف في بداية قصائد عنه : " كان أعظم تلاميذ أبي تمام حامل لواء طريقته في الشعر ، غير أنه استطاع تجنيب نفسه كلفة البديع وجفاف الفكر ، واختار لمنهجه طريقاً وسطاً يزينه جمال الخيال وحصافة العبارة ، ولذلك قال عنه المتنبي : أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري ، وقد أبدى أبو العلاء المعري أيضاً إعجابه الشديد بالبحتري وخدم شعره بالتعليق والشرح ، وله أيضاً كتاب اختار منه أبواباً من الشعر العربي وسماه الحماسة تقليداً لأبي تمام " [2] .

انتخب محمد الرابع الحسني الندوي عشر قصائد رائعة جميلة لأبي الطيب أحمد المتنبي (٣٠٣ – ٣٥٤) تدل على أسلوبه الخاص وطريقته في الشعر ، يقول المؤلف في بداية قصائده عنه : " كان المتنبي من أعظم شعراء عصره لميزاته الشعرية الخاصة وبذكائه المفرط وتدقيقه في المعنى مع قدم راسخة في العربية وإن كان يشط عن القواعد البيانية المقررة عند ما يرى لنفسه حاجة في الخروج عنها ، وكان نابغة في فن البيان قلد أبا تمام في طريقة تؤثر تجويد المعنى على تسهيل العبارة والاستدلال بالأدلة العقلية ، غير أنه بالغ في ذلك إلى حد التكلف الشديد حتى أخذ عليه النقاد استطالته في مثل هذه الأمور واستهجنوه مع استحسانهم لاخترعه للمعاني الجديدة ، وقد تصرف في فنون الكلام غير أن مدائحه أكثر . ولد المتنبي في العراق وقضى عهده الرائع في حلب الشام مع سيف الدولة يمدحه ، ثم زار مصر ومدح كافورا الإخشيدي ثم هجاه وترك مصر إلى بلدان أخرى " [3] .

هذه بعض خصائص مختار الشعر العربي ، ولا شك أن هذا الاختيار جامع ، وشامل لجميع الموضوعات والعصور ، وخير ما يُدرّس في الجامعات العصرية والمدارس الدينية في موضوع الشعر العربي .

---

[1] نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص ١٠ .

[2] نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص ٥٠ .

[3] نفس المصدر ، الجزء الثاني ، ص ٧٨ .

مؤلفان قيمان للشيخ محمد الرابع الحسني في الأدب الإسلامي

البروفيسور محمد قطب الدين الندوي *

حظي العالم الإسلامي بشخصيات فذة أسهمت بكفاءتها ومواهبها إسهاماً فاعلاً في تربية النشء الجديد وتوجيهه إلى العلم والمعرفة والصلاح على أساس الأدب الإسلامي ، كما قادت الأمة الإسلامية إلى الرشد والهداية في كل قضية من القضايا الحياتية ، ومن هؤلاء الشخصيات البارزة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، إن الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي كان يُعتبر معلماً ناجحاً ومربياً مخلصاً ومؤلفاً كبيراً وأديباً بارعاً وقائداً حكيماً ، أفاد الأمة الإسلامية في الهند خاصةً والعالم الإسلامي عامةً بمواهبه العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية طول حياته .

ونظراً إلى أهمية الأدب الإسلامي القصوى أصبح هذا الأدب شغل الشيخ الندوي الشاغل وهمه البالغ ، فألف عشرات من المقالات والبحوث والكتب باللغة العربية والأردية التي تتعلق بالأدب الإسلامي والقيم الإسلامية سواءً كانت في موضوع الأدب أو السيرة أو التاريخ أو الاجتماع . وأذكر بعضاً منها على سبيل المثال :

أضواء على الأدب الإسلامي : ومن أعمال الشيخ الندوي الأدبية المرموقة شغوفه البالغ بالأدب الإسلامي واتصاله بالجمعية الأدبية الإسلامية " رابطة الأدب الإسلامي العالمية " ومكتبها الرئيسي بندوة العلماء ، لكناؤ ، الهند . فكان عضواً ناشطاً وفعالاً من أعضاء الرابطة . وكتب مقالات بحثيةً حول الأدب الإسلامي ومعانيه ومفاهيمه ودوره البناء في بناء شخصية الجيل الناشئ ، ونشرت في الصحيفة العربية التي كانت ناطقةً باسم الجمعية . ثم جُمعت تلك المقالات القيمة في كتاب سُمي باسم " أضواء على الأدب الإسلامي " . وفي إحدى مقالاته يوضح الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي مفهوم الأدب الإسلامي قائلاً : " فنحن عندما نقول الأدب الإسلامي فنعني به أدباً هو دين ودنيا في وقت واحد . وذلك لأنه يتسع

* مركز الدراسات العربية والإفريقية ، جامعة جواهرلال نهرو ، نيو دلهي .

اتساع الحياة ، ويتنوع بتنوعها ، ولكن بطريقته وبمنهجه . فإن ضوءه يشع في مجالات الحياة الفردية بأنواعها المختلفة من عاطفية وفكرية ونفسية ، وفي مجالات الحياة الاجتماعية من سلوك الإنسان مع أخيه ومع جاره ومع زوجه ومع إنسان غريب وأجنبي . فنحن حينما نستخدم مصطلح الأدب الإسلامي لا نريد به تحديد الأدب بالزهد في مرافق الحياة ، أو إلزام الأدب بالانكماش والانزواء في ركن خاص من أركان الحياة ، بل إنما نريد به السمة الإسلامية النزيهة في الأدب " [١] .

ومن مصادر الأدب الإسلامي هو القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وحياة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والأفكار الإسلامية النزيهة التي تساعد على تكوين شخصية إنسان على منهج إنساني صحيح . يشير الشيخ الندوي إلى بداية الأدب الإسلامي قائلاً : " لقد بدأ الأدب الإسلامي منذ أن بدأت نفوس الناس تتأثر بالبيان القرآني المعجز وتستفيد منه ، ثم أخذ الأدب الإسلامي زاده وقوته من كلام الرسول عليه السلام وتأثر بسيرته الإنسانية الطيبة ، ثم نال مدداً من قرائح أصحابه الذين وهبهم الله خصائص وميزات أدبية بارعة ، فهؤلاء كانوا الرعيل الأول للأدب الإسلامي " [٢] .

وأما تاريخ الأدب الإسلامي فهو عريق ، والأدب الإسلامي وُجد في لغات عديدة من اللغات التي ينطق بها السكان في دول مختلفة من العالم . " إن تاريخ الأدب الإسلامي طويل ومتنوع بمناهجه وأنواعه ، وهو ليس قاصراً في لغة واحدة ولا في بلد واحد ، فإن نماذجه توجد في عشرات من لغات العالم وعشرات من الأقطار والبلاد ممتداً في قرون متطاولة ، فنماذجه الرائعة توجد أولاً في اللغة العربية والفارسية والأردية والتركية ولغات أخرى يتكلم بها أهل بلاد يشكل المسلمون من بينهم أغلبية أو أقلية " [٣] .

الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذجه لصدر الإسلام : هذا الكتاب القيم يحوي موضوعات شتى من الأدب الإسلامي مثل الأدب الإسلامي وما

---

[١] أضواء على الأدب الإسلامي ، ص ١٦ – ١٧ .
[٢] نفس المصد ، ص ٨٩ .
[٣] نفس المصدر ، ص ٨٩ .

هو دوره في ترويج الثقافة الإسلامية كما يعالج مدى صلة الإسلام بالأدب وصلة الأدب الإسلامي بالحياة بغاية من البحث والتحقيق . وفي رأي المؤلف ، التاريخ والسيرة والقصة والرسالة والخطبة والحوار والوصف والتصوير والتعبير المؤثر الجميل يُعتبر من الأدب الإسلامي [1] .

إنما هذا الكتاب يعالج دراسةً مقارنةً للأدب المخضرم بين العهدين – العهد الجاهلي والعهد الإسلامي ، ويناقش الشيخ الندوي بدلائل قاطعة أن الأدب في العهد الإسلامي لم يكن أضعف وأقل قيمة من العهد الجاهلي . كما يركز على أدب الرسول صلى الله عليه وسلم وأدب الصحابة رضي الله عنهم بما فيه نثر وشعر وخصائص الشعر وميزاته بين العهد الجاهلي والإسلامي [2] . ومقدمة الكتاب بقلم الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي يزيد قيمةً وأهميةً ، فمعبراً عن رأيه في هذا التأليف يلمح الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي قائلاً : " وقد بحث فيه صلة الأدب بالإسلام بصفة خاصة . وقد شرح جوانب هذا البحث في توسع وإيجاز ، وبين ميزة الأدب الإسلامي بين الآداب العالمية وسعته ، وعني باهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم أجمعين بالأدب والشعر بصفة خاصةً ، وعرض نماذج رائعةً وقطعاً بيانيةً خالدةً من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ورفع اللثام عن خصائص الأدب النبوي الكريم وما يمتاز به من الشعور الرقيق والعاطفة الفياضة والأسلوب الجزل والمنهج التربوي الحكيم . ثم تعرض لأدب الصحابة رضي الله عنهم وأشار إلى جوانبه البلاغية والنفسية والدعوية ، وبكل ذلك جاء هذا الكتاب على وجازته غنياً بالمواد البلاغية التاريخية دافقاً بالحيوية والقوة والرشاقة " [3] . هذا الكتاب دليل قاطع على شغف المؤلف بالأدب العربي الإسلامي وذوقه الأدبي السليم ، كما هو هدية قيمة لطلاب اللغة العربية وآدابها وهو متداول في المقررات الدراسية لكثير من المدارس العربية الإسلامية التابعة لدار العلوم بندوة العلماء وغيرها من المدارس العربية الإسلامية في الهند .

---

[1] الأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، ص ١٣ .

[2] مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ، د . أشفاق أحمد ، ص 121 .

[3] مقدمة الكتاب ، ص ٧ – ٨ .

الأدب العربي بين عرض ونقد : دراسة وتحليل

د . محمد إدريس الندوي *

لقد كان الشيخ السيد محمد الرابع الندوي في طليعة الجيل السعيد الذي تخرج على يدي سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي وفي الرعيل الأول من تلامذته الذين قاموا بإعداد أنفسهم لحمل أعباء الدعوة إلى الإسلام ونشر الصحوة الدينية والنهوض بالأدب العربي وتطويره في شبه القارة الهندية ، فكان الشيخ يقتفي أثره ، وينتهج منهجه وينجز أعماله ومشاريعه ويكمل ما بدأه من أعمال ومناشط في حقل التعليم والتربية ، وكان سماحة الشيخ يعقد به الآمال والأحلام ويثق به كل الثقة ويسند إليه أهم المهمات وأجل الخدمات ، وحقاً قام الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله بتحقيق الأهداف الرفيعة والقيام بالمسؤليات الجسام التي ألقيت على عاتقه ولا سيما في مجال إعداد المقرر الدراسي للأدب العربي للمدارس الهندية ، ومن أبرز أعماله في هذاالمجال المهم القيم النافع الذي حاولت في هذه المقالة البسيطة دراسته والكشف عن مزاياه ومحاسنه وهو كتاب " الأدب العربي بين عرض ونقد " . تناولته بتحليل ما اشتمل عليه الكتاب بغاية من الإيجاز ، فالكتاب يحتوي على ٢٥١ صفحة ، وهو في الواقع مجموعة من الدروس والمحاضرات التي ألقاها على تلامذته في دار العلوم بلكناؤ في الهند ، وطُبع بشكل الكتاب من : مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء ، لكهنؤ – الهند . وصدرت طبعته الأولى : سنة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م . ولا يزال منذ ذلك الوقت حتى الآن داخلاً في المقررات الدراسية في دار العلوم التابعة لندوة العلماء والمدارس الأخرى في شبه القارة الهندية من الهند وما يجاورها من البلدان : باكستان وبنجلاديش وبعض الدول الأفريقية كذلك .

موضوع الكتاب : عنوان أي كتاب يكون خير دليل على التعريف بموضوع الكتاب ، فالعنوان الرئيسي المركزي الذي يدور حوله الكتاب هو استعراض تاريخ الأدب العربي منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث . ويتحلى الكتاب بمقدمة الشيخ أبي الحسن علي الندوي رحمه الله ثم كلمة المؤلف ، وقسم المؤلف الكتاب إلى الفصول ، وهي حقيقة الأدب ،

* الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية ، بجامعة لكناؤ .

النقد والتحليل ، النماذج وقيمتها الأدبية ، وهذا الفصل الأخير يتناول الأدب حسب العصور : الأدب الجاهلي ، عصر الأدب الإسلامي الأول ، عهد المدنية والحضارة . النهضة الحديثة . وهنا كلمة تعريف بالكتاب قبل مقدمة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله فيما ذكره الكاتب العربي المعروف الأستاذ أحمد الجندي : " إن هذا الكتاب على صغر حجمه يعتبر خدمة جليلة لطلاب الأدب العربي في بلد غير عربي ، وخلاصة مفيدة لأدبنا ، وهو يستحق لهذا كل تقدير وإعجاب " [١] . تحدث سماحة الأستاذ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله في هذا الكتاب المتوسط الحجم ، والكبير القيمة عن كلمة الأدب لغة واصطلاحاً ، ثم تدرج في التفصيل عن كلمة " الأدب " التي قد مرت بمراحل وأطوار مختلفة عبر العصور .

وهذه حقيقة أن كلمة الأدب نشأت و تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية ، وتوسع نطاقها حسب مرور الزمان ، إذ وردت كلمة الأدب أولاً بمعنى الدعوة إلى الطعام في العصر الجاهلي ، وقد جاء ذلك على لسان طرفة بن العبد :

نحن في المشتاة ندعو الجفلى   لا ترى الآدِبَ منّا ينتقر [٢]

أي الدعوة العامة إلى الوليمة أو المأدبة ، والآدِب في البيت هو الداعي . ثم استعملت كلمة الأدب في عصر صدر الإسلام بمعنى التعليم والتربية ، والخلق الحسن كذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : " إن الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي " ، وهو قول ينمّ عن دلالة تعليمية ، وقول النبي عليه الصلاة والسلام في حديث ابن مسعود : " إنّ القرآن مأدبة الله في الأرض " ، وورد الشعر لكعب بن سعد في رثاء أخيه في الأخلاق العالية :

حبيب إلى الزوار غشيان بيته   جميل المحيا شب وهو أديب [٣]

أي أنه ذو أخلاق عالية لا ينطق بفاحش القول . أما العهد الأموي فظهر فيه مصطلح " المُؤَدِّب " ، بمعنى المربِّي أو المعلم ، فقد كان خلفاءُ وأمراءُ بني أمية يختارون مؤدباً لتعليم أبنائهم وتثقيفهم ، وتلقينهم كل العلوم والمعارف المعروفة يومئذ ، أما العصر العباسي فأطلقت كلمة الأدب على الكلام الجيد من المنظوم و المنثور ، يدل بيت مشهور لأبي الطيب

---

[١] من مقدمة " الأدب العربي بين عرض ونقد " ، للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، ص ٤ .

[٢] ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق : عبد الرحمان المصطاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٣م ، ص ٥١ .

[٣] خزانة الأدب ، البغدادي ، ج ١٠ ، ص ٤٦٢ .

المتنبي على معنى الإنتاج الشعري ، والبراعة اللغوية ، فقال :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي   وأسمعت كلماتي من به صمم [١]

أما في عصر النهضة فتدلّ لفظة الأدب على الكلام الحسن سواءً كانٍ من الشعر أم من النثر الذي يُثير شعور القارئ ويؤثر في نفسه أثراً بالغاً . وهذا ما ذكره المؤلف في الكتاب بكل اختصار ، ثم أسهب المؤلف الكلام في بيان قسمي الأدب الرئيسين : الشعر والنثر ؛ والشعر ينقسم إلى غنائي وقصصي أو إلى وجداني وتمثيلي وملحمي وتعليمي ، أمّا النثر فقسمه إلى علمي وأدبي ، والنثر العلمي يشتمل على المقالة والتاريخ والسيرة والمناظرة والبحث والتحقيق ، والنثر الأدبي يتوزع إلى الوصف والرواية والقصة والرسالة والخطابة والخاطرة وما أشبه ذلك . وأفاض الكلام في وصف الأصناف الأدبية من النثر الإنشائي والتوصيفي وما يتصل به من الأسلوب الأدبي مع عناصره الأربعة ، وهي العاطفة والفكرة والخيال والصورة اللفظية ، ثم تطرق في شرح دراسة النصوص الأدبية ، وطرق معالجتها ومراجعتها وتفهيم مواضع الجمال والدقة والفن والروعة والبلاغة والفصاحة . وقدم نماذج من النظم والنثر لأشهر الأدباء والكتاب والشعراء الذين نبغوا في مختلف العهود : الجاهلي ، وصدر الإسلام ، والأموي ، والعباسي ، وعصر الانحطاط ، والعثماني ، والعصر الحديث . وقام بشرح الأبيات والقصائد والنصوص النثرية مع التركيز على إبراز مواضع الفن ومواطن الحسن والجمال ، كما ألقى الضوء على أسلوب القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأفاض الكلام في عصر النهضة الذي توسع فيه النظم والنثر بالأشكال الجديدة المتنوعة من القصة والرواية والحكاية والمسرحية والصحافة والمقالة .

والحقيقة أن هذا الكتاب – كما كتبه الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله – يسد حاجةً وفراغاً في مكتبة تدريس اللغة العربية والأدب العربي في الهند . الفراغ الذي ظل باقياً بعد ما ألفت مجموعات ومختارات للقطع الأدبية الرائعة ، والتي نالت إعجاب رجال التعليم وأصحاب الذوق السليم في بعض البلاد العربية ، وهذا كتاب يجمع بين النصوص الأدبية وبين لمحة من تاريخ الأدب العربي ، وما مرَّ به من أدوار وأطوار ، وما واجهه من نزعات وتيارات وأحداث وعوامل ، تسبغ عليه لوناً جديداً ، وتجعل القارئ على بصيرة من أمر هذا الأدب

[١] " الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني " للمؤلف د . سعود الجبا .

الذي لم يزل يمر بأدوار من الطفولة والشباب والكهولة ، والآفات والعلل والمؤثرات الخارجية من الصحيح والسقيم ، والصالح والطالح ، والطبيعي والمصنوع من الأجواء التي كانت تكتنفه والحوادث التي تقع حوله ، والقوى والطاقات التي تؤثر فيه كما هو حال كل كائن حي ، ويخضع لها في قليل أو كثير كل إنسان واع ، مرهف الحس ، رقيق الشعور [1] .

والكتاب وسط بين العرض والنقد والجمع والتاريخ ، وهي الحلقة الأخيرة في سلسلة تدريس الأدب العربي ، والحلقة الأولى في سلسلة تدريس النقد الأدبي ، وعلى هذا الأساس يقدر عمل المؤلف فينظر إليه ويحكم عليه على أنه أول كتاب يوضع لشباب لم يعرفوا من الأدب العربي إلا مجموعات ومختارات في النثر والشعر ، ومعلومات بسيطة بدائية عن تاريخ الأدب العربي ونقده ، وسيعملون إذا وفقوا في حقول التعليم وفي مجال الأدب والثقافة والتأليف في شبه القارة الهندية .

أسلوبه : أما أسلوبه فاختار المؤلف رحمه الله أسلوباً علمياً ، لأن موضوع الكتاب كان يقتضي من صاحبه أن يتوخى هذا الأسلوب العلمي الذي لا تظهر فيه شخصية الكاتب ، فحاول تقديم معلومات تاريخية مع نماذج أدبية من النظم والنثر موثقة بالبيانات ، وذلك بكلمات سهلة بسيطة ، سائغة لأذهان الطلاب ومستواهم . ومغزى القول أن المؤلف قد اتخذ في الكتاب موضوع تاريخ الأدب العربي ، فأبرز تلك الخصائص والسمات الأدبية التي مر بها الأدب العربي عبر العصور من الجاهلية إلى عصر النهضة ، وأبان الموضوع وأوضحه عن طريق تقديم النماذج النثرية والشعرية مع ذكر نبذة من حياة أصحابها ، وقدمها أمام الطلاب بأسلوب بسيط وسهل حسب ما تقتضيه المقررات الدراسية ، ولا يقدر قيمة العمل الذي قام به الشيخ إلا من كان مطلعاً على تلك الأعمال الأدبية المفصلة التي ظهرت في العالم العربي عن تاريخ الأدب العربي ونقده والتي تحتوي على مجلدات ضخام وأسفار طوال ، ثم أنعم النظر في هذا الكتاب ، ورأى كيف أن المؤلف قام بتهذيب المباحث المتنوعة المسهبة وتلخيص المواد الطويلة الذيل المختلفة الأغراض ، فقد حالفه التوفيق ورافقه المدد الإلهي في تقديم خلاصة تاريخ الأدب العربي الممتد على أدوار مختلفة وأطوار متنوعة مع الإشارة إلى حقيقة النقد الأدبي والإلمام بركائزه وأركانه وشرائطه ، وتقديم بعض النماذج الرائعة في هذا المجال .

---

[1] مقدمة الكتاب ، ص ٦ .

الغزل الأردي محاوره ومكانته في الشعر : دراسة تحليلية

د . قمر شعبان الندوي *

لقد صدر عدد من البحوث والدراسات عن الغزل الأردي باللغة الأردية ؛ والغزل الأردي مادة محببة جداً لدى معلمي اللغة الأردية ، وطلابها؛ فإنهم طالما يعالجون في كتاباتهم جمال الغزل الأردي ، وروعته ، وتاريخه، وسماته الفنية ، وأشكاله ، ونماذجه ، والأشياء الأخرى الكثيرة التي لا حصر لها . فإن ثمة آلاف المقالات ومآت الكتب التي تم تأليفها عن الغزل الأردي باللغة الأردية . حاول البعض ربطه بالشعر الفارسي ، ولدى البعض : جذوره ممتدة إلى الغزل العربي العذري والغزل العربي الإباحي في العصر الأموي . ولدى البعض : الغزل جنس أدبي شبه وحشي ، والبعض الآخر يعرِّف به بأنه عز وكرامة لجنس الشعر . لقد أجريت أبحاث علمية جامعية في الماجستير ، والماجستير ما قبل الدكتوراة ، والدكتوراة ، وما بعد الدكتوراة حول الشعراء الأرديين من أمثال : مير تقي مير ، ومير درد ، ومؤمن خان مؤمن ، وأسد الله خان غالب ، وإبراهيم ذوق ، وجكر مرادآبادي ، وساغر خيامي ، وجوش المليح آبادي ، والعلامة محمد إقبال ، وكليم عاجز وغيرهم من الشعراء الأرديين الآخرين . ولكن كل هذه الأعمال أعدت إما باللغة الأردية أو باللغتين الإنكليزية والهندية . اللهم إلا ثمة كُتَّابٌ ومؤلفون تناولوا أعمال بعض الشعراء والأدباء الأرديين بالنقد والتحليل في اللغة العربية أيضاً ، ولكن عددهم قليل ، كما وقد نقلت بعض الأعمال الأدبية الأردية من الشعر ، والرواية ، والقصة ، والقصة القصيرة إلى اللغة العربية التي نالت إعجاب المعنيين باللغة العربية والأدب العربي في الجامعات والمؤسسات التعليمية في الوطن العربي . ومن أجدرها بالذكر الترجمة العربية المنظومة لشعر محمد إقبال ، وترجمة بعض

* أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة بنارس الهندوسية ، فارانسي ، الهند .Email: q.shaban٨٢@gmail.com

الروايات والقصص . لقد أجريت بحوث علمية أيضاً في بعض جامعات العالم العربي ، حيث توجد أقسام اللغة الأردية . ولكن مع الاعتراف بهذه الحقيقة أن جذور الغزل الأردي متجذرة في الشعر الفارسي أو الشعر العربي، لقد أصبح الغزل الأردي اليوم ذا مكانة أدبية وقيمة شعرية مستقلة في الأوساط الأدبية العالمية ما جعل العديد من الشعراء الغزليين الأرديين يتبوأون مكانةً عاليةً في قائمة كبار شعراء الأدب العالمي .

ونظراً لهذه الأهمية الأدبية العالمية للغزل الأردي ، كان من الضروري أن يعالجه أحد يتقن اللغة العربية والأردية والفارسية بالدراسة والتحليل باللغة العربية ، ويقدم مميزاته ومستوى شموله ، وتاريخه ، ومراحل تطوره ، وترجمات نماذجه أمام العرب ؛ لما أن اللغة العربية هي واحدة من أقدم اللغات العالمية الحية في العالم ، والتي تتمتع أيضاً بمكانة إحدى اللغات الرسمية للأمم المتحدة . ولهذه المهمة العلمية والأدبية ربما لم يكن كاتب أفضل وأكثر ملاءمةً من الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله تعالى – ، فإنه إلى جانب تضلعه من آداب هذه اللغات الثلاث ، نشأ وتربى على أحضان خبراء هذه اللغات وآدابها ، وتلقى دراساته كلها في بيئة العلم والأدب والفكر بدارالعلوم ندوة العلماء ، لكناؤ . فإن جده للأم الشيخ عبد الحي الحسني هو مؤلف الثقافة الإسلامية في الهند ، ونزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام) ، وكل رعنا . وخاله الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي – رحمه الله – الذي هو مربيه الأصيل أيضاً ، هو مؤلف الكتب العلمية والفكرية والأدبية والتاريخية الكثيرة ذات الشهرة العالمية ، وخالته أمة الله تسنيم هي أيضاً شاعرة محنكة ، وعالمة ذي ذوق أدبي رفيع . وأعضاء أسرته الآخرون من كبار العلماء والكتاب وأصحاب الفضل والورع والتقى ، الذين لهم جولات وصولات في اللغة والأدب والشعر والحكمة والتأليف والتفسير والترجمة .

لقد تناول الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي هذا الموضوع بعد تجارب ناجحة في الكتابة والتأليف والترجمة في جوانب مختلفة من اللغة والأدب والنقد والتاريخ والسيرة والجغرافيا والدراسات القرآنية والفقه الإسلامي . وكتابه " الغزل الأردي : محاوره ومكانته في الشعر " هذا ، أصلاً ، مجموعة مقالات أصدرتها جريدة " الرائد " الصادرة في دارالعلوم

ندوة العلماء لكناؤ منجمة في عمودها الخاص بالأدب ، ثم أصدرها مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية لكناؤ بهذا العنوان عام ٢٠٠٦م ، وهذه هي الطبعة الأولى .

الغزل الأردي : محاوره ومكانته في الشعر :

هذا الكتاب حلقة من سلسلة منشورات رابطة الأدب الإسلامي . وهو يقع في ١٣٥ صفحة ، قبل مناقشة المحتويات يقدم الكتاب عرضاً موجزاً لتاريخ الغزلين العربي والفارسي ، وطابعهما الأدبي وأهميتهما وعناصرهما وتميزهما وقوتهما العاطفية وتأثيرهما الفني والتقني في الشعر الأردي مع تسليط الضوء على الخلافات النظرية . وأما مقدمته فهي من قلم الكاتب الألمعي ، والصحافي الهندي – العربي الكبير الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي – رحمه الله – ، تحدث فيها الكاتب عن جوانب مختلفة للغزل العربي وعناصره مستدلاً بشعر البحتري وجعفر بن علبة وأبي تمام وأبي العطاء السندي والمتنبي ، وقدم الترجمة العربية لبعض شعر العلامة محمد إقبال مع توضيح الأبعاد المختلفة ومظاهر الغزل الأردي في ضوء " مقدمه شعر وشاعري " للكاتب والأديب الأردي الكبير ألطاف حسين حالي ، والتي توضح الاختلاف الدلالي والمنطقي بين الغزل العربي والغزل الأردي .

تتكون محتويات الكتاب من ستة محاور رئيسية ؛ بادئ ذي بدء ، حاول المؤلف اكتشاف بدايات الشعر في اللغتين العربية والفارسية ومعاني الغزل ، وظواهره ، وتأثيره في المجتمع بإيجاز مقنع ، مبيِّناً دوره في التعبير عن الآلام والأفراح ، والميول الطبيعية ، والمشاعر ، والقرائح في ضوء شعر امرئ القيس وطرفة بن العبد ، والصمة بن عبد الله وجميل بن معمر ، مفسراً مصطلحين غزليين في الشعر العربي ، ألا وهما : النسيب والتشبيب. إضافة إلى إلقاء الضوء على الاختلافات الدلالية والتفسيرية للغزل الأردي والغزل العربي ، بذل المؤلف قصارى جهده في هذا التمهيد لتعريف القارئ الناطق بالعربية بتاريخ الغزل الأردي وتقنياته . وما حدث من اتساع في معاني الغزل الأردي والفارسي ، ووجود عناصر التزكية والروحانية ، لقد استدل لذلك بشعر خواجة فريد الدين عطار ، وجلال الدين الرومي ، وشمس تبريز ، وأمير خسرو ، وخواجة حافظ ، وحكيم سنائي ، والشيخ سعدي،

والشيرازي وغيرهم من الشعراء . ومن الناحية الفنية ، لقد ذكر الحد الأدنى والحد الأقصى لعدد الأبيات ، والبحور والقوافي والردائف ، والمطالع، والمقاطع ، واللقب الشعري الذي يقال له في الأردية " تخلص " . وقد أوضح المؤلف أن اللقب الشعري هذا هو ميزة الشعر الأردي ، ولا يوجد له تصور في الغزل العربي . كما وقد تمت مناقشة عناصر الغزل الأردي وأنواعه مع الإشارة إلى أهمية المصطلحات البلاغية المختلفة من أمثال : التشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، ونقل بعض أبيات سعدي وخسرو والشيرازي وجامي وفغاني إلى العربية . مما تتضح معاني الغزل الفارسي ، ويتبلور الفرق بين غزل اللغات ؛ العربية والفارسية والأردية .

وبعد هذا الجزء التمهيدي ، سلط الضوء على التاريخ المبكر للغزل الأردي ، وتأثير الغزل الفارسي فيه ، والمواضيع المختلفة للغزل الأردي ، وأسلوبه وأهميته في الشعر الأردي ، معالجاً مميزات مدارس أدبية لدكن ، ولكناؤ ، ودلهي ، والسمات الفنية ، والطبيعية ، والذوق ، ودقة التعبير لها ؛ مستدلاً بشعر محمد قلي قطب شاه ، والسلطان محمد قطب شاه ، ومولانا نصرتي ، وشمس الدين ولي ، وسراج الدين سراج ، والميرزا مظهر جان جانان ، ومير تقي مير ، ومير سودة ، ومير درد ، وإنشاء ، والمصحفي ، وناسخ ، وآتش ، وأمير مينائي ، وغالب ، وذوق ، ومؤمن ، وبهادر شاه ظفر ، وحالي ، وإقبال ، وجكر ، وشبلي ، وأكبر ، الذين هم يمثلون هذه المدارس الأدبية والشعرية .

والمحور الرئيسي الثالث للكتاب ، هو تأثير الغزل الأردي في مختلف مجالات الحياة البشرية . وانعكاس العواطف والمشاعر الإنسانية ، واستخدام الاستعارات والكنايات ، وذكر الخمر والخمارة ، والساقي ، ووصف القرائح والآلام النفسية للحبيب والمحبوب ، وذكر الزهور والعطور والبخور ، والحدائق والربيع ، والفراق واللقاء ، واليأس والقنوت ، والنصائح والعظات ، والمواضيع الأخرى التي يتضمنها الغزل الأري في نطاقه الواسع ، وقد قدم خلاله ترجمات عربية لبعض نماذج شعرية تبرهن الموضوع من شعر غالب ، والميرزا مظهر جان جانان . والترجمات العربية لشعر مير تقي مير ، ومير درد ، وإنعام الله خان ، ويقين ، ومؤمن ، وأمير الله تسليم ، وأكبر الله أبادي في هذا السياق تدلي دلوها في تحليل

الموضوع ، وتأكيد المفهوم .

ومن أجل شرح التطور التاريخي للغزل الأردي بالتفصيل ، ذكر المؤلف موجز سيرة الشعراء : سراج الدين سراج ، والميرزا مظهر جانان ، وسودة ، ودرد ، ومير ، وذوق ، وظفر ، ومؤمن ، وغالب مع تقديم ترجمة قصائدهم المختارة ، ما به تزداد الأهمية التاريخية والأدبية للكتاب . ويتجلى تاريخ الغزل الأردي بشكل أوضح أمام العرب ، كما يتبلور به الذوق الأدبي والشعري للمؤلف .

في عام ١٨٥٧م ، تأسست الحكومة البريطانية بشكل مستقل في الهند ، وهذه الفترة في تاريخ الهند هي فترة الثورات والتقلبات . يتدحرج به تاريخ الحكام المسلمين إلى الانهيار ، وبدأ يتغير أسلوب حياة الشعراء والصحفيين والكتاب وسكان المجتمعات الهندية ، والعلماء تغيراً مدهشاً ، وتعتور النظريات والأيديولوجيات بالدوال والتقلب ، وتبحث الأفكار عن زوايا جديدة ومفاهيم مستحدثة . والغزل الأردي الذي بات جنساً أدبياً قوياً ومؤثراً حتى ذلك الحين ، بدأ يؤدي دوراً مهماً في تصوير الظروف السياسية والاجتماعية والتربوية السائدة في البلد ، وفي مثل هذه الأوضاع جعل يتسع النطاق الدلالي والتفسيري للغزل الأردي بشكل واضح . تنفتح أمامه آفاق فكرية وأبعاد دلالية جديدة ، جعلت الشعراء يعالجون اضطهاد الاستعمار الأوربي في غزلهم ، لقد حاول المؤلف إبراز هذا الجانب للغزل الأردي في كتابه بشكل شامل . عالج المؤلف ما يوجد في شعر ألطاف حسين حالي ، وشبلي النعماني ، والعلامة محمد إقبال من يأس وقنوت وآمال وذكر لعظمة الأمة المفقودة ، متناولاً أسبابه وعوامله بالذكر ، وفي هذا السياق ، قام بتقديم ترجمات عربية لبعض نماذج شعر حالي وشبلي وأكبر وإقبال .

والمحور الأخير للكتاب يتمركز حول تأثير العصر الحديث وتقلباته في الغزل الأردي ؛ بعدما استقلت البلاد من براثن الاستعمار البريطاني عام ١٩٤٧م ، شهدت سفك الدماء ، والقتال ، والدمار ، والتحطيم ، وشهدت مشهداً حزيناً للتقسيم ، وشهدت أعمال شغب طائفية ، وبدأ يتزحزح كيان المسلمين . لقد أنجبت هذه الظروف القاسية الحرجة شعراء أرديين ، جعلوا الغزل شعراً ثورياً ، فالشاعر فيض أحمد فيض زلزل قصور الطغاة من

الحكام بشعره مرات وكرات ، وشعر جوش المليح آبادي أطار نوم المسؤولين الحكوميين ، وكذلك الشعراء الأرديون الآخرون من أمثال : حسرت موهاني، وفراق ، ومجاز ، ونشور واحدي ، وجكر ، وكليم عاجز ، هؤلاء هم الشعراء الذين فتحوا أمام الغزل في هذا العصر دروباً جديدة للنمو والتطور . لم يعد الغزل فيه مجرد شعر لذكر الحبيب والمحبوب ، وذكر الخمر والخمارة ، وذكر جمال الحسان والخرائد . بل تجسر وتجرأ على مكافحة الطغاة الغاشمين . وتمكن من التعبير عن ماجريات العالم .

احترقت المنطقة التي كان ينتمي إليها الشاعر الأردي كليم عاجز ، وتلظت عائلته كلها في نيران الاضطرابات الطائفية ، فعندما صوَّر كليم عاجز لفحات نارها ، وسفك دمائها في غزله الأردي الرقيق ، تلألأ هذا الغزل على بهجة وشموخ وبهاء يخلد ذكراه ، ويؤصل جذوره إلى أعماق الأساليب الشعرية والتعبيرية والفنية النادرة التي لم يسبق لها نظير . لقد أنهى المؤلف كتابه بنبذة عن حياة هذا الشاعر الغزلي الفذ ، وترجمة نماذج بعض شعره في الموضوع .

الخاتمة :

كتاب الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي " الغزل الأردي : محاوره ومكانته في الشعر " كتاب جامع ومبرهن لتعريف العرب بالغزل الأردي ، بقراءته يتسنى للقارئ العربي بسهولة الاطلاع على الفروق الدلالية والصورية والتعبيرية للشعر العربي والفارسي والأردي ، إضافةً إلى اطلاعه على النماذج الغزلية الرفيعة للغزل ، وأصحابه ، وميولهم الطبيعية والنفسية والفكرية ، انطلاقاً من تاريخه المبكر ، ومروراً بعصر الاستعمار حتى العصر الحديث . لو كان الكتاب أكثر تفصيلاً من حيث موضوعه لكان أكثر نفعاً . وكذلك ، لو كان المؤلف عالج الغزل الأردي في كتابه معالجةً نقديةً لازدادت قيمة الكتاب الأدبية والفنية .

ومع ذلك ، على الرغم من الإيجاز ؛ شمولية الكتاب ، ومناقشات المؤلف المنطقية جميع جوانب الموضوع ، والترجمات العربية الرائعة للشعر الفارسي ، والأردي تكشف للقارئ الذوق الأدبي للمؤلف ، ودراسته العميقة والمكثفة للأدب العربي والفارسي والإنجليزي والأردي . وهكذا ، هذا الكتاب هدية عظيمة لتعريف العرب بالغزل الأردي .

منثورات من أدب العرب : منهجه ومزاياه

بقلم : الأخ الأستاذ محمد مكرم بن معظم الندوي *

يُعدُّ سماحة الشيخ السيد الشريف محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله – من كوكبة الأدباء الذين ساهموا في النهضة الأدبية ، والنقد الأدبي في شبه القارة الهندية ، كان من قلائل الأدباء الذين جمعوا بين العلم والأدب ، وبين القديم الصالح والجديد النافع ، والدعوة إلى الإسلام من جديد ، والذين تميزوا بالرسوخ في العلم والعمل والمعرفة الدقيقة للشريعة الإسلامية السمحة ، عاش في ظلال العلم والأدب ، يستقي من مناهل الأدب الصافية ، كان رائداً من رُوَّاد الأدب الإسلامي ، ورئيساً لرابطة الأدب الإسلامية العالمية ، وكان أحد أعلامه البارزين الذين نذروا حياتهم لنصرة الإسلام ، وخدمة الدين الحنيف ، وكان من أولئك الفتية الذين قاموا بالدفاع عن الإسلام بكتاباته القوية المؤمنة في القرن المنصرم ، والذين لهم دور بارز في مقاومة الغزوالفكري ، وصدِّ التيار الغربي ، والمادي البحت .

كان – رحمه الله – أديباً إسلامياً ، ومفكراً كبيراً ، وصحافياً بارعاً ، وكاتباً إسلامياً ، ألف كتباً قيمةً في اللغتين : الأردية والعربية في شتى المجالات : العلمية ، والأدبية ، والفكرية ، وألف كتاباً على جزيرة العرب جغرافياً ، وثقافياً ، نال القبول ، وبيَّن جوانب مشرقةً للأدب في كتاباته ومقالاته ، وقد أوتي من التذوُّق الأدبي الرفيع ، وخير دليل على ذلك عشرات كتبه ومقالاته ورسائله التي تنصبغ بالصبغة الدينية ، وعرض الفكرة الإسلامية النقية .

تعريف بالكتاب :

إن مرحلة الطفولة من أهم مراحل الحياة في الإنسان ، ومن ثم تزويدُ الطفل بالأفكار الإسلامية البنَّاءة ، وغرسُ القيم الإنسانية ، وتكوينُ العواطف والأحاسيس الهادئة من أهم مسؤوليات الأديب

* حفيد الأستاذ الأديب نذر الحفيظ الندوي ، عميد كلية العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء سابقاً ، نزيل حيدرآباد (الهند) .

الإسلامي ، وأدب الأطفال له ثلاثة جوانب مهمة تسترعي انتباه الأديب ، الأول : أدب التعليم الذي يستخدم فيها حسن البيان ، وبراعة الأسلوب بالعناية بالدراسة والتعليم ، والثاني : أدب الثقافة الذي يعتنى فيه بسرد الروايات والقصص والأناشيد ، والثالث : أدب التربية الذي يتوخى الأديب من خلاله الأخلاق ، والقيم الإنسانية ، في أسلوب بسيط نزيه ، يسترعي انتباه القارئ ، وكما قال الأستاذ : " إن هذا الأدب – أدب الإصلاح والتربية – أدب واقعي بنَّاء ، يسعى لتكوين الأفكار ، والأذهان في ضوء الإسلام ، ويغرس في قلوب الأطفال حبَّ الإسلام ، ويمثِّل الحضارة الإسلامية بأوسع معانيها .

وكتابه " منثورات من أدب العرب " من أهم كتبه التي نالت قبولاً واسعاً في الأوساط العلمية والجامعية ، وهو حلقة من سلسلة الكتب الأدبية التي تسدُّ عوزاً كبيراً في مجال الأدب العربي ، وخاصةً في أدب الأطفال ، والناشئة ، لقد ظل الأدب حقبةً من الزمن تحت رعاية الأدباء والكُتّاب الذين لا ينظرون إلى الأدب إلا من جهة الصناعة اللفظية ، ولا يحصد زرعَ إعجابهم من الأدب إلا رسمه ، ولفظه ، ولا يعتبرونه إلا أداة تسلية ، وآلة طرب ، ضاربين كتب السنة ، والسيرة ، والتاريخ الإسلامي ، والمكتبات الإسلامية الخصبة عُرض الحائط على الجدار ، ونسوا أو تناسوا أن الأدب الإسلامي يقتبس فرائده ودُرره من الكتاب والسنة والتاريخ الاسلامي ، ويستضيئ بأنوارها الساطعة ، ويُعطي الكتَّاب والأدباء أفضلَ وأحسنَ ما عندهم من الآداب ، ويسدُّ في نفس الوقت حاجات الأدباء .

أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي

يقول سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي في تقديمه لهذا الكتاب : " لم تكن لهذه المدارس – لو فهمت معنى اللغة والأدب فهماً صحيحاً – إلا أن تعصر من هذه المكتبة الخصبة قطراتٍ تستعين بها في تدريس اللغة ، والأدب وإنشاء ملكة البيان ، وقد كانت هذه المكتبة السخية تستطيع – بقليل من الجهد ، وبقليل من الذوق – أن تُعطي هذه المدارس ومناهج التعليم كتباً أدبيةً بكثير من الكتب والمنتخبات التي وقع عليها الاختيار في القرن الماضي أفضلَ منها في الناحية الأدبية والفنية ،

وفي الناحية الخلقية والدينية " . (تقديم الكتاب ، ص ٧) .

فجاء الكتاب بأحسن صورة ، وأبهى شكل وفقاً للفكرة التي تبنَّتها ندوة العلماء من أول يوم ، مقتبساً كنوز الكتاب والسنة ، والتاريخ الإسلامي ، ومشتملاً على القطع الأدبية النابضة من كبار كُتَّاب اللغة العربية ، ونماذج رائعة من كبار الشعراء ، كما هو يمتزج بالروح الإسلامية ، والمبادئ السامية التي رمى إليها الكاتب من خلال كتابه .

إن هذا الكتاب رغم قلة حجمه يصوّر لنا نماذج رائعةً من الأدب العربي ، كما هو يُزوِّد الأطفال والصغار في نفس الوقت بمعارف إسلامية رشيدة صافية ، مراعياً لعقليتهم ، وأذهانهم ، ومقدراتهم العلمية ، واختيارُ القطع الأدبية ورصفُها إنما ينمُّ عن الجهد الجهيد والعناء البالغ اللّذين لقيهما الكاتب في سبيل ذلك ؛ لأن الكتب الأدبية المعروفة إنما تشتمل على قصص غرامية ، وروايات وأخبار لا تمتُّ إلى الإسلام بأي صلة ، ولا تنفع الطالب من الناحية الخلقية ، والقيمة الإنسانية النبيلة .

منهجه في هذا الكتاب :

إن هذا الكتاب حلقة من سلسلة كتب اللغة العربية التي تكلَّفتْ ندوة العلماء بوضعها ، وترتيبها ، وفقاً لعقلية الناشئة وطلبة المدارس العربية ، وقد كان كتاب " مختارات من أدب العرب " أكثر الكتب الأدبية نجاحاً ، وقبولاً في الأوساط العلمية ، وأسهم الكتابُ إسهاماً بالغاً في الثروة اللغوية ، والسمة البلاغية من جهة ، ومن الناحية التربوية ، وغرس القيم الإنسانية النبيلة من جهة ثانية ، ثم تلته كتب أدبية أخرى كحلقات من هذه السلسلة ، ككتاب " قصص النبيين " ، في خمسة أجزاء ، و " القراءة الراشدة " في ثلاثة أجزاء ، وترك الشيخ الندوي مكاناً شاغراً لكتاب يكون أسهل منه في مواده وعرض أسلوبه ، ويكون كمدخل لكتاب" مختارات " ، فأسند فضيلته هذا العمل إلى فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، وأوعزه إليه ، فقام بالأمر ، واختار من كنوز السنة ، والتاريخ الاسلامي معارف أدبيةً ، ومعالم صافيةً ، وجمعها في كتابه ، كفرائد منثورات في البحر ، أتاها الجامع ، فوضعها في مكان لائق .

وقد راعى في جميع القِطَع الأدبية :

١. أن تكون سهلة الألفاظ ، ميسورة الفهم .
٢. أن تكون القطع الأدبية إسلامية النزع ، والفكرة ، أو بعيدةً عن ضدِّها.
٣. أن تكون مفيدةً ، من أي ناحية من النواحي الأدبية ، والخلقية ، والثقافية . (انظر : كلمة الجامع ، ص ١٥) .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أنقل كلمةً لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي التي جاءت في تقديمه لهذا الكتاب ، وهي تُلقي ضوءاً على منهج المؤلف في الكتاب ، يقول الشيخ الندوي : " اقتبس (الكاتب) من كتب السيرة ، والتاريخ ، والأدب ، والدين قطعاً نابضةً ، مشرقة الدِّيباجة ، واضحة الفكرة ، إسلامية النزعة ، تُغذِّي الملكةَ الأدبية ، والعاطفةَ الدينية في وقت واحدٍ ، وتُمثِّل الأخلاقَ العربية الفاضلةَ ، والحضارةَ الإسلامية المثلى ، وقد جمع فيه المؤلف بين النثر البليغ ، والشعر الرقيق ، والأدب القديم ، والأدب الحديث ، فجاء كتابه مجموعةً جامعةً ، تغرس في قلوب الناشئة حُبَّ اللغة الكريمة التي يدرسونها ، وحُبَّ الأخلاق والأغراض التي يحملها أدبها ، وحُبَّ المجتمع الذي عاشت فيه هذه اللغة وآدابها ، ويدفعهم إلى تقليد هذه الأسباب الأدبية السهلة الطبيعية ، ويرون أن كل ذلك ميسور ، فنشأ فيهم الثقة بنفوسهم ، وبدينهم ، ولغتهم ، وقريحتهم . (ص ٧) .

التعليقات والتراجم :

لقد صدرت الطبعة الأولى من كتاب" منثورات " بدون هوامش ، تحل العويصات ، وتعلِّق على المشكلات ، ثم تناولها الأستاذ فضيلة الدكتور سعيد الأعظمي الندوي – حفظه الله – بالتعليقات القيمة ، كما ساعده في ذلك الدكتور السيد محمد لقمان الأعظمي ، فاستمر الكتاب يصدر مع هذه الهوامش الغالية ، ولما كانت هذه الهوامش خاليةً عن التراجم لأصحاب النصوص ، أخذها – الهوامش – الأستاذ آفتاب عالم الأعظمي الندوي ، فرتبها – الهوامش – في حلة جديدة ، وبيّن التراجم لأصحابها ، معتمداً على المصادر والمراجع ، وقام بسعي مشكور .

مصادر الكتاب :

وأما مصادر الكتاب ومراجعه التي استفاد منها الشيخ في كتابه ، واختار منها قطعاً أدبيةً عملاقةً فهي كثيرة ، اختلفت ألوانها ، وتنوعت رائحتها ، وطعمها ، عصَرَ المكتبات الإسلامية الخصبة ، واستعرضها من جديد ، فجَنَى ثمراتٍ يانعةً من السنة النبوية ، واعتمد فيها على الصحيحين : الجامع الصحيح للإمام البخاري ، والجامع الصحيح للإمام مسلم ، واختار من السيرة والأخبار " السيرة النبوية " ، لابن هشام (ت ٢١٨هـ) الذي كان مرجعاً مهماً في الأخبار والروايات ، وقدَّم نماذج رائعةً من كُتب أئمة اللغة العربية وعباقرتها ، يراها القارئ منثورةً ومبعثرةً في أساليب البيان المختلفة ، وأشكال منوعة للأدب تحيط بالأدب القديم والحديث في نفس الوقت ، جامعاً بين النثر البليغ والشعر الفصيح ، ففي الأدب القديم ، " الأمالي " لأبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ) ، وكتابا " رنات المثالث والمثاني " و " الأغاني لصاحبهما الأديب اللغوي أبي الفرج الأصبهاني (ت ٢٥٦هـ) ، و " كليلة ودمنة " للأديب الفيلسوف ابن المقفع (ت ٧٥٩هـ) ، و " العقد الفريد " لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) ، و " وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) ، و " صفوة الصفوة " ، للشيخ الواعظ الكبير ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، و " الإمامة والسياسة " لابن قتيبة اللغوي والنحوي الشهير (ت ٢٧٦هـ) كما هو يعكس أساليب الكُتَّاب ، وأدباء العصر الحديث ، ويصوِّر مختاراتهم من الأدب ، والتاريخ ، أمثال أمير البيان شكيب أرسلان (ص ١٢٨٦هـ) والدكتور طه حسين (ت ١٣٩٦هـ) والمؤرخ الإسلامي الكبير العلامة السيد عبد الحي الحسني (ت ١٣٤١هـ) والأستاذ أحمد أمين ، صاحب التواليف المبدعة (ت ١٣٧٣هـ) ومصطفى لطفي المنفلوطي (ت ١٣٤٢هـ) والدكتور مصطفى السباعي (ت ١٣٨٤هـ) وجرحي زيدان (ت ١٣٣٢هـ) وسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي (ت ١٤٢٠هـ) وغير واحد من الكتاب والأدباء والنقاد ، كما قدَّم لنا نماذج مختارةً من الشعر الرقيق لنوابغ الشعراء والحكماء في عصرهم .

سراجاً منيراً (سيرة خاتم النبيين)

للشيخ محمد الرابع الحسني رحمه الله

بقلم : الدكتور أبو بكر الصديق *

إن سيرة خاتم النبيين والمرسلين محمد العربي عليه الصلاة والسلام تحتل الصدارة والمكانة المتميزة بين مؤلفات ومصنفات علماء الإسلام وكتابه . وقد أنتج العلماء أعمالاً رائعة ومواد غزيرة حول السيرة النبوية المشرفة في أكثر من مائة لغة رسمية في العالم ، وقاموا بتغطية جوانب عديدة من حياة الرسول الكريم . وإن الأدب الإسلامي اليوم على اختلاف اللغات العالمية زاخر بكتب سيرة خاتم النبيين رحمة للعالمين .

كما التفت علماء شبه القارة الهندية إلى كتابة السيرة النبوية باللغة العربية والفارسية والأردية ، ولا يزالون يضيفون إلى هذا الصنف بإبداعاتهم إلى يومنا هذا . ومن بينها هذه السيرة التي ألفها الشيخ محمد الرابع الحسني رحمه الله باللغة الأردية للقراء المسلمين من طبقة المثقفين في شبه القارة الهندية . والغرض الأساسي من تأليف هذا الكتاب هو تقديم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة حقيقية ، وهي سيرة التراحم والتسامح والإحسان والحنان والشفقة مع الناس ، وإزالة سوء التفاهم من أذهان العامة من الناس حول ذات الرسول ودينه الذي أتى به للبشرية جمعاء ، وإبطال كيد الكائدين من الكتاب المستشرقين المعادين للإسلام المشوهين وجه الدين الحنيف والمسيئين إلى ذات الرسول عليه ألف التسليمات .

طُبع كتاب " رهبر إنسانيت " باللغة الأردية لأول مرة في سنة ٢٠٠٨م المصادف ١٤٢٩هـ من دار الرشيد ، لكناؤ الهند . يحتوي الكتاب على ٤٦٤ صفحة وعشرة أبواب . وكتب له فضيلة الشيخ محمد واضح رشيد الحسني رحمه الله كلمة الناشر التي تستغرق ١٣ صفحة ، تحدث فيها عن أهمية السيرة النبوية ودورها الفعال في تمويه القلوب والأذهان إلى

* الأستاذ المشارك ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة غوهاتي ، آسام ، البريد الإلكتروني : bakkar.abudr@gmail.com

ذات الرسول العربي عليه الصلاة والسلام وتعريف الإسلام بصورته الحقيقية ، إذ السمة البارزة في سيرة الرسول هي اللين والحنان والتسامح والتراحم لا للمسلمين فحسب ، بل للإنسانية جمعاء . كما قال عز وجل : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً للعَالَمِيْن) [الأنبياء] .

واستعرض الشيخ محمد واضح رشيد بشيئ من التفصيل دعايات المستشرقين المتعصبين ومؤامراتهم لتنفير عامة الناس عن الإسلام ، وأكد على إبراز الجوانب الخلقية النبوية وسمة الرحمة والتسامح التي تتجلى في جميع فعاليات وسلوكيات خاتم النبيين ، وبذلك يمكن الدفاع عن حوزة الإسلام في الغزو الفكري الذي شنَّه الغرب ضد الدين الحنيف وأتباعه في العصر الحديث .

وأما المقدمة التي تستغرق ١٨ صفحةً فقد دبجها يراع مؤلف الكتاب فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني رحمه الله . بدأ المؤلف بتسليط الضوء على غاية بعثة الأنبياء وإرسال الرسل في أدوار مختلفة عبر التاريخ الإنساني ، ثم خص بالذكر غاية بعثة خاتم النبيين كأسوة حسنة للإنسانية كلها ، كما قال عز وجل : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلا كَافَّةً لِلنّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلكِنْ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ) [سورة سبأ] .

وكما قال : (وَلَكُم فِي رَسُول الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَاليَوْمَ الآخرَ وذَكَرَ الله كَثِيراً) [سورة الأحزاب] .

ثم لخص حياته النبوية بالإيجاز مرتكزاً على جوانبها الخلقية وما واجهه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من المحن والشدائد بالصبر والمصابرة والحلم والأناة لسنين طوال . وقام بتحليل مغازيه في ضوء سلوكه الحسن وتوجيهاته الطيبة لأصحابه في هذا الصدد ، وأجلى الغموض عن الجهاد وأغراضه السامية حيث تتجلى سمة كون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين .

ثم تحدث عن أهمية تدوين السيرة النبوية وتاريخ تدوينها بالإيجاز ، وذكر أسماء أصحاب النبي الذين اهتموا بتدوين أحاديث السيرة والشمائل النبوية مثل عبد الله بن عباس ، والبراء بن عازب ، وأنس بن مالك رضوان الله عليهم أجمعين . ثم من التابعين من قاموا بتدوين السيرة النبوية مثل عروة بن زبير ، وهب بن منبه ، ابن شهاب الزهري وغيرهم ، ومن تبعهم من موسى بن عقبة ، محمد بن إسحاق ، الواقدي ، ابن هشام ، وابن سعد وغيرهم .

ثم ذكر بعض أهم مؤلفات السيرة النبوية الشهيرة بالعربية من أمثال جوامع السيرة النبوية لابن حزم الأندلسي ، والروض الأنف لعبد

الرحمن السهيلي ، وزاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم الجوزي . وانتهى بذكر سيرة " نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم " للدكتور الشيخ صالح بن عبدالله إمام الحرم المكي المطبوع في ١٤١٨هـ .

ثم ذكر بعض أهم مؤلفات أردية حول السيرة النبوية ، على رأسها " نشر الطيب في ذكر النبي الحبيب " للشيخ أشرف علي التهانوي ، و " رحمة للعالمين " للقاضي محمد سليمان المنصورفوري ، و " سيرت النبي " للعلامة شبلي النعماني والسيد سليمان الندوي .

ينقسم الكتاب على عشرة أبواب :

الباب الأول : يشتمل على بداية التاريخ الإنساني من أبي البشر آدم عليه الصلاة والسلام ، وحاجة الإنسان إلى الهداية الربانية ومهمة الأنبياء والرسل .

الباب الثاني : جمع فيه المؤلف أوضاع العالم في القرن السادس الميلادي أي قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، واستعرض أحوال الأمم الأوروبية والآسيوية والعربية دينياً وخلقياً واجتماعياً وسياسياً وحاجة البشرية إلى النبي الأعظم ، وخص العرب بالذكر ، وتحدث بالتفصيل عن حالة العرب وحاجتهم إلى الرسالة الإلهية ، أسباب وراء بعثة خاتم النبيين في العرب .

الباب الثالث : يحتوي على أحوال السيرة النبوية وحوادثها ما قبل البعثة .

الباب الرابع والباب الخامس : هذان البابان مختصان بحياة الرسول عليه الصلاة والسلام ما بعد نزول الوحي وقبل هجرته إلى المدينة المنورة . ركز فيهما المؤلف على جامعية الرسالة المحمدية وجوانبها الإنسانية ، وما أصاب الرسول وأتباعه السابقين الأولين من الابتلاء على يد المعاندين من قريش وقبائل مكة ، حتى اضطر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الهجرة من وطنه الحبيب .

الباب السادس : هذا أطول أبواب الكتاب وأهمها ، حيث يحتوي على الحياة النبوية في دار الهجرة . استوعب المؤلف في الباب أهم مباحث حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، وأسس بناء المجتمع الإسلامي ، والمؤاخاة بين المسلمين ، وابتلاء المؤمنين في دار الهجرة ، والمعاهدة والصلح ، والغزوات والسرايا ، دعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام ، والمرحمة العامة يوم فتح مكة ، ودخول الناس في الدين أفواجاً . وفي نهاية الباب قارن حروب المسلمين بحروب غيرهم ، وأبرز الجانب الخلقي وموقف الرحمة والتسامح للرسول الأعظم حتى في ساحة القتال وما بعد وضع

الحرب أوزارها في صورة الإحسان مع أسرى الحرب .

الباب السابع والثامن : هذان البابان يحتويان على بضع صفحات ، ففي الباب السابع عرض المؤلف وقعة حجة الوداع وخطبة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ووصاياه وتوجيهاته ورسالته الإنسانية كلها . وأما الباب الثامن فإنه يتعلق بآخر أيام حياته ، ومرضه ووفاته ، وما خلفت وفاته من أثرٍ على أصحابه المحبين . وانتهى بذكر أزواج النبي وأولاده ، فسلط ضوءاً على الحكمة والمصلحة وراء كل نكاح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

الباب التاسع : لا نبالغ إن اعتبرنا هذا الباب زبدةٍ كلام المؤلف ، حيث جمع فيهٍ الشمائل والأخلاق النبوية التي تجعله رحمة للعالمين ، وكونه إنساناً كاملاً يتحلى بالعدل والوسطية والتحمل والأناة ، والسلوك الحسن مع الكل ، والرفق بالحيوانات والدواب ، والإحسان مع الأعداء . وانتهى ببيان المنهج النبوي في الدعوة والإرشاد وتزكية النفس وإصلاح الباطن .

الباب العاشر : وهذا الباب يشتمل على ذكر أصحابٍ النبي الذين عاشوا السيرة النبوية ونهلوا من منهل النبوة . كتب المؤلف نبذة قصيرة عن ٣٢ من أصحاب النبي عليه السلام ، فبدأ بذكر الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرة . وينتهي الباب بذكر ستة من الصحابة الذين كانوا صغاراً في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

الخاتمة :

تفيد الدراسة أن الشيخ محمد الرابع الحسني رحمه الله نجح في غايته من تأليف هذا الكتاب ، وأنه قدم سيرة الرسول الأعظم خاتم النبيين في مرآة مكارم أخلاقه الذي بعث من أجلِ إتمامه كما قالٍ " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " . واختار المؤلف أسلوباً رائعاً رشيقاً سهلاً وبسيطاً يجلب اهتمام القراء من الجيل الحديث . ويمكن القول بأن مطالعة هذا الكتاب تزيل كثيراً من الأوهام المتفشية عن ذات الرسول ودينه الحنيف من الأذهان وتعيد الثقة وتجدد الإيمان في القلوب .

ونظراً إلى الإفادة العامة ، قام د . إحسان الحق الندوي بترجمة هذا الكتاب باللغة الإنجليزية ، التي طبعت من دار الرشيد ، لكناؤ في عام ٢٠١١م بالاسم التالي : The Perfect Prophet Muhammad (saw), Guide for Mankind .

كما ترجمه الأستاذ محمد وثيق الندوي بالعربية ، وطُبعت الترجمة العربية باسم " سراجاً منيراً : سيرة خاتم النبيين " من دار الرشيد ، لكناؤ في عام ٢٠١٤م .

جزيرة العرب : دراسة وجيزة

بقلم : الأخ محمد دانش مجيد الندوي *

تقديم :

لا يخفى على دارسي أي لغة وأدب وتاريخ أهمية معرفة الجغرافية لتلك البقعة الأرضية التي هي منشأ ومولد تلك اللغة والأدب والتاريخ . وأما معرفة جغرافية الجزيرة العربية ، وهي مهبط الوحي الإلهي ، فقد تزداد أهميتها لكون لغتها لغة القرآن الكريم والسنة المشرفة . ولا شك أن فهم كثير من الآيات القرآنية ووقائع السيرة النبوية حقاً يبتني على إلمام تام بجغرافية الأماكن المذكورة فيها .

فهذا الكتاب " جزيرة العرب " كتبه سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني (تغمده الله برحمته الواسعة) تلبيةً لحاجة المثقفين من المسلمين عامةً وطلبة العلوم الإسلامية خاصةً إلى كتاب يعتمد عليه لمعرفة جغرافية الجزيرة العربية . إنه ثمرة جهوده المضنية التي تواصل ببذلها لمدة لا تقل عن خمس سنوات . وتم إصدار الكتاب لأول مرة في عام ١٣٨٢هـ الموافق ١٩٦٢م من المجمع الإسلامي العلمي ، لندوة العلماء ، الهند . وقد طبع مراراً وتكراراً على مر الأيام .

عرض الكتاب :

يحتوي كتاب " جزيرة العرب " على ٢٧٠ صفحة من الحجم المتوسط بجانب الملحقات من الفهارس المتنوعة التي يبلغ بها العدد الإجمالي للصفحات إلى ٣٥٢ صفحة .

وازدان جيده بمقدمة رائعة لفضيلة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، الذي استحسن الكتاب ، وأشاد المؤلف

* باحث الدكتوراة ، قسم اللغة العربية ، جامعة لكناؤ ، لكناؤ ، الهند .

وأثنى عليه لحسن القيام بهذا العمل الجليل ، كما سلّط ضوءاً كاشفاً على أهمية الموضوع وغرض تأليف هذا الكتاب .

ويليها كلمة المؤلف الذي تحدث فيها عن مدى أهمية كتاب الجغرافية وما يقتضيه من الجهود والأسباب وما واجهه من تحديات وصعوبات خلال تأدية هذه المسؤولية الجليلة . كما أعرب عن أسفه لقلة انتباه العلماء والمؤلفين السابقين إلى جغرافية الجزيرة العربية التي لا ينكر دورها لمعرفة حظ كبير من مشاهد السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي بالضبط . وبجانبه أظهر عن سعادته لما تيسرت له فرصة زيارة معظم بلدان الجزيرة العربية التي ساعدته إلى حد كبير على إحاطة الموضوع بالدقة والشمول .

ينقسم الكتاب على ١٢ فصلاً رئيسياً كما سنذكره فيما يأتي :

يبدأ الكتاب بتحديد جغرافية الجزيرة العربية وتعريف بلادها ومناطقها وطبيعة أماكنها . ثم يأتي ذكر وضع المناخ والزراعة لأماكن مختلفة . ويتبعها بيان الأمم والقبايل العربية وأنسابهم من نوح عليه السلام إلى عبد المطلب جد محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم . ثم يستعرض المؤلف حالة القبايل العربية خلقياً ودينياً وثقافياً وأدبياً . ثم يذكر بعض أهم حكومات عربية مثل رؤساء بطراء ، وملوك الحيرة ، والغساسنة ، وحمير وتبع .

وفي النهاية يذكر المؤلف عن مكة المكرمة والمدينة الطيبة وأماكن ومناطق بينهما أو بجوارهما بالتفصيل والتخصيص . بالإضافة إلى أماكن أخرى يأتي ذكرها في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية مثل الطائف ، وجدة ، والجحفة ، وخيبر ، وتبوك وغيرها .

يضم هذا الكتاب خرائط عديدة الأنواع ليتمكن القارئ من إدراك جغرافية الأماكن تماماً . هكذا جمع في الكتاب كثيراً من الخرائط المختلفة النوع للجزيرة العربية كما يأتي :

- خريطة العالم الإسلامي

- خريطة الجزيرة العربية
- خريطة سلسلة جبال السراة
- خريطة المناطق حسب ارتفاعها عن سطح البحر
- خريطة السواحل الشرقية والسواحل الغربية الجنوبية
- خريطة شبه الجزيرة العربية
- خريطة الأودية والنخل
- خريطة وادي الدواسر وأماكن حضرموت
- خريطة مساكن الأمم البائدة
- خريطة أسواق العرب (القرن السادس)
- خريطة الطرق التجارية
- خريطة مكة المكرمة (الحرم ومضافاته)
- خريطة مدينة النبي الطيبة ومضافاتها
- خريطة مناطق هامة بشمال الجزيرة العربية
- خريطة الطرق والأماكن بين مكة المكرمة والمدينة الطيبة
- خريطة الطرق والأماكن مر بها الرسول عليه السلام خلال سفر الهجرة وحجة الوداع

الخاتمة :

تفيد دراسة هذا الكتاب بأن غرض المؤلف لم يكن منحصراً في ذكر الجغرافية محضاً ، بل يتسع نطاقه إلى استعراض تاريخ العرب وثقافتهم وطبيعتهم وعاداتهم وأذواقهم وتقاليدهم . فاتبع المؤلف في الكتاب منهجاً خاصاً ، وهو الجمع بين الجغرافية والتاريخ والثقافة في مكان واحد . يطلع قارئ الكتاب مع موقع الأماكن على تاريخها وثقافة سكانها أدبياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً .

وقد قام بتعريب هذا الكتاب د . محمد فرمان الندوي حفظه الله ورعاه ، فطُبع في القالب العربي من المجمع الإسلامي العلمي ، لكناؤ في عام ٢٠١٧م .

في ظلال السيرة

للشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله

الأخ محمد مصعب الندوي*

هـذا الكتـاب " في ظـلال الـسيرة " باللغـة العربيـة . قامـت بتأليفـه شخـصية ، عاشـت حياتهـا متأسـيةً بأسـوة الـنبي صلـى الله عليـه وسـلم ، شخـصية جمعـت بـين العلـم والكمـال ، وسـداد الفكـر والقـول ، والزهـد والتقوى ، والورع والخوف من الله سبحانه وتعالى والتوازن والوسطية .

إنه كان دائم الفكر ، وطويل الصمت في إصلاح الأمة وإرشادها ، وكان رائد القيادة الإسلامية ، وصاحب القدح المعلى في الأدب العربي ، وإنـه مـن رواد الأدب الإسـلامي ، حتـى عـد مـن مؤسـسي رابطـة الأدب الإسلامي العالمية ، إنه الشيخ محمد الرابع الحسني الندوى .

له مآثر جديرة بالذكر في مجال التصنيف والتأليف ، كتب في شتى العناوين كالتاريخ والإرشاد والفكر والسيرة وغيرها ،يحتوي هذا الكتاب مجموعةً لمقالات كتبها الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي في مناسبات مختلفة .

القسم الاول : يشتمل على الافتتاحيات التي كتبها بمناسبة ربيع الأول من كل عام في صحيفة الرائد ، وأوجز المصنف في هذه المقالات حياة النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوب شامل جامع ، وخص بالذكر ما عاناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم من ظلم كاسر وعدوان ضائر من الكفرة والفجرة ، ثم تابعه ما تحلى به النبي صلى الله عليه وسلم من عفو وصفح عن الأعداء الذين لم يألوا جهداً في الإيذاء

* قسم الدراسات العليا بدار العلوم لندوة العلماء .

والإيلام وثبات أصحابه الحديدي وصبرهم القوي واستقامتهم الفولادي .

وأبرز المؤلف من صفات النبي صلى اللّه عليه وسلم النبيلة البارزة وأخلاقه الفاضلة العالية من الرحمة والرأفة بجميع من أوجعه أو أراحه ، والود والمواساة لكل من صاحبه وجالسه ما يكون معمولاً به في حياتنا ، ووجَّه المسلمين في هذه المقالات أن السيرة النبوية هي نموذج كامل وأسوة حسنة لهم ، وهي مصدر عزهم ونجاحهم .

ومن أبرز ميزات خلق النبي صلى اللّه عليه وسلم أنها خلق مزيج من الإيمان القوي والتوحيد الخالص . وإنه يعامل أصحابه معاملة الإخوة البررة .

وإنه بلغ من كماله من حيث البشر بشر كامل لا يعادله غيره ، بل لا يقاربه ، ومن حيث النبي والرسول كان إيمانه باللّه واليقين بقدرته والثقة بقضائه والرضا بقدره قد بلغ كماله ، ودرجةً ليس فوقها درجة .

وقد ذكر المؤلف في المقالات أن ولادة النبي صلى اللّه عليه وسلم وبعثته كانت منارة النور للتائهين والضالين ، وجزيرةً لسفينة كادت أن تغرق وأوشك أهلها أن يهلكوا وأثبت ذلك بأمثلة . وقال : " الاحتفال بميلاد النبي صلى اللّه عليه وسلم في معنى الكلمة اتباعه الكامل والعمل بما جاء به من اللّه " .

وأراد من هذه المقالات أن يبين أن حياة النبي صلى اللّه عليه وسلم هي التي تخرج الإنسانية من الظلمات إلى النور ، وتهديها إلى سواء السبيل . كما أوضح القرآن الكريم أسوةً كاملةً (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) . فهو أسوة حسنة في سائر مراحل الحياة الإنسانية .

القسم الثاني : يشتمل على مجموعة بحوث قُدمت في الندوات العلمية ، كُتبت بأسلوب علمي باحث ، وهي تختلف عن مقالات القسم الأول في الأسلوب ، ولكنها مشاعر الحب والوفاء لذات الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، وحاول المؤلف أن يعرض على الإنسانية صورةً صادقةً واقعيةً للسيرة النبوية على صاحبها ألف سلام .

أمطر اللّه عليه شآبيب رحمته ، وجزاه عنا خير الجزاء .



حوارات ولقاءات



ردود على أسئلة وُجهت إلى

سعادة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

الدكتور غريب جمعة

حضرة الأخ المفضال الأديب الداعية سعادة الدكتور غريب جمعة حفظكم الله تعالى ورعاكم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد تلقيت رسالتكم الكريمة ، وفيها اقتراحكم ، فأبدي لكم أولاً تقديري وحبي وتمنياتي ، وبناءاً على ما أتمتع به من آصرة الحب والأخوة في الدين والأدب مع سعادتكم أرى من واجبي أن أستجيب لهذا الاقتراح ، وأشرح ما يخص بشخصي الضعيف ، وبصلتي بسماحة شيخنا وأستاذنا الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله رحمة واسعة ، وما تركته وفاته من أثر في مجالات خدماته للدين والأمة الإسلامية .

المخلص محبكم

(محمد الرابع الحسني الندوي)

س : لو أردنا أن نقدم للقارئ بطاقة تعريف بسماحة شيخنا السيد محمد الرابع الندوي رئيس جامعة ندوة العلماء – خلفاً لسماحة العلامة السيد أبي الحسن الندوي – فماذا تحتوي هذه البطاقة ؟(المولد – النشأة – التعليم - المناصب التي توليتموها –وما ترون إضافته) .

ج : أما هذا الكاتب فهو محمد الرابع بن السيد رشيد أحمد ، الحسني نسباً والندوي دراسة ، بدأت دراستي الأولية في البيت ، ولما بلغت سن الالتحاق إلى المدرسة أسندت أمي الإشراف على تعليمي إلى سماحة الشيخ الندوي ، وكانت شقيقته الكبرى . فنشأت في مجال التعليم والتربية تحت إشراف سماحته وتوجيه أخيه الأكبر سعادة الدكتور الطبيب والعالم الشيخ عبد العلي الحسني أيضاً ، وأسرة والدي والدتي واحدة ، يجتمعان في النسب في أجدادهما .

ولدت في قرية تكية كلان دائرة الشاه علم الله الحسني بمديرية رائى بريلي بشمالي الهند ، وكان ميلادي في ١٩٢٩/١٠/١٧م ، تعلمت

اللغة العربية من سماحته بصورة خاصة ، ثم درست في دار العلوم ندوة العلماء العلوم الدينية والاجتماعية والآداب ، وانتسبت إلى بعض الجامعات الإسلامية الأخرى أيضاً ، وذلك لفترات قصيرة ، وأتممت دراستي في دارالعلوم ندوة العلماء بإكمال مرحلة الدراسات العليا فيها ، ثم عينت معيداً ، ثم أستاذاً في قسم اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وكان ذلك في أوائل الخمسينيات من التاريخ الميلادي ، وزرت في سنة إحدى وخمسين بلاد الحجاز مع خالي الشيخ أبي الحسن رحمه الله ، وبعد أداء فريضة الحج تركني خالي رحمه الله فيها للاستفادة العلمية من مكتبات مكة المكرمة والمدينة المنورة ومن علمائها ، وللاشتغال بما يسهل لي من العمل الدعوي ، فقضيت في ذلك أكثر من سنة .

ثم رجعت إلى دار العلوم ندوة العلماء لمواصلة العمل التعليمي في قسم اللغة العربية ، وصرت بعد عدة سنوات رئيساً للقسم ، ثم بعد سنوات عميداً لكلية اللغة العربية والدعوة ، ثم بعد سنوات مديراً لدار العلوم ندوة العلماء ، واختاروني بعد وفاة سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي رحمه الله تعالى لمنصب – ناظم – (الرئيس العام) لندوة العلماء وغيرها من أقسام ندوة العلماء الأخرى ، وبإضافة إلى ذلك اختارني المجلس التنفيذي للمجمع الإسلامي العلمي أيضاً رئيساً له بعد أن كنت أميناً عاماً له في حياة سماحة أستاذنا الشيخ الندوي ، كما اختارني المجلس التنفيذي لمجلس التعليم الديني في أترا براديش أيضاً رئيساً له بعد وفاة رئيسه سماحة الشيخ الندوي .

وأتمتع بالعضوية في رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئاسة مكتب البلدان الشرقية للهند وما حولها ، وبالعضوية في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بجامعة أكسفورد بريطانيا ، وبالعضوية في طائفة من الجمعيات والمؤسسات ودور العلم والأدب ، ولله المنة والفضل .

س : ذكر سماحة العلامة السيد أبو الحسن الندوي في بعض كتبه أن لكم بعض المؤلفات ، وربما كان بعضها بإشارة منه ، فما هي هذه المؤلفات ؟

ج : أما ما صدر لي من المؤلفات فهي كما يلي :

١. الأدب العربي بين عرض ونقد " بالعربية " .
٢. منثورات من أدب العرب " بالعربية " .
٣. معلم الإنشاء .
٤. تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) " بالعربية " .

٥. مختار الشعرالعربي (في جزئين) " بالعربية " .
٦. الأدب الإسلامي وصلته بالحياة " بالعربية " .
٧. الأدب الإسلامي : فكرته ومنهاجه " بالعربية " .
٨. التربية والمجتمع " بالعربية " .
٩. واقع الثقافة الإسلامية " بالعربية " .
١٠. الأمة الإسلامية ومنجزاتها " بالعربية " .
١١. حج ومقامات حج " في الأردية والعربية " .
١٢. الدين والأدب " بالأردية " .
١٣. مقامات مقدسة " بالأردية " .
١٤. إسلامي شريعت : ايك محكم قانون " بالأردية " .
١٥. شهران في أمريكا " في الأردية " .
١٦. امت اسلامية : ايك رهبر اور مثالى امت .
١٧. مسلمان اور تعليم " بالأردية " .
١٨. سمر قند وبخارى كى باز يافت " بالأردية والعربية " .
١٩. سماج كى تعليم وتربيت " بالأردية والعربية " .

إلى مؤلفات تنتظر الطبع والنشر إن شاءالله تعالى [١] .

جوائز تقديرية :

- جائزة رئيس الجمهورية التقديرية على الإنتاج العلمي وفي اللغة العربية .
- جائزة المجلس الهندي لأترا براديش التقديرية للمكانة العلمية .

س: قرأنا كثيراً في كتب الإمام السيد أبي الحسن الندوي أنكم كنتم رفيق أسفاره وساعده الأيمن في أمور كثيرة ، فهل لكم أن تحدثونا بشيئ من التفصيل عن صلتكم بذلك الإمام الجليل وأقرب هذه الصلة عليكم ؟

ج : إن رحلات سماحة أستاذنا الشيخ الندوي كانت بصورة غالبة في سبيل الدعوة أو للحضور في المجالس التأسيسية أو الاستشارية للجامعات أو الجمعيات التعليمية ومراكز الدعوة ، أما ما كانت منها في خارج الهند فقد كان سماحته يختارني في أكثرها لمساعدته الشخصية ،

---

[١] وقد طبعت للشيخ مؤلفات وكتب قيمة أيضاً :
منها : الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية ، وسراجاً منيراً ، وجزيرة العرب باللغة العربية ، والشيخ أبو الحسن علي الندوي شخصية صنعت التاريخ ، وندوة العلماء : فكرتها ومنهاجها وأعلامها ، والمجتمع الإسلامي : حدوده وآدابه ، وتأملات في سورة يوسف وغيرها . (قلم التحرير)

ويستخدمني في شؤون دعوية وأدبية كذلك ، وذلك أفادني كثيراً بالاطلاع على الأسلوب الدعوي والمنهج العلمي والحكمة والآداب التي كان سماحته ينتهجها في أعماله العلمية والأدبية والدعوية واللقاءات مع الشخصيات الهامة في الوطن الإسلامي المتنوع الأقطار ، وقد أفادني ذلك في معرفتي بكل ذلك ليمكنني العمل بمقدار منه إذا وفقني الله لذلك فأكون جزءاً ومشاركاً لمن يقومون بمواصلة عمل التعليم والتربية والدعوة الذي قام به سماحته في حياته الطيبة .

س: لاشك أن انتقال الإمام الندوي إلى رحمه الله ترك فراغاً كبيراً في العالم الإسلامي عامة ، وفي الشعب المسلم الهندي خاصة ، فما هو تقويمكم للأوضاع التي طرأت على الشعب المسلم الهندي بعد ذلك الرحيل ؟

ج : إن الهند مليئة بالقضايا المهمة والشائكة بالنسبة إلى المسلمين ، وإلى تمسكهم والتزامهم بالتعليمات الدينية والتوجيهات الإسلامية ، منها ما هي على الصعيد الاجتماعي ، ومنها ما هي على الصعيد الثقافي ، ومنها على الصعيد الديني ، ومنها ما هي على الصعيد التعليمي ، وللمسلمين أحزاب وجبهات وجامعات إسلامية تؤدي أدوارها في هذه المجالات المختلفة ، ولكن أكثرها متفرقة في المجال الاجتماعي ومنحازة إلى نفسها ، وتصطدم آراؤها أحياناً فيما بينها ، وتختلف مناهجها وأهدافها ، كل على حسب مصالحها الخاصة ، وفي هذا التفرق ضرر للمصلحة الإسلامية العامة ، وكانت شخصية سماحة أستاذنا مقبولة لدى الجميع لسعة أفقه واعتداله ولعدم انحيازه الحزبي ، ولتقديره لكل الجهود التي تبذل لمصلحة الإسلام أيّاً كان حزبها أو جمعيتها ، وكان يناصر ويساعد في الجهود البناءة لمصلحة الإسلام والمسلمين ، فبلغ بذلك سماحته إلى درجة القبول لدى أكثر هذه الجمعيات ، وبخاصة عندما تفتقر الجمعيات الإسلامية إلى شخص واحد يمثل المسلمين جميعاً ، وكان أصحاب وجهات النظر الإسلامية المختلفة ومسئولو الأحزاب كثيراً ما يتفقون على اسمه عندما يفتقرون إلى اسم واحد لتمثيلهم ، ومن ذلك أنهم كانوا اختاروه رئيساً لهيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند التي قد اتفقت عليها أصحاب وجهات النظر الإسلامية في الهند ، وقد استطاع سماحته بتمثيله الحكيم للمسلمين لدى الحكومة أداءً لدور عظيم جداً في بعض قضاياها الصعبة بل شبه المستحيلة في حلها بتعاون زملائه في الهيئة ، وفي مقدمتهم سماحة

الشيخ منة الله الرحماني – رحمه الله تعالى – الأمين العام السابق للهيئة ، وفي ذلك بحكمته الخاصة وبمنهجه العلمي والدعوي الخاص ، ولذلك وجد المسلمون بعد وفاة سماحة الشيخ الندوي فراغاً كبيراً رأوها لملئها اختيار عدة أشخاص على حسب اختلاف المجالات ونظراً للأوضاع والأحوال في البلاد ، والقضايا في بلد الهند لا تزال طالبةً لكفاءات ممتازة ، نرجو من الله تعالى أن يوفقهم لأداء دور مطلوب منهم .

كان الناس قد رأوا سماحته أنه يتمتع باحترام كبير لدى ذوي النفوذ والتأثير على الأوضاع من أصحاب الزعامة والحكم كذلك ، وذلك لإخلاصه في خدمة الحق والأمة وزهادته فيما في أيدي الناس ، وذلك كان يساعده في سعيه لحل قضايا شائكة وصعبة بقدر ما لا يستطيع غيره من القادة ، كما كانت كلمة أصحاب النظر الإسلامي المختلفين تجتمع على شخصيته كما لا تجمتع على شخص آخر ، ولكن الأمور بيد الله وهو يهيئ الأشخاص الأكفاء لأعمال عادية وخاصة ، وهو الذي يعوض المسلمين عمن يفارقوهم من أصحاب الكفاءات القيادية ، وأرجو أن توزيع المسئوليات على القادة حسب الكفاءات يسد الخلل الذي يحدث من وفاة شخصية تجمع أصحاب الاتجاهات المختلفة وتؤثر على أصحاب السلطة والحكم كذلك بخصائصهما الفذة ، وهذا حل يختاره المسلمون في مثل هذا الحادث .

أما في خارج الهند فقد كان سماحته يقوم بجولات ، ويحضر اجتماعات ، يتحدث فيها إلى أصحاب التأثير والنفوذ في البلاد ، وفيهم الملوك والوزراء ، وكان يسعى للفت أنظارهم إلى الأدواء التي تعرّض الشعوب الإسلامية للخطر في كيانها الديني والثقافي والفكري ، ويسعى لتبصيرهم بما يجب على قادتها لصيانتها وحفظها والرقي العلمي المفيد للإنسانية والحضارة ، وذلك بمحاضراته التي كان يرتجلها بالعربية للعرب ، وبالأردية لأصحاب أردو ، وبكتاباته وتأليفاته ، وغالبية هذه المحاضرات والتأليفات مطبوعة ومعروفة . ومما يبعث على مزيد من الأسف أن وفاة سماحته رافقت وفيات طائفية من قادة المسلمين والشخصيات البارزةٍ في العالمين العربي وغير العربي ، ندعو الله تعالى أن يعوض المسلمين قادة أكفاء يملأون الفراغ الحاصل من هذه الوفيات .

س : ما هي أهم التحديات التي تواجه المسلمين في الهند وكيفية مواجهتها في نظركم ؟ وما هو المطلوب من خارج المسلمين خارج الهند

للوفاء بحق الأخوة في الإيمان والوحدة في الدين ؟

ج : إن أهم التحديات التي يواجهها المسلمون في الهند هي عديدة ومتنوعة ، منها ما هي في مجال التعليم العام ، حيث إن أولاد غير المسلمين من أغلبية سكان البلاد ينالون فرصاً أكثر وأحسن للتعليم دون أولاد المسلمين ، ويأتي النقص في ذلك أولاً من جهة تغافل رجال الحكم ومسؤولي التعليم العام ، وهم أبناء الأغلبية غير المسلمين ، وهم قلما يحبون رقي المسلمين ، وقلما يساعدون أبناء المسلمين للتقدم في التعليم ، وبجنب ذلك يقع للمسلمين مانع آخر أيضاً وهو أن التعليم العام في الهند مصطبغ بالصبغة العلمانية الممزوجة بالهندوسية المشركة ، فأولاد المسلمين يقعون منه في خطر أيضاً ، وذلك في شأن معتقداتهم الدينية ونظراتهم إلى تاريخهم الماضي ومنجزاتهم العظيمة ، وبذلك يقع من المسلمين أنفسهم أيضاً التهاون في إدخال أولادهم في المدارس العامة بسرعة ، على كل فإن قادة المسلمين في الهند يواجهون مسؤولية مزدوجة نحو تعليم أبناء المسلمين ، وهو أن يسعوا أولاً أن ينال أولاد المسلمين فرصاً متكافئة للتعليم مع غيرهم من أبناء الأغلبية حتى يستعدوا لمواجهة تحديات الحياة الراقية بكفاءة وقدرة ، وثانياً أن يكون أبناؤهم محفوظين في معتقداتهم ودينهم من التحول منها إلى غيرها .

فنظرًا إلى هذا الوضع اختار قادة المسلمين العمل في مجالين : أولاً إنشاء مدارس للتعليم العام خاصة بالمسلمين ، وذلك حق يعطيهم الدستور الهندي ، وثانياً إنشاء مدارس جانبية إسلامية محدودة الوقت تقوم بملء الفراغ الديني في تعليمهم العام لدى المدارس الحكومية والوطنية ، وتسد الفراغ وتقوم بدحض الدسائس المخالفة للإسلام .

ولقد حمل مسئولية هذا المجال الثاني مجلس التعليم الديني لأترابراديش بصورة خاصة ، وكان سماحة الشيخ الندوي رحمه اللّٰه رئيس هذا المجلس منذ إنشائه ، وكان يقوم بأداء مسئوليته في ذلك ، وكان سماحته بجنب ذلك يساعد أيضاً قادة التعليم العام من المسلمين .

والمجال الثالث للتعليم هو إنشاء مدارس وجامعات إسلامية دينية لتخريج علماء ورجال الدين الإسلامي لسد حاجة المسلمين في العلوم الإسلامية والإفتاء والوعظ والإرشاد ، وقد قام علماء الدين بإنشاء المدارس والجامعات الشعبية لهذا الغرض في مختلف أنحاء الهند ، وهي أدت وتؤدي دوراً فعالاً ومفيداً في صيانة الدين الإسلامي ونشره ، ومنها جامعة ندوة

العلماء أيضا وهي تمتاز من بينها بالجمع بين القديم الصالح والجديد النافع بينما تكتفي المدارس والجامعات الدينية الأخرى بتعليم أصول الدين والشريعة الإسلامية دون أي مقدار من العلوم الاجتماعية والأدبية ، وبذلك يتخرج الطالب الديني منها بدون اطلاع واسع لعلوم الحياة وبدون معرفة لمعارف علمية عامة ، فبالشعور بهذا النقص كان قد أحسن طائفة من علماء الدين المسلمين قبل قرن بحاجة إلى الجمع بين طريق التعليم الديني والعام ، وأسسوا جمعية ندوة العلماء هذه للعمل بذلك .

نادت ندوة العلماء – بناءً على ذلك – بإضافة ما لا غنى عنه من العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية مع التعليم الواسع للعلوم الدينية ، ومع لغة أجنبية راقية ، لئلا يعجز الرجل العالم الديني من إحراز المكانة اللائقة بين المتعلمين من معاصريه ، ونحمد الله تعالى على أن نداء ندوة العلماء أحرز الاستجابة ، فأنشأت مدارس على غرارها من أطراف البلاد وأنجبت ندوة العلماء من مركزها طائفة من العلماء الأقوياء في العلوم الدينية والمطلعين على معارف عمومية ، ومنهم سماحة الشيخ الندوي ، وهذه المدارس والجامعات الإسلامية الدينية ، سواء منها ما هي على المنهج القديم ، وما هي على المنهج الجامع تقوم بأعمالها بتعاون أهل الخير مع المسلمين ، وهي تعجز بعض الأحيان من تحقيقٍ كاملٍ لخططها بسبب النقص في أوضاعها المادية ، ولكنها تؤدي دوراً عظيماً في صيانة الدين في سكان هذه البلاد المسلمة ، وتهيأ رجال الأمر والإرشاد والإفتاء والقيادة الدينية ، ولا يمكن ذلك من الخارج لأن عدد المسلمين في هذه البلاد ضخم جداً ، فقد أربى على مأة وخمسين مليون نسمة ، وهم رغم تعدادهم أقلية في البلاد ، والبلاد علمانية ، لا تهتم بحاجات الشعب الديني وخاصة المسلمين منهم بقضاء حاجاتهم الإسلامية ، ولكنهم هم أنفسهم يقومون – والحمد لله – بقضاء هذه الحاجة بإمكانياتهم الخاصة ، وبذلك تقع على المسلمين أنفسهم مسئولية كبيرة .

وبالإضافة إلى قضايا المسلمين التعليمية هناك قضايا أخرى هامة أيضاً ، وهي تدور في مدار حاجتهم الاجتماعية والوطنية ، وكلها تفتقر إلى قيادات حازمة ، والله ناصرهم ومعينهم ، كما أن هناك قضايا تنشأ من صلات أبناء الأقلية المسلمين بالأغلبية الهندوسية نظراً إلا أن فئات من الأغلبية إنما تعمل فيها عصبيات تنشأ من شعورها بالسيادة والأحقية في البلاد ، وبخاصة نحن الأقلية الإسلامية التي هي أكبر أقلية في البلاد

فهي تسعى لبقاء شخصيتها بقيمها ودينها ، وأهم قضية من بين هذه القضايا هي المحافظة على أحوالها الشخصية ، وعلى تمسكها بالشريعة الإسلامية ، صيانةً لها من الذوبان والانحراف ، لأنها في بحر من الطقوس والتعاليم المنحرفة والمشركة ، ولذلك أنشأ المسلمون هيئة جامعة للحفاظ على الأحوال الشخصية الإسلامية التي كافحت لها ، وكان رئيساً لها أخيراً سماحة الشيخ الندوي ، وقد قام سماحتها على صعيدها بأداء دور عظيم ، فهذه هي قضايا هامة للمسلمين في الهند ، وهم يقومون بحلها تحت قيادات حاصلة له .

وأما حاجة مسلمي الهند إلى تعاون إخوانهم في الخارج فهي حصولهم على تعاونهم معهم في مشاكلهم الإسلامية ومناصرتهم فيها بطرق أدبية وعلمية ومساعدتهم المادية كذلك ، ولكن ذلك بصورة لا تصطدم مع القوانين المتبعة في الدولة .

س : حتى لا يظن القارئ إننا نفكر بعقلية " الإقليمية الضيقة " اسمحوا لي أن أسألكم :ما هي أهم التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي بصفة عامة وكيفية مواجهتها من وجهة نظركم ؟

ج : إن العالم الإسلامي في قضاياه الأساسية عالم واحد يجتمع فيه الأبيض مع الأسود ، والعربي مع العجمي ، فلا بد أن تكون نظرته الأساسية إلى الحياة واحدة يرى بها الأخطار التي تهدد إسلامية المسلمين ووحدتهم ، وطرق مواجهتها ، أما قضاياه المحلية ومتطلبات بلاده السياسية الخاصة فتكون معالجتها على الصعيد المحلي وبرعاية الأوضاع الخاصة لكل منطقة ، ومن أبرز قضايا العالم الإسلامي الأساسي اليوم هي مواجهته لخصومة الأمم غير الإسلامية للأمة الإسلامية ، وفي هذا المجال نرى أن الأمم الغربية الكبرى كلها اجتمعت على معارضة الشخصية الإسلامية ، فهي تريد القضاء على الشخصية الإسلامية في كل مكان باتهامها بتهمة الأصولية والإرهاب ، مع أن هذه الأصولية لا حقيقة لها سوى أنها التزام ديني لأفراد الأمة الإسلامية ، أما الإرهاب فليس إلا في بعض الفئات المسلمة التي مرت من خلال ظلم واضطهاد وقتل وتشريد ، فثارت ضد الاعتداء والظلم كرد فعل في هذه الشعوب على أحداث الاعتداء والقتل والتشريد التي وقعت بشدة وهمجية في عدد من أقطارها ، ومثالها ما وقع في الشيشان وفي البوسنة وفي جنوبي الفلبين وفي الأريتيريا وفي فلسطين وغيرها ، فلا يجوز بتاتاً أن يتهم الإسلام والالتزام

الديني لذلك ، لأن الالتزام الديني إنما يتصف بالسلام وبإسداء الخير إلى الإنسانية ، فإن قضايا العالم الإسلامي الأساسية هي واحدة ، وهي أن نحافظ على القيم الإسلامية ونصون خصائص الإسلام في شعوبه ، وذلك يمكن بتبصير المسلمين أنفسهم بما يجب عليهم من الحفاظ عليه من القيم ، وبما يجب عليهم الالتزام به من الخصائص ، وتبصير المخالفين والمسيئين للظن بنا بأن الالتزام الديني في المسلمين واحتفاظهم بخصائصهم الإسلامية ليس بضار لأحد ، إنه في صالح الإنسانية ، وإنه في مصلحة الجميع ، وإنه يجب أن نرى إلى الإسلام ونعرفه لدى المسلمين الملتزمين ممن لم يقعوا في اضطهاد وظلم وبخس حقوق وتشريد من بلادهم ، فلم يقعوا في رد فعل ، ويجب أن نكون مطلعين على الأخطار التي قد تحدق بنا من خصومنا وأعدائنا ، ونهيئ نفوسنا للعمل لمصلحة الإسلام والمسلمين وتحسين وضعهم بين أظهرهم أنفسهم ، وبين مواطنيهم ، وأمام أعدائهم حتى يصيروا قادة لأمم وأئمة الهدى في العالم . وهذه هي الأفكار التي كان يدعو إليها سماحة شيخنا السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله ، ويدل على ذلك كتابه " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " ومجموعات مقالاته مثلاً " إلى الإسلام من جديد " و " حديث مع الغرب " و " اسمعوها مني صريحة أيها العرب " وغيرها ، وكان يقول للمسلمين العرب – وهو نفسه كان يحملٍ الدم العربي وينتسب بالنسب العربي – : إن الأمة العربية لم تكن لائقة بأي تقدير واحترام قبل بعثة رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان العرب قبله صلى الله عليه وسلم أميين وبعيدين عن المدنية والحضارة كل بعد ، ولكنهم لما رفعوا لواء الإسلام واعتصموا بالراية المحمدية بلغوا في العلم والمعرفة والمدنية والحضارة إلى أعلى المدارج ، وسادوا في العالم ، وما تخلفوا وهانوا فيما بعد إلا بتهاونهم في الاعتصام بتعاليم الإسلام ، وفي التحلي بأخلاق أسلافهم المسلمين قدوة وأسوة لهم ، وإذا فعلوا ذلك فكل الشعوب المسلمة سواء كانت بيضاء أو سوداء ، شرقية كانت أو غربية ، تنحاز إلى رايتهم الإسلامية ، وتجتمع تحت قيادتهم ، ويجب أن نفهم فهماً جيداً أن الغرب مهما بدا منه الحب والرعاية لنا لن يكون مخلصاً لنا ، ولا محباً لشخصيتنا الإسلامية ، فقد ثبت جلياً أنه ليس منصفاً لنا ، ولا عادلاً في قضايانا . والسبب الأكبر في ذلك هو الأثر الذي تركته على أذهان أبنائه كتابات المستشرقين المعارضين للإسلام ، فقد شوّهوا وجه

الإسلام بدعاياتهم الخادعة ، فعلينا أن يقوم أهل التحقيق والأدب منا بعرض الإسلام عليهم بصورته الكريمة الحقيقية ، فيزيلوا بذلك إساءتهم الظن به أو يقللوا سوء ظنهم بالإسلام وأهله .

س : كانت رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالإضافة إلى مؤسسات وهيئات عالمية أخرى ثمرة غرس مبارك لسماحة الإمام الندوي ، ونأمل أن تستمر رعاية هذا الغرس حتى يؤتي أكله كل حين بإذن ربه ، فهل يتحقق ذلك - بمشيئة الله - على كثرة الأعباء الملقاة على كاهلكم ؟

ج : لا شك أن رابطة الأدب الإسلامي العالمية كانت من أحب الهيئات العلمية الإسلامية لدى سماحة شيخنا أبي الحسن الندوي رحمه الله ، وقد اعترف محبو الأدب الإسلامي بما قام به سماحته نحو العمل له ، وأرى أن الغرس الذي كانت له يد طولى فيه قد نما وبدأ يقوى ، فأرجو أن العاملين له سيواصلون المسيرة فيه محتذين بحذوه إن شاء الله تعالى .

س : نحن نعرف أن جامعة ندوة العلماء لها صلات طيبة بكثير من المؤسسات والهيئات الإسلامية داخل الهند وخارجها ، فما هي نصيحتكم لهذه المؤسسات والهيئات حتى لا تتبعثر هذه الجهود وتضيع سدى ، ولا تأتي بفائدة تخدم الإسلام والمسلمين في هذا الوقت الذي تداعى فيه الأكلة على قصعتها ؟

ج : أرى أن دعوة ندوة العلماء إلى الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع دعوة أثبتت جدواها في ذلك في إنتاجها الفكري وفي تخريجها للرجال ، فلا بد أن نعرف جدارة رسالة الندوة ، وأن نطلع الآخرين عليها ليختاروها ، فإننا نجدها حاجة المسلمين التعليمية والتربوية في العصر الراهن .

س : يموج العالم الإسلامي بأصوات كثيرة تطالب بالعودة إلى الإسلام ، أو ما يسمى باليقظة الإسلامية ، ولكل وجهة هو موليها ، فكيف يمكن ترشيد هذه اليقظة من وجهة نظركم ؟

ج : إن الإسلام لا يزال هو الحل الوحيد للإنسان رغم تقدمه المادي والعلمي الراهن ، ورغم منجزاته العلمية والتكنولوجية الجبارة الهائلة اليوم ، فإن الخواء النفسي والفراغ الروحي متغلغل في أحشائه ، والسعادة الداخلية والراحة النفسية لا يزال كل ذلك بعيداً منه ، ولا يملأ هذا الفراغ ولا يملأ قلب الإنسان بالسعادة المنشودة إلا الإسلام ، ولكن مسئولية العمل له مسئولية تتطلب من أصحابها اختيار المنهج الحكيم للدعوة وحسن الخلق

والعمل الدؤوب في مجال الدعوة مع احترام العاملين الآخرين .

س : أصبح الإعلام اليوم من أخطر الأسلحة التي لا يمكن تجاهلها ، فما هو المطلوب من الإعلام الإسلامي ليؤدي دوره لخدمة الدعوة الإسلامية ونشرها بين المسلمين ؟

ج : التربية والإعلام هما الوسيلتان العظيمتان اللتان بلغ الغرب بهما إلى السيادة العالمية ، ثم إنه يزين بهما ما يريد تزيينه في أنظار العالم ، ويهجن أو يبغض ما يريد تهجينه أو تبغيضه في أنظار العالم ، فلا بد أن يقبل المسلمون هذا التحدي ويواجهوا الخطر منه ، ويعدوا ما يستطيعون إعداده في هذا السبيل ، وهم مأمورون بتسليح أنفسهم بأسلحة أعدائهم ، فعليهم أن يؤسسوا مدارس وجامعات على منهجهم الإسلامي الحكيم ، وهو الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، ويقوموا بإعلام جديد بمقتضيات عصرهم الراهن ، وذلك يمكن بتعاون الأغنياء منهم مع أهل الخبرات والاختصاصات التربوية والإعلامية منهم .

س : قضية الأقليات الإسلامية في المجتمعات غير الإسلامية تعتبر من أخطر القضايا في الوقت الحاضر ، فما هو الواجب على هذه الأقليات حتى تفرض احترامها على من حولها ، وما هو واجب الدول التي تعيش فيها نحوها ؟

ج : على الأقليات الإسلامية أن تقوم أولاً بتبصير أعضاء الأغلبيات التي يواجهونها بالمعاني الإنسانية السامية التي يحملها الإسلام للبشرية جمعاء مع التحلي بها في حياة أفرادها ، وأن يكونوا خير الجيران لجيرانهم من أبناء الأغلبيات ، والناصحين المخلصين لهم على الصعيدِ الإنساني حتى يأنسوا بهم ، ويعرفوا الخير الذي يحمله الإسلام ، فهم إذاً سيميلون إلى الإسلام أو يحسن ظنهم به ، وكل ذلك يكون في مصلحة هذه الأقليات وفي صالح الأغلبيات كذلك .

ولا يسعنا في ختام هذا الحوار أن نتوجه بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ السيد محمد الرابع الندوي الرئيس العام لندوة العلماء على سعة صدره ووقته . مع خالص الدعاء إلى الله تبارك وتعالى أن يوفقه في أداء مهمته الصعبة ورسالته الكبرى وأن يجعل له من جنده أعواناً ممن يبتغون فضلاً من الله ورضواناً حتى يكون خير خلف لخير سلف بإذن الله .

المدارس الدينية لها دور رئيس في نهضة المسلمين

ترجمة : الدكتور محمد محبوب عالم الندوي *

[أجرى أحد رؤساء تحرير صحيفة " تعميرِ حيات " النصف الشهرية باللغة الأردية سابقاً ، الصادرة عن مؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء بلكناؤ ، هذا الحوار النافع مع الأستاذ الراحل محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله – بهدف معرفة واقع الادعاءات الباطلة ضد المدارس الإسلامية والعوامل والدوافع وراء هذه الحملة وكيفية وضع استراتيجيات لمعالجتها . ونُشر هذا الحوار أولاً في عدد أكتوبر من صحيفة " تعميرِ حيات " عام ٢٠٠٢م ، وتم إعادة نشره ضمن الحوارات الأخرى في كتاب " مسلم پرسنل لابورڈ: کام اور پیام " ، الذي قام بترتيبه الأخ محمد إلياس الهاشمي الندوي رحمه الله (من حيدرآباد) . وإليكم هذا الحوار بقدر من الإيجاز .]

س . هل يمكن اعتبار الحملة على المدارس الدينية حملة مخططة لها آثار بعيدة المدى ضد قيمنا الدينية والثقافية ؟

ج . من الواضح أن بقاء ديننا مرتبط بالمدارس الدينية ، وإذا مس الضرر المدارس الدينية – لا قدر الله – فلا يمكن ضمان بقاء الدين بعد جيل واحد ، إلا أن هذا الدين سيبقى إلى يوم القيامة ، ويحفظ اللّٰه تعالى هذا الدين ويتكفل بحفظه من خلال المدارس الإسلامية ، فلذلك لدينا أمل قوي في ألا يمكن القضاء على هذه المدارس . وسيحفظ اللّٰه تعالى المدارس الإسلامية بشرط أن يستمر القائمون على شؤون المدارس الإسلامية في القيام بعملهم لرسالة الحق بكل إخلاص وصدق وأمانة وبحكمة وبصيرة ، وأن يتحلوا بالأخلاق الفاضلة ويتصفوا بالعادات النبيلة وحسن السيرة والسلوك .

س . هل يمكن أن يكون هناك سوء تفاهم وراء الاتهامات الموجهة إلى المدارس الدينية ؟

ج . إنها وليدة أنجبتها الدعايات ، وعلى سبيل المثال مصطلح كلمة " الجهاد " ، فمعنى كلمة " الجهاد " لغةً هو السعي لتحقيق أهداف نبيلة . ولكن للأسف ، في هذه الأيام صار مصطلح " الجهاد " يُراد به ضرب الأعداء

* جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي ، الهند .

وقتلهم ، ويُوصف بأنه عمل غير إنساني ، مع أن كلمة " الجهاد " لها مدلول أوسع يتضمن حبس النفس عن الشر ، وصدَّ من يضلِّل الإنسانية عن أفعاله والسعي إلى الحق . والجهاد هو في الواقع نضال من أجل تحقيق أهداف سامية . ولكن في حالة وجود صراع من الجانب الآخر أو مواجهة ظالم ويقتضي الأمر أن الحل الوحيد هو استخدام القوة ، فاختيار القوة أيضاً الجهاد . ولكن في الأساس يجب على كل فرد معرفة أن الإسلام دين أمن وسلام ومحبة ومودة ، حتى لو جاهد بالقوة ، فإن هدفه هو خلق القيم الإنسانية وبيئة السلام والأمن . فإن دين الإسلام يدعو إلى السلام والأمن . فقد بيّن الإسلام مبادئ الدعوة إلى الله ، فقال الله تعالى في القرآن الحكيم : (اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [**النحل : ١٢٥**] .

ولكن إذا استخدم أحد كلمة " الجهاد " للظلم والاعتداء ، فهو مسيئ في تغيير معنى كلمة " الجهاد " ، ولا يمكن أن يتم إساءة سمعة كلمة " الجهاد " باستخدامها في غير محلها .

س . ما هي التدابير التي يمكن اتخاذها لمعالجة نقاط سوء التفاهم هذه وإزالتها ؟

ج . إن وسائل الإعلام التي يتم استخدامها للدعايات ، يجب أن نركّز أيضاً على استخدامها لأغراض إيجابيّة وبنّاءة . بل هناك حاجة ماسّة إلى أن نستخدم وسائل الإعلام على نطاق واسع ، ونتخذ التدابير لتصبح جهودنا مفيدةً وفعالةً .

س . ما هي الاستراتيجية التي ينبغي للمدارس الدينية أن تضعها لمواجهة الاتهامات والادعاءات الباطلة ؟

ج . قد تكون هناك جوانب عديدة للاستراتيجية في هذا الصدد ، مثلاً : يجب تعريف أبناء الوطن بما تحمله المدارس الدينية من فائدة وخير ، وكذلك إخبارهم بأهداف تأسيسها وأغراض إنشائها . وهناك عدد كبير من الناس لا يعرفون شيئاً عن واقع المدارس الدينية . وخاصةً في ظل ظروف من الدعايات السلبية ، تزداد مسؤوليتنا تجاه الاهتمام بهذا الجانب .

ثانياً : يجب أن نعرِّف أبناء وطننا بمعتقداتنا الدينية وعقائدنا الإسلامية ، وكذلك التعاليم الأخلاقية التي تدعو إلى التمسك بقيم السلام وتعزيز الأخوة الإنسانية والتعاطف والمواساة . وبهذه الطريقة ، سيتم إزالة سوء التفاهم الذي نشأ في أذهانهم ، وسيكون العالم على

دراية بمحاسن الإسلام وفضائله .

وينبغي لنا أيضاً أن نوضح لهم أنه من حقنا الدستوري والديمقراطي أن نثقف أجيالنا حول معتقداتنا الإسلامية . وإلى جانب ذلك ، فإن مسؤولية التربية والتعليم التي تتحملها المدارس الدينية هي مشاركة بذاتها في أداء المهام والمسؤوليات المرتبطة بالتعليم والتربية التي تقع على عاتق الحكومة . وبهذه الطريقة ، تقوم هذه المدارس بتلبية الاحتياجات التعليمية والتثقيفية للبلاد .

ثالثاً : علينا أن نبقى على اتصال أيضاً بكل من الطبقة الحاكمة ومسئولي الحكومة ورجال السياسة ونبيّن لهم عن المدارس وواقعها وأهدافها النبيلة ، وكيف تضيئ هذه المدارس الدينية شموع المعرفة ضد الجهل في البلاد . فإذا كانت المفاهيم الخاطئة حول المدارس الدينية توجد في أذهانهم ، فعليهم مقابلة المعنيين بإدارة شؤون المدارس الدينية وفهمُ الواقع من أجل محو المفاهيم الخاطئة وتصحيحها .

رابعاً : يجب علينا أن نحافظ على نظامنا الداخلي شفافاً للغاية وخالياً من نقاط الضعف حتى لا تتاح لأحد فرصة لتوجيه أصابع الاتهام إلى المدارس الإسلامية .

س . تتبنى الدوائر الحكومية موقفاً متعاطفاً – على ما يبدو – تجاه المدارس الدينية ، فيدور الحديث عن تقديم الدعم المالي لها ، إضافة إلى تقديم اقتراحات لتكييف مناهج المدارس الدينية مع المتطلبات الحديثة ، فما رأيك في هذا الأمر ؟

ج . هذا أمر مستحسن وقابل للالتفات في حد ذاته على ما يبدو ، ولكن من موقف مسؤولي الحكومة ضد المدارس الدينية ، قد تظهر الشكوك في أن مثل هذه الجهود محاولات لتغيِّر اتجاه المدارس الدينية . فإن المحاولات المؤيدة لإدخال المواد المعاصرة في المقررات الدراسية للمدارس الدينية إلى حد بحيث تتضرر المواد الدينية والشرعية ، فمن الواضح أن مثل هذه المحاولات ستفضي إلى فقدان المدارس الدينية روحها الأصيلة . وقد يؤدي قبول الدعم المالي الحكومي أيضاً إلى إتاحة فرصة للحكومة للتدخل في شؤون المدارس الدينية ونظامها التعليمي ، فيضر بالمدارس الدينية وتتصرف عن أهدافها الأصيلة وأغراضها النبيلة . وفي ظل مثل هذه الظروف ، نود أن نقول : إن المدارس الدينية الكبيرة التي

تستطيع تحمل تكاليفها لا ينبغي لها أن تقبل الدعم المالي الحكومي حتى لا يكون هناك أي احتمال لتدخل الحكومة في شؤونها .

س . من وقت لآخر ، يقدم بعض المخلصين للمدارس أيضاً اقتراحات للقيام بتعديل طفيف في المقررات الدراسية للمدارس الدينية ، فما الأمور الأساسية التي يجب مراعاتها فيما يتعلق بإدراج العلوم والفنون المعاصرة في المقررات الدراسية ؟

ج . في كثير من الأحيان ، تمس الحاجة إلى إبداء الآراء حول هذا الموضوع ، فكان أحد الجوانب المهمة والأساسية لحركة ندوة العلماء وأحد أغراضها هو إصلاح المناهج الدراسية . فمن المهم أن نفهم أن العلوم المعاصرة يمكن تقسيمها إلى قسمين : القسم الأول يتعلق بالعلوم الاجتماعية ، مثل التاريخ والجغرافيا ، والقسم الثاني يتعلق بالعلوم الطبيعية . وأما العلوم الاجتماعية فيجب إدخال هذه العلوم في المقررات الدراسية للمدارس الدينية بقدر ما هو ضروري ، ولكن من المهم مراعاة أن هذه العلوم لا تكون خالية من الروح الإسلامية ، وأن لا تترك العلوم التي تشكلت تحت رعاية أوروبا ، والتي من أجلها توجد روح الإلحاد فيها ، أثراً سلبياً على طلابنا .

وفي الواقع ، هناك حاجة إلى صياغة هذه العلوم في قالب جديد مطلوب . وإن القيام بأسلمة تلك العلوم والمواد مهم جداً ولا غنىً عنه . ودراسة هذه العلوم يمكن أن تجعل الإنسان ملحداً وكذلك مسلماً . . . فلذلك ، إذا تم القيام بهذه المهمة ، فستكون خدمةً جليلةً في مجال " العلم النافع " ، ومنةً عظيمةً على البشر في العالم .

وأما العلوم الطبيعية ، فلا يمكن إنكار أهميتها وفوائدها ، ولا بد من اكتسابها وإنشاء مدارس للحصول عليها ، بل يمكن أن تكون مصدراً لمعرفة الله للإنسان ، وتؤدي إلى توضيح قدرة الله تعالى . ولهذا السبب نقول : إنه من اللازم أن لا يدرسها نفر من المسلمين باعتبارها فرض كفاية فحسب ، بل يجب أن يبلغوا ذروة الكمال في هذه العلوم .

ولكن فيما يتعلق بإدخال العلوم الطبيعية في المناهج الدراسية للمدارس الإسلامية ، فيجب أن يقال : إنه يمكن تدريس أساسياتها في المدارس ، بل من الضروري أن يكون طلاب المدارس الإسلامية على دراية بها . ولكن المناداة بإدخال العلوم الطبيعية في المناهج الدراسية بشكل واسع لم يكن صحيحاً ولا يمكن تنفيذها عملياً أيضاً . فهل يمكن تقديم التعليم الطبي والهندسي في وقت واحد ؟ وإذا كان ذلك غير ممكن ، فكيف

يمكن أن تقوم المدارس التي أُنشئت للتخصص في علوم الشريعة والقرآن والحديث والفقه بتدريس هذه المواد الطبيعية إلى جانب العلوم الشرعية . وتجدر الإشارة إلى أن الوظيفة الرئيسة للمدارس الدينية تتمثل في إنجاب علماء الدين والخبراء في العلوم الشرعية . فإذا انحرفت المدارس الدينية عن تأدية وظيفتها الأساسية ، فكيف يمكن أن تبقى كمدارس دينية ؟

س . في سياق الاتهامات الموجَّهة إلى المدارس الإسلامية ، ماذا تود أن تقول لرجال الحكم ؟

ج . كما قلت سالفاً إنه يجب على رجال الحكم إزالة سوء الفهم الذي نشأ في أذهانهم ، فإن مدارسنا ليست كما يتصورونها . ويجب أن يأتوا بأنفسهم إلى المدارس ويروها ويفهموها . ففي هذه المدارس ، لا يتم تقديم أي تعليم ينتهك دستور الهند أو يتعارض مع الدستور الهندي .

س . ماذا تود أن تقول عن أبناء الوطن المحبين للسلام وذوي العقول الصافية ؟

ج . لِنستخدم وسائل الإعلام من أجل إزالة وتصحيح سوء الفهم من أذهانهم ، ونحاول أن نُفهمهم بلغتهم وأسلوبهم .

س . ماذا تود أن تقول للقائمين على شؤون المدارس العربية ؟

ج . يجب أن يركّز القائمون على شؤون المدارس انتباههم على العمل الإيجابي والجاد ، وأن لا ينسوا أنهم يضطلعون بهذه المسؤولية ابتغاء مرضاة اللّه تعالى ، وأن يخدموا علوم الدين بهذا الفكر . وعلاوةً على ذلك ، يجب أن يفهموا ويدركوا متطلبات الدين وسبل تقوية الأمة .

كما يجب عليهم أن يستمروا في تعريف الآخرين بأهمية المدارس الدينية وفوائدها . ويجب عليهم أيضاً تجنب إشهار ما يقومون به من خدمة دينية ، وتجنب السعي وراء الشهرة ، وهذا يتسبب في سوء الفهم ، فيجب أن يكون هدفهم العمل وليس الإشهار .

وعليهم أن يحترموا القانون ، وأن يكونوا حذرين ، ويجب عليهم عدم اتخاذ أي خطوة من شأنها أن تمنح أحداً أي فرصة لإلقاء اللوم عليهم ، فلا بد من أن يعملوا في إطار المبادئ الديمقراطية والدستورية .

ويجب على أصحاب المدارس الإسلامية أن يعلووا فوق مصالحهم الشخصية ، وأن ينتبهوا إلى الأعمال الإيجابية والعملية ، فإنهم سيحصلون – إن شاء اللّه – على عون من اللّه سبحانه وتعالى ، وسيكون عملهم فعالاً ونافعاً ومثمراً أيضاً .



شخصية مثالية فقدناها



حارس الإسلام ورائد المسلمين

بقلم : الأستاذ محمد عبد الحي الندوي *

كان اليوم يوماً مظلماً ، رغم أضواء شهر رمضان المعظم ، وأنوار إحياء لياليه بالقيام وقراءة كتاب الله تعالى ، كاد قلبي يتوقف من شدة الخفقان ، وأوشكت دماء جسدي أن تجف ، وصرتُ كأن طوفاناً يهز أعضائي كلها دون استثناء هزاً عنيفاً ، وكأن جارفاً يقلب كياني رأساً على عقب ، عندما أنهي إلي الخبر الذي كان وقعه على مسمعي كالصاعقة المدوية .

كان أخي العزيز والصديق الغالي الدكتور الفاضل محمد أكرم الندوي قد أخبرني منذ فترة أنه سينزل في قطر في هذا الشهر الفضيل ، وقررنا أن يزورني في اليوم التالي من وصوله أي يوم ١٣ من أبريل ٢٠٢٣م المصادف ٢٢ من شهر رمضان المبارك ١٤٤٤هـ ، وكنت متحمساً مع أبناء الجالية الندوية في قطر لاستقباله والترحيب به ترحيباً حاراً ، ونظمت مأدبة إفطار في بيتي المتواضع وعزمت مع عدد من زملائنا على احتفال بهذه المناسبة الكريمة ، ولكن أمر الله كان قدراً مقدوراً ، فإذا بحفلة الأحباء المزعومة تحولت إلى سرادق عزاء بعد صدمة سماعنا نبأ وفاة مربينا الأجل وأستاذنا المشفق سماحة العلامة مرشد الأمة السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، وغلبنا شعور اليتامى ، وكأننا كلنا فقدنا آباءنا في هذا اليوم .

لم تكن الخسارة يسيرة ، ولا الصدمة خفيفة ، إنها ليست خسارة دار العلوم لندوة العلماء فحسب ، ولا صدمة الأمة الهندية وحدها ، بل هي خسارة الأمة الإسلامية كلها على اختلاف شعوبها وتباعد ديارها ، لا أتذكر جيداً كيف مضت تلك الليلة ، ولكنها كانت حافلة بذكر أبينا الروحي ومربينا الفاضل والدعاء له ، عسى أن يرفعه الله إلى أعلى درجاته في الجنة ويلحقه بالصالحين .

كان سماحة العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي أستاذاً مشفقاً ، وعالماً جليلاً ، وأديباً كبيراً ، وكاتباً قديراً ، ومفكراً ألمعياً ، ومربياً رفيقاً ، وإنساناً حليماً ، وكان حارساً للإسلام والعربية في شبه القارة

* الدوحة ، دولة قطر .

الهندية ، نهل من معين العلم ، وروي من مورد الأدب ، واضطلع من الفنون والصناعات ، وحرص على الحفاظ على معالم الدين الإسلامي في شتى تحركاته وصولاته وجولاته في كافة أصقاع العالم .

تعلمت منه الكثير ، وأخذت منه الأدب والسلوك ، وكان قدوةً لي في كل شيئ ، في أقواله وأفعاله ، وحكمه وأحكامه ، وجهراته وهمساته ، وشكره وصبره ، وسماحته وحلمه ، كان من أكبر علماء هذا العصر ، وإني أعتز بأني تلمذت عليه وصحبته ، وجلست إليه وحضرته في خلواته وجلواته ، وكانت علاقتي الشخصية معه مميزةً ، وكان يشرفني برسائله وكتبه إلي بصفة مستمرة ، ويحثني على التمسك بالدين وعدم التغافل عنه في مشاغل الحياة ، وكان يوجهني إلى الأعمال العلمية .

كنت أزوره في الهند مرة كل سنة تقريباً ما عدا فترة جائحة كورونا ، ولم تتغير علاقتي به طيلة هذه الفترة التي تمتد أكثر من ٤٠ سنة ، بل تطورت على مر الزمان حسناً ، وازددت إليه قرباً ، واتبعت منهجه الصالح واقتفيت أثره العلمي كما كان ينصحني دائماً .

ومما استفدت منه التواضع الذي امتاز به بين أقرانه ، والتحمل الذي لم يدانه فيه أحد ، لم أر أحداً مثله في التواضع ، كان يتجلى تواضعه في ملبسه ومأكله ، ومسكنه وهيئته ، وفي تعامله مع الناس بل وزملائه وطلابه ، فبالرغم من مكانته العلمية والاجتماعية إلا أنه كان يعامل الجميع بكامل الاحترام وتام المودة ، واشتهر بدماثة أخلاقه وبشاشته التي لا تفارق محياه .

عُرف سماحة العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي بحكمته السياسية ورصانة عقله المرصع بالعلم والفكر ، وهو ما جعلني أتعلم من بصيرته السياسية ، خاصة في ظل ما يواجهه المسلمون في الهند من مصاعب ومشاكل ، بل وأخطار تهدد وجودهم ، فما كان يستعجل في ردة الأفعال مهما كبر الموقف ، وكثيراً ما كان يختار السكوت والتريث ، ويتبين لاحقاً أن سكوته وعدم الانفعال مرده الهدوء لتجنب الاستعجال في تقدير المواقف .

كان يفيض بالعلم ، علا على الناس بفضله ودنا إليهم بخلقه ، وعاش زاهداً في دنياه ، وكرّس حياته وسخر وقته خدمة للإسلام والمسلمين ، مدافعاً عن الحق ، نابذاً للباطل ، يُعلي صوت العقل والحق ، ويسعى لما فيه خير للإسلام والمسلمين ، وكان رجلاً صالحاً يبتغي الخير لنفسه وللجميع ، وستظل كلماته راسخة في عقلي ما حييت ، وستكون مآثره بصيرة لطريقي ما عشت .

اللهم اكتبه عندك من الصّديقين والصالحين والمعتوقين من النار ، ونقّه من الذنوب والخطايا ، كما ينقّى الثوب الأبيض من الدّنس ، وأنزله جنان الفردوس ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

لا رُزْءَ أعظمُ في الأقوام نَعْلَمُه

بقلم : الأستاذ هارون الرشيد الشيريفوري*

معنى التعزية : وهي لغةً : من عزى ، يعزي ، تعزية أي تصبيراً وتسليةً .

واصطلاحاً : أوضح الدكتور الشيخ مشبب بن فهد القحطاني المشرف التربوي على التعليم الشرقي أن التعزية هي كلام يقال لأهل الميت ، ويقصد به تسليتهم في المصيبة والوقوف معهم لقضاء ما يلزم قبل الدفن وبعده ، وحثهم على الصبر والتحمل ، إضافةً للدعاء لهم ولميتهم .

التعزية في الأدب العربي :

وجمع بعض الشعراء بين التعزية والتهنئة ، وأول من جمع بينهما – عبد الله بن همام السلولي – فقد ذكر صاحب العقد الفريد أن معاوية بن أبي سفيان مات ، ويزيد غائب ، ثم قدم من يومه ذاك فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام ، فدعاه إلى الصبر على الرزية وحمد الله على العطية (الخلافة) فقال :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة	واشكر بلاء الذي بالود أصفاكا
لا رزء أعظم في الأقوام نعلمه	كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
أصبحت راعي أهل الدين كلهم	فأنت ترعاهم والله يرعاك
وفي معاوية الباقي لنا خلف	إذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

ومن ألفاظ التعزية : " إنّ لِله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكلُّ شَيْئٍ عِندَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى ، فاصْبِرْ واحْتَسِبْ " ، وأيضاً قول : " أحْسَنَ اللّٰه عزاءك " . وليس لها ألفاظ مخصوصة ، والأفضل أن يعزي بالألفاظ التي عزى بها النبي صلى الله عليه وسلم .

حكم التعزية : وهي مستحبة ، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة : الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، وحُكي الإجماع على ذلك . وكره بعض الفقهاء ، وأباح بعضهم التعزية بعد ثلاثة أيام . (والله تعالى أعلم بالصواب) . مراقي الفلاح للشر نبلالي (ص : ٢٢٨) ، (حاشية ابن عابدين) (٢٤٠/٢) ، (التاج والإكليل) للمواق (٢٢٩/٢) ،

* أستاذ الحديث والأدب العربي بالجامعة الأهلية المحسنية دار الحديث شورئيغهات من كنائيغهات في سلهت ، بنغلادش .

ويُنظر : (شرح مختصر خليل) للخرشي (١٢٩/٢) ، (المجموع) للنووي (٣٠٥/٥) ، (مغني المحتاج) للخطيب الشربيني (٣٥٤/١) ، (الفروع) لابن مفلح (٤٣/٣) ، (كشاف القناع) للبهوتي (١٥٩/٢) (١٦٥١) مسألة ، قال : " وَيُسْتَحب تعزية أهل (الميت) لا نعلم في هذه المسألة خلافاً (المغني لابن قدامة) .

الأدلة من الكتاب والسنة ؛ قال الله تعالى عن التعزية : " إنا لله وإنا إليه راجعون ...... كل نفس ذائقة الموت .

وعن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِن مُسلِمٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بمصيبة إلا كساه الله من حُلل الكرامة يوم القيامة . هذا الحديث رواه البيهقي .

قلت ولفظ النووي في الحلية ، وروينا في سنن ابن ماجه والبيهقي بإسناد حسن عن عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من مسلم يعزي أخاه المؤمن بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة .

وروينا في كتاب الترمذي والسنن الكبير للبيهقي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : من عزى مصاباً فله مثل أجره " ، وفي سنده ضعف .

وروينا في كتاب الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من عزى ثكلى كسي برداً في الجنة " . قال الترمذي : ليس إسناده بالقوى .

قلت : إلا أن ذكره هنا في باب الترغيب حسن اتفاقاً . انتهى .

من كتاب " أربعون حديثاً في اصطناع المعروف " جمع زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى سنة (٢٥٦هـ) علق عليه وقدم له محمد بن تاويت الطنجي ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية .

وإن التعزية مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي داخلة أيضاً في قوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) [المائدة : ٢] .

إن هذه الفترة التي تمر بها الأمة الإسلامية ، هي من أشد الفترات قلقاً واضطراباً ، ودقة وخطورة ، ثورات تندلع نيرانها ، حكومات تقمع شعوبها ، وشعوب تتمرد على حكامها . هتافات ، واعتصامات ، ومظاهرات ، ومسيرات ، وتفجيرات ، واعتقالات ، محاكمات ، واشتباكات بين السلطة والشعب ، توقف عجلة الرقي والتقدم في تلك البلاد . كل ذلك يعود إلى طبيعة استخدام القوة ، وتوجيه التهديد ،

واللجوء إلى العنف والقيام بما ينافي الحكمة ومصلحة الأمة والبلاد ، هذا الوضع الذي يشهده اليوم معظم دول العالم الإسلامي هو وضع مؤلم للغاية يحتاج في تغييره إلى تغيير ، تغيير في التفكير ، تغيير في الطبيعة ، تغيير في المنهج ، تغيير في التعامل مع الآخر ، وهذه الدراسة تدعونا إلى كل ذلك ، يعطينا أسلوباً رائعاً لحل الأزمات ، ومعالجة القضايا ، وإخماد نار الفتن ، وإزالة سوء التفاهم ، والتواصل بين رؤساء البلاد وشعوبها ، والتوصل إلى نتيجة ترضي الجميع ، وتضمن الخير والسعادة . هذه الدراسة تتناول جانباً مهماً من حياة الإمام القائد الإسلامي الحكيم الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، وهذا الجانب من أبرز جوانب حياة العلامة الندوي ، وهو الفراسة الإيمانية والقيادة الحكيمة ، فقد دعا إلى الدين على بصيرة ، وقاد المسلمين إلى الحق عن بينة .

نقدم تعازينا بوفاة العلامة محمد الرابع الحسني الذي وافته المنية عن عمر يناهز ٩٤/ عاماً .

ونقول في رسالة تعزية : ودعت الأمة الإسلامية علماً من أعلامها الأفذاذ ، العلامة محمد الرابع الحسني الندوي الذي عاش عمره المبارك للعلم والأدب ، يعلّم ويدرّس ، يؤلف بحكمة بالغة ، ورفق وبصيرة .

وإن الشيخ محمد الرابع الندوي رحمه الله عاش جندياً وحارساً للإسلام ، فأيما شخص اقترب من الإسلام يريد اختراق قلاعه ، وهدمها صرخ بأعلى صوته لمقاومته ، يوقظ النائمين ، وينبه الغافلين . وقاوم الفكر الوافد ، وترك تراثاً ضخماً ، يتمثل في عشرات الكتب في الدين والفكر ، والأدب والتاريخ ، والتربية والدعوة ، والإصلاح والتوجيه .

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

الحق أن الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي قد آتاه الله من المواهب والقدرات ، ومنحه من المؤهلات والأدوات ما أحله المكانة الرفيعة في عالم الدعوة والدعاة والأدب والأدباء ، وهب الله الإمام الندوي البيان الناصح والأدب الرفيع ، كما يشهد بذلك كل من قرأ كتبه ورسائله ، وكان له ذوق وحس أدبي ، فقد نشأ وتربى في حجر لغة العرب وأدبها منذ نعومة أظفاره ، ليكون صلة بين الهند والعرب ، ليخاطبهم بلسانهم ، فيفصح كما يفصحون ، ويبدع كما يبدعون ، بل قد يفوق بعض العرب الناشئين .

تلقى العالم نبأ وفاة النحرير الرباني الجليل والمفكر الإسلامي العظيم الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي الرئيس العام لندوة العلماء ظهر يوم الخميس الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك ١٤٤٤هـ المصادف ١٣ من أبريل ٢٠٢٣م بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره ، وإن وفاته

خسارة لا تعوض ، وثلمة واسعة لا تسد إلا ما شاء الله .

فقد نعي إلينا رجل وأي رجل ، رجل العفة ، رجل النزاهة ، رجل الفصاحة ، رجل البلاغة ، الكاتب القدير ، لقد أدمى نعيه العيون وجرح القلوب وعقل الألسن وأوقف الأقلام ، فلم نقدر أن نصف هذا المصاب الخطير الذي أصاب الأمة الإسلامية والعربية بفقيدكم العظيم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

إننا إذا ننعى هذا العلم البارز ،أحسسنا كأننا قد قطعت أجزاء منا ، ونكاد نجزم بأنه لا يوجد بيت إلا ودخله الحزن والأسى بفقد هذا الطود العظيم ،فقد رزئت الأمة الإسلامية في أنحاء العالم بخطب فادح ومصاب جلل.

ولقد قدّر الله تعالى علينا أن نودع – في سنة رحيل العلماء والأعلام هذه – كبارهم وخيارهم علماً ، وزهداً وتقىً ، ودعوة إلى الله تعالى ، وتعليماً وتدريساً وتوجيهاً وإرشاداً .

نحسب أن فقيدكم من أكتب الكتاب في هذا العصر ، ولا أنسى ما خطت يمينه في البعث الإسلامي ، ومن ذلك مقالات أخذت بمجامع القلوب ذكرتنا علماء بغداد وأدباء قرطبة .

وهو من فحول البلغاء ، وله إجازات من كبار المحدثين ، أمثال : شيخ الحديث العلامة محمد زكريا الكاندهلوي ، وخاله النبيل الشيخ الإمام أبي الحسن علي الندوي ، والشيخ الحافظ عبد الفتاح أبي غدة ، والشيخ المفتي أحمد حسن خان الطونكي وغيرهم . وقد ألف الفقيد المرحوم كثيراً من الكتب ، وكنت أعرفه منذ صباي عن طريق " معلم الإنشاء " و " الأدب العربي بين عرض ونقد " و " منثورات من أدب العرب " .

أما تقاريظه العلمية للكتب والمخطوطات ، فلم أر مثلها لغيره ، وإني لأعده من المبرِّزين في هذا الفن فن الانتقاد الأدبي ، الذي كاد يُطمس نوره لولا نهوضكم السريع بالعربية في هذا العصر ، فرحمه الله رحمة واسعة ، ورزقنا جميل الصبر ، وأجزل ثوابه بقدر مصابنا فيه ، وأطال بقاءكم وبارك فيكم وفي ذويكم .

وفي هذه المرحلة العصيبة نتوجه إلى الله تعالى – والقلوب ملؤها الأسى والحزن – داعين إياه سبحانه أن يتقبل سعينا قبولاً حسناً ، ويغفر لنا ذنوبنا ، ويخلف لدار العلوم ، التابعة لندوة العلماء والأمة الإسلامية خيراً كما نتوجه إلى أهل الفقيد وذويه كلهم بالعزاء – الذي أمرنا به الشرع الحكيم – سائلين الله سبحانه وتعالى أن يلهمهم الصبر والسلوان ، فإن في الله عزاءً من كل مصيبة ، وعوضاً من كل مرزئة ، ودركاً من كل فائت ، وخلفاً من كل غائب .

مَلَك كريم في صورة إنسان

بقلم : الأخ الأستاذ محمد سلمان الندوي البجنوري*

هل سمعتم بملَك يمشي على الأرض ويعيش بين الناس ؟ وهل تصدقون ذلك إذا أخبركم به أحدٌ ؟! أراكم تقولون – ولكم الحق – : ما سمعنا بهذا ، وذلك مستحيل ، لأن الملائكة هم خلق نوراني لطيف ، لا يمكننا أن نراهم بأعين رؤوسنا المادية ، والملك خلق في السماء ، أما على الأرض ، فذلك إنسان وهو يعيش فيها . ولكن تأخذكم الحيرة والعجب حينما أخبركم بإنسان يتحلى بصفات وخصائص الملائكة الذين يخضعون للّه رب العالمين ، ويتسابقون للعمل بما أمرهم اللّه سبحانه وتعالى ، ولا يتغافلون عنه لطرفة عين ، ويفتخرون بأنهم خاضعون ، راكعون ، ساجدون أمام رب العالمين . وذلك لأن الإنسان إذا غلبته الصفات الملكوتية اللطيفة ، وامتزجت بلحمها ودمها صار ملكاً في قالب إنسان ، وعاد كأنه أحدُ مخلوقات نورانية . لعلكم تستعجلون قائلين : من هو ذاك ؟ أخبرنا به أيضاً ! نعم ! إنه الداعية الإسلامي الكبير والأديب الأريب والكاتب القدير والعالم الجليل الرباني ، العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي بن رشيد أحمد بن خليل الدين رحمه اللّه رحمةً واسعة .

وُلد الشيخ رحمه اللّه في شهر جمادى الأولى بقرية تكية " الشاه علم اللّه " بمديرية رائي بريلي التي تبعد عن لكناؤ ثمانين كيلو متراً بولاية أترابراديش ، ونشأ في أسرة حسنية عربية أصيلة علمية دينية ، لا تزال تحافظ على أنسابها ، وتمتاز بتمسكها بالشريعة الإسلامية والعقيدة الصحيحة الدينية وبذل الجهد الحثيث في نشر العلم وخدمة الإسلام والمسلمين ، ينتهي نسبه إلى محمد بن عبداللّه الحسني المثنى بن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه ، وأول من جاء إلى الهند من أجداد أسرته هو الأمير السيد قطب الدين محمد المدني (٥٨١ – ٦٧٧هـ) عن طريق بغداد وغزنة في أيام فتنة المغول في أوائل القرن السابع الهجري مع جماعة من أصحابه .

وإن لهذه الأسرة أثراً كبيراً في شخصية الإنسان وبناء الإنسانية ، فالتربية الدينية والعلمية تساهم مساهمة عظيمة في تكوين شخصية

* مدرس بكلية الدعوة والإعلام بجامعة ندوة العلماء .

عظيمة ، وإن للدكتور السيد عبد العلي الحسني وللشيخ العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي مساهمة كبيرة في تكوين شخصية شيخنا السيد محمد الرابع الحسني الندوي وحياة مرشدنا وعقليته وتوجيهه نحو الحياة الفاضلة المحمودة ، فهو أخذ عنهما ما أخذ ، وتأثر بهما حتى تكونت شخصيته الدينية وعقليته العلمية وحياته النموذجية ، فأصبح أحد العلماء العظام من الطراز الأول في الهند والعالم الإسلامي في العصر الحاضر ، وقد سار شيخنا رحمه الله على نفس نهج خاله العظيم العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في جميع مجالات الحياة من العلم والفكر والدعوة والعمل ، ونهل من منهله العلمي الصافي وتمتع في كنفه بحكمته البالغة وفكره السليم ومعرفته الإلهية .

وقد زار شيخنا رحمه الله العلماء الكبار واستفاد منهم مثل الشيخ طبيب الأمة الروحاني أشرف علي التهانوي ، يقول عنه شيخنا : " سافر الشيخ العلامة أشرف علي التهانوي إلى لكناؤ سنة ١٩٣٧م ، وأقام بها ، وانعقد مجلسه في مسجد " خواص " بأمين آباد ، ومِن سعادة حظي أني حضرت في مجلسه مع خالي " .... كما زار الداعية الإسلامي ومؤسس حركة الدعوة والتبليغ الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي الذي كان جاء إلى دار العلوم ندوة العلماءٍ وأقام بها عشرة أيام . وعنه يقول : استفدت منه خلال هذه المدة ، ومرة سافرتُ إلى دهلي ومكثت في مركز الدعوة والتبليغ بحي نظام الدين ، فلازمته وصحبته خلال هذه المدة " (صفحات من سيرته الذاتية ص : ٣٩ لفقيد الأمة السيد محمد الرابع الحسني الندوي) ، وكذلك قد استفاد من الشيخ العالم الرباني عبد القادر الرائيفوري والشيخ العالم الجليل والمحدث الكبير محمد زكريا الكاندهلوي ، والشيخ المجاهد الكبير السيد حسين أحمد المدني ، والشيخ المقرئ العالم الصالح محمد طيب القاسمي والمفتي محمود الحسن الكنكوهي رحمهم الله .

بدأ شيخنا رحمه الله تعلمه للقرآن الكريم منذ الصغر في منزله ، وأتم التعليم الابتدائي عند شيخ لأسرته السيد عزيز الرحمن الحسني في دائرة الشاه علم الله الحسني ، وأكمل المرحلة الثانوية في مسجد أمين آباد بلكناؤ تحت إشراف خاله الدكتور عبد العلي الحسني ، وكان في الكتّاب له أستاذ خاص وهو المولوي سليم رحمه الله ، ثم التحق بدار العلوم لندوة العلماء في الصف الأول سنة ١٩٤١م ، ومن أساتذته الكبار المحدث الكبير الشاه محمد حليم عطاء السلوني ، والشيخ المفتي محمد

سعيد الأعظمي ، والشيخ محمد ناظم الندوي ، والشيخ محمد إسحاق السنديلوي ، والشيخ السيد حميد الدين الفيض آبادي ، والشيخ نور الحسن ، والشيخ السيد عبد الغفار النغرامي ، والشيخ محمد عمران خان الندوي ، والشيخ محمد أويس النغرامي الندوي ، والشيخ المقرئ ودود الحي الندوي ، والشيخ محمد سميع الصديقي رحمهم الله . (المصدر نفسه : ص : ٥٠) وتلمذ أيضاً على خاله الشيخ العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وقد استفاد منه استفادة خاصة ، ولازمه في الحل والترحال ، وكان العلامة الندوي يشرف على جميع نشاطاته وإنجازاته وجهوده العلمية وأعماله الدعوية ، فاقتبس من علوم خاله العظيم العلامة الندوي وفنونه وأدبه ونهجه وفكره وفهمه وورعه وتقواه وخلقه وحسن سيرته وتواضعه وما إلى ذلك . ويقول شيخنا عن خاله العلامة الندوي : " قضيتُ طول حياتي في كنفه وظل شفقته من البداية إلى النهاية ، وكنت لا أفعل شيئاً إلا ما أشار إليه أو ما أمرني به ، ولا أخالف أمره أو ما كان يشاء في أي حال " . (المصدر نفسه : ص : ٣٨) .

وتخرج شيخنا رحمه الله في دار العلوم ندوة العلماء عام ١٩٤٨م ، وعين مدرساً لمادة اللغة العربية وآدابها في دار العلوم ، وقام بالمسؤولية عن الدرس والتدريس والتعليم والتربية بنشاط ورغبة وجهد متواصل ، ثم صار رئيس قسم الأدب العربي عام ١٩٥٥م ، وعميدَ كلية اللغة العربية وآدابها عام ١٩٧٠م ، ومديراً لدار العلوم ندوة العلماء عام ١٩٩٣م ، ونائب رئيس ندوة العلماء عام ١٩٩٨م ، ورئيساً عاماً لندوة العلماء بعد وفاة سماحة الشيخ العلامة السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، وفي عام ٢٠٠٣م تم اختياره رئيساً لهيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند ، واشتغل أيضاً بعد التخريج في دار العلوم بالكتابة العربية والمقالات العربية حول موضوعات مختلفة ، وفي عام ١٩٥٩م أصدر الشيخ رحمه الله صحيفة " الرائد " وهي صحيفة عربية نصف شهرية من ندوة العلماء ، ولا تزال تصدر منها باستمرار وانتظام ، كما تستمر مجلة " البعث الإسلامي " التي أنشأها الشيخ الكاتب الموهوب محمد الحسني والشيخ الدكتور الكاتب القدير سعيد الأعظمي الندوي في عام ١٩٥٥م ، وقد أثرى الشيخ رحمه الله خلال مدة حياته الطويلة – التي تستغرق ستة وتسعين عاماً قام فيها بخدمة العلم والدين ونشر الإسلام في العالم – المكتبات الإسلامية بكتبه القيمة المفيدة النافعة ، وله مؤلفات ورسائل قد بلغت أكثر من ثلاثين ، وقد ترجم كثير منها إلى الأردية والإنجليزية ، ومن أهم مؤلفاته

" سراجاً منيراً سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم " " الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية " " الأدب العربي بين عرض ونقد " " منشورات من أدب العرب " " جزيرة العرب " وغيرها .

أُحِبُّ الصالِحينَ وَلَستُ مِنهُم   لَعَلَ اللّه يرزقني صِلاحاً

وكان من الرجال القلائل الذين جمعوا كثيراً من الفضائل والمزايا والخصائص التي تكفي منها واحدة لرفع مكانة صاحبها بين الناس ، ولا شك أنه كان إنساناً كاملاً في أسمى معانيه ، متواضعاً بمعنى الكلمة ، ولم يُر مثله في التواضع والخشوع وإظهار الحشمة ، وكان لين الجانب ، سهل المراس ، صادقاً في القول والعمل ، ملتزماً بالإخلاص والصدق والأمانة ، متحلياً بأخلاق النبي صلى اللّه عليه وسلم ، متأسياً بأسوة النبي صلى اللّه عليه وسلم وسيرته وسلوكه ، متلطفاً بأهله وذويه ومن ينتسب إليه ، طلق الوجه وباسم الثغر لكل من يحضره ، قريباً كان أو بعيداً ، وشفوقاً على من يتلمذ عليه من طلاب العلم والدين ، لا يُرى على وجهه شيئ من الغضب والعنف والشدة والخشونة ، إلا إذا ارتُكب خرقُ شعائر الإسلام وخولف الدين ، لطيفاً في الكلام ولم يكن عنده جفاء ولا نفور ، متبسماً في كل حين وآن ، تبدو على شفتيه ابتسامة وترقص على وجهه براءة الطفولة ، معتصماً بحبل اللّه المتين والصراط المستقيم ، متمسكاً بالشريعة الإسلامية ، متصلباً في الدين والعقيدة ، وقّافاً عند حدود اللّه تعالى ، محباً لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، وذلك الحب ممتزج بلحمه ودمه ، راغباً في سنن النبي صلى اللّه عليه وسلم والعمل بها ، ولا يقر له قرار إلا برطب لسانه بذكر الرسول صلى اللّه عليه وسلم والصلاة عليه ، يتمتع قلبه وروحه بالعمل بالسنة النبوية صلى اللّه عليه وسلم ، زاهداً في حطام الدنيا ومباهجها وفيما عند الناس ، متفرغاً للّه ولعبادته ولخدمة الدين ونشره ، تاركاً ملذات الدنيا وأمورها ، بسيطاً في المأكل والمشرب والملبس والمسكن رغم إقبال الدنيا عليه ، ممثلاً في ذلك حديث الرسول صلى اللّه عليه وسلم : " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل " ، جامعاً بين العلم والعمل والقول والفعل . وهذا هو الشيئ الذي يميزه عن معاصريه من العلماء والدعاة ، وكان لا يلحق بشخص أذى ، ولا يجرح عواطف أحد وشعوره بقلمه ولسانه وفكره ورأيه ولم يغتبّ شخصاً ، لا في خلوته ولا في جلوته ، ولا في مجلسه ولا في درسه ، ولم يأت في ذهنه قط أن يُحدث شقاقاً بين المنظمات والجماعات من المسلمين أو غير المسلمين ، وكان يحرص على ترقية وسعادة إخوانه

وغيرهم وتشجيع الناشئين ، ويعترف بأصحاب الفضل والكمال من المعاصرين ، ويبذل النصح والخير للجميع ، وكان يهتم بأمور المسلمين ويحترق قلبه على مصائبهم ودمائهم المهراقة اضطهاداً واستبداداً ، ومن كان يراه ويزوره يظن أنه ملك ، ولا يتمالك أن يقول : ما هذا بشراً ، إن هذا إلا ملك كريم . يقول فضيلة الشيخ المفتي محمد تقي العثماني حفظه الله في خطابه عن شخصية شيخنا رحمه الله : " إنه كان قدوة حسنة ومثالاً عظيماً لنا ولجميع المسلمين ، وكلما زرته ولقيته فأحسست كأنه ملك من الملائكة ، ولا شك في أنه كان ملكاً في صورة إنسان برقة القلب وسماحة النفس ونعومة الصدر وطلاقة الوجه وقوله وعمله وسلوكه وسعة الأخلاق وتعامله مع الناس وسيرته الذكية " ،(مقتبس من حديث الشيخ المفتي محمد تقي العثماني حفظه الله ورعاه عبر حفلة التأبين) ، وكان المسلمون يحبون شيخنا رحمه الله ويفتخرون بوجود شخصيته في الهند ، وأفضل ما يميزه عن معاصريه من العلماء والدعاة والكتّاب هو التواضع والزهد في حطام الدنيا وفيما عند الناس والرغبة فيما عند الله سبحانه وتعالى ، وهو لا يملك الدراهم والدنانير ، وليست عنده السيارات الفارهة ولا يحرص على هذه الماديات والمغريات ، بل يرفضها ويكرهها كل الكراهية ، وهذا هو الشيئ الذي أدى إلى الحب الصافي الصادق ينشأ في قلوب الناس أجمعهم .

وما إن أعلن عن وفاة شيخنا الراحل الكريم إلا وبدأت قوافل المحبين والمتعلقين من أهالي مدينة لكناؤ تتواصل إلى دار العلوم ندوة العلماء للصلاة على جنازته واكتظت ساحة دار العلوم وجامعها بالمسلمين واكتظت الشوارع والطرقات وأمَّ فضيلة الأستاذ الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي المصلين صلاة الجنازة بعد صلاة العشاء في الساعة العاشرة والنصف ليلاً ، ثم نُقل جثمانه إلى دائرة الشاه علم الله رائي بريلي ودُفن هناك بجوار أفراد أسرته . رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وألحقه بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً ، وإنا على فراقك لمحزونون يا شيخنا المبجل ويا أستاذنا الشفوق ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف الرحيم .

علو في الحياة وفي الممات   لحقٌّ أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا   وفودُ نَداك أيام الصِّلات

عليك تحية الرحمن تترى

الأخ محمد عفان الندوي *

كل نفس ذائقة الموت ، ومن سنة الله أن كل نفس مهما طال عمرها لابد أن يصيبها الموت ، ووجه الله باق لم يزل ولا يزال ، يقول الله تبارك وتعالى : (كُلُّ مَنْ عليها فان ، ويبقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجلالِ وَالْإِكْرَام) [الرحمن : ٢٦ – ٢٧] ، وكم من نفس تموت ولا تدمع لها عين ، ولا يتفطر لها قلب ، بينما يموت بعض الناس ، وتبكي عليهم السماوات والأرض .

وكان سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله تعالى من أولئك المعدودين الذين يرثى على وفاتهم الزمان ويبكي على موتهم الدهر .

في الساعة الثالثة والنصف من يوم الخميس الحادي والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٤٤٤هـ الموافق ١٣ من أبريل عام ٢٠٢٣م ، ارتحل فقيد الأمة سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي إلى رحمة ربه مثلما لبَّى خاله سماحة العلامة السيد أبو الحسن الحسني الندوي نداء ربه يوم الجمعة في ٢٢ من رمضان المبارك سنة ١٤٢٠هـ الموافق ٣١ من ديسمبر عام ١٩٩٩م .

وصلى عليه صلاة الجنازة الأولى فضيلة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي حفظه الله ورعاه ، في جموع حاشدة من العلماء الكبار وجم غفير من عامة الناس ، متجاوز وفق ما نشرته الصحف الهندية ثلاث مائة ألف في رحاب ندوة العلماء ، وذُهب بجثمانه إلى مسقط رأسه تكيه كلان راي بريلي ، وصلى عليه ثانية الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي حفظه الله تعالى ، ودُفن جثمانه في جنب أخيه وأعزائه .

وُلد ونشأ سماحة الشيخ عام ١٩٢٩م في أسرة شريفة معروفة

* مكتبة كلية الشريعة بدار العلوم لندوة العلماء .

للإصلاح والتقوى والعلم في الأوساط العلمية والدينية بمنطقة راي بريلي .

تلقى التعليم البدائي في بيته ، وتلقى العلوم الإسلامية ثم درس الأدب العربي في دار العلوم لندوة العلماء وتخرج في قسم التخصص في الأدب العربي بتفوق عام ١٩٤٨م ، بعد التخرج في دار العلوم لندوة العلماء عُين مدرساً مساعداً للغة العربية وآدابها عام ١٩٤٩م ، ثم عُين عميد كلية اللغة العربية وآدابها عام ١٩٧٠م ، وقام بتدريس الطلاب لمدة طويلة ، وقد تخرج العديد من العلماء الكبار والشخصيات البارزة تحت إشرافه .

وكان الفقيد رحمه الله من أولئك العلماء البارزين الذين أدوا دوراً هاماً في تطوير اللغة العربية وآدابها تعليماً وتدريساً ، تصنيفاً وتأليفاً .

ففي عام ١٩٩٣م اختير مدير دار العلوم لندوة العلماء ، وأخيراً في عام ٢٠٠٠م انتخب رئيس ندوة العلماء العام بعد وفاة خاله العظيم الشيخ العلامة السيد أبي الحسن الحسني الندوي رحمه الله ، ورئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند ، كما كان عضواً في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

ومن صفاته البارزة أنه كان لين الطبيعة ، باسم الوجه ، كريم الصحبة ، جامعاً بين العقل والحكمة ، متجنباً فضول الكلام ، حافظاً لوقته ، وكان قليل الكلام ، بعيداً عن الحب والجاه والمنصب ، وصاحب وقار وسكينة وحياء وصبر ، وكان بعيداً عن تحقير الناس وتفريق الناس على أساس اللون والجنس والطبقة ، يحب الجميع ، ولا يفرق بين هذا وهذا ، كما كان يُوصي الطلبة بالصلاح والتقوى وبالرجوع إلى الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالحين بعد العشاء كل يوم في دار الضيافة لندوة العلماء ، وكان في صحبته تأثير عميق ، من زاره مرةً ، لا ينساه أبداً .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأدخله الفردوس الأعلى ، وحشره الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . آمين يا رب العالمين .

وقال الشاعر :

عليك تحية الرحمن تترى   برحمات غوادٍ رائحات

ولكنه بنيان قوم تهدما

الأخ محمد سعدان الدين.*

لقد وقفنا في صفحات التاريخ الإسلامي الباهر على مشاهد مهيبة لجنائز الأفذاذ من الشخصيات الإسلامية مثل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بمشاركة حشود خاشعة غفيرة ، لكن شاهدنا عياناً على جنازة مهيبة مع تهافت الآلاف من الرجال لفضيلة العلامة الشيخ أستاذنا المكرم السيد محمد الرابع الحسنى الندوي تغمده الله بواسع رحمته ، فقد كان يخطر على قلبي أثناء الصلاة عليه في رحاب ندوة العلماء بين حشود الرجال كتقاذف البحر أنها تفسير للآية الكريمة : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) (مريم : ٩٦) . وأتذكر ما سطر العلاَمة السَيد سَليمان الندوي رحمه الله معزّياً إثر وفاة العلامة حميد الدين الفراهي رحمه الله حينما وصف لصلاة الجنازة عليه : " نداء رفع قبل ست مأة ونصف قرن من بلاد مصر والشام إلى ثغور الصين على جنازة العلامة ابن تيمية رحمه الله ، فالحق أن يرفع هذا النداء على جنازته ، " هذه جنازة عاشق فلتخرج بعظمة " .

من حسن حظنا أن آخر مجموعة من الطلاب الذين قرؤوا عليه هي مجموعتنا ، فقد درّسنا شيخنا العلامة أيام العام الماضي كتاب الرقاق من " الجامع الصحيح للبخاري رحمه الله " في المسجد الجامع لندوة العلماء ، فكان درسه جامعاً بين العلم والتربية ، والأدب والإصلاح ، والود والوئام ، فكوكبة من الحضور تتساقط لأجل الدنو منه، والأخذ من مشكاة علمه، ونوره ، وتقواه .

لقد عرف بتواضعه الكريم ، وزهده في الدنيا رغم وفرة المناصب الرئاسية ، والعلائق الرفيعة ، فقد اعتكف ليعيش راغباً عن الدنيا ، حباً في الآخرة ، منصرفاً إلى العبادة ، فهما من أبرز خصائصه ، وصفاته .

لقد سار على منهج واضح لسلفه الصالح ، خاصةً على منوال خاله العلامة المفكر الإسلامي السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله، فقد ترعرع تحت ظله ، ونشأ في بيئة علمية وأدبية ، فيرى أثرها في فكرته الباهرة ، وطريقه المستقيم ، فقد كان خير خلف لخاله الكريم ،

* طالب الاختصاص في قسم التفسير بدار العلوم لندوة العلماء

وتـولّى جميـع مناصبـه ، ومسؤلياته وأعمالـه بأحسن مـا يظـن ، وأجمـل مـا يحسب ، فتزايدت النشاطات العلمية في رئاسته لندوة العلماء ، والحفاظ على الكيان الإسلامي برئاسته لهيئة قانون الأحوال الشخصية لعموم المسلمين في الهند ، فقد أكرمه الله بالقدرة على قرار محكم ، ونظرة عميقة على قضايا المجتمع ، وما ينوب على الأقلية من مشاكل في الهند ، وبصيرة إيمانية ، فقد عالج هدوءه المشاكل بحكمة مالم يعالجها ضجيج الآخرين .

تمتاز كتبه عن النظراء في العلم ، والفكر والأدب ، والدعوة ، والسيرة ، فكان قلمه رشيقاً ، ساذجاً ، أميناً ، وعبارة عن بيان الحقيقة ، وطاهراً عن الحشو والزوائد ، ومحيطاً للعنوان والموضوع . فترك ثروة قيمة من العلم والأدب " الأدب الإسلامي وصلته بالحياة " ، " جزيرة العرب ، تاريخياً ، جغرافياً ، وثقافياً " . وكثير من الكتب الإسلامية التي قررت بالمقررات الدراسية ، والتي أثّرت على المجتمع في الأردية والعربية ، فاشتهر من كتبه كتاب جامع على السيرة النبوية " سراجاً منيراً " في الأردية ، صدر تعريبه بالعربية . فكانت حياته موافقة للسيرة النبوية العطرة ، فكأنه نموذج عملي لكتابه ، صاغ حياته بصيغة الأسوة الحسنة ، ثم كتب كتاباً حكاية عن العمل .

وكان له باع طويل في مجال الدعوة والإصلاح ، فقد نشر رسالة الإسلام والسلام بصعيد الدوائر والمراكز الدعوية التي يرأسها ، فخدم الإسلام بتبليغ رسالته ، وإيضاح حسنه ، وصداقته ، والإزالة عن شبهاته . فقد اختار منهج دعوته من القرآن الكريم : (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل : ١٢٥) .

كان العلامة الندوي رحمه الله رمزاً للأمة الإسلامية ، ومصدراً لعزها ، وشرفها ، فكان ملجأً لتسلية المجتمع ، ومنبعاً للأمن والرخاء ، وشخصية لا خلاف فيها بين الأمة ، وجامعاً عظيماً في حياته ومماته ، فأصبحت الأمة الإسلامية يتيمة برحلته ، وبكت عليه السماء والأرض ، والأفئدة والمشام ، وأجمعت التعازي ، وحزن العالم كله من الهند إلى صنعاء ، ودمعت العيون والأبصار ، فكانت بوفاته انتهى العهد والعصر !

فقد وافته المنية إثر مرض عادي قبيل صلاة العصر ٢١/ رمضان المبارك ١٤٤٤هـ بيوم الخميس ... رحمه الله :

وما كان قيس هلكه هلك واحد   ولكنه بنيان قوم تهدما

خير نموذج للسلف الصالح

الأخ محمد سعد عبد الرقيب*

فقدنا بوفاة أستاذنا وشيخنا العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله تعالى شخصية عبقرية ، كان يؤدي دوراً بارزاً في ترشيد الحركة الإسلامية ، وإعداد الجيل ، وتنبيه المسلمين ، وتوجيه النشاطات الإسلامية والأدبية ، وكشف الغطاء عن المخططات الغربية والمؤامرات العالمية ضد الإسلام والمسلمين من خلال كتاباته ومقالاته وبحوثه وكتبه ، وكان منهجه متسماً بالوسطية والاعتدال والحكمة والموعظة الحسنة .

فقد عاش شيخنا رحمه الله حياةً ساذجةً ، وعاش عيشةً مرضيةً ، بعيدةً عن البذخ والأبهة ، وظل حياً في قلوبنا بإفاداته ودروسه ومواعظه ، وقد ترك لنا رسوماً ترتسم على القلوب ، وآثاراً رائعة تثبت على العقول .

ومن سعاده حظنا أننا تشرفنا بدروسه التي ألقاها في أواخر أيام عمره ، واستفدنا منها ما استفدنا ، وارتوينا من منهله ما ارتوينا ، يتمثل – اليوم – أمام العيون المنظر البهيج الرائع للدرس الذي كان تتلذذ به الروح ، وتطمئن إليه القلوب ، وتشتاق إليه النفوس ، وتصغى إليه الآذان أن أستاذنا رحمه الله تعالى يجلس ويدرِّس كتاب الرقاق من صحيح البخاري في جامع ندوة العلماء بصوته الرخي العذب ، وأسلوبه الممتاز الجذّاب .

وكان من عادته أنه يدرِّس كل يوم الأربعاء رغم مرضه وضعفه ، وكان الدرس يحمل تأثيراً على القلوب ، وكانت له تجربة طويلة في مجال التدريس ، فقد قضى ٧٥ عاماً فيه ، وكان صورة حية صادقة لما يدرّسه من الحديث النبوي الشريف .

وكان أستاذنا الفاضل رحمه الله تعالى خير نموذج ، كنا ندرس صوراً رائعةً من حياة النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله العطرة وما قدّمه هو وأصحابه البررة من تضحية وإيثار في سبيل السعادة واليقين ، ثم نشاهد بأمّ أعيننا شخصيةً جامعةً بين القول والعمل ، متصفة بالسمات التي يبينها في الدروس ، متحليةً بالمثل العليا ، والأخلاق النبيلة التي لا يُرى أثرها بين معاصريه .

وكيف ننسى درسه الأخير الذي أكرمنا فيه بإجازة الحديث النبوي الشريف ؟ وزودنا فيه بنصائح قيمة نافعة ، وبيّن غاية التعليم والتعلم ، وأكّدنا أن نكون جامعين بين القول والعمل ، فإن خير القول ما صدّقه الفعل ، وأوصانا أن نتقي الله في السر والعلن .

نجد حياة أستاذنا مليئةً بالنصح والتوجيه والإرشاد والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما أنه كان مدرسةً في التربية والتوجيه يربّي الجيل ، ويوجههم إلى ما فيه خيرهم ، فأجزل الله مثوبة أستاذنا وشيخنا ، ونوَّر له في قبره .

* طالب الاختصاص في الأدب العربي بدار العلوم لندوة العلماء .

عَلَم من أعلام التاريخ

إعداد : الأخ تقي أحمد*

العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي من أولئك الأعلام الأفذاذ الذين لا يجود بهم التاريخ إلا قليلاً ، كان سماحته – بلا نزاع – من أساتذة الحركة الأدبية الإسلامية ، ومن صفوة الكتاب والدعاة المرشدين والعلماء من الطراز الأول ، وهو الذي جمع بين الإيمان العميق بالمبدأ ، والفهم العميق بروحه ، والعلم العميق بدقائقه وأسراره ، والقلم السلسال اللبق واللسان العذب الذلق ، وهي ميزات ومواهب قلما تجتمع في رجل واحد ، إلا ما شاء ربك .

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي اسم معروف في الأوساط العلمية والأدبية والدينية ، وهو الاسم الذي كان يحتل مكاناً رفيعاً عالياً حبيباً في النفوس بعد الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي – رحمه الله – ، هذا الاسم الذي تألق في سماء العالم الإسلامي برهة سعيدة من الزمن ، ثم محي من صفحة الوجود ، وسجل في عالم الخلود .

كان سماحته أديباً أريباً ، ومؤلفاً قديراً ، وكاتباً ذا أسلوب قشيب ، قد اتسم بالسلاسة الأدبية ، والرزانة العلمية ، وغزارة المعرفة ، جمع بذلك السمات المختلفة ، وكان يتخذ أسلوباً وعبارة واضحة متناسبة مع الموضوع ، وهو من خصائص البلاغة في كتابات الأدباء ، وذلك بأن يكون الكلام وفقاً للمراد ومقتضى الحال ، وأن يكون سهلاً سائغاً للقراء ، وهي صفة تفوت كثيراً من المشتغلين بالكتابة .

هناك كثير من الإنجازات ما تحتوي عليه شخصيته الفريدة ، ولكن دوره ككاتب ، ومؤلف ، وباحث ، وخطيب فحدث عن البحر ولا حرج .

فالبيت يعرفه والحل والحرم

أيما رجل تتنوع قواه ومواهبه في مختلف المجالات الفكرية والعلمية ، أو يشتغل بتنظيم جماعة وإدارة مؤسسة ، أو يشتغل بالدعوة والخطابة لا يستطيع أن يركز همه في التأليف والبحث والدراسة ، أو يأتي فيه بشيئ من جديد رائع ، ويقوم في هذا المجال بدور يذكر ، وخدمة تشكر ، أو يسد فراغاً ، ويملأ مكاناً شاغراً ، ولكن سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي كذب هذا الخيال ، ومؤلفاته كلها تشهد بذلك ، وتدل على دراسة واسعة ، وتفكير طويل، واستنباط رائع ، واجتهاد سليم ، ورزانة علمية لا تخلو منها حتى مقالاته .

---

* طالب السنة الرابعة العالية من الشريعة .

وجدناك كل شيئ بعدكم عدم

بقلم : الأخ السيد محمد عفان *

من له شغف بالأدب العربي والإسلامي ، وميل إلى الصحافة الإسلامية ، وهو لا يعرف شيخنا السيد محمد الرابع ؟ من الذي لديه همة للوصول إلى المجد ، وعزيمة في اكتساب الخير ، ورغبة في الصلاح ، وهو لا يعرف شيخنا السيد محمد الرابع ؟

كان شيخنا محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله أحد أفذاذ العلماء الربانيين ، والأدباء الإسلاميين ، الذين أنجبتهم الأمة الإسلامية الهندية في القرن العشرين الميلادي ، وقد جمع الله في شخصيته من الفضائل والمواهب ما لم تجتمع عامةً في شخصية واحدة .

ليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

نشأ الشيخ في بيئة كانت هوايتها التاريخ ، وكتابة التراجم والسيرة ، وكانت صلته الوطيدة وحبه وهيامه بالأدب العربي منذ عهد الصبا ، وعشق الصبا شديد ، إلى جانب دراسته الواعية الناقدة ، وتتبع الأخبار والتعرف على خصائص اللغة العربية وآدابها ، والإعجاب بالشعر الجيد ، والنثر القوي ، والتذوق بالتعبير الجميل البديع والتشبيه البليغ ، والحرص الشديد على محاكاة البلغاء ، ومكّنه كل ذلك من الاقتدار على البيان ، والتعبير والتملك على الثروة اللغوية المتنوعة ، فسخر الشيخ الندوي جميع ما يملكه من الملكات الأدبية والبيانية لخدمة الدين والدعوة والإرشاد ، فإنه ليس بفارس جديد في هذا المجال ، وانما رُضع بلبان العلم والأدب .

* طالب السنة الرابعة من العالية بدار العلوم لندوة العلماء .

قام الشيخ بإعداد كتب دراسية وغير دراسية قيمة ، من أبرزها " الأدب العربي بين عرض ونقد " . إن تأليف هذا الكتاب كان حلماً حلم به سماحة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي ، ولكن قام أستاذنا محمد الرابع بتأليفه تحقيقاً لأمنية شيخه ، وسداً للفراغ الذي كان في المناهج الدراسية للأدب العربي .

وهذا الكتاب لا يبحث عن كل صغير وكبير ، ولا يستوعب كل مبحث من التفصيل ، بل إنه مختصر جامع في فن الأدب العربي ، وهذا المختصر أكثر جمعاً واستيعاباً لأهم ما تجب معرفته عن دور الأدب العربي في مختلف أدواره مع بيان الخصائص البارزة الفنية لرجاله ونصوصهم الأدبية . فقسم المؤلف هذا الكتاب إلى ثلاثة أقسام ، وهي :

(١) حقيقة الأدب

(٢) التحليل والنقد

(٣) النماذج الأدبية لمختلف أدوار الأدب العربي مع الإشارة إلى قيمتها الفنية ومكانة أصحابها الأدبية

إن لهذا الكتاب أهميةً كبيرةً في مجال الأدب العربي عامةً ، وفي النقد الأدبي خاصةً . ويمتاز هذا الكتاب بلغته السلسة ، وأسلوبه السهل المؤثر الذي يسيغه القارئ العام ، ومنهج استدلاله سهل الفهم ومقنع مع كونه علمياً وتحقيقياً . كان الأسلوب في الكتاب ليناً سائغاً ميسوراً خالياً من التكلف والتصنع ، جاذباً للقلوب بسحره وجماله وتأثيره . كان الشيخ يحاول أن يؤثر في قلوب القارئين أيما تأثير بلهجته الصافية ، ولسانه البليغ الصريح ، وفكرته النيرة ، ومثل هذا الأسلوب لا يقدر عليه إلا كاتب بارع ، بصير بحلو البيان ومره ، وذو اطلاع واسع على علم النفس .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأغدق عليه شآبيب رحمته .



شعر الرثاء على وفاته



نَشِيدُ الوَداع

(بُكائيَّة إلى العلامة الربَّاني : محمد الرابع الحسني النَّدْوي)

للشاعر المصري : محمد المعصراني*

قِفَا نَبْكِ .. إنَّ الْحُزْنَ عَاتٍ وهَائِلُ ... وفَجْعُ الرَّحِيلِ الصَّعْبِ غَاوٍ وغَائِلُ
نُحِبُّ بَنِي الدُّنْيَا ونُوقِنُ أنَّنَا ... سَنَرْحَلُ عَنْهُمْ يَوْمَ تُطْوَى الْمَرَاحِلُ
نَسِيرُ إلَى آجَالِنَا وهْيَ رُصَّدٌ ... وتَمْضِي بِنَا الأَيَّامُ وهْيَ غَوَائِلُ
هُوَ الْعُمْرُ مَهْمَا طَالَ فَهْوَ كَوَمْضَةٍ ... وكُلُّ الْبَرَايَا عَنْ سَنَا الْوَمْضِ غَافِلُ
نَعِيشُ ونَحْيَا غَافِلِينَ عَنِ الرَّدَى ... وأَسْبَابُهُ فِي كُلِّ رُوحٍ جَوَائِلُ
ونَذْهَلُ عَنْ كَأْسِ الْمَنُونِ كَأَنَّنَا ... نِيَامٌ وكُلُّنَا عَنِ الْمَوْتِ ذَاهِلُ
نُسَاقُ إلَى الْقَبْرِ الْمُرَجَّى انْفِسَاحُهُ ... وكُلٌّ إلَيْهِ – لا مَحَالَةَ – نَازِلُ
ومِنْ عَجَبِ الأَيَّامِ أَمْنَةُ قَاتِلٍ ... هُوَ الْمَوْتُ يَحْيَا آمِناً وهْوَ قَاتِلُ !
فَكَيْفَ تَنَامُ الرُّوحُ وهْيَ قَرِيرَةٌ ... وأَنْفَاسُهَا مَعْدُودَةٌ وزَوَائِلُ ؟!
فَلا تَأْمَنَنَّ الْمَوْتَ أَيَّةَ حَالَةٍ ... تَكُونُ فَأَيَّامُ الْحَيَاةِ قَلَائِلُ
هُوَ الْمَوْتُ .. يَخْتَارُ الْكِرَامَ ويَصْطَفِي ... الشُّمُوسَ ويَنْجُو مِنْ يَدَيْهِ الْأَسَافِلُ
وهَا هُوَ ذَا يَخْتَارُ صَفْوَ شُيُوخِنَا ... هُوَ الْعَالِمُ الْفَرْدُ التَّقِيُّ الْمُنَاضِلُ
مُحَمَّدُنَا .. أَلرَّابِعُ الْحَسَنِيُّ شَيْـ ... ـخُ أَشْيَاخِنَا .. هَذَا الْهُدَى الْمُتَطَاوِلُ
هُوَ الْعَالِمُ الْفَذُّ الَّذِي جَلَّ عِلْمُهُ ... يَقِيناً ، وكَمْ شُدَّتْ إلَيْهِ الرَّوَاحِلُ
وكَانَ فَتًى يَسْتَيْقِظُ الْوَرْدُ عِنْدَهُ ... وتَسْعَى حَوَالَيْهِ الرُّبَى والْخَمَائِلُ
فَتًى يَسْتَحِثُّ الْمَجْدَ كُلُّ فِعَالِهِ ... وتَهْفُو إلَيْهِ الصَّالِحَاتُ الْعَقَائِلُ
فَتًى يَسْتَحِيلُ الْيَوْمَ مَوْلِدُ مِثْلِهِ ... وأَنَّى لَهُ الْمِثْلُ الْعَدِيلُ الْمُشَاكِلُ ؟!
فَتًى خَالُهُ عَلامَةُ الْعَصْرِ .. تَغْتَنِي ... بِذِكْرِ اسْمِهِ النَّدْوِيِّ هَذِي الْمَحَافِلُ
أَبُو الْحَسَنِ النَّدْوِيُّ شَيْخُ شُيُوخِنَا ... بِذِكْرَى أَيَادِيهِ الْقُلُوبُ أَوَاهِلُ
مُحَمَّدَنَا .. يَا قُرَّةَ الرُّوحِ والْحِجَى ... ويَا خَيْرَ مَنْ تَأْوِي إلَيْهِ الأَمَاثِلُ
يُؤَمِّلُكَ الرَّاجُونَ صَفْوَ حَدِيثِكُمْ ... وهَذِي دُمُوعُ الْمُومِلِيكَ هَوَاطِلُ

* شاعرٌ وعَرُوضِيٌّ مصريٌّ .

وهَذِي شِعَابُ الْهِنْدِ تَبْكِي عَلَيْكَ والسَّـ   ـمَاوَاتُ تَبْكِي مِثْلَهَا والْهَوَادِلُ
إلَى أيِّ رَابِعِيَّةٍ حَسَنِيَّةٍ   تَفِيءُ وقَدْ أَضْنَى خُطَانَا الْعَقَابِلُ ؟!
تَثَاقَلَتِ الأَقْدَامُ مِنْ هَوْلِ فَقْدِهِ   وبَاتَ كَئِيباً خَطْوُهَا الْمُتَثَاقِلُ
وتَبْكِي الأَيَامَى عُمْرَهُ والْقَبَائِلُ   وتَبْكِي الْيَتَامَى بِرَّهُ والأَرَامِلُ
عَجِبْتُ لِمَنْ يَسَّاءَلُ الْعِلْمَ بَعْدَهُ   فَأَيُّ سُؤَالٍ يَسْأَلُ الْيَوْمَ سَائِلُ ؟!
لِقَرْيَتِهِ أَنْ تَزْهُوَ الدَّهْرَ بِاسْمِهِ   فَإِنَّ اسْمَهُ لِلْعِلْمِ كَافٍ وكَافِلُ
فَكَمْ أَنْفَقَ الأَيَّامَ فِي بَذْلِ عِلْمِهِ   ولَمْ تُلْهِهِ عَنْهُ السِّنِينَ الشَّوَاغِلُ
أَلا أَيُّهَا الْمَوْتُ الْوَشِيكُ أَلا تَعِي   بِأَنَّكَ فِي رُوحِ الْمُحِبِّينَ رَافِلُ ؟!
تَمَادَتْ بِيَ الأَحْزَانُ وهْيَ عَتِيَّةٌ   كَأَنَّ خُطَاهَا فِي دَمِي تَتَدَاخَلُ
فَكَيْفَ أُعَزِّي النَّفْسَ والْفَقْدُ فَادِحٌ ؟!   وكَيْفَ أُعَزِّي النَّاسَ والثُّكْلُ هَائِلُ ؟!
وفَقْدُكَ فَقْدٌ لِلْمَعَالي ولِلْمُنَى   وهَلْ بَعْدَ هَذَا الْفَقْدِ تُرْجَى الْمَنَاهِلُ ؟
وكَيْفَ أُعَزِّي النَّفْسَ بَعْدَكَ سَيِّدِي   وقَلْبِي بِأَحْزَانِ الْمَمَالِكِ آهِلُ ؟!
وكَيْفَ يُعَافَى النَّاسُ مِنْ وَيْلِ حُزْنِهِمْ   وفَقْدُكَ يَا مَوْلايَ فِي الرُّوحِ مَاثِلُ ؟
وكَيْفَ نَرُدُّ الْمَوْتَ وهْوَ مُقَدَّرٌ ؟!   وقَدْ ذَاقَهُ قَبْلَ الْقُرُونِ الأَوَائِلُ
وكُنَّا نُرَجِّي الْخُلْدَ والْخُلْدُ بَاهِظٌ   ولَكِنَّهُ لِلْمُؤْمِنِ الْحَقِّ آجِلُ
فِرَاقُكَ يَا مَوْلايَ فُرْقَةُ أُمَّةٍ   ولَيْسَ لأَيَّامِ الْفِرَاقِ سَوَاحِلُ
وفَقْدُكَ يَا مَوْلايَ فِقْدَانُ أُمَّةٍ   مِنَ الْعِلْمِ أَرْدَتْهَا السِّنِينُ الْقَوَاتِلُ
وكُنْتُ أُرَجِّي أَنْ تَعِيشَ لِقَابِلٍ   لَعَلِّي أُلاقِي النُّورَ والنُّورُ حَافِلُ
وكُنْتُ أُمَنِّي النَّفْسَ لُقْيَاكَ سَيِّدِي   ولَكِنَّهَا الأَيَّامُ دَوْماً تُخَاتِلُ
وكُنْتُ أُرَجِّي أَنْ تَكُونَ مُخَلَّداً   ويَسْأَلُنِي قَلْبِي : أَلِلْخُلْدِ آمِلُ ؟!
أَرَى حُزْنَ أَنْفَاسِي يَجُودُ بِدَمْعِهِ   لَقَدْ غَالَنِي هَذِي الدُّمُوعُ الْهَوَامِلُ
تَنُوءُ الْجِبَالُ الشُّمُّ بِالْحُزْنِ والأَسَى   وتَضْعُفُ عَنْ حَمْلِ الَّذِي أَنَا حَامِلُ
رَأَيْتُ جُمُوعَ النَّاسِ تَدْمَى قُلُوبُهُمْ   وهَلْ مِثْلُ هَذَا الرَّاحِلِ الْيَوْمَ رَاحِلُ ؟
جَرَى قَدَرُ اللهِ الْعَزِيزِ عَلَيْهِمُ   وأَقْدَارُ رَبِّنَا هَدَايَا فَوَاضِلُ
قَضَاءٌ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ مُقَدَّرٌ   وحُكْمٌ .. لَهُ فِي الْعَالَمِينَ رَسَائِلُ
قَضَاءٌ قَضَاهُ اللهُ لا رَيْبَ نَافِذٌ   وكُلُّ قَضَاءِ اللهِ لا شَكَّ نَازِلُ
أَرَى لَيْلَ قَلْبِي اعصَوْصَبَتْ ظُلُمَاتُهُ   فَضَلَّتْ سَبِيلَ الرُّشْدِ هَذِي الْمَجَاهِلُ

يَجُوبُ بِيَ الْحُزْنُ الْفَرِيدُ فَيَافِيَ الْـ   ـعَذَابِ ويَهْوِي بِي إِلَى الْمَوْتِ خَاتِلُ
لِقَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ الْمُمِضِّ عَوَالِمٌ   تَصَاغَرُ جِدًّا فِي مَدَاهَا الزَّلازِلُ
أَلا أَيُّهَا الْقَلْبُ الأَسِيفُ أَلا تَرَى   بِحَارَ دُمُوعِي ثَرَّةً لا تُزَايِلُ ؟
يُرِيدُ جَنَانِي أَنْ تَجِفَّ دُمُوعُهُ   ولَكِنْ يَرُدُّهُ إِلَى الدَّمْعِ وَابِلُ
مُحِيطٌ مِنَ الدَّمْعِ الْحَمِيمِ يُحَاصِرُ الْـ   ـحَيَاةَ وعُمْرٌ مُسْتَحِيلٌ وقَاحِلُ
رَأَيْتُ نُجُومَ الأُفْقِ تَغْتَالُ نَفْسَهَا   أَسًى فَهْيَ حَسْرَى بَاكِيَاتٌ أَوَافِلُ
تَرَكْتَ تُرَاثاً يَغْمُرُ الْأَرْضَ فَيْضُهُ   وتَزْهُو بِهِ فِي الْعَالَمِينَ الْجَلائِلُ
تُرَاثُكَ يَا مَوْلايَ فَيْضُ عَوَارِفٍ   تُرَاثٌ بِأَنْفَاسِ الْمُحِبِّينَ وَاصِلُ
تَفَرَّغْتَ لِلْعِلْمِ الشَّرِيفِ وأَهْلِهِ   ولَلْعِلْمُ شُغْلٌ لِلْمُحِبِّيهِ شَاغِلُ
وكُنْتَ إِمَاماً لِلْعُلُومِ وقِبْلَةً   وبَحْرَ عُلُومٍ مَا لَهُ الدَّهْرَ سَاحِلُ
وكُنْتَ لِهَذَا النَّاسِ رُكْناً ومَوْئِلاً   فَغَالَكَ مُغْتَالُ النُّفُوسِ الْمُخَاتِلُ
وكُنْتَ لِهَذَا النَّاسِ عِزًّا ودَوْحَةً   مُبَارَكَةً تَسْعَى إِلَيْكَ الْقَوَافِلُ
وكُنْتَ أَباً فَذّاً لِنَدْوَتِنَا الَّتِي   يَحُجُّ إِلَيْهَا الْمُصْلِحُونَ الْبَوَاسِلُ
وكُنْتَ حَنَاناً لِلْقُلُوبِ ورَحْمَةً   تَوَافَتْ إِلَيْهَا رِقَّةٌ وشَمَائِلُ
وكُنْتَ لِطُلابِ الْحَقِيقَةِ مَلْجَأً   وكُنْتَ إِمَاماً والسِّنِينُ قَوَاحِلُ
وكُنْتَ مَآلاً لِلْغَرِيبِ تَضُمُّهُ   وكَانَتْ سِنِينٌ بَائِسَاتٌ هَوَائِلُ
وقَضَّيْتَ عُمْراً حَافِلاً بِالْعَطَاءِ والنَّـ   ـدَى ؛ تَشْهَدُ الدُّنْيَا بِهِ والْمَقَاوِلُ
وفِي مَوْكِبِ الإِسْلامِ عِشْتَ مُجَاهِداً   تُنَافِحُ عَنْ آدَابِهِ وتُجَادِلُ
دَعَوْتَ إِلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ ودِينِهِ   لَكَ الْيَوْمَ فِي كُلِّ الْبِلادِ سَنَابِلُ
مَتَى مَا تَقُلْ شَيْئاً مِنَ الْعِلْمِ والْحَيَا   ةِ يَسْتَأْسِرِ الْقَلْبَ الَّذِي أَنْتَ قَائِلُ
و " لِلرَّائِدِ " الْمَيْمُونِ سَبْعُونَ حِجَّةً   كَأَنَّ لِيَالِيهَا بُدُورٌ كَوَامِلُ
وفِي " الرَّائِدِ " النَّدْوِيِّ كُنْتَ مُبَارَكاً   وكَمْ صَدَعَتْ بِالْحَقِّ والْحَقُّ مَائِلُ
تَرَكْتَ فَرَاغاً هَائِلاً لا يَسُدُّهُ   سِوَاكَ ، فَأَيَّامِي عَلَيْكَ ثَوَاكِلُ
وكُنْتَ أَخاً لِلنُّبْلِ والْفَضْلِ والنُّهَى   وتَقْصُرُ جِداً فِي ذُرَاكَ الْفَضَائِلُ
ووَجْهُكَ كَانَ النُّبْلُ فِي قَسَمَاتِهِ   وكَمْ يَأْسِرُ النَّاسَ الَّذِي أَنْتَ فَاعِلُ
مَلأْتَ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ مَحَبَّةً   ولِلْحُبِّ عِنْدَ الْمُخْلِصِينَ دَلائِلُ
جُمُوعٌ مِنَ الْحُبِّ النَّبِيلِ تَدَفَّقَتْ   إِلَيْكَ وحُبُّ النَّاسِ هَادٍ وهَادِلُ

لَقَدْ فُضِّلَتْ يَا سَيِّدِي بِكَ بَلْدَةٌ ... إِلَيْهَا انْتَمَى الْعِلْمُ الَّذِي لا يُطَاوَلُ
لَكَ اللَّهُ أَوَّابَاً ، لَكَ اللَّهُ قَانِتَاً ... لَكَ اللَّهُ أَوَّاهاً ، فَأَنَّى تُمَاثَلُ ؟!
رَحَلْتَ فَآفَاقُ الْوُجُودِ كَئِيبَةٌ ... وكُلُّ أَمَانِينَا جَدِيبٌ ومَاحِلُ
كَأَنَّ عَذَابَ الْفَقْدِ فِي خَطَرَاتِنَا ... دَمٌ فِي مَسَامِ الرُّوحِ والْعُمْرِ دَاخِلُ
بَنَاتُكَ يَا مَوْلايَ يَلْهَجْنَ بِالأَسَى ... خُطَاهُنَّ مِنْ وَيْلِ الْفِرَاقِ ذَوَاهِلُ
و " مَيْمُونَةُ " الْفُضْلَى أَرَاهَا شَجِيَّةً ... وفِي قَلْبِهَا الْأَسْيَانِ فَارَتْ مَرَاجِلُ
و " آمِنَةٌ " تِلْكَ الْكَرِيمَةُ فِي جَنَا ... نِهَا عَالَمٌ مِنْ وَاقِدِ الشَّجْوِ وَاغِلُ
و" هَاجِرَةٌ " [1] هَذِي التَّقِيَّةُ حَسْبُهَا ... جَنَانٌ مِنَ الأَشْجَانِ والْحُزْنِ ذَابِلُ
تَرَكْتَ رُبُوعَ الْهِنْدِ تَذْوِي غُصُونُهَا ... ومِلْءُ حَنَايَاهَا أَسًى مُتَوَاصِلُ
وكُلُّ رِجَالِ الْهِنْدِ بَاتُوا يَتَائِمًا ... ولِلْيُتْمِ فِي كُلِّ الْوُجُوهِ دَلائِلُ
وسَأَلْتُ نَفْسِي : هَلْ يَمُوتُ ذَوُو النُّهَى ؟! ... وهَلْ يَتْرُكُ الدُّنْيَا الْكِرَامُ الأَفَاضِلُ ؟!
لَقَدْ سَنَّ لِي قَلْبِي بُكَاءَ أَحِبَّتِي ... وهَذِي دُمُوعِي حُضَّرٌ ومَوَاثِلُ
رَأَيْتُ نَشِيجَ الشِّعْرِ يَمْلأُ خَاطِرِي ... ولِلشِّعْرِ يَا مَوْلايَ حَقٌّ وبَاطِلُ
عَلَى رَغْمِ هَذَا الْبُعْدِ جَاءَتْ قَصِيدَتِي ... إِلَيْكَ ومَعْنَاهَا كَذِكْرِكَ جَائِلُ
وعِنْدِيَ مِنْ شِعْرِ الْمَرَاثِي فَرَائِدٌ ... رَوَاهَا جَنَانٌ أَهْلَكَتْهُ النَّوَازِلُ
يَهُونُ عَلَيْنَا الْمَوْتُ لَوْ كَانَ مَيِّتٌ ... مِنَ النَّاسِ مَجْهُولٌ لَدَيْنَا وجَاهِلُ
فَكَيْفَ وأَنْتَ النَّاسُ جَمْعاً وجَامِعاً ... وأَنْتَ لِكُلِّ الْعَالَمِينَ مُوَاصِلُ ؟
وأَنْتَ وَلِيُّ الأَوْلِيَاءِ وشَمْسُهُمْ ... وخَيْرُهُمُ الْمُسْتَرْسِلُ الْمُتَكَامِلُ
وكَمْ تَشْهَدُ الأَسْحَارُ أَنَّكَ قُمْتَهَا ... ويَشْهَدُ نَجْوَاكَ الضُّحَى والأَصَائِلُ
فَبُشْرَى لِقَبْرٍ أَنْتَ فِيهِ مُجَاوِرٌ ... وأَعْمَالُكَ الْجُلَّى لَدَيْكَ حَوَافِلُ
إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ عُدْ مُطْمَئِنَّةً ... إِلَى اللَّهِ نَفْسُكَ النَّسِيمُ الْمُشَاغِلُ
ورَاضِيَةً مَرْضِيَّةً نَفْسُكَ الَّتِي ... تَحِنُّ إِلَيْهَا فِي الْجِنَانِ الْجَدَاوِلُ
لَعَلَّكَ تَلْقَى زَوْجَكَ الْآنَ فِي جِنَا ... نِ رَبِّي ورَبِّي وَاسِعُ الْعَفْوِ عَادِلُ
وإِنَّا إِلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ لَرَاجِعُو ... نَ واللَّهُ كَمْ طَابَتْ لَدَيْهِ الْمَنَازِلُ
فَيَا رَبَّنَا اقْبَلْ صَبْرَنَا واحْتِسَابَنَا ... وهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا مَا نُحَاوِلُ

(القاهرة في الأحد ٣ شوال ١٤٤٤هـ – ٢٣/ ٤/ ٢٠٢٣م)

---

[1] ميمونة وآمنة وهاجرة : بناتُ الشيخ رحمه الله .

بفراقك إنا لمحزونون

(قصيدة على رحلة سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني رحمه اللّه)

د . سعيد بن مخاشن *

نظام القصيدة : الشطران المتناظران

البحر : الكامل

القافية : المتدارك

الروي : الموحد

المطلع : المقفى

هو عارف باللّه داع خاشع   هو سيد ، نسباً وفضلاً ، رابع
وزعيمنا وزعيم أهل زمانه   هو رائد حقاً خطيب مصقع
سيد أبو الحسن علي خاله   هو شيخه بخصاله يتمتع
هو آية الأسلاف في خطواتهم   فيصوم بكرته قليلا يهجع
ولاّه رب العالمين معاليا   وإمامة الهند العظيمة يلمع
قد أشرق أرجاء كون كلها   بعلومه سُحُب الدجى تتقشع
باع طويل في العلوم بأسرها   بدماثة الأخلاق ذا يتمتع
قد تلمذ حشد عظيم عنده   نالوا العلا من فكره وتشبعوا
ودعا إلى " اعتصموا بحبل اللّه " و   في قلب كل المؤمن هو يزرع
ويصنف الأجيال في خطباته   فكلامه بفراسة يترصع
في كل خير المسلمين تقدم   في كل أمر المسلمين يشجع
وحمى حياض المسلمين بعزمه   ذوّاد قوم دائما متبرع
وقضى على جمر الدسائس كلها   وأتى بماء طاهر ويدافع
ويُزيل جنح الظلام الحالك   فتأبش قوم عليه تجمعوا
مسترضياً لبى نداء اللّه في   خير الشهور إلى العلا يتتابع
بفراقك إنا لمحزونون في   أمر الإله لساننا يسترجع
ووفاته موت البلاد وأهلها   هي ثلمة قد لا تسد تقطع
يدعو سعيد بن مخاشن ربه   في جنة الفردوس فضلا يرفع

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية .

فاق الزمان بنقده المعلوم

بقلم : الأستاذ طارق الأكرمي الندوي*

أطِل الــكــلام فـأنت غير ملوم ... واذرف دموع الهائم الـمكلوم
واذكر لهم شيخ الشيوخ مفصلاً ... وسُق الحديث فأنت غير ظلوم
ودع التنطع والـتـعـصب جانباً ... واذكره ذكرى عاشق وهيوم
واستنصت الأقوام دون مـضـجة ... وأقـم بـناء الشعر والـمنظوم
لـمـا نـعى ناعي الممات عشية ... أمسى القوي الجَلد كالمهزوم
شيخ الـمشائخ زينة الدنيا الذي ... قد يرتضيه ذوو التقى وعـلوم
فالرابع الـحسني بـهجة مجلس ... ووقــار نـادٍ للـهدى مـوسـوم
وأتـاه وصـف الـصبـر رزقَ إلهه ... ولكان موصوفاً بـحسن فهوم
حســن الـسريرة والخليقة وصفه ... وسع الأنام بقلبه الـمـخـموم
حـســن الـخلال الصافيات بإلّه ... وبــجـهده وبخاله الـمـرحوم
قـد كان رأساً في صروف لغاته ... فاق الــزمـان بـنقده المعلوم
عِلمُ الـمنازل والـقرى وجزيرةُ الـ ... أعراب تمثُل عـنـده كرقوم
فاق الـصـحاب وصار في عليائه ... فوق الثريا فوق كـل نـجـوم
زكّى النفوس وراضها بنصيحة ... وأشار خيراً ذا شجى وغـمـوم
يا رب أدخـلـه نعيما مـكـرَمـاً ... واسق الرحيق ببارد مـخـتوم

---

* مدرسة خير العلوم ، بتكل – كرناتكا – جنوب الهند .

وكنتَ الكريم ، وقد عمت مكارمه

كتبها : الأخ محمد الثالث الأكرمي الندوي *

اَلْـهِـنْـدُ صَـارَتْ خَـوَاءً مِّـنْكَ يَا عَلَمُ ... فالنَّفْسُ تَـبْـكِي وَفِيْ أَحْشَائهَا الأَلَمُ
مَنْ يّخلُفُ الشَّمْسَ إنْ أَخْفَى الضِّيَاءَ بِـهَا ... جَـفْـنُ الْـوَفَاةِ ، وَ سَادَ الْعَالَمَ الظُّلَمُ ؟
بِـمَـنْ تُـنَـارُ مَـبَانِي الْعِلْمِ وَا أَسَفِيْ ... بَعْدَ السُّقُوطِ ، وَمَنْ تَجْلُو بِهِ الحِكَمُ ؟
اَلْـكَونُ بَعْدَكَ مُـجْـتَـابٌ مَلابِـسُـهُ ... سُودُ الْـخُـيُوطِ ، فَلا لَونٌ وَلا نغَمُ !
فَـلَـم تَـكُنْ مُنْذُ أَنْ شِيْدَتْ مَطَالِعُكُمْ ... إلا كَـمِـئْـذَنَـةٍ جِـيْرانُهَا النُّجُمُ
طِـفْـلاً تَـنَـاثَر أَنْوَارَ الْـهُدى ، وَفَتىً ... تَنْهَالُ مِنْهُ عَـلَـى أَتْـرَابِـهِ الْـكَلِـمُ
شَـوَاهِـدُ الْـحَـزْمِ فِيْ أَعْـمَـالِهِ أَبَداً ... فِيْ قَـلْـبِهِ الْعِشْقُ وَالأَشْـوَاقُ وَالأَلَـمُ
فَـمَـا مَضَى فِيْ الدُّجَى إلا كَبَدْرٍ هُدَىً ... وَسَحَّ مِن عِلمِه فِـي قَـحْـطِنَا كَرَمُ
وَكَـانَ فِـي الْـجَدْبِ مُزْنًا عِلْمُهُ وَنَدًى ... وَكَـانَ يُـنْـشِـئُ أَجْـيَـالاً لَهَا ذِمَمُ
جَـهَـرْتَ بِالْـحَـقِّ دِيْـنَـاً فِيْ جَوَانِحِنَا ... بِـهِ انْـتَـصَرْنَا عَلَى الْجُهَّالِ وَانْهَزَمُوْا
مَـا كُـنْـتَ إلا شَـبَاباً ذَاكِراً وحِجًى ... ظِـلاً مِّـنَ الـنُّـورِ فَانْزَاحتْ بِهِ الظُّلَمُ
وَيَـفْـجُـرُ الْـعِـلْـمَ فَيَّاضاً بِلا وَجَلٍ ... إذَا تَـكَـلَّـمَ ثَـغْـرٌ أَوْ جَـرَى قَلَمُ
كُـنْـتَ الْـكَرِيْمَ وَقَدْ عَمَّتْ مَكَارِمُهُ ... فِـي الْـهِـنْدِ ، أَفْضَالُهُ لِلْكُلِّ تَزْدَحِمُ
وَكُـنْـتَ يُـوسُـفَ فِي عِلْمٍ وَفِـي خُلُقٍ ... فِي قَلْبِكَ الشَّوْقُ، فِي سَاحَاتِكَ الْكَرَمُ
وَكُـنـتَ نُـوحـاً سَفِيْنُ الْحقِّ يَحْمِلُهُ ... وكُـنـتَ مُوسى عَلا بِالْحَقِّ سِحْرَهُمُ
وَفِي عُـيـونِـكَ يَـحـلُو لِلأَنَـامِ غَدٌ ... يَخْضَرُّ فِـي أَعْـيُـنِ الأَبرارِ ، يَبْتَسِمُ
حَـتّـى مَـضَـيْتَ وَفِي قَبْرِ الثَّرى رَحَبٌ ... لَـمَّـا رَحَـلْـتَ وَفِـي قَلبِ الْوَرى ألمُ
فَـالآنَ تَـمْـرَحُ بِاللُّـقْـيَـا وَمُـتْـعَتِهَا ... وَالآنَ يُـسفِـرُ مِـنكَ الْفَجْرُ يَا عَلَمُ !

* باتكل ، كرناتكا ، الهند .

تبكي الكراريس والألواح والقلم

بقلم : الأخ برويز عالم الندوي *

مات الذي تـعــرف الأكــوان سيرته   الهند تـعرفه والـعُـرب والـعـجـمُ

قد فات من كان يُـعـلِي شأنَه خُلُقًا   العلمُ والحلمُ والأوصافُ والــشـيـمُ

يــبــكــي عـلـيه جدارُ دارِه دَأَباً   تبكي الكراريس والألواح والقلمُ

أنسابه تــنــتـهـي حتماً إلى حسَنٍ   " بــجــده أنـبـيـاء اللّه قد خُتِمُوا "

قد ودع الـنــاسَ ذو عـلـمٍ و ذو أدبٍ   غاب الصفي الوفي الفاضل الـعَلَمُ

وقـد دفـنَّـا حكيماً راشداً فـطِـناً   على مسالكه قد سارت الـحِكم

ســهــلُ العريكةِ قد أعلى مكانتَه   والعفوُ والسمحُ والإحسانُ والكرمُ

بكى جميع الورى بعد الممات كما   يـبـكـي على موت أمٍّ بعدها فطَمُ

ومـن مـضـى عـمْره للّه مـبـتـغـياً   بعد الـمـمـات لـقـد أنَّتْ له الأممُ

* أرريه ، ولاية بهار ، الهند .





رسائل التعازي

خطاب تعزية من سفارة المملكة العربية السعودية بدهلي الجديدة

فضيلة مدير دار العلوم ندوة العلماء ، بلكناؤ ، حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... أما بعد

فأسأل الله لكم دوام العون والتوفيق والسداد .

بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره ، وببالغ الحزن والأسى تلقينا نبأ وفاة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، الرئيس العام لندوة العلماء بلكناؤ ، ورئيس هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند ، رحمه الله وتغمده بواسع رحمته ، وأسكنه فسيح جناته .

وإنني إذ أقدم لكم ولأسرة الفقيد والأعضاء والمسؤولين في ندوة العلماء بلكناؤ ، وهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند ، خالص العزاء وصادق المواساة في هذا المصاب ، أصالةً عن نفسي ونيابةً عن معالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية الشيخ الدكتور عبد اللطيف بن عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله وفضيلة وكيل الوزارة للشؤون الإسلامية الدكتور عواد بن سبتي العنزي ، لا نقول إلا ما يُرضي ربنا : " للّه ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيئ عنده بأجل مسمى " ، سائلاً الله العلي القدير أن يُلهمكم وذويه الصبر والسلوان ، وأن يشمل الفقيد بالمغفرة والرضوان ، وإنا للّه وإنا إليه راجعون .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الملحق بسفارة خادم الحرمين الشريفين في نيو دلهي

بدر بن ناصر غانم العنزي

٢٤/ رمضان ١٤٤٤هـ

رسالة عزاء من الدكتور السيد سلمان الندوي

سعادة الأخ الكريم الشيخ سعيد الأعظمي الندوي حيَّاكم الله بالصحة والعافية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فنحن نعزيكم أحسن العزاء على هذا الحادث الفادح ، فإن وفاته قد خسر بها العالم الإسلامي كله ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

إنكم ما زلتم في ندوة العلماء منذ زمن بعيد ، وقد رأيتم الفقيد المرحوم عن كثب ، وكانت فترة أعمال الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي مبعث فخر واعتزاز بنا ، وكنتم مساعدين له في أعماله العلمية والإدارية ، هذا الذي يُطَمْئِن قلبي بأنكم لا تزالون تشرفون على الأمور التعليمية لدار العلوم لندوة العلماء ، وقد رأيتم زمن الشيخ الطبيب السيد عبد العلي الحسني والعلامة السيد سليمان الندوي والشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي والشيخ الدكتور عبد الله عباس الندوي ، والشيخ محمد الرابع الحسني الندوي . هذا الذي يساعدكم على مواصلة أعمالكم ، ويحق لكم أن تنشدوا بهذه المناسبة قول الشاعر :

ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فرداً

أخوكم

السيد سلمان الندوي

نجل العلامة السيد سليمان الندوي

٢٥/ رمضان/١٤٤٤هـ

١٧/أبريل/٢٠٢٣م

تعزية فرع رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، بولاية كيرالا ، الهند

الحمد للّه الذي خلق الموت والحياة ليبلو من أحسن عملاً ، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي علمنا بأن للّه ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيئ عنده بأجل مسمّى فلتصبر ولتحتسب ، إنا للّه وإنا إليه راجعون .

سعادة الدكتور الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي حفظه اللّه ورعاه

عميد دار العلوم ندوة العلماء ، لكنؤ ، الهند .

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته ، وبعد .

بمناسبة وفاة والدنا الجليل ومربينا الحنون وإمامنا في الدين والدعوة سماحة العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه اللّه تعالى رحمةً واسعةً يتقدم أبناء ندوة العلماء والإخوان الآخرون لفرع رابطة الأدب الاسلامي العالمية بكيرالا إلى أسرة ندوة العلماء من اللجنة المشرفة على الشؤون الإدارية والأساتذة الأجلاء والطلبة المحبين وغيرهم ، وخاصة سماحة الشيخ سعيد الأعظمي عميد دار العلوم وزميل الفقيد في جميع مجالات الدعوة طول الحياة ، وفضيلة الأستاذ الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء وخليفته ووارثه في الدعوة ، وكذلك أهل بيته وأقاربه المتألمين المحزونين ببالغ التعازي والمواساة والدعاء له بالمغفرة والمرحمة والالتزام بالصبر والسلوان . ونسأل اللّه له الضيافة في الجنة ، وأن يجمع بيننا وبينه في الفردوس الأعلى .

(يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) .

بعيون دامعة وقلوب خاشعة راضية بقضاء اللّه وقدره

محي الدين الندوي (الرئيس) — عبد الشكور القاسمي (نائب الرئيس)

د . يوسف محمد الندوي (الأمين العام) — د . عز الدين الندوي (سكرتير)

د . عبد الرحمن الآدرشيري (عضو) — عبد الرحمن المنغادي (عضو)

عبد الحفيظ الندوي (عضو) — سيد سعيد جمال (عضو)

محمد الأنصاري الندوي (عضو) — رسول غفور (عضو)

تعزية رابطة الأدب الإسلامي العالمية

التاريخ : ٢٢ رمضان ١٤٤٤هـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

بقلوب خاشعة ، وعيون دامعة ، ونفوس راضية بقضاء الله تعالى نعزي جميع أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في وفاة رئيسها سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي الذي لبَّى نداء ربه العلي القدير اليوم الخميس ٢٢ رمضان ١٤٤٤هـ .

كما نعزي كل محبي الأدب الإسلامي ، ونعزِّي مسلمي شبه القارة الهندية ، في رجل طالما وقف مدافعاً عنهم ، خادماً لقضيتهم .

ونعزي الأمة الإسلامية قاطبةً في عالم عامل ، وأحد أعلامها المخلصين الذين سخروا فكرهم وأدبهم لخدمة أمتهم إلى أن وافاه قضاء الله المحتوم .

وإنا نقول تأسياً برسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن القلب ليخشع ، وإن العين لتدمع ، وإنا لفراقك يا شيخنا محمد الرابع لمحزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل : " إنا لله وإنا إليه راجعون " .

نسأل الله العلي القدير أن يتغمد شيخنا الراحل برحمته ، ويلحقه بعباده الأبرار ، ويبوئه الفردوس الأعلى من الجنة ، ويحسن إليه جزاء ما قدَّمه للأدب الإسلامي ، ولأمته ، من خدمات جليلة .

حسن الأمراني

رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

تعزية الشيخ الطاهر بدوي الجزائري

قال تعالى : (مِنَ المؤمنينَ رِجالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّه عَلَيْهِ فَمِنْهُم مِّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مِّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوْا تَبْدِيلاً) [الأحزاب : ٢٣] .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد .

فقد أعزي نفسي أولاً وأهل شيخنا وأسرته وأبناءه وتلامذته وأهل العلم والدعوة والعاملين في خدمة الإسلام جميعاً وأمتنا الإسلامية جمعاء بهذا المصاب الجلل ، وأتضرع إلى الله تعالى أن يتقبل شيخنا بقبول حسن ، وأن يرزقه الفردوس الأعلى برفقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأن يربط على قلوب أهله وأحبابه ، وأن يعوض المسلمين وأهله بفقده خيراً ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

رحل الإمام المتفرد وعلامة الأمة وأحد أبرز أعلام الحركة الإسلامية في عصرنا ، بعد قرن حافل بخدمة الدين الإسلامي ونشر العلم الصحيح وجمع كلمة المسلمين ، ملبياً نداء الله جل في علاه ، وذلك بعد ٩٢ عاماً أوقفها على نشر العلم والدعوة إلى الله تعالى وتربية الأجيال ، والعمل الإسلامي الدؤوب ، ونصرة قضايا الأمة من مشرقها إلى مغربها .

رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى وغفر لنا وله .

الطاهر بدوي الجزائري
الجزائر

بيان تعزية من هيئة علماء فلسطين

قال تعالى : (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي . وَادْخُلِي جَنَّتِي) [الفجر : ٢٧ – ٣٠] .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فقد تلقينا في هيئة علماء فلسطين ببالغ الحزن والصبر والاحتساب نبأ وفاة فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي – رحمه الله تعالى – رئيس ندوة العلماء في الهند ، وأحد كبار علماء الهند والعالم الإسلامي الذي وافاه الأجل بعد حياة حافلة بالعلم والدعوة وخدمة دين الله تعالى .

وإننا في هيئة علماء فلسطين نعزي المسلمين في الهند والأمة الإسلامية ؛ كما نعزي أهل الفقيد وذويه وطلابه . ونتضرع إلى الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ، وأن يرزقه الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وأن يلهم أهله وذويه وإخوانه الصبر الجميل ، إنه أكرم مسؤول .

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

هيئة علماء فلسطين

٢٣/ رمضان ١٤٤٤هـ

الموافق ١٤/ أبريل ٢٠٢٣م

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، سلطنة عمان

الشيخ الجليل الأخ العزيز بلال عبد الحي الحسني الندوي حفظه الله تعالى

رئيس ندوة العلماء المسلمين بالهند

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.... وبعد:

فببالغ الحزن والأسى تلقينا نعي فقيد العلم والعمل سماحة الشيخ محمد الرابع الندوي رئيس ندوة العلماء، الذي لبى النداء الأقدس بعدما طوى من العمر ردحًا من الزمن قضاه في خدمة العلم، والدعوة إلى الله تعالى، وتبصير الناس بحقيقة عبوديتهم لله تعالى المنفرد بالملك والقهر واستحقاق العبادة من جميع عباده، ويا لها من صدمة تركت آثارها في نفوس عارفيه، ولكنه قضاء الله العادل وحكمه النفاذ ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، فقد جعل الموت سنة عامة في جميع خلقه، "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ" [الرحمن:٢٦ – ٢٧]، وما لنا إلا أن نقول ما أمرنا به ربنا عند حدوث المصائب: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" [البقرة:١٥٦]، فمنه تعالى المبدأ وإليه المرد.

تغمد الله الفقيد الجليل بواسع رحماته وأسكنه فسيح جناته، وجبر مصاب الأمة الجلل بسدكم ثلمته، وملئكم فراغه، وقيامكم مقامه في أعماله المبرورة، فأنتم أهل لذلك، وقد وقع عليكم اختيار الله سبحانه قبل أن يختاركم الناس للقيام بهذه المهمة والاضطلاع بأعبائها، والعظائم إنما أهلها العظماء.

هذا؛ ونشارككم العزاء الحسن في هذا المصاب الجلل، ونرجو نقل تعازينا إلى أسرة الفقيد وكل من كان ضنينا عليه حفيا به، والله يؤجركم جميعا في هذا المصاب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم المخلص

أحمد بن حمد الخليلي

المفتي العام لسلطنة عُمان

الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

"يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي".

ببالغ الحزن والأسى، تلقينا بقلوب مفعمة بالرضا بقضاء الله وقدره نبأ وفاة العالم الأديب العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي عن عمر ناهز ٩٣ عاماً.

المولد والنشأة:

ولد الفقيد العلاّمة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي في بلدة راي بريلي في ولاية أترا براديش بشمال الهند يوم ١ أكتوبر ١٩٢٩م، ونشأ في أسرة علمية عريقة في العلم والنسب، حيث كان خاله العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي، هو الذي أشرف على تعليمه وتربيته.

درس الشيخ محمد الرابع في دار العلوم ندوة العلماء ونُسب إليها، كما درس على بعض علماء الحديث في الهند من أمثال الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي وغيره.

المهام والمسؤوليات:

تم تعيين الفقيد كمدرس في ندوة العلماء عام ١٣٦٧هـ وقام بتدريس الطلاب لمدة تقرب من ٤٠ عامًا. ولقد تخرج العديد من العلماء والشخصيات البارزة في الهند تحت إشرافه. بالإضافة إلى ذلك، تم تكليفه بإدارة ندوة العلماء في عام ١٤١٣هـ وبعد وفاة خاله العلامة أبي الحسن الندوي في عام ١٤٢٠هـ تولى رئاسة الندوة.

وكان الفقيد أمينًا عامًا لندوة العلماء ورئيسًا لجامعة دار العلوم في عام ٢٠٠٠ بعد وفاة الشيخ أبي الحسن الندوي. وكان مؤسسًا لرابطة الأدب الإسلامي العالمية حيث كان نائبًا لرئيس الرابطة ورئيسًا لمكتب شبه القارة الهندية وعضوًا في مجلس الأمناء.

كما كان -رحمه الله- عضوًا في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ونائبًا لرئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئيس مجلس الأحوال الشخصية الهندية للمسلمين. وكان عضوًا في عدد من المؤسسات العلمية والأكاديمية العالمية مثل مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في بريطانيا. وحصل على جائزة رئيس الجمهورية الهندية لخدمته في اللغة العربية عام ١٩٨١م.

وحصل على جائزة رئيس الجمهورية الهندية في خدمة اللغة العربية عام ١٩٨١م.

مؤلفاته:

كان للفقيد مجموعة كبيرة من المؤلفات باللغتين العربية والأردية، منها؛ "تاريخ الجزيرة العربية"، و"أيام في أمريكا"، و"تاريخ الأدب العربي"، و"منشورات من أدب العرب"، و"الثقافة الإسلامية المعاصرة"، و"الأمة الإسلامية ومنجزاتها"، و"التربية والمجتمع"، و"الأدب العربي بين عرض ونقد"، و"الأدب الإسلامي وصلته بالحياة.

وقد فقدت الأمة الإسلامية عالماً من علمائها المخلصين، نسأل الله العلي القدير أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة ويعفو عنه، ويجزيه خير الجزاء، ويكرم نزله، ويدخله جنة الفردوس، ويحشره مع النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقا، وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان، إنه نعم المولى ونعم المجيب..

وإنا لله وإنا إليه راجعون

د. سالم سقاف الجفري

الرئيس

أ. د. علي القره داغي

الأمين العام الإتحاد العالى لعلماء المسلمين

يوم الخميس

٢٢ رمضان ١٤٤٤هـ



حفلات التأبين على وفاته



حفلات التعازي على وفاة

سماحة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

مدير التحرير

كلمة رثاء في جامع ندوة العلماء :

كان اليوم الثاني من وفاة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي يوم الجمعة ، ويجتمع في جامع ندوة العلماء عدد كبير من مسلمي مدينة لكناؤ ، وهم يأتون لأداء صلاة الجمعة ، وقبل خطبة الجمعة تُلقى كلمة نصح ووعظ أمام الحضور ، ولا شك أن الجو كان حزيناً ، وكانت ندوة العلماء وجدرانها ومبانيها ترثي للشخصية المثالية التي عاشت بينها خلال ثمانين سنةً ، وكانت في ترقب وانتظار من يعزيها ويخفف عنها حزنها ، فقام مدير دار العلوم لندوة العلماء فضيلة أستاذنا الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي أطال الله بقاءه ، وخطب قبل صلاة الجمعة خطبةً مؤثرةً حول أعمال وجهود الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، ذكر فيها زهده وقناعته في هذه الحياة الدنيا ، كما تناول بعض جوانبه البارزة ، وكان لهذه الكلمة وقع كبير على الصعيد العالمي ، لأنها بُثت ونشرت عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، وقد ألقى بهذه المناسبة كاتب هذه السطور كلمة عزاء على هذا الحادث الجلل ، واعتبر أنه بوفاته قد تهدم بنيان قوم ، واستشهد بقول الشاعر أبي العتاهية :

اصــبــر لكل مصيبة وتجلد   واعلم بأن الــمــرء غير مخلد
فإذا ذكرت محمداً ومصابه   فاذكر مصابك بالنبي محمد

حفلة تعزية في منزل البروفيسور السيد وسيم أختر :

وانعقدت في نفس اليوم مساء بعد صلاة المغرب حفلة تأبين في منزل البروفيسور السيد وسيم أختر رئيس جامعة انتغرل لكناؤ ، أبدى فيها البروفيسور السيد وسيم أختر انطباعاته عن الراحل الكريم ، وكيف كان يعامل معه معاملة حب وشفقة ، وذكر علاقة الشيخ بجامعة انتغرل وإشرافه عليها ، وألقى بهذه المناسبة فضيلة شيخنا سعيد الأعظمي الندوي كلمةً جامعةً حول الفقيد رحمه الله ، وذكر أنه عاش

معه ٧٥/ عاماً ، في رحاب ندوة العلماء ، ونال من عطفه وحبه وكرمه ، وقال كاتب هذه السطور في هذه الحفلة : إن حياة الشيخ السيد محمد الرابع رحمه الله يتميز بالاستقامة في الدين ، إنه لم يحِد ولم يتنازل قيد شعرة عن الدين ، مهما ادلهمت الخطوب والنوازل ، والاستقامة هي مفتاح النجاة في الدنيا والآخرة . وانتهت الحفلة بدعاء رئيس الحفلة .

لجنة إصلاح المسلمين ، بلكناؤ :

عقدت لجنة إصلاح المسلمين بلكناؤ حفلة تعزية على وفاة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي في ٧/ ذي القعدة ١٤٤٤هـ ، الموافق ٢٨/ مايو من شهر ٢٠٢٣م يوم الأحد ، في ساحة كلية ممتاز بحي دالي غنج ، لكناؤ ، حضرها كبار علماء الهند ، منهم الشيخ خالد سيف الله الرحماني (رئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند) ، والبروفيسور أختر الواسع ، والأستاذ بلال عبد الحي الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء) ، والأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي (الأمين العام لندوة العلماء) ، والأستاذ المفتي عتيق أحمد البستوي ، والأستاذ المحدث محمد خالد الندوي الغازيفوري (عميد كلية الدعوة والإعلام بدار العلوم لندوة العلماء) والأستاذ خالد رشيد الفرنغي محلي الندوي إمام مصلى العيد بلكناؤ ، وغيرهم من العلماء .

أدار الحفلة الأستاذ المحامي أطهر نبي سكرتير لجنة إصلاح المسلمين ، كما افتتحها المقرئ قمر الدين من المدرسة النظامية بفرنغي محل ، وقال رئيس الحفلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني في كلمته الرئاسية : إن وفاة الشيخ محمد الرابع الحسني خسارة كبيرة ، ليست وفاته وفاة رجل فقط ، بل وفاة مؤسسة وجامعة ، كان يحترمه كل من الفئات والجماعات ، وكان قائداً كبيراً للمسلمين ، كما كان العرب يوقرونه ويقدرون مجهوداته ، وأضاف الشيخ الرحماني قائلاً : إن هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين قد استفادت من مشوراته السديدة ، وآرائه الحصيفة ، وواصلت مسيرتها بحكمة وحيطة بالغتين .

وقال فضيلة الأستاذ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي في كلمته : إن الشيخ السيد محمد الرابع الحسني كان بركةً لنا في معنى الكلمة تزول بوجوده الفتن ، وقد استفاد منه القاصي والداني ، وكان

يتميز بصفاته النبيلة وصبره المثالي ، هذا الذي جعله محبوباً بين الناس ، وكانت توجد فيه صفة الاستماتة في سبيل الله عز وجل .

وقال البروفيسور أختر الواسع : إن الشيخ محمد الرابع كان أيقونة اللغة العربية وابن بجدتها ، وكان يستفيد منه جميع مسلمي الهند والعالم الإسلامي ، وكان يوجههم توجيهاً رشيداً في شتى القضايا والمشكلات ، واعتبر الشيخ خالد رشيد الندوي شخصية الشيخ محمد الرابع صانع الرجال ومربي الأجيال ، كما قال الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي : إن الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي كان عالماً مثالياً ، وقائداً مثالياً ، وأباً مثالياً ، وعماً مثالياً ، وقال الأستاذ المحدث محمد خالد الغازيفوري الندوي : توجد في شيخنا رحمه الله صفات كثيرة ، منها الإخلاص والاختصاص .

انتهى الحفل بدعاء رئيس الحفل ، وشكر الحضور الحاج شرف الدين الشودهري أحد أثرياء مدينة لكناؤ .

مؤسسات وجمعيات وأقسام عربية تعقد حفلات التأبين :

عقدت هذه المؤسسة حفلة تأبين بهذه المناسبة في رئاسة الدكتور رضي الإسلام الندوي ، حضرها الأستاذ الدكتور حبيب الله خان ، والدكتور مجيب أختر وغيرهم ، وهم أبدوا فيها انطباعاتهم عن الفقيد ، كما أثنى على أعمال وجهود الراحل كل من الدكتور منظور عالم والأستاذ محمد إعجاز عرفي القاسمي . وكذلك عقد قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة لكناؤ ، وجمعية إرم بلكناؤ ، ومدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور وجميع المدارس الملحقة بندوة العلماء ، حفلات التعازي على رحيل الفقيد رحمه الله ، وأرسلت برقيات التعزية على هذا الحادث الكبير ، أما خارج الهند فكانت هناك كبرى شخصيات العالم الإسلامي أرسلت كلمات التعازي إلى ندوة العلماء . ندعو الله سبحانه وتعالى للراحل الكريم المغفرة والصفح عن الزلات ودخوله في جنات الفردوس .

مؤتمر افتراضي حول أعمال وجهود الشيخ السيد محمد الرابع الحسني

الأستاذ ظفر الدين الندوي

أستاذ كلية الشريعة وأصول الدين بدار العلوم

انعقد مؤتمر افتراضي عالمي عبر الزوم من قبل منبر " ميديا دستك "

بديوبند حول أعمال وجهود الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي في الفترة ما بين ٢٥ – ٢٧/ من شهر مايو عام ٢٠٢٣م ، شارك فيه عدد كبير من العلماء البارزين والمفكرين الإسلاميين من أرجاء المعمورة ، افتتح المؤتمر بتلاوة الأخ العزيز السيد محمد بن عبد الله الحسني ، ثم قدَّم الأخ السيد أبو الحسن علي بن بلال الحسني أنشودة الرثاء ، ومن أبرز المشاركين في هذا المؤتمر :

١. فضيلة الشيخ الدكتور علي محي الدين القرة داغي ، الأمين العام للاتحاد العالمي للعلماء المسلمين .
٢. فضيلة الشيخ سعيد الأعظمي الندوي ، مدير دار العلوم لندوة العلماء .
٣. فضيلة الشيخ المفتي محمد تقي العثماني .
٤. المفتي عبد القادر العارفي ، أستاذ الحديث بدار العلوم زاهدان ، إيران .
٥. فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني ، رئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند .
٦. المفتي الشيخ أبو القاسم النعماني ، رئيس دار العلوم بديوبند .
٧. فضيلة الشيخ محمد أرشد المدني ، رئيس جمعية علماء الهند .
٨. الدكتور حسن الأمراني الحسني ، رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية .
٩. الشيخ خليل الرحمن سجاد النعماني الندوي ،رئيس مجلة الفرقان، لكناؤ
١٠. الشيخ محمد إلياس كهمن (باكستان) .
١١. الشيخ بلال عبد الحي الحسني الندوي ، رئيس ندوة العلماء .
١٢. الأستاذ السيد جعفر مسعود الحسني الندوي (الأمين العام لندوة العلماء) .
١٣. الشيخ محمد بن أحمد المكي .
١٤. البروفيسور ثناء الله الندوي .
١٥. الدكتور محمد أكرم الندوي .

قال العلماء والباحثون في كلماتهم : إنٍ سماحة الشيخ كان جامعاً بين العلم والعمل ، ومنارة النور والهدى ، وآيةً من آيات الله ، وكان من كبار المربين ، قام بإعداد أجيال كثيرة ، غادرنا الشيخ ، ونحن أحوج ما نكون إلى وجوده ، وكان ذا بصر وبصيرة ، وقد أدار المؤتمر الأستاذ أحمد نور العيني بارك الله في حياته .

شخصية أعجبتني

غوادي مزنة ، أثنى عليها السهل والأوعار

محمد فرمان الندوي

قرأنا في المثل العربي : " كن عِصامياً لا عظامياً " ، معناه أن موظفاً متواضعاً كان في بلاط النعمان بن منذر ملك الحيرة ، وكان يعمل كل عمل بجدية وإتقان ، لا يتكاسل ولا يتباطئ ، وكان يواصل الليلٍ بالنهار ، والنهار بالليل ، حتى أصبح من المتزلفين لدى الملك ، ونال عنايةً كبيرةً منه ، فاشتهر صيت عصام عند الخاصة والعامة ، حتى قال عنه الملك : إن عصام بن شهبر الجرمي يقدَّر عندنا بألف جندي ، وبدأ يُضرب المثل : كن عصامياً لا عظامياً ، أي افتخر بنفسك ، ولا تفتخر بعظام آبائك وأجدادك ، ذكر الإمام الشيخ السيد أبو الحسن على الحسني الندوي رحمه عن العبقري العصامي في كتابه : " الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية " ، وذكر بعض صفاته ، وقال في الأخير : " هذا هو العبقري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثرتهم وتنوعهم ، وهذا هو العملاق حقاً ، الذي يبدو في جانبه القادة المقلدون المطبقون صغاراً متواضعين كالأقزام " .

إذا درسنا حياة وأعمال الإمام المفكر الإسلامي الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي رحمه الله عرفنا في شخصيته مصداق هذه العصامية التي يتوخاها من خلال هذه الكلمات ، ووجدنا ضالتنا المفقودة ، واكتشفنا العصامي الذي أصبح الناس حيارى في البحث عنه ، فإن شخصية الإمام الندوي توافق مأة في المأة هذه العصامية ، وهي أجل من أن تذكر ، وأعظم من أن يثنى عليها (والبيت يعرفه والحل والحرم) ، وورث هذه العصامية شيخنا المفكر الإسلامي ، المصلح الكبير ، المؤرخ العظيم ، الداعية المثالي ، المعلم الناجح ، القائد الحكيم ، المؤلف القدير ، الأديب الناقد ، الجغرافي النابغة ، الصحافي المحنك الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، هذه الصفات العشر تبرز جوانب عصاميته ، ونواحي عبقريته ، فإنه عاش بين الناس متواضعاً ، فخفي عن الناس جوهره

وقيمته الحقيقية ، لكن مشاهد جنازته رفعت اللثام عن هذه المزايا وخبايا زواياها ، وكان عبد الله بن أحمد يقول : سمعت أبي رحمه الله يقول لأهل البدع : بيننا وبينكم يوم الجنائز (سؤالات السلمي للدار قطني : ٣٦١) ، وأضف إلى ذلك مرجعيته ، وكونه نقطة وحدةٍ بين الناس ، رغم تأليفاته التي تبلغ إلى أكثر من ستين ، ومناصبه العالية وعضويته لعشرات من الهيئات والمؤسسات والجمعيات ، وتدريسه إلى ٧٥/ عاماً ، وقيادته الحكيمة للأمة الإسلامية الهندية من منبر هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند ، وهلم جراً .

ميزتان بارزتان :

(١) إن أهم ما تمتاز به شخصية شيخنا رحمه الله هي الاستقامة في سبيل الدين ، ونشر التعليم الإسلامي ، والاستقامة كلمة جامعة تشمل جميع جوانب الدين ، وهي لزوم طاعة الله وسلوك الصراط المستقيم ، والاستقامة فوق الكرامة ، وما أكرم إنسانٍ بكرامة ، خيراً من الاستقامة، فإن شيخنا رحمه الله عاش عمرا طويلا بحمد ا للهوفضله ، وركز في هذا العمر على جانب واحد ، وهو أن تعلو كلمة الإسلام ، وينتشر السلام والهدوء في أرجاء المعمورة ، وكان شيخنا رحمه الله بعيداً عن ضوضاء الناس ، وصخب الأسواق ، فكان يؤثر الجو الهادئ ، ويستوحش من إثارة الخلافات والنزاعات ، فإنه فطر على تحمل المشاق والصبر والمصابرة ، وكان يلقي نفسه في حرج ، لكنه لا يحدث صعوبة للآخرين ، فبالاستقامة جعل الله له قبولاً في الدنيا بين الناس ، وهو مكرم ومبجل عند الله في الفردوس الأعلى بمشيئة الله تعالى ، وهذه بشرى من الله أن كل من استقام على الحق وثابر عليه قدَّر الله له الخير ، ووفقه لما يحبه ويرضاه .

(٢) يشهد دارسو سيرة شيخنا رحمه الله أنه اعتنى طول حياته بتربية الأفراد وإعداد الرجال ، لا شك أن إعداد الرجال موضوع الساعة وحاجة الزمان ، ويحتل مكاناً رفيعاً في المجتمعات الإنسانية ، فإن هناك رجالاً يصنفون الكتب ، ويؤلفون المؤلفات ، ويثرون المكتبات الإسلامية بدراساتهم وتحقيقاتهم النادرة ، لكن يندر وجود رجال يكبون على إعداد الرجال وصناعة الأجيال بصمت وخفاء ، وقد روى الإمام الحاكم في المستدرك أن سيدنا عمر رضي الله عنه جلس إلى جماعة من أصحابه ، فقال

لهم : تمنوا ، فقال أحدهم : أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبا أنفقه في سبيل الله وأتصدق به ، ثم قال : تمنوا ، فقال رجل : أتمنى لو أنها مملوءة زبرجداً وجوهراً ، فأنفقه في سبيل الله وأتصدق ، ثم قال عمر رضي الله عنه : تمنوا ، فقالوا : ما ندري يا أمير المؤمنين ! فقال عمر رضي الله عنه : أتمنى لو أنها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وحذيفة بن اليمان (رقم الحديث : ٥٠٠٥) ، اشتغل شيخنا في دار العلوم لندوة العلماء تدريساً وتربية نحو ٧٥ عاماً ، وقام خلال هذه المدة بإعداد آلاف مؤلفة من الدعاة والعلماء ، والمؤلفين ، والمصلحين ، والربانيين ، وهم يشتغلون بالأعمال الدينية ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، ولا شك أن هذا العمل مبارك يُغتبط به ، فإنه وإن لم يؤلف مآت من الكتب ، (وإن كان ما ألفه ليس بقليل) ، لكن جانب تربية الرجال وإعدادهم لا يشق غباره فيه ، ولا يوجد له نظير في تاريخ ندوة العلماء .

بين الوسيلة والغاية :

هذا ما له علاقة بسيرته العامة ، أما حياته العلمية والأدبية فهي حافلة بكثير من الإنجازات الهامة ، والمآثر الجليلة ، ظلت اللغة العربية هوايته وشعاره ، اشتغل بهذا الفن طوال حياته ، وبدأ حياته العلمية بتدريس اللغة العربية والأدب العربي ، وقد أتحف هذا الموضوع بعدة كتب منهجية وغير منهجية أمثال منثورات من أدب العرب ، ومعلم الانشاء ، والأدب العربي بين عرض ونقد ، وتاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ومختار الشعر العربي والأدب الإسلامي وصلته بالحياة ، والأدب الإسلامي : فكرته ومنهاجه ، وأضواء على الأدب الإسلامي ، والغزل الأردي : محاوره ومكانته في الشعر ، لكنه لم يكن غافلاً عن الغاية الأساسية ، والمهمة الكبرى ، وهي أن تعلم اللغة العربية ليس إلا لفهم الكتاب والسنة ، والتعمق في معاني القرآن الكريم والحديث النبوي ، واستخراج النكت التفسيرية والدقائق الفنية ، فإنه ظل يدرِّس تفسير القرآن الكريم في دار العلوم لندوة العلماء إلى مدة ، وكان من تلامذته النبغاء الدكتور يسين مظهر الصديقي الندوي، فإنه شهد بعلو كعبه في هذا الموضوع ، وكان يدرس تفسير القرآن الكريم في الحلقات الرمضانية في زاوية الشيخ علم الله الحسني ، فيأتي بنكت نافعة ولطائف إصلاحية ، ومعان علمية ، ويكفي لمعرفة غزارته في

الموضوع دراسة مؤلفاته : الهداية القرآنية سفينة نجاة للإنسانية ، والمجتمع الإنساني : حدوده وآدابه ، وتأملات في سورة يوسف ، والحياة الإيمانية في سورة الأنبياء ، وشعائر الله وتعظيمها ، وكثيراً ما كان يبين النكت التفسيرية في مجالسه العامة ، فإنه مرة ذكر عن سورة العاديات أن الله تعالى أقسم بخمس صفات للخيول في بداية السورة ، ومعلوم أن الخيول كانت أحب الحيوانات إلى العرب ، فكان يُجاع لها العيال ولا تجاع ، وأراد الله أن يستلفت نظر العرب إلى موضوع شكر النعم والعرفان بالجميل ، فتمثل بالخيول أنها تسرع في الجري ، حتى تضبح ، وتخرج النار من حوافرها ، وتغير صباحاً على الأعداء ، وتثير الغبار ، وتتوسط في الجمع ، لماذا تتكلفها الخيول ؟ لا يتكلفها إلا لإرضاء مالكها ، لكن الإنسان الذي أسبغ الله عليه نعمه ظاهرةً وباطنةً يكفر بها كل وقت ، ولا يقدرها حق قدرها ، فقال الله بعد هذه الأقسام حينما صغت إليه أسماع العرب : إنَّ الإنْسَانَ لِرَبِّه لَكَنُود (لكفور ولجحود) وَإنَّه عَلَى ذَلكَ لَشَهيْد .

هذا نموذج لاطلاعه الواسع على كنه العربية ، كذلك أخذ شيخنا رحمه الله علم الحديث من عباقرة الفن في عصره أمثال الشيخ المحدث حليم عطاء السلوني والمحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، وقد قام بتدريس كتاب رياض الصالحين للإمام النووي في دار العلوم لندوة العلماء سنوات ، فطبع بعض دروسه ، كما درَّس جزءاً من صحيح البخاري في السنة النهائية في دار العلوم لندوة العلماء ، وقرأ عليه أعلام العلماء في العالم الإسلامي ، واستجازوا منه شهادة الحديث ، وقد أقيمت لها دروس خاصة وحضرها آلاف من الطلبة وأهل العلم ، كما قدم لكثير من كتب الحديث ، ولا سيما لثمانية مؤلفات الشيخ الدكتور المحدث تقي الدين الندوي ، فإن هذه المقدمات تدل على اشتغاله بهذا الفن ، ومعرفته التامة ، وكان في آخر السنة الدراسية في دار العلوم لندوة العلماء يجيز الطلاب المتخرجين برواية حديث : المسلسلات ، وتقرأ عليه أوائل الكتب الستة ، وأما موضوع السيرة النبوية فألف في هذا الموضوع كتاباً قيماً باسم : سراجاً منيراً (سيرة خاتم النبيين) وهذا الكتاب فريد من نوعه ، ومبتكر في بابه ، لأنه يقدم السيرة النبوية كصورة إنسان مثالي يمكن لكل إنسان في ضوئه أن يتبعه ويسير على منواله ، وقد كان دأب أصحاب

السير من قبل أنهم يتناولون بذكر المعجزات كثيراً ، فتأتي صورة النبي صلى الله عليه وسلم كشخصية خارقة للعادة ، لا كإنسان يسهل للناس اتباعهم ، فصدر هذا الكتاب من قلم شيخنا رحمه الله ، وأثر في المجتمع الإنساني لا على المسلم فقط ، ونقل إلى لغات كثيرة ، كما أن له كتاباً باسم " في ظلال السيرة " ، وهو مجموعة مقالاته حول السيرة النبوية ، التي قدمت في الندوات العلمية أو كتبت في الجرائد والصحف .

جمع شيخنا رحمه الله بين الوسيلة والغاية ، فإنه ما تعلم اللغة العربية ليُعرف بين الناس لغوياً وأديباً وخبيراً بالمعاجم والقواميس ، بل درس اللغة العربية والأدب العربي ، ليعرف الكتاب والسنة والسيرة النبوية في أسمى معانيها .

رباني الأمة :

تقدّر قيمة الإنسان من كلماته وأحاديثه التي تجري بين حين وآخر ، وهي مرآة صادقة لنفسيته ، ولوحة صافية لانطباعاته ومشاعره ، وكلما كان باطن الإنسان نقياً كانت كلماته تأخذ بمجامع القلوب ، وتقع من النفوس كل موقع ، وإذا كان الأمر بالعكس ، فإنها لا تحمل أي قيمة ولا تأثير ، وصدق من قال : " كل ما خرج من القلب ، وصل إلى القلب ، وكل ما خرج من اللسان لا يجاوز الآذان " .

كان شيخنا الجليل السيد محمد الرابع الحسني الندوي شخصيةً لها جوانب متعددة ، ومناح بارزة ، كل جانب من جوانبه يحمل أهميةً كبرى ، وميزة جُلى ، لا يمكن لدارس سيرته أن يتغاضى عنه ، ويبتعد عنه ، ولا يمكن أن يحاط بجميع هذه الجوانب ، فإلى القراء دُرراً ولالئ صدرت من لسانه ، ووقعت في قلوب الناس ، فغيرت من مناهج حياتهم ، وأساليب عيشهم ، وكان يتميز بين علماء عصره بميزة التربية والإصلاح ، فكان مربياً حكيماً ، ومصلحاً مثالياً ، يقوم بإصلاح الاعوجاج والخلل من دون إشعار به ، فيستقيم الإنسان ويمشي على الصراط المستقيم على هدى من ربه ، وقد استقى هذه الفكرة من مشكاة النبوة التي وراءها مشكاة أكثر إضاءةً للناس في دياجير الظلام ، وقد حدث معي مرتين بوجه أخص : مرة أنه قال : " إنك ما تعمل من عمل الدعوة والإصلاح في مكتب المجلة " ، فانتبهت لهذه الجملة ، وكنت أظن أني أخدم اللغة والفكر الإسلامي ، لكنه بجملته اليسيرة صرف عنايتي من العربية إلى

عمل الدعوة والإصلاح ، ومعلوم أن الدعوة ليست لها طرق خاصة ، وأشكال محدودة ، بل كل ما يكون من عمل لنشر رسالة الإسلام يعتبر دعوة وإصلاحاً ، ومرة أخرى قال : وكنت أشتغل بنقل كتابه حول القرآن الكريم إلى العربية ، فقال : " إن القرآن الكريم كلام الله ، وكل ما يمت إلى الله بصلة له وزن وقيمة عنده ، فعمل الترجمة للكتاب حول القرآن ليس عملاً هيناً ، بل هو عمل القرآن مباشرة ، تقبل الله عملك " ، بهذه الكلمات البسيطة نقلني رحمه الله من المادية إلى المعنوية ، ومن الأرض إلى السماء .

كثيراً ما رأيتُ أن لفظة أو كلمة خرجت من لسانه غيرت حياة شاب، أو رجل انزعج من علائق حياته ، أو أصيب بمشاكل حياته ، فينال شفاءً روحياً ، ويطمئن قلبه ، ويرجع فرحاً مسروراً ، ويذهب إلى بيته مبتهجاً مرتاحاً ، هكذا كان دأبه كل يوم ، يزدحم عنده الناس ، فلا يبالي بضعفه ونقاهته ، ولا ينظر إلى أمراضه ، بل يطيل الجلوس معهم ، وكان يقول : ليس عندي ما أمنحهم ، سوى أن أشاطر همومهم وأحزانهم ، فكل من زاره وجد عنده طمأنينة نفسية وراحة قلبية ، وزالت عنه المتاعب والمشاق، كذلك يكون أولياء الله الذين تحدث النبي صلى الله عليه وسلم عنهم : من ذكّركم بالله رؤيته ، وزادكم في العلم منطقه ، وذكّركم بالآخرة عمله (مسند أبي يعلى : ٢٩/٨ ، عن عبد الله بن عباس) .

الحمد لله على نعمة الإسلام :

كان رحمه الله يشكر الله دائماً على آلائه الجسيمة ، ونعمه الكثيرة ، وكان يقول : لسنا أحق بهذه النعم التي نتمتع بها ، لكن الله تعالى أسبغها علينا بمنه وكرمه ، وأجل هذه النعم هي نعمة الإسلام والإيمان، ينبغي أن تكون ألسنتنا رطبة بحمده وثنائه على هذا الفضل ، وكان يقول نظراً إلى توقيره واحترامه من الناس : أخشى أن يقال لنا يوم القيامة : قد أكرمك الناس كثيراً ، فليس لك جزاء هنا ، وكان يوصي طلبة المدارس الدينية : اشكروا الله على هذه النعمة على أنكم تتعلمون في معاهد علم النبوة ، وتدرسون العلوم الشرعية ، وهناك كثير من الشباب يدرسون في الكليات والجامعات التي أنشأها الملاحدة والفساق ، فيختارون ثقافتهم ويصطبغون بصبغتهم ، وبلغ الأتراك في اعتزازهم وفخرهم بالإسلام إلى أنهم يقولون : الحمد لله على نعمة الإسلام ،

فالإسلام ليس حضارةً أو ثقافةً كعامة الحضارات والثقافات ، بل هو دين ودنيا ، قول وعمل ، معرفة وتطبيق ، لا يحسن أن يأ خذ الإنسان بعضه ويترك بعضه ، بل هو مطالب بأن يعيش فيه مأة في المأة من العقائد العبادات والأخلاق ، والمعاملات والشئون الاجتماعية .

أكبادنا تمشي على الأرض :

كان شيخنا رحمه الله يركز كثيراً على تربية الأجيال الناشئة ، ويشجِّع الأعمال والجهود التي تبذل في هذا السبيل ، ويبارك ويهنئ الرجال الذين يشتغلون ببناء الكتاتيب والمدارس لتربية النشء الجديد ، فإن الأطفال هم أكباد الإنسان وفلذات قلبه ، تمشي على الأرض ، وكان يقول : التربية في البيت هي الأساس في حياة الطفل ، فإذا كانت بيئة البيوت دينيةً ، وإيمانيةً ، ولا يزال فيها ذكر وتلاوة ، ودعاء ومناجاة ، فهذا يؤثر في حياة الأولاد ، ويكوّن أذهانهم ، ويصوغ نفسيتهم على خلال طيبة ، فالمرحلة الأولى في التربية هي بيئة البيوت ، ثم ربطهم بالمساجد وبيوت الله تعالى ، وأخيراً اعتيادهم واختلافهم إلى الكتاتيب الدينية ، هذا الذي يمنعهم من الانصياع في السيل المادي الجارف ، ويتمثل في ذلك بحياة الداعية الإسلامي الشهيد سيد قطب الذي كان أديباً محضاً في بداية حياته ، لكنه أصبح فيما بعد شخصيةً كبيرةً ، وضحى في سبيل الله تعالى ، إنه ألف تفسير في ظلال القرآن ، وذلك بتأثير بيئته وتربية أمه في الصغر ، فيقول في مقدمته :

" إليك يا أماه أرفع هذا الكتاب !

لطالما تسمعت من وراء " الشيش " في القرية للقراء يرتلون في دارنا القرآن ، طوال شهر رمضان ، وأنا معك ، أحاول أن ألغو كالأطفال ، فتردني منك إشارة حازمة وهمسة حاسمة ، فأنصت معك إلى الترتيل ، وتشرب نفسي موسيقاه ، وإن لم أفهم بعد معناه – لقد رحلت عنا – يا أماه ، وآخر صورك الشاخصة في خيالي ، جلستك في الدار أمام المذياع ، تستمعين للترتيل الجميل ، ويبدو في قسمات وجهك أنك تدركين بقلبك الكبير وحسك البصير مراميه وخفاياه " . (مقدمة التصوير الفني للقرآن) .

وثار غضب الله :

إن شيخنا رحمه الله كان يعمِّق جذور الإيمان ، وركائز جلال الله تعالى بقصص دينية وحكايات مؤثرة ، هذه القصص تؤثر في النفوس ، وتعمل عملها ، فترتدع النفوس عن غيها ، وتنزجر عن انحرافها ، وقد ذكر الله تعالى في القرآن قصص الأنبياء والرسل لتثبيت دعائم الإيمان ، وهناك مؤلفان لشيخنا رحمه الله : أحدهما : منثورات من أدب العرب ، ذكر فيه أنواعاً منوعة من القصص ، واستنبط منها النتائج والعبر ، إما نثراً وإما شعراً ، وثانيهما معلم الإنشاء الذي يعلِّم التعبير عما في الضمير ، وكتابة الجمل العربية ، لكنه لم يتغافل عن هذا الجانب المهم ، وتناول بذكر القصص والحكايات للترجمة والتدريب على الكتابة العربية ، ولا تخلو مجالسه عنها كذلك ، فنذكر هنا قصتين مؤثرتين ، ذكرهما الشيخ في أحد مجالسه :

(١) قال الله تعالى : قُلْ أَرَأَيْتُم إنْ أَصْبَحَ مَاؤكُم غَوْرَاً ، فَمَن يَأتِيْكُم بِمَـاء مَعِين ، قرأ رجل هذه الآية ، فقال بكل وقاحة : إذا نقص الماء في مكان ، أحفر بئراً في مكان آخر ، وأخرج الماء ، فثار غضب الله ، فجف ماء عينه وعمي ، قال صاحب الجلالين : معين معناه جار تناله الأيدي والدلاء كمائكم أي لا يأتي به إلا الله تعالى ، فكيف تنكرون أن يبعثكم ؟ ويستحب أن يقول القارئ : عقب معين : الله رب العالمين ، كما ورد في الحديث ، وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين ، فقال : تأتي به الفووس والمعاول ، فذهب ماء عينه ، وعمي ، نعوذ بالله من هذه الجراءة على الله وعلى آياته (تفسير الجلالين ، تفسير آخر آية من سورة الملك) .

(٢) كان ذباب ، مرة ظن أن الناس كم عجزوا عجزاً ، بحيث لا يستطيعون أن يطيروا في الفضاء ، وليسوا أحراراً ، يفعلون ما يشاءون ، وهم مضطرون ، وأنا حر طليق ، أعيش كيف أشاء ، وأجلس حيث أشاء ، ولم يمض وقت ، إذ جاءت طير فأكلته ، فهذا مثال للكفران بالنعمة ، والإعجاب بالنفس ، فالذباب وما قيمة الذباب ؟ لكنه أصيب بالكبر ، واحتقر الجميع وازدراهم ، حتى أشرف المخلوقات ، فأهلكه الله تعالى .

أربعة أشياء تربط الأرض من السماء :

أصبح التكالب على حطام الدنيا موضة الناس وديدنهم في هذا العصر ، وقد جعل الغرب كلمته : لا إله إلا البطن والمعدة ، فكل يفكر في

زيادة ميزانيته ، ولا يكترث في ذلك بالحلال والحرام ، والطيب والخبيث ، بل يحاول أن ينال مبلغاً كبيراً من المال ، ويضيفه إلى رصيده في البنوك ، رغم أن السلف الصالح كانوا يحبون أن يفارقوا الدنيا ، وليس عليهم تبعة ولا مسئولية ، وكانوا يقولون : لا علي ولا لي ، وقد عبر عنه القرآن الكريم بالتكاثر ، أي يتفكر الإنسان في استكثار المال والأولاد حتى ذهب إلى المقابر ، ذكر شيخنا رحمه الله عن المفكر الإسلامي محمد أسد أنه مرة كان يسافر في قطار ، فرأى جواً من الصمت والكآبة قد خيم على المسافرين ، كأن حادثاً حدث ، أو مصيبة وقعت ، فألزمت السكوت على الناس ، وصل محمد أسد إلى بيته ، وفتح القرآن الكريم ، وقرأ في القرآن الكريم سورة التكاثر ، فكأنه وجد ضالّته ، وأدرك بغيته ، وانكشف أمامه هذا الواقع أن حب المال هو رأس كل بلية ، وأس كل فساد ، ثم ذكر شيخنا رحمه اللّه أن خالي الأكبر الشيخ عبد العلي الحسني رحمه اللّه كان طبيباً ، مرةً جاء إليه رجل للمعالجة ، فوصف له دواءً توكلاً على اللّه ، وأكل فأصبح معافىً في بدنه ، ثم جاءه في اليوم الثاني رجل آخر ، وكان يشكو نفس المرض الذي أصيب به رجل أمس ، فوصف له أيضاً خالي الدواء نفسه ، لكنه لم يبرأ من مرضه ، ثم بين سبب ذلك قائلاً : وصفت الدواء للرجل الأول ثقةً باللّه ، فشفي ، ولكن منحت نفس الدواء للرجل الثاني ثقةً بالدواء ، فلم يشف هذا الرجل من مرضه ، سبحان اللّه ! هكذا يكون تأثير للنيات في الأعمال ، وما أحسن ما قال الإمام الدهلوي في حجة اللّه البالغة : إن هناك أربعة أشياء تربط الأرض من السماء : القرآن ، والكعبة ، والصلاة ، ومحمد صلى اللّه عليه وسلم ، لولا هذه الأشياء لانفصلت السماء من الأرض ، ولا تكون بينهما علاقة وصلة ، وقد ألف شيخنا رحمه اللّه لكشف هذه الحقيقة كتاباً مستقلاً باسم : شعائر اللّه : عظمتها وأهميتها ، طبع الكتاب من المجمع الإسلامي العلمي باللغة العربية ، وهو يكشف عن الداء الدوي الذي ألم بالمجتمع الإنساني ، فوصل به إلى هاوية من النار .

هذا ما لمسته من خلال تلمذتي على شيخنا رحمه اللّه وزيارتي له ، وقد وفقني اللّه للقراءة عليه والنهل من نميره الفياض ورؤيته عن كثب ، ندعو اللّه تعالى أن يتقبل منا أعمالنا ، ويغفر لشيخنا السيد محمد الرابع الحسني الندوي مغفرةً تامةً ، ويدخله في جنات النعيم .



عدد ممتاز عن الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2021 To 2023
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Despatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. ₹ 250/-
Annual Subs. ₹ 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 69 Issues. No.08,09,10 September, October, November 2023

يتحدث العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رحمه الله تعالى عن :

وسائل القوة وإمكانيات الانتصار

" إن حياة المسلمين أصبحت مرةً أخرى تحتاج إلى أن تكون هناك حياة شظف وجهد وكفاح ، وإن العزة والمناعة التي تمتعوا بوجودها عندهم قروناً ، قد فارقتهم منذ زمان ، مع أنهم في أشد حاجة إلى عودتها إليهم ، فإن الأمم لا تستطيع أن تعيش عزيزةً شريفةً بدون أن يكون فيها المناعة والقوة ، وهما لا تحصلان إلا بالجد والشظف ، لا بالرفاهية واللذة .

والعالم الإسلامي مصاب اليوم بحب الرفاهية واللذة إلى حد غريب جداً ، إن الشعوب المسلمة في مناطق حكوماتها وسكنها من العالم اليوم في تكالب عجيب على طلب اللذائذ وأسباب الراحة في الحياة ، إنها سادرة في تقليد أعمى للشعوب الراقية في صور معيشتها الزاهية ، وفي أشكال حياتها اللاهية ، التي لا تحمل للإنسان رسالةً ، ولا لحياتها مثلاً كريمةً ، وخاصةً لحياة الشعوب المسلمة ، والشعوب الأخرى ، مع أن الحاجة الأساسية لحياة كل أمة أو كل إنسان هي أن يطلب الإنسان مقومات حياته بطريقة تبقى له فيها كرامتها ، ويبقى له فيها شرفه ، وإذا استطاع أكثر من ذلك فيجوز ويحسن له أن يطلب ما يلزمه من أسباب الراحة والرفاهية والمتعة البريئة كذلك " .

(العالم الإسلامي : قضايا وحلول ، ص : ٢٢٨ – ٢٢٩)

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI